موسوعة الأنبا بيمن

المجلد التاسع

حياة العفاف

اعـــداد

مثلث الرحمات نيافة

الأنبا بيمن

تقديم

الأنبا ديمتريوس

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

COPTIC ORTHODOX DIOCESE OF MALLAWI
HERMOPOLIS & ANTENOEPOLIS

مطرانية ملوى وأنصنا والأشمونين للأقباط الأرثوذكس

موسوعة الأنبا بيمن

المجلد التاسع

حياة العفاف

تقديم

الأنبا ديمتريوس

أسقف ملوى وأنصنا والاشمونين

اســــم الكتـــــاب :   المجلد التاسع من موسوعة الأنبا بيمن

حيـــاة العفـــاف

اســــم المؤلـــــف :   المتنيح الأنبـــا بيمــــن

اســــم المطبعـــــة :   مطبعة مطرانية ملوى

جمـــع تصـــويرى :   بمطرانية ملوى .

رقـــم الايـــداع :   ٥٢١٢ / ١٩٨٧

الطبعـــــــة :   الثالثـــة ٢٠٠٩ م

Ⲡⲁⲡⲁ ⲁⲃⲃⲁ Ϣⲉⲛⲟⲩϯ

Ⲡⲓⲙⲁϩ ⲅ̄ (ⲡⲓⲙⲁϩ ⲣⲓⲍ̄)

H.H.pope Shenouda III,117th

Pope and Patriach of Alexandria and the See of St. Mark

قداســــة البــابا شنـــودة الثـــالـــث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مثلث الرحمات نيافة الحبر الجليل

الأنبــا بيمـــــن

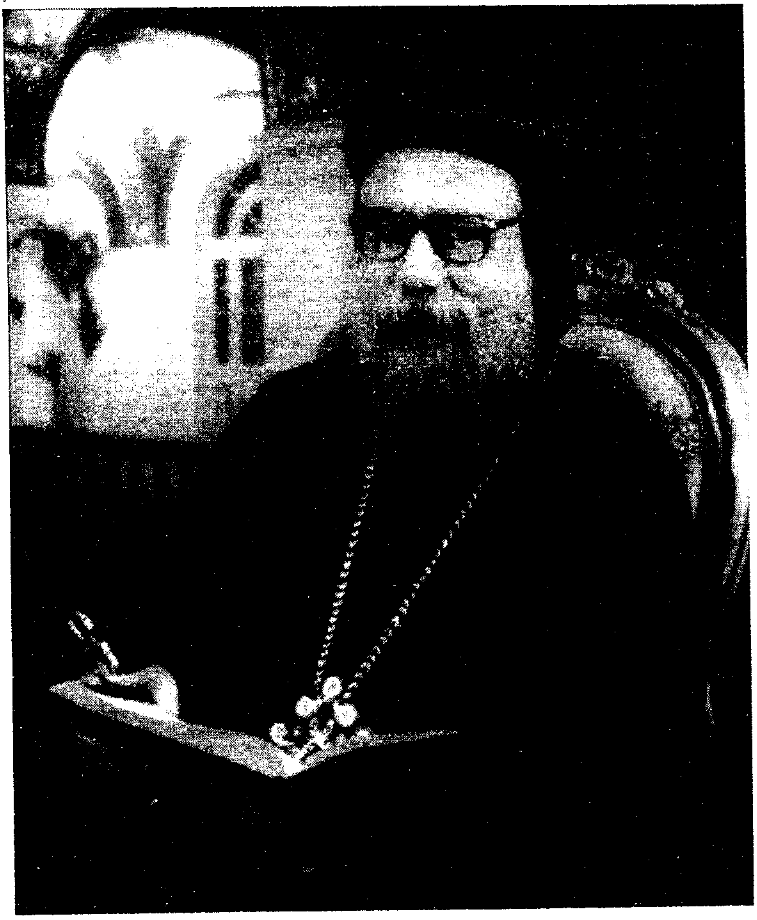

Ⲁⲃⲃⲁ Ⲇⲏⲙⲏⲧⲣⲓⲟⲥ

Ⲡⲓⲉ̀ⲡⲓⲥⲕⲟⲡⲟⲥ ǹⲧⲉ Ⲙⲁⲛⲗⲁⲩ ⲛⲉⲙ Ⲁⲛϯⲛⲱⲟⲩ ⲛⲉⲙ ̀Ϣⲙⲟⲩⲛ

H.G. Demetrius

Bishop of Mallawi, Hermopolis & Antenoepolis

الأنبـــا ديمتريـــوس

أسقف ملـــوى وأنصنـــا والأشمونيـــن

مقدمة طبعة اليوبيل الفضى

لإعادة تأسيس الإيبارشية

لحياة ومؤلفات نيافة الحبر الجليل مثلث الرحمات

الأنبا بيمن

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

يسعدنى فى مناسبة اليوبيل الفضى لإعادة تأسيس الإيبارشية وتجليس نيافة **الأنبا بيمن** أسقفاً لها فى ١٩ / ٦ / ١٩٧٦م أن أقدم هذه الطبعة فى شكل موسوعة لحياته ومؤلفاته فى ثلاثة عشر مجلداً .

والتى تظهر مدى إخلاصه وتفانيه فى خدمة الكنيسة بوجه عام وكذلك دوره الكبير فى خدمة الإيبارشية ونهضتها روحياً واجتماعياً وتنموياً .. وفى كل المجالات . نيح الله نفسه البارة فى فردوس النعيم ونفعنا الله بصلواته وسيرته المباركة وأقواله ومؤلفاته وعظاته البناءة . وليعيننا الله كما أعانه لنكمل أيام غربتنا بسلام .

بصلوات الجالس على عرش القديس مارمرقس الإنجيلى قداسة البابا المعظم **الأنبا شنودة الثالث** والذى إليه يرجع الفضل فى تركيز الرعاية والخدمة فى هذه الإيبارشية التى كانت قبل خمسة وعشرون عاماً جزءاً صغيراً من إيبارشية المنيا والأشمونين والتى كانت تمتد من سمالوط شمالاً إلى ملوى جنوباً .

بنعمة الله

ديمتريوس

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

مقدمة الطبعة الثالثة

يسعدنى أن أقدم للطبعة الثالثة من موسوعة مثلث الرحمات نيافة الحبر الجليل **الأنبا بيمـــن** أول أسقف لايبارشية ملوى وأنصنا والأشمونين فى العصر الحديث .

أشكر الله الذى أعطانى بركة الخدمة خلفاً لهذا الاسقف المبارك النشيط . والذى ترك لنا رصيداً من الخبرة الروحية والتعاليم النافعة إلى جانب سيرته المقدسة .

أطلـــب مـــن الله أن تكـــون هـــذه الكلمـــات لمنفعـــة الكثيريـــن بشفاعـــات **أمنا العذراء القديســـة مريـــم** وطلبـــات كـــاروز ديارنـــا المصـــرية القـــديس **مارمرقس الانجيلى** وصلوات أبينا الحبيب حضرة صاحب الغبطة والقداســـة البابـــا المعظـــم **الأنبا شنودة الثالث** ولالهنا المجد دائماً أبدياً أمين .

بنعمة الله

ديمتريـــوس

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

محتويات الكتاب

(المجلد التاسع من الموسوعة)

مقدمة طبعة اليوبيل ....

١ ــ العفــاف المســيحى ١٩٤٩

٢ ــ ســـر الحـــب ٢٠٧٧

٣ ــ المســيحية والجســد ٢١٤٣

٤ ــ الجــنس مقدســاً ٢٢٣٩

العفاف المسيحى

[illegible]

[illegible]

هذا الكتاب لا يدرس حياة العفة بمعناهـــا الواســـع، وإنمـــا يعـــالج العفـــة الجســـدية من منظار مسيحى، مركزا على التيار الجنسى مبرزا العوامـــل التـــى تؤثـــر فـــى ســـلامته أو انحرافـــه ..

هذا الكتاب دراسة علمية كما هو عظة روحيـــة، لـــهذا يتعـــرض الكتـــاب لمعطيـــات علم النفس والتربية، ويقتبس كثـــيرا لأهـــم مـــا ذكـــره القدامـــى والمحدثـــون عـــن العفـــة المسيحية، ويعرض موضوعيا لكافة وجهات النظـــر، ولكنـــه يعطـــى لكلمـــة الله أن تحكـــم على كل ما يقال لكى يدرك القارئ نظرة المســـيحية إزاء حيـــاة العفـــة ومـــا حولـــها مـــن قضايا ومواقـــف.

ويشرح هذا الكتاب فى كل أبوابـــه وموضوعاتـــه نفســـية الإنســـان الطبيعـــى علـــى مستوى مشيئة الجسد ومشيئة الرجـــل ثـــم ينتقـــل إلـــى طبيعـــة أولاد الله المولوديـــن مـــن فوق بالماء والروح، وذلك لكى يبرز أن العفـــة المســـيحية هـــى ثمـــرة مـــن ثمـــار حيـــاة المسيحى المعجزية العاملة فى أعماق الإنســـان المتجـــدد ..

وهذا الكتاب يبحث موضوعات كثيرة تحتـــاج إلـــى دراســـة أعمـــق وتوفـــر أكـــثر للبحث، ولكنه فى جملته يلقى نظرة على أمور غاية فـــى الأهميـــة خاصـــة لـــدى الشـــباب المسيحى فى بلادنـــا ..

ولعل القارئ عندما يطالع النمو الجنســـى الســـليم أو الـــزواج المســـيحى الطـــاهر أو البتولية المقدسة الملتهبة حبا أو الحشمة المسيحية القائمـــة علـــى الإلـــهام والقـــدوة .. لعلـــه يسأل هكـــذا ..

- كيف يمكننى أن أصل إلى هذه الذرى الســـامية والقمـــم العاليـــة؟
- كيف أستطيع أن أحلق فى سموات الفضيلـــة المجيـــدة هـــذه؟
- كيف أقدر أن أقاوم كل جذب إلى أسفل وأنتصر فـــى المعانـــاة القاســـية اللازمـــة فـــى مراحل الجهاد وحروب المســـير؟

الجواب هو ما قاله الرسول بولس لأهل رومية ..

- " لا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة " (رو ١٢ : ٢) .
- "قد تناهى الليل والنهار فلنخلع اعمال الظلمة ونلبس اسلحة النور" (رو ١٣ : ١٢).
- " بل ألبسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيرا للجسد لأجل الشهوات (رو ١٣ : ١٤) .

فبدون المسيح لا نستطيع أن نحصل على شئ لأنه قال بفمه الطاهر " بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئا " .

ولكننا إذا أسرعنا إلى المسيح لنأخذه مخلصا وصديقا وملكا حقيقيا، أن توشحنا به حقا أن تمنطقنا به فعلا أن لبسناه نوراً وبراً لنا .. نستطيع عندئذ أن نطفئ سهام إبليس الملتهبة لأن درع البر يحمينا، ونعمة الرب تغطينا وحبه الطاهر يفرحنا ويعزينا وكلمته الحية الفعالة ترشدنا وتهدينا ..

أننا نعيش فى عصر يمجد الإباحية ويفتخر بالشهوات الجسدية ويجرف فى تياره العنيف ألوفا من الشباب المتعثر الخاضع للإثارات العنيفة والإلحاحات الجسدية المنحرفة .. ولكننا نشكر الله جداً لأنه حينما تكثر الخطيئة تكثر النعمة أيضا وحينما تصعب وتشتد الحروب تظهر الأمانة والمحبة الحقيقية .. لا شك أن هناك أسماء قليلة تحيا فى العفة وتحفظ ثيابها من الدنس وقد غسلها فى دم الخروف، وأغلقت عيونها عن كل ما هو نجس، وصمت آذانها عن كل ما هو قبيح، وحفظت حواسها من كل ما هو مثير منحرف، وفى الأعماق تمكنت أن تتلامس مع يسوع يملأ الكيان نورا وبهاء ويشع فى الحياة كلها قداسة وعفة وطهراً ..

إلى هؤلاء الذين يحبون الرب يسوع بالروح والحق والذين يجاهدون بقلب صادق مخلص نتوسل طالبين أن يتشددوا فى جهادهم ويسرعوا الخطى فى المسير لأن مجئ الرب قد اقترب وأوشكت ساعة وضع الأكاليل ..

أما الذين لم يبدأوا الطريق بعد، أو مـا فتئـوا مـترددين متعـثرين منقسـمين علـى ذواتهم فأننا نناشدهم فى أحشاء ربنا يسوع أن يقدموا توبــة صادقــة وعزمــا أكيــدا علــى السير وراء المخلص ليجدوا في شخصه المحبــوب حــلا لكـل مشـكلة، وإشـباعا لكـل حاجة، وتطهيراً وتقديسا لكل دافع وغريـزة، وسـندا وعونـا فـى كـل ضيقـة ومعانـاة، وغذاء ونورا وهداية طيلة رحلتهم فى هذا العـالم الملتـوى الشـرير ..

الموضوع الأول

مفهوم العفاف وأهميته فى الحياة المسيحية

- ❖ تحديد مفهوم العفاف
- ❖ مركز العفاف فى الكتاب المقدس
- ❖ سمات العفاف المسيحى
- ❖ قيمة العفاف وفائدته

١- تحديد مفهوم العفة

العفة فى المفهوم اللغوى عموما تعنى الكف والامتناع عن ما لا يحل عمله، ونقصد بها هنا الامتناع عن الشهوات الجسدية المنحرفة وكل أنواع النشاط الجنسى الذى يتعارض مع السلوك الروحى حسب وصايا المسيح.

والعفة بالمنظار المسيحى ليست فضيلة سلبية، فالعفيف ليس فقط هو من امتنع عن ممارسة الزنا والشهوات الجنسية المختلفة .. فالإنسان المتعفف عن الأفكار والممارسات الجنسية لرغبته فى التفرغ للدراسة أو التفوق الرياضى أو بسبب قصور فى وظائف أعضائه التناسلية وعجزه الجنسى، لا يعتبر عفيفا من وجهة الاعتبار الروحى. لأن مفهوم العفة فى الحياة المسيحية يستمد دوافعه وأهدافه روحيا وهذا ما يباعد جدا بين مفهوم العفة فى المسيحية عما عداها.

فالعفة فى المسيحية فضيلة إيجابية تهدف إلى حياة روحية. العفة فى المسيحية مرتبطة بالمحبة، لذلك فهى تقوم على البذل والتضحية. وحب المسيح هو سر القدرة على البذل والتضحية بشهوات الجسد.

المسيحى يتعفف، لأنه يطلب المسيح، والذى يريد أن يحيا فى العفة عليه أولا أن يحيا فى المسيح أى لا يحيا حسب الجسد بل حسب الروح .. شخص المسيح هو حجر الزاوية فى حياة العفة، فلا يمكن أن تشرح العفة أو تقاس بدون الرب. الرب هو الذى يلهب القلب بحب العفة وهو الذى يجذب الجسد ويهدئ الأعضاء ويلهم

البذل ويهون الاحتمال، ولأن العفة فى دوافعها وأهدافها تتجه ناحية الحياة حسب الروح لذلك فهى عمل من صميم أعمال الروح القدس فى حياة الإنسان الذى يريد ان يعيش مع المسيح.

يلزم أذاً التنويه بالفارق الجذرى بين العفة كحياة روحية وبينها كقيمة اجتماعية يحوزها الإنسان الطبيعى بفضل التربية والتنشئة والرقى فى السلوك .. كذلك الفارق لا يزال كبيرا بين التدريب على العفة كفضيلة فى حد ذاتها وبين قبولها كحياة مع الرب نعيشها بفضل الروح القدس ومؤازرته كروح قداسة وطهارة.

إن الكتاب المقدس لا يكتفى بالعفة على مستوى الاجتهاد الجسدى كمحاولة لإصلاح الإنسان العتيق، ولكنه يطلبها كصفة أساسية للخلقة الجديدة التى يقبلها الإنسان فى إطار الولادة التى من فوق (يو ١ : ١٢).

فموضوع العفة الذى نبحثه يختلف عن ذاك الذى ينظر إليه علماء الأخلاق والاجتماع والتربية لأننا نبحث عن العفة كصفة روحية يقبلها الإنسان من الرب باجتهاد الإيمان وسهر الروح وبذل المحبة حيث تتجه وتهدف نحو حياة طاهرة مقدسة لعمل الله وتمجده.

على هذا الأساس يربط القديس أوغسطينوس بين العفة والإيمان عندما يقول " ليس إنسانا عفيفا بالحقيقة سوى المؤمن" ([1]).

وهنا يبرز القديس العفة كصفة إيمان وصفة حياة روحية مبررة ومقدسة فى الله .

فالعفة إذاً ليست مجرد الالتزام بالكف عن الممارسات المنحرفة تحت الضغط الاجتماعي لانعدام الشجاعة اللازمة لتجاوزه، وهى ليست مجرد مجهود صوم أو خلافه يستنفذ حيوية الأعضاء لهدف التقشف فقط .. أن القديس أوغسطينوس فى شرحه للآية السابعة من الإصحاح السابع فى كورنثوس الأولى يرى العفة عملا

---

[1]- St. Augustne, “On Marriage and concupiscence”. N., P.N., 1st. Ser., Vol. V, No. 4,5 P. 264, 265.

إلهيا ومن الله تُطلب وبالنعمة تعـــاش إذ يقـــول : " إن بولـــس يعتـــبر البتوليـــة والعفـــة الزيجية هبة من الله فينبغى أن تطلب منـــه إذا لـــم تكـــن موجـــودة ، وإذا كـــانت موجـــودة فيجب تقديم التشكرات على اقتنائــــــها ..

أنـــه لابـــد مـــن نعمـــة الله حتـــى نقصـــد طلبنـــا للعفـــــة والحصـــــول عليـــــها والتمسك بـــها " (٢).

[illegible]

إذا ما أردنا أن نتتبع وصية العفة فى الكتاب المقدس لطالعنا فى بداية ســـفر التكويـــن النموذج الرائع الذى عقده الرب فى الفردوس ..

آدم يحيا مع حواء فى شركة حب وألفة فى مجال محبة الله ومخافته .. أخذ الرب حـــواء لآدم من لحمه وعظامه لتكون معينا نظيره .. أراد الرب أن يحيا الإنسان فى شـــركة الألفـــة لتكون هناك وحدة حسب قصده ومسرة قلبه ..

ولكن الإنسان سقط وكانت السقطة مشتركة بين آدم وحواء، أن جوهر خطيئة آدم هـــو الذاتية أو المعرفة المستقلة عن الله، ومعنى هذا أن آدم وحواء تعرضا للتعرف علـــى الخـــير والشر خارج دائرة الله فسقطا فى الشر جراء المعصية.

وقد شملت المعصية آدم وحـــواء جســـدا وروحـــا .. وجـــاء الخجـــل مـــن العـــرى نتيجة للخطيئة، وما كـــان فـــى الفـــردوس ســـبب فـــرح ونقـــاء أضحـــى علـــى الأرض الملعونة بالألم ، سواء كان ذلك فى التاســـل أو العمـــل .

لقد تحول الإنسان إلى جسد فاسد بعد أن كـــان مخلوقـــا علـــى صـــورة الله ومثالـــه.. ولكن محبة الله الآب دبرت عملية الخـــلاص لإنقـــاذ آدم وبنيـــه مـــن الـــهلاك الأبـــدى، إذ أعطى آدم وعدا بمجئ مشتهى الأمم ورجاء الشعوب ومخلـــص كـــل ذى جســـد.

ويمكن تلخيص المرحلة اليهودية فـــى عجـــز الإنســـان عـــن تحقيـــق حيـــاة العفـــة بالنـــلموس.

---

2 - St. Augustne, "On Marriage and concupiscence". N.,&P.N. 1st. Ser., Vol. V, No. 3, P. 264

ولكن الله لا يترك نفسه بلا شاهد إذ نرى خلال تاريخ العهد القديم نماذج حية مباركة لحياة العفة وطهارة الجسد والقلب فيوسف العفيف الذى رفض الخطيئة الملحاحة مرددا القول المبارك " كيف أفعل هذا الشر العظيم وأخطئ أمام الله ".

وسوسنة العفيفة التى قاومت عشق الشيوخ الملتهبين شهوة وحفظت نفسها من دنس الخطيئة ودانيال النبى والفتية الثلاث الذين لم يتنجسوا بأطياب الملك وخمر مشروبه ونجاسات قصره وألوف ألوف من الشهود المباركين عاشوا فى حياة العفة كعلامات فى الطريق واشارات ورموز لمصدر العفة الحقيقى ومنبعها وملهمها لكل البشرية.

وفى ملء الزمان جاء ابن الله الكلمة مولودا من الروح القدس والعذراء مريم ليرفع آدم وبنيه من سقطتهم، ويردهم إلى الحالة التى كانوا عليها فى الجنة .. لقد تجسد وصار إنسانا لكى يعطينا ذاته ونصير به شركاء الطبيعة الإلهية .. وجال فى الجليل والناصرة يصنع خيرا ويعلم بالقداسة موصيا أحباءه ألا يشتهوا فى قلوبهم وأفكارهم حتى تكون العفة عميقة فى الفكر والوجدان كما هى فى النزوع والأداء أيضا .. وأوصى بعدم الطلاق حتى يبقى نموذج الوحدة الذى أسسه فى عدن باقيا سليما. ثم صعد إلى السماء وأرسل الروح القدس المعزى .. هذا ملأ الكنيسة قداسة وطهارة .. وعلمنا رسول الجهاد أن اتحاد الرجل بالمرأة إنما هو على شبه اتحاد المسيح بالكنيسة وأوضح قداسة سر الزيجة وطهارة المضجع عند المؤمنين ..

وأمتد لهيب الحب إلى قلوب المؤمنين حتى فضل بعض المختارين حياة البتولية والعذراوية كتكريس كامل للجسد والقلب ..

وعن هؤلاء يشير يوحنا الرائى فى كنيسة الأبكار إذ رآهم ينشدون حول الخروف المذبوح ..

ولا تزال كنيسة الله المقدسة تعلم أولادها عن العفة التى هى حياة شركة مع المسيح سواء فى الزواج لامتداد ملكوت الله أو فى البتولية عندما يجمع الإنسان فيها

من الملائكة والخليقة الأرضية حياة تسبيح فريدة شاهدة بقوة عمل الله وحبه للإنسان ودائبة على التسبيق بحياة الملكوت والإسراع بمجيء الرب العظيم.

والعهد الجديد ملئ بسير آبائنا الرسل الأطهار الذين نسجوا على منوال ربنا يسوع وعاشوا حياة ملؤها الطهارة والعفة الكاملة وبولس الرسول.

ويوحنا الرائى وبقية الرسل وتلاميذهم القديسين الذين خدموا الكلمة وشهدوا ببشارة نعمة الملكوت كانت حياتهم جميعا طاهرة كالشمس جميلة كالقمر عفيفة تماما خالية من أدنى دنس فى الجسد أو الروح.

وأمتد الإنجيل معاشا فى حياة الرهبان والنساك والمتوحدين وكذا فى كل بيت مسيحى مؤمن حتى أصبحت العفة والطهارة أهم علامة تميز الحاملين سمة الحمل يعيشون كخراف بين ذئاب وكحملان بين وحوش ويكفينا قراءة سير بوتامينا وبربارة ودميانة وبربتوا وثيئودوره وفيرينا العذراء وسير الشهداء لندرك عمق وبهاء ومجد وعظمة العفة فى حياة أولاد الله ..

[redacted]

الإنسان المؤمن بدعوة المخلص له، يحيا كغريب ونزيل، ويسلك بالقداسة والعفة نظير هذه الدعوة التى دعى إليها، وهنا يكون الإيمان وراء العفة فى المنهج الروحى.

والعفة المسيحية تتطلب تضحيات كثيرة وتستلزم يقظة وجهداً، وهذا لا يدوم إلا إذا كان هناك رجاء فى الحياة الأبدية وثقة فى الإكليل المعد من قبل تأسيس العالم. وهنا يكون الرجاء أمام العفة يجذبها ويشجعها ويعزيها فى جهادها ومعاناتها.

وإذا كان الإيمان يدفع العفة دفعا، والرجاء يشدها فإن المحبة تمتلكها امتلاكا..

العفة بدون المحبة خلق اجتماعي لمسايرة أنماط سلوك بشرى فالعذارى الجاهلات حرمن من الملكوت وهن عذارى لأن مصابيح نفوسهن لم تمتلئ بزيت المحبة ..

العفة المسيحية عميقة فهى لا تقف عند حدود تعفف السلوك وإنما تتعداه إلى طهارة الوجدان وقداسة الفكر الداخلى .. يكفى أن تشتهى فى قلبك فتجرح العفة ..

يكفى أن تفكر فكرا شريرا يلوث قداسة الهيكل فتصبح ملوما ومدانا أمام وصية العفة ..

العفة المسيحية شاملة ونامية ..

هى شاملة بمعنى أنها تتعلق بكل ما يختص بالجسد كالغرائز والميول والاستعدادات والأجهزة والحواس والملبس والمأكل.

فالعين العفيفة لا تتعالى ولا تتطلع إلى أسرار الغير ومكنوناته الداخلية .. أنها دائما منخفضة لأنها متضعة ومتجه نحو الداخل.

واللسان المتعفف لا يقبح ولا يحتد ولا يثرثر ولكنه يتكلم فى هدوء وبصوت خفيض يملأه خوف وهيبة فى كافة نبرات الحديث لأنه أسير لطف الله وحبه ورهبته ومجده ..

واليد المتعففة لا تلمس لمسا نجسا ولا تمتد إلى عمل قبيح أثيم، ولكنها تعمل فى ذراع الله الأبدى لتحقيق مقاصده الأزلية فى خليقته.

والفكر المتعفف لا يرتئى فوق ما ينبغى ولكنه ينقاد إلى المتواضعين ويستأثر كل شئ لطاعة المسيح ويخضع كل نشاط ذهنى للحق وحده .

والقلب المتعفف قلب ختنته سكين النعمة فقطعت عنه عزلة الجسد والخبث والشر إلى الأبد وملأته بمسحة اللطف والعطف والحب فى أحشاء ربنا يسوع المسيح ..

وهى نامية بمعنى أنها تزداد عمقا بقدر ما يزداد الإنسان أمانة لروح الله وخضوعا لمشيئة وطاعة لوصاياه.

كلما دخل المؤمن فى أعماق العفة كلما استراحت نفسه واستقرت حياته الباطنية ..

أنه بها يتلامس مع الحق الذى فيه ، ويكتشف النـــور الــذى فـــى داخلـــه ويتحســس الملكوت المعد له والخلود الذى خلقـــه لأجلــه ..

العفة المسيحية نعمة وعطية مجانيـــة، ولكنـــها تُطلــب وتُغتصـــب، هـــى إكليـل لا يناله إلا المحبون الأمناء، وهى مثابرة ومعاناة لأجل الشـــهادة علـــى حـــد قـــول أثناســيوس الرسولى: " قد يعرض أن يقول أحد أيـــن هـــو زمـــان الاضطـــهاد حتـــى لكنـــت أصـــير شهيداً .. فأقول له الآن يمكنك أن تكون شـــهيدا إن أردت .. مـــت عـــن الخطيـــة .. أمـــت أعضاءك التى على الأرض وبذلك تصـــير شـــهيدا باختيـــارك ، فـــأولئك الشـــهداء كـــانوا يقاتلون ملوكا ورؤساء جسديين، أما أنت فأنك تقاتل ملـــك الخطيـــة محتـــالا عنيـــدا " ([3]).

[illegible]

بالنسبة للمؤمن يكفى أن تكون العفـــة وصيـــة مـــن وصايـــا الـــرب .. يكفـــى أن الله أمرنا أن نكون قديسين كما هو قدوس، وأعلن أنه بدون القداسة لـــن يعـــاين أحـــد الـــرب.

وإذا كانت الوصية فى العهد القديم تمـــلأ اليـــهودى رعبـــا ومخافـــة فكـــم بـــالحرى نحن الذين صولحنا مـــع الله بموتـــه وأعطانـــا الخـــلاص بدمـــه ووهبنـــا الحيـــاة الأبديـــة بحياتـــه؟!

كيف لا نطيعه نحن أبناؤه وأحباؤه؟!

وهى فى اللغة اليونانية تعنى الكمال والتجـــانس والقـــدوة علـــى التوحيـــد .. هنـــاك صلاة قديمة تقول " بمحبتك وحد نفسى" وداود يشـــير إلـــى هـــذا بقولـــه وحـــد قلبـــى فـــى خوفك .. وهى تسمى بالفضيلة الملائكية لأنها انتصار الـــروح فينـــا علـــى الجســـد، وهـــى التى تجعل الإنسان الترابى شـــبيها بالملائكـــة ..

" هى هالة من النور والقداسة وشعاع من دفء الأبـــوة الإلهيـــة وهـــى شـــعلة مـــن الحب لا تنطفئ " وهى فضيلة أساسية للحياة الروحيـــة فكمـــا أن أوتـــار الآلـــة الموســـيقية لا تنشد إلا إذا شدت هكذا لا يشدو الانسان بتســـبيح الله الا اذا ملـــك جســـمه تمامـاً فـــهى

---

[3] – بستان الرهبان، جـــ ٢ ص ١٠١ .

السيطرة على الأهواء والشهوات بالتعقل وقوة الإرادة وبالأكثر بعمل النعمة الإلهي. تقول إحدى القديسات " حينما أحب يسوع أصبح عفيفة وحينما ألمسه أصبح طاهرة، وحينما أعانقه أصبح عذراء ".

يتكلم القديس العظيم الأنبا أنطونيوس عن أهمية العفة فيقول " يا أولادى الأحباء فلنجاهد من أجل الطهارة حتى الموت .. لنسع بالطهارة يا إخوتى فإن ثمر الطهارة هو نور وحق واستيقاظ . فلا تصيروا عبيدا للأوجاع الرديئة المرذولة واللذات الشريرة النجسة أمام الله .. اكتبوا اسم الله على قلوبكم ليصرخ فى داخلكم قائلا : أنتم هيكل الله الحى وموضع راحة للروح القدس أما الذى يسعى فى النجاسات فهو ممتلئ بالمكر والغضب والمرارة، هو يشبه البهائم الفاقدة لكل معرفة أمام الله ..

يا أولادى لننفض تلك العين الشريرة ونسعى فى طلب الطهارة لأنها فخر ملائكة الله ([4]) .

العفة فى الكتاب المقدس وصية .. من أجلها امتلأ تاريخ الكنيسة بالذين حفظوا حياتهم طاهرة مكرسة حبا فى الملك المسيح.

ومن أجلها جاهد الرهبان والنساك والمتوحدون وظهرت طغمات فى كل عصر وجيل .. والعفة أيضا - كما هى وصية - هى تلبية لحاجة عميقة فى الإنسان وملائمة لمقتضيات طبيعته الأساسية واسهامه فى تحقيق ملء إنسانيته التى لا تكتمل إلا فى الشركة والعطاء، وفى هذا يقول ترتليانوس أحد مؤلفى الكنيسة القدامى: " إن النفس مسيحية بطبيعتها ولذا فقد كانت ولا تزال مهيأة لاقتبال الخلاص الذى أتى به ذاك الذى تجسد ومات وقام، ليجدد الصورة التى سقطت منذ القديم ويعيدنا إلى الفردوس السليب، حيث يستعيد الإنسان وحدته الممزقة. فيزول كل ما هو سلبى

[4] - روضة النفوس فى رسائل القديس أنطونيوس ص ١٥٥.

وتذوب العفة فى المحبة وفى فرح لقاء المحبوب الأوحد ومشاهدته وجها لوجه والاتحاد معه فى شركة الإنسانية المتألة إلى الأبد" (٥) .

وإذا كان الإنسان الطبيعى يعجز عن تحقيق تكامل شخصيته لأن استعباده لإحدى الغرائز أو الدوافع الأولية يسقطه فى النهم أو الإدمان أو العبودية .

فإن المسيحى الحقيقى تجرى كل غريزة عنده فى مجراها لتسير بقوة تيارها الطبيعى فتخصب وتغنى الواحدة الأخرى دون أن تسيطر واحدة على المجال كله ..

العفيف إذاً إنسان متكامل سليم سوى لا يشكو انحرافا لأنه إذ تدرب بالنعمة على ضبط الغريزة الجنسية أمتلك أيضا حسن توجيه بقية الغرائز والميول والدوافع.

وفى الحياة الاجتماعية نجد العفيف ملجأ وحصنا للكثيرين إليه يلجأ كل متعب ليجد عنده حلا وإجابه لا يجدها فى برية العالم ودياجير الظلام.

العفة نور، وكيف يوقد سراج ويوضع تحت مكيال! إن العفة المعاشة شهادة وكرازة حية فى هذه الأيام ..

تستطيع الكنيسة أن تواجه تحديات العالم إن كان أولادها قديسين، كتب احد المدافعين المسيحيين فى القرن الثانى الميلادى يقول :" إن وجدتم واحدا من المسيحيين زانيا أو سارقا أو سجينا فخذونا كلنا لحما وعظما ". الكنيسة الطاهرة كالشمس مرهبة كجيش بألوية.

" أيها الرب يسوع المسيح الكلى الحنان والرحمة يا خالق كل حب طاهر، أنت الذى صنعتنى من العدم ، وبدمك الثمين خلصتنى .

أسألك اللهم بحق مراحمك أن تصون نفسى من كل تعلق أرضى وتقصى قلبى عن كل حب جسدى ". **القديس أوغسطينوس** .

---

٥ – كوستى بندلى: العفة والحب من منظار سيكولوجى مجلة النور سنة ١٩٦٣ عدد ١ ص٧.

[illegible]

[illegible]

- ❖ **البعد الجسمى البيولوجى**
- ❖ **البعد النفسى والتربوى**
- ❖ **البعد الإجتماعى والثقافى**
- ❖ **البعد الروحى**
- ❖ **ماهية التدين**
- ❖ **المنهج الروحى السليم**

لما كان الإنسان روحا ونفسا وجسدا يتفاعل فى كيان واحد متكامل لذلك فإن قضية العفة تتعلق بروح الإنسان، ولكنها تمس جسده ونفسه وحياته مع الآخرين أيضا.

ويتناول هذا الفصل العوامل البيولوجية والنفسية والتربوية والاجتماعية التى تؤثر فى الإنسان الطبيعى. ثم تبرز الدراسة كيف أن الحياة الجديدة التى فى المسيح يسوع تتجاوز هذه العوامل وتتعداها بشكل يجعل حياة العفة عند الإنسان معجزة متحدية الظروف الجسمية التى تحارب كعماليق من دور إلى دور، والخبرات النفسية والتربوية التى تمثل التراث المترسب محاولا الجذب للوراء إلى أرض العبودية، والأجواء الاجتماعية التى تريد تصفية هذه القضية بمحاولة امتصاص شعلة العفة بالتكيف مع تيارات العالم فى شكل أو آخر تماما كما حاول فرعون تقديم عروض كثيرة كمفاوضة مع موسى لتمييع قضية خلاص الشعب.

إن العوامل البيولوجية لها دور هام يجب أن نعالجه .. كما أن العوامل النفسية والتربوية تدلى أيضا بدلوها فى مجال القضية، وأما المناخ الاجتماعي الذى يعيشه الإنسان فأنه يمثل تحديا هاما من تحديات القضية، ولكن البعد الروحى فى حياة الإنسان هو الحل النهائى للقضية لأننا سبق أن قلنا أن العفة التى نبحثها هنا من

الله تؤخذ، وبالمسيح تعاش ومجد الرب وملكوته فيـــها يــهون المعانـــاة والجــهد والصـــبر والاحتمـــــال.

[illegible]

للجسد علاقة كبيرة بقضية العفة، وإذا كان الرسول بولـــس تكلـم عـن الجسـد فـى رسائله بمعان ثلاث هى اللحم والدم، الشخصية ككل، والإنســان العتيــق فأننــا هنــا نعنــى المعنى الأول فى إطار المفهوم الثـــالث.

فالإنسان الطبيعى تؤثر فيه المراكز العصبيـــة العليــا .. هــذه التــى تعتــبر بمثابــة القيادة العليا للتصرف فى الرغبـــات المختلفــة ..

على أن هناك مؤثـــرات حسـية تثـير فيــه الرغبــة الجنسـية مثـل الاحساســات البصرية والسمعية والشمية واللمســـية.

وإذا كانت الحواس، وخاصة العيـــن هـــى اكـبر مسـتقبل للإثــارة فنحــن نــدرك أهمية التوجيه الروحى فى حفظ النظرات والأفكار طاهرة من كـــل إثــارة شــريرة.

وهناك عامل أخر هو الغدد الصماء التـــى تعمــل مــن خــلال أفرازاتــها المختلفــة (الهرمونات) ففى تناسق حلقى متبادل، بديع ومنتظــم بطريقــة تلقائيــة تنظــم فيــها ســائر العمليات الحيوية بالجسم ولا سيما التناسل، فمثلا تدفع هرمونـــات الغــدد النخاميــة الغــدد التناسلية على العمل فتســتجيب.

وحينما تصل كمية الإفرازات التناسلية فى الدم إلى حـــد معيــن تبــدأ هــذه بدورهــا تأثيرا عكسيا على الغدة النخامية فتوقف عملــها فتكــف، وبالتــالى الغــدد التناســلية حتــى تقل الهرمونات التناسلية فى الدم عن الحد المطلــوب، فتبــدأ الغــدة النخاميــة فــى العمــل منبهة الغدد التناسلية لتبدأ العمل من جديد وهكذا تستمر الحلقــة فــى نظــام دقيــق عجيــب لا يسع الإنسان أمامه إلا أن يسجد لله ممجدا الحكمـــة الإلهيـــة العظيمـــة.

وعلى ذلك فأن أى اختلال فى هذه الهرمونات يؤثـــر علـــى الحيــاة الجنسـية تــأثيرا كبيرا ويستلزم العرض على الطبيب إذا ظهرت أعـــراض واضحــة لذلــك.

ويؤثر على الجهاز العصبى أيضا التعود، الأمر الذى يجعل الرغبة تلح تلقائيا، طالما وقعت تحت سلطان العادة وهذا يحتاج إلى صبر وجهاد شاق حتى تبطل حركات العادة وتهدأ دموية الإنسان وتعتاد الحياة السليمة الخالية من الإثارة المستمرة.

وللطعام أيضا تأثير على الجهاز العصبى اللاإرادي .. هذا الجهاز الذى يقوم بوظيفتين متقابلتين، أحدهما بناءة تبنى أنسجة الجسم خلالها والأخرى استهلاكية تستهلك المواد الغذائية، فالوظيفة الأولى تجمع تحتها العمليات الحيوية التى تؤدى إلى هذا البناء ومنها الراحة والاستجمام وتناول الطعام وهضمه وأيضا العملية الجنسية التناسلية. حيث أنه يبدأ بناء كائن حى جديد وهو الجنين .. فحيث أن هذه الثلاث تخدم غرضا واحدا هو بناء الجسم، لذلك لا عجب أن نجد ترابطا وتناسقا كبيرا بينها، فكل عملية تؤدى إلى الاثنين الآخرين أو تمهد لهما .. فمثلا الراحة تؤدى إلى الشعور بالجوع، والإرهاق يفقد الشهية، كذلك تناول الطعام يعقبه شعور بالرغبة فى الراحة. والعملية الجنسية يعقبها رغبة ملحة فى الاسترخاء، وكذلك الراحة العميقة تسهل حدوث الرغبة الجنسية والطعام الدسم يثير الجنسية بينما يعقب العملية الجنسية شعور بالجوع.

ومن هنا تتضح أهمية اليقظة والاعتدال فى كل من الطعام والراحة حتى تسير نداءات الجنس فى مجراها الطبيعى الهادئ السليم .

ويليق بالذكر أن ممارسة الجنسية ليست عملية جسدية فحسب، وإنما ترتبط بها شدة الميول العاطفية النفسية لأن إشباع أحدهما لابد وأن يصحبه إشباع الأخر .. فالعلاقة الجنسية السليمة هى التى يتم فيها إشباع مزدوج للجسد والنفس. ومن هنا يتضح الفارق بين الزواج السليم والزنا الذى لا يعدو أن يكون مجرد التصادق بين الأجساد فقط. أما وأن كان هناك إشباع روحى ملازم للاتحاد الجسدى النفسى فإن الإشباع يضفى على هذا الاتحاد بذلا وحبا وديمومة ورسوخا.

وإذا كان القديس أكليمندس يمتدح في كتابه "المربي" التربية الرياضية لسلامة الجسد والنفس معا تأكيدا لقول الرسول بولس أن الرياضة الجسدية نافعة لقليل، فأننا نود أن نؤكد أن العناية بالنظافة والصحة والرياضة والوقاية من كافة الأمراض الجسمية أمور تسهم بدور إيجابي في قضية العفة حيث هنا يكون الإنسان الطبيعي سويا كي يتلامس مع النعمة ليكون إنسانا جديدا في كل شئ.

ومن أكثر الأمور الخاطئة شيوعا أن ينظر المسيحي إلى جسده نظرة عداء أو أن يفسر كلمات الرسول عن أن الجسد يهتم ضد الروح ما يفيد أن المؤمن يجب أن يحارب جسده. ويغذى هذا الاتجاه قصص الآباء النساك الذين عاشوا يعذبون أجسادهم سنين طويلة .. ويلزم أن نقرر أن هناك فارقا بين الجسد وشهوة الجسد فالجسد في المسيحية هيكل للروح القدس (١كو ٦ : ١٩، ١كو ٣ : ١٦) وأما شهوة الجسد فهي عمل الإنسان العتيق الفاسد الموروث من السقطة الجدية، وهذا ما يطلبه الرسول منا : أن نصلب الجسد مع الأهواء والشهوات وأن نقمعه ونستعبده لئلا نرفض (١كو ٩ : ٢٧) ، (غل ٥ : ٢٤) ، بل أن الرسول يعطي الكرامة للجسد عندما يقول " ولكن الجسد ليس للزنا بل للرب والرب للجسد .. ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية " (١كو ٦ : ١٣ ، ١٥) ويبين أن الجسد هو مجال لإظهار مجد الله فيقول : " لأنكم اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله " (١كو ٦ : ٢٠) .

لذلك يلزم أن يتأكد ويتعمق فينا الاتجاه الروحي الصحيح أن الجسد للمسيح وأن كل ما يطلب الرسول صلبه هو الإنسان العتيق الذي فينا.

لذلك يلزم أن تتربى فينا الاتجاهات الروحية الصحيحة إزاء الجسد وأن ننظر إليه بعين نيرة: "إن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا " ويكفينا الرسول بولس مشقة تصحيح أخطاء شائعة في التربية الجنسية عندما يعطي للأعضاء

الجنسية كرامة وجمالا إذ يقول " وأعضاء الجسد التى نحسب أنها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل " (١كو ١٢ : ٢٣) .

لاشك أن حياة الإيمان السليم تكسب الإنسان اتجاهات روحية صحيحة غير منحرفة إزاء جسده، إذ يراه هيكلا للروح فيقوته ويهتم به ليمجد الله به وفيه وينظر إليه وإلى أعضائه فى كرامة وإجلال كبير.

[illegible]

فى إطار الإنسان الطبيعى تؤثر اصول نفسية وتربوية فى حياة العفة. فقد أوضحت الدراسات النفسية أن السنوات الخمس الأولى من حياة الإنسان هى التى تشكل جهازه النفسى وتتحكم فيه تحكما واضحا بل أن العقد النفسية التى تسبب كثرة من المتاعب النفسية والجنسية تكمن أصولها فى هذه السن المبكرة.

الأمر الذى يلقى مسئولية كبرى على الأمهات ونوع تربيتهن لأطفالهن فى السنين الأولى من عمر الإنسان.

والمرحلة الثانية التى قد يتعرض فيها الإنسان للأزمات النفسية التى تؤثر فى حياته الجنسية، هى مرحلة المراهقة، هذه المرحلة هى سن الغلظة والقلق.

كما يشير إلى ذلك القديس أوغسطينوس فى اعترافاته حين يتكلم عن مراهقته القلقة.

فالمراهق يشعر فى قرارة نفسه برغبات غامضة توجه له نداءات قوية وخفية، وهو يتذبذب بين الفرح والحزن وبين الحماس والجمود، بين الميل الشديد واللامبالاة. كما يتذبذب نفسيا بين الطفولة والرجولة فى عدم استقرار.

أن المراهق الذى يعذبه سر حياته الداخلية يصبح منضما لعالم الأسرار ويمكن فى هذه السن أن تبزغ حياة دينية شديدة ، فالله بالنسبة للمراهق هو أعظم جواب لتعطشه للمثل العليا ولرغبته فى النقاوة ومحبته للمطلق. ان الله هو الذى

يستطيع المراهق أن يجد فيه وحده كيانه الداخلى وأن يفقد فيه أناة المضطربة ليلقاها ساكنة ([1]) .

وتتجلى هذه الحاجة للخروج من الذات فى الميل إلى الحب ويصعد هذا الميل أثناء المراهقة من أعماق الكيان ويشترك فيه الروح والجسد وينشأ جوع عظيم إلى الحنان ويتجلى أهتمام كبير بالجنس الآخر.

وقد جاءت الإجابات على البند ١٩ ([2]) الخاص بالتربية الجنسية تقطع بالتخلف الكبير فى هذا المضمار. فلا الكنيسة ولا المنزل ولا مدارس التربية الكنسية بقادرة على مواجهة قضية العفة مواجهة روحية تربوية سليمة .. فالمنزل يلوذ دائما بالصمت الأمر الذى يجعل كثرة من المراهقين يرتمون فى أحضان الشلة التى يجد فيها المراهق وسيلة للحصول على التقدير الذى حرم منه فى المنزل والمدرسة، أو تخلصا من صرامة الجو المنزلى وجدبة العاطفى، أو تحديا لسلطة الأب وانتقاما منه.

وإذا كنا قد ألمحنا إلى ارتباط النواحى النفسية مع الجسدية فى البعد الجسمى فهنا نشير إلى أن الحالة النفسية لها دور كبير فى إشباع الرغبة الجنسية ..

فالمعلوم أن الإنسان الطبيعى يلجأ إلى الرغبة الجنسية عندما يشعر بالضيق أو الملل أو بعض الحزن محاولا بأشباعها تعويض الحالة النفسية، لذلك نستطيع أن نفسر سقوط كثير من المراهقين فى العادة السرية عندما يقعون فى تجربة فشل أو حزن شديد أو ضيق نفسى مر .

ومن هنا تظهر أهمية الحياة العائلية المبهجة وتعود الفتى على الرياضة والموسيقى والرسم والنزاهة البريئة فيتخلص من الشحنات النفسية الكئيبة التى قد يتعرض لها فى فترة من حياته.

---

١ - كوستى بندلى: نحن والمراهقون مجلة النور سنة ١٩٥٣.

٢ - أنظر الكتاب القسم الثانى الدراسة العملية.

هذا من جهة الإنسان الطبيعى أما من جهة الإنسان الجديد فأن المسيحية تتجاوز هذه العوامل النفسية التربوية .. إن المسيحية تهب الإنسان نعمة تغلب كل التحديات النفسية والمخلفات الثقافية والتربوية .. إن عطية الروح قادرة أن تهب إرادة وغلبة تغلب العالم كله ..

ولو كان الوالدون وخدام الكلمة ومعلمو الدين حريصين عل أن يقدموا حياتهم مثلا حية، لتشرب المراهقون هذه الحياة ولأمكن للمنزل ولتمكنت الكنيسة من جذب المراهقين من الشلة إلى الحياة الطاهرة التى يسعى إليها كل إنسان فى أعماق كيانه.

[illegible]

لقد دلت الدراسة العملية أن الشباب يشكو من مثيرات كثيرة خارجية، فأن الإجابة على البند العشرين من الاستفتاء تبين أن هناك أمورا اجتماعية وثقافية تعطل نمو حياة العفة عند الشباب المسيحى وتتلخص أهم الإجابات عن المعطلات والمثيرات الخارجية فيما يلى :

١ - ملابس الفتيات غير المحتشمة.

٢ - بعض المناظر فى التلفزيون والسينما.

٣ - حركات الفتيات فى الكلية وأحاديث الزملاء الجنسية.

٤ - القراءات فى بعض الكتب أو الروايات والمجلات مما يثير الميول الجنسية.

٥ - المناخ العام الذى يعيش فيه طلبة وطالبات الجامعة والذى يوحى بعدم تقدير العفة وتشجيع الإباحية والعلاقات الجنسية المنحرفة.

٦ - جو فصول الدراسة فى المرحلة الثانوية الذى يعمل على إثاره الدافع الجنسى بشكل خطير.

٧ - المصايف واستعراض الأجساد العارية حيث تبقى الصور الذهنية عالقة فترة طويلة.

من هذا العرض يتبين أن هناك ضغوطا اجتماعية وثقافية تشكل تحديا لقضية العفة .. وإذا كنا قد عرفنا العفة المسيحية أنها عمل إلهى وثمرة من ثمار الولادة الجديدة وحياة يحياها المؤمن فى شركته مع الله، فإن هذه التحديات التى تسقط الهالكين تبقى دليلا

على قوة الإيمان وفاعليته عند المخلصين .. إنها الواسطة التى تجعلهم أهـــلا لإكليـــل الـــبر والقداسة.

كلما كثرت الخطية والتحديات أمام الإيمان كلما تعاظمت نعمة الله جـدا (رو ٥ : ٢٠) .. حقيقة يجب أن نلقى اللوم على وسائل الإعلام والمدارس والكليات التـــى لا تحـــرص علـــى مراعاة الآداب العامة والحشمة ولكنه لا يصح أن نلقـــى المســـئولية كلـــها علـــى الأوســـاط الاجتماعية والثقافية وعلى أنتشار اتجاهات الإباحية بين الشباب بقدر ما نلقى المسئولية علـــى عدم نجاح الكنيسة فى أن تصنع فى حياة أولادها المعجزة التى بها يغلبون العالم مهما كـــانت مؤثراته، وعلى الآباء المسئولين عن قيادة بيوتهم فى عجزهم عن تربية أولادهم على حســـن الاختيار وتذوق الجمال والحق والخير، وهكذا يلقى البعد الإجتماعى والثقـــافى التبعـــة علـــى البعد الروحى فى صدد هذه القضية الهامة.

[illegible]

" بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا " .. هذا هو قول الرب يسوع الصـــادق الأميـــن .. فالعفة مرتبطة أشد الارتباط بالحياة الروحية والولادة الثانية والحيـــاة الجديـــدة التـــى ننالـــها بالمسيح يسوع .

إن ما يميز المسيحية أنها لا تضع رقعة جديدة على ثوب قديم إنما هى تقدم حياة جديـــدة وطبيعة جديدة.

فالمسيحى الحقيقى هو الذى صلب الجسد مع الأهواء والشهوات (غلا ٥ : ٢٤) وهـــو الذى حسب نفسه ميتا عن الخطية (رو ٦ : ١١) وهو الذى يستطيع أن يـــردد مـــع بولـــس الرسول " فما أحياه الآن فى الجسد إنما أحياه فى الإيمان، إيمان ابن الله الذى أحبنـــى وأســـلم نفسه لأجلى " (غلا ٥ : ٥).

ويميزها أيضا أنها لا تضع ناموسا أو وصية فقط ولكنـــها تعطيـــك الطريـــق والحـــق والحياة .. أنها لا تطلب منك أن تحفظ الوصية بقدرتك الشخصية ولكنها توصيك أن تثبت فـــى يسوع الذى تنال الحياة الأبدية .

فالعفة والقداسة كلها أنما تقوم بأن تظل متحدين اتحادا وثيقا بيسوع المسيح الذى يقودنا فى هيامه البنوى بأبيه ويدخلنا فى قلبه ويدرجنا بنفسه المضطرمة حبا لكى نحب به وفيه ومعه .. ولكى نتقدس ونتطهر أيضا به وفيه وإليه.

[illegible]

إذا أردنا أن نلمس أثر الحياة الروحية فى قضية العفة فلابد أن نعرف التدين .. الدين معناه قيام رابطة ما، ومن الممكن تعريفه بأنه محاولة للتغلب على العزلة، وإلى تحرير الأنا من انعزالها، وإلى تحقيق الاتصال الروحى الحميم، وماهيته الخاصة تربطه بسر الوجود وبالوجود نفسه .. غير أن الله هو وحده القادر على قهر العزلة والعلو والامتلاء والغاية من الوجود لا تتحقق جميعا إلا فى الله.

إن الدين قد يكون عقبة فى سبيل الاتصال بالله عندما يصبح الدين مجرد ظاهرة اجتماعية موضوعية .

أن الانتصار على العزلة يتطلب أكثر من مجرد الاعتناق الصورى للإيمان المسيحى أو الانضمام إلى عضوية شكلية للكنيسة. أنه يتطلب أكثر من مجرد العلو السطحى .. سوف يبقى الحب الصادق والعشرة والعلاقة الشخصية مع المسيح هى الوسيلة الفعالة الوحيدة للعلو على العزلة.

إن المشكلة التى يعانى منها بعض شباب الكنيسة فى أيامنا هذه هى أنهم يتصلون بالكنيسة ويقتربون منها ويعيشون فى رحابها سنين طويلة، ولكن نسبة كبيرة منهم لا يحدث فيهم ما تكلم عنه بولس الرسول فى وضوح مسميا إياه، تغيير الشكل بتجديد الذهن، بدون فاعلية التجديد الداخلى يظل الإنسان فى عزلة يشعر فى أعماقه أنه لم يجد حلا لمشكلة أناة الداخلى.

يحق لبرجسون إذا أن ينتقد جماعة المتدينين الشكليين الذين وصف أخلاقهم بالأخلاق المغلقة والتى تستند فى تكوينها إلى الضغوط الاجتماعية والخلقية الخارجية، وأن يؤكد عمق التدين وسلامته فى الأخلاق المنفتحة التى تتفجر فى داخل الإنسان بفعل التلامس مع البطل

فى اختبار داخلى واستجابة لنداء حى ترسله القوة المحركة والمثال الحى الذى لابد من أن يحتذى، وعند برجسون أن يسوع هو المثال كما أنه أيضا يرى الأخلاق المسيحية الباطنية هى أحسن تعبير عن الأخلاق المنفتحة ([3]).

لذلك يلزم أن ننبه إلى ضرورة اختبار نوع التدين .. هل هو مجرد التجاء إلى الدين بسبب ما يعاينه الفرد من مزيد من قلق وصراع وإحساس بالإثم وخاصة فيما يتعلق بالموضوعات الجنسية ؟ أم هو تدين من النوع الاجتماعي بحيث تصبح العضوية الكنسية هى مجرد حضور اجتماعات وقداسات وممارسة ألوان من النشاط الخارجى دون أن تمس هذه صميم الحياة الداخلية.

أم هو من النوع المغلق الذى يستريح إليه أصحاب النفسيات غير السوية ويجدون فى التمسك بالحرفيات تغطية لانحراف نفوسهم كالكتبة والفريسيين المراءيين ؟!

أم هو نوع من تأكيد الأنا عن طريق طلب الكرامات والمراكز وذيوع الصيت كما كان يفعل أولئك الذين يمشون بالطيالسة ويقبلون التحيات فى الأسواق وينتشون بالمجالس الأولى فى المجامع والمتكآت المتقدمة فى الولائم (لو ٢٠ : ٤٦).

يلزم إذاً مراجعة نوع التدين السائد لأنه أن لم يكن تديننا فعالا يجدد القلب والفكر ويصل إلى مفرق النفس والروح، فباطل كل تعبنا لأننا نكون كمن يبنى على الرمال أو يحرث فوق المياه ..

[illegible]

لابد لمن يريد أن يحيا عفيفا أن يتعارف أولا على الذى دعاه لحياة العفة .. كيف نقبل الدعوة أن نتعرف على الداعى؟! كيف نجاهد فى قضية دون أن نثق فى أمانة من دعانا؟ كيف نطلب أن نلبس ثياب العرس ان لم يكن قد عمل فينا صوت يدعونا للوليمة!!

بداية الطريق إذاً تعارف على المسيح الذى هو الطريق والحق والحياة وقوام الطريق هو احتفاظ بالكنز، وتجديد للقيام، وتمسك بخلاص الرب العجيب.

---

٣ – زكريا إبراهيم: برجسون دار المعارف ص ١٩٢ - ١٩٧. (١٩٧٠)

كل جهاد للحصول على العفة فى حد ذاتها، دون أن يكون المسيح شخصيا هو الألـــف والياء للحياة كلها، جهاد باطل.

كل جهاد للحصول على العفة فى حد ذاتها، دون أن يكون المسيح وحده هو الحيـــاة ، جهاد باطل .

كل حياة خالية من الجهاد الروحى نهايتها الفشل، لأن الحياة الروحية جـــهاد ونضـــال ينزعنا كل لحظة عن أنفسنا ويلقينا فى الأمانة لإرادة الله.

لابد من الجهاد لكى نتجاوز أنفسنا ونتسامى فوق ذواتنا. إن البركـــة لا تـــأتى إلا بعـــد جهاد، بركة الملاك ليعقوب لم ينلها هذا إلا بعد ليلة كاملة من العراك.

فى كل مرة ننمو فى الشركة الباطنية مع الله ينمو فينا الإنسان الجديد الذى هـــو علـــى صورة الله فى القداسة والحق ويموت الإنسان العتيق بحواسه المظلمـــة ورغباتـــه وأعمالـــه الميتة.

يسوع هو عريس نفوسنا ونحن مخطوبون له .. علينا أن نحفظ ثيابنا من الدنـــس لئـــلا نلام عندما نظهر أمامه .. طوبى لأولئك الذين حفظوا ثيابهم وغسلوها فى دم الخروف.

يسوع هو موضوع فرحنا ونحن سائرون به وإليه، وعلينا أن نطلب العفة مـــن أجلـــه ونقتنيها باقتناء الروح النارى الذى سبق أن غسلنا بالمعمودية ثم سكن فينا بالمسحة المقدسة..

الحب المتدفق نحو المسيح هو الضمان الوحيد لحل قضية العفة بل هو غايـــة الحيـــاة كلها.

لأنه إذا كان الحب هو الباعث الذى عمل على إيجاد البشر فلا غرو أن يكـــون الحـــب أيضا هو الباعث الذى يحكم رغبتهم فى الرجوع إلى الله.

وهنا يتخذ الحب صورة دائرية أشبه ما تكون بالدورة فإن ما صدر عن الحب لابد مـــن أن يلقى غايته وكماله فى هذا الحب وما يحدد درجة كمال الموجودات المتناهية إنما هو مـــدى قدرتها على المشاركة فى هذا الحب الإلهي.

إذا كان التلامس مع يسوع هو بداية الطريق فأن الجهاد للتمسك به هو موضوع السير والمعاناة طيلة الطريق .. والذى يكون يسوع بداية جهاده ونهاية سعيه لابد أن يقتنى العفة، لأنه حيثما يوجد يسوع توجد القداسة.

وكيف يمكن أن نتبع ونحن مترفون متلذذون بشهوات الجسد .. إن الرب صُلب لكى نصلب أهواءنا ومات لأجل أن نموت عن الخطية حاملين فى الجسد كل حين إماتة الرب يسوع (٢كو ٤ : ١٠).

وقد أوضح لنا الرسول بولس أهمية صلب الجسد عندما قال "ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات" (غل ٥ : ٢٤) وبقوله " لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله (كو ٣ : ١) " مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى" ، " فما أحياه الآن .. فى الإيمان إيمان ابن الله الذى أحبني وأسلم نفسه لأجلى " (غل ٢ : ٢٠).

فإن أنا مت عن العالم فأنا حى بالمسيح وفى المسيح وللمسيح .. بموت المسيح نتحرر من الخطيئة وبقيامته نقوم معه فى حياة البر والقداسة .

والمسيح الذى فينا هو وحده القادر أن يميت أهواء الجسد وميوله الرديئة .. داود النبى عندما قاوم روح العداوة والانتقام أظهر قوة جبارة أعظم مما أبرزها عند قتله جليات .. ويوسف البار عندما انتصر أمام التجربة أظهر بطولة وتدابيراً حسنة أفضل من قيادته وزارة فرعون ..

وميادين الحرب والجهاد داخلية وخارجية .. ففى الداخل الإنسان العتيق الفاسد وفى الخارج مثيرات العالم وفخاخ إبليس والعدو فى حربة يصوب سهامه الخارجية بما يتفق مع الميول الرديئة الداخلية فإن رأى إنسانا يميل إلى النهم حاربه بشهوة الأكل وأن رآه يميل إلى التعالى قاتله بالكبرياء وأن انس فيه الميل الحسى حاربه بشهوة الزنا .. بل أن إبليس مستعد أن يتشكل بصورة ملاك نور ليضع الفخاخ المحبوكة والحيل المكيرة لإسقاط أولاد الله ولكن شكرا لله الذى أعطانا البصيرة الداخلية لنعرف حيله كما أعطانا الغلبة فى شخص ربنا يسوع المسيح ..

[redacted]

ليس بغريب على الإنسان أن تحاربه الأفكار الشريرة .. ولكنها نوعان: نـــوع يأتيـــه من العثرات الخارجية وحروب الشيطان وفخاخه المنصوبة دائما، ونوع آخر يأتى من الميـــل الداخلى والرغبة العميقة لدى الإنسان ..

النوع الثانى أخطر من النوع الأول لأنه يعنى أن القلب لـــم يتنـــق بعـــد، وإن الإرادة منقسمة وهذا الأمر يحتاج إلى توبة حاسمة وقطع لـــهوى القلـــب وغرلتـــه بســـكين النعمـــة والتوبة..

وأما النوع الأول فهو يحتاج إلى سهر روحى إذ يقول الكتاب اصحوا واسهروا وصلـــوا لكى لا تدخلوا فى تجربة.

وهذه اليقظة القلبية تجعل الإنسان منتبها لطرد كل فكر شرير وكل خاطر نجس لأنه لـــم يصبح متناغما مع طهارة القلب ونقاوته إن هذه الأفكار الشريرة الطارئة على ذهن المؤمـــــن تشبه عند القديسين بالذباب الذى يقع على العين النظيفة فيطرد للحال .. إن المؤمن الحقيقـــى يطرد للتو الأفكار الدنسة ولا يدعها تتردد عليه أو تدخل وتخرج كما تشاء جاعلة قلبه معـــبرا لها .. إن قلبه جنه مغلقة وعين مقفلة وينبوع مختوم.

وعلينا فى جهادنا ضد الأهواء والميول والشهوات أن نستخدم هذه المعونات.

[redacted]

فالكتاب يوصينا دائما بالتعقل وكلما استخدم المؤمن سلاح الاتزان والتعقـــل والرزانـــة كلما بعد عن الاندفاع والطيش والانسياق وراء العواطف الجامحة والآباء يقولون إذا تغلبـــت الشهوة على العقل صار الإنسان حيوانا وإذا تغلب العقل على الشهوة صار الإنســـان ملاكـــا وأفضل من ملاك.

[redacted]

وكما أعطى الرب للإنسان نعمة التعقل أعطاه أيضا نعمة الإرادة ولهذا ســـيدين الـــرب الناس فى اليوم الأخير إذا ما لم يستخدموا أرادتهم الحرة فى صنع الخير. فلنعمل على تدعيـــم إرادتنا وإخضاعها دائما لتكون وفقا لإرادة الله الصالحة المرضية الكاملة.

[redacted]

وهذه أعظم عطية موهوبة للإنسان كى تغطى حياته كلها .. فإن هاجمته الميول والشهوات وضعفت الإرادة وانهزم العقل تبقى النعمة ساندة حامية كل من يطلب الرب يسوع بأمانة وإخلاص قلب.

وقد أوضح لنا الرسول بولس أسلحة الجهاد ضد الشهوات عندما تكلم فى رسالته لأفسس فى الإصحاح السادس عن الحروب الروحية وعندما طلب من المؤمنين أن يلبسوا سلاح الله الكامل المقاومة مكايد أبليس إذ أن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل ضد الرئاسات والسلاطين وولاة هذا العالم، عالم الظلمة والأرواح الشريرة فى السماويات. وهذه هى الأسلحة :

[redacted]

فكلما حرص المؤمن على أن يشد وسطه بمنطقة الحق، كان قادرا على السهر والوقوف بيقظة ضد الحيل. والحق لا يستطيع ان نتحصن به إلا إذا كانت حياتنا محبة للحق وخاضعة للحق ومتفقة ومتناغمة مع الحق .. وسوف يبكتنا الحق أن أردنا أن نميل لشهوات قلوبنا وما علينا إلا أن ننحاز للحق ونرفض الجسد ونكفر بالذات.

[redacted]

وهذا الدرع يغطى الجسد وخاصة القلب والأحشاء وهى موطن الشهوات الجنسية والعواطف والأهواء وكلما حرصنا على أن نتوشح بالمسيح ونلبس الرب يسوع الذى هو برنا الحقيقى كلما استطعنا أن نقاتل الإنسان العتيق الفاسد الذى يسكن فينا وكلما استطعنا أن نتلقى سهام العدو بكل قوة وأمانة ..

[redacted]

هذا الذى عبر عنه الرسول بأنه القادر أن يطفئ جميع سهام الشرير لأنه بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه، وبدون إيمان لا يمكن المثابرة فى الطريق واحتمال المعاناة فى الجهاد .. بالإيمان قهر آباؤنا الممالك وصنعوا البر ونالوا المواعيد وسدوا أفواه الأسود وأطفئوا قوة النار ونجوا من حد السيف وتقووا من ضعف وصاروا أشداء فى القتال (عب ١١ : ٣٣ ، ٣٤).

[illegible]

والخوذة تصون الرأس معقل الفكر والعقل هو أول حصن غلبة العدو والخلاص الذى لنا فى المسيح افتدى الفكر الإنسانى كما افتدى الروح أيضا. والكنيسة تمسح الجبهة فى سر الميرون فى بداية طقس رشومات هذا السر كإعلان عن سقوط أهم معقل للعدو وبنيان أعظم جبهة للرب يسوع فى مقاتلة حيله وأفكاره الخبيثة.

ليتنا نحمل سلاح الله الكامل ساهرين مصلين حاملين سيف الروح الذى هو كلمة الله ..

الصلاة

للصلاة دور إيجابى فى قضية العفة لأنها ترفع القلب إلى فوق، الصلاة ليست كلمات تقال ولا طقوسا تؤدى، إنها شركة بين القلب والله، وداود عاشها فقال أما أنا فصلاة، ولما فقد هذه الحياة يوما سقط فى الخطية!!

الصلاة حوار فيها نسأل وهو يجيب، فيها نشكو وهو يتعطف ويتحنن، فيها نعرض معاناتنا فى اقتناء العفة وهو يشير علينا بما يريح قلوبنا ويهدئ نفوسنا ويقدس أجسادنا فتشبع النفس فرحا وسلاما وتهليلا .. أنها تكفيه وتعزيه فلا يجد نفسه فى حاجة إلى شئ .

الصلاة حصن للمجاهدين أنها تسقط حصون الشر وأسلحته الملتهبة .. أنها قادرة أن تبطل شغب الجسم وحرارة الجسد أنها تغلق وتترك حارسا إلهيا على الباب حتى تلهج النفس شاكرة "سبحى إلهك لأنه قوى مغاليق أبوابك وجعل تخومك فى سلام".

الذين يتلامسون مع المسيح فى الصلاة وتتسكب النعمة بغنى فى قلوبهم فى تيار الشركة بين الرأس والأعضاء، يختبرون حياة العفة والقداسة تتحدر عليهم فى سر إلهى، تماما كما ينزل الطيب الكائن على الرأس على لحية هرون النازلة على جيب قميصه ومثل ندى حرمون المنحدر على جبل صهيون لأن هناك أمر الرب بالبركة والحياة إلى الأبد.

الذين يلجأون للصلاة فقط عندما تهاجمهم حروب الشهوة لا تجديهم الصلاة كثيرا، لأنهم يطلبون قوتها لأنفسهم. أما الذين يلجأون إليها فى كل حين إنما يطلبون فاعليتها لتوطيد شركة الحب مع الرب.

[illegible]

الكلمة لها فعالية عظمى فى تقديس الروح، الكلمة تلدنا ولادة جديدة إذ تقدس مشاعرنا وتطهر أفكارنا، وإذ بنا نصير خليقة جديدة فى المسيح يسوع .. الكلمة عندما تصبح لنا خبرا سارا حاضرا متجددا يكون لها الفاعلية، الكلمة لها أعماقها وكل من يتأملها يأخذ بقدر صبره واحتماله وتغصبه وتقديم الوقت فدية للتأمل والتمعن وسبر أغوار الكلمة.

لعل السبب فى أن الكثيرين لا يفيدون من الكتاب المقدس فى حل مشكلات العفة هو أنهم لا يلجأون إليه الا عندما تهاجمهم حروب الجنس .. المسيحى الحقيقى يصرخ فى الصلاة والله يجيب فى الكتاب المقدس والمؤمن المطيع يسرع فينفذ فى حياته العملية الوصية، شاهدا للحق .. وهنا تكمل الدائرة الروحية (الصلاة - الكلمة - الطاعة) .

ليس الإنجيل بحثا لاهوتيا أو موعظة، أنه فعل حاضر كما يقول أحد الآباء .. وليس من الضرورى أن نجد فيه كلاما مباشرا عن العفة فى كل مرة تفتح السفر الإلهي، ولكن الأمر المحتم أننا نجد شعبا وتغذية فى كلامه المحيى ..

إن لمسة من لمسات الله لقلوبنا عندما نستمع فى طاعة لوصاياه تجعلنا نقول مع تلميذى عمواس " ألم يكن قلبنا ملتهبا فينا إذ كان يكلمنا فى الطريق ويوضح لنا الكتب " (لو ٢٤ : ٣٢) .

أن تذوق حلاوة الكلمة يجعل الاشتعال بشهوة الجسد مرارة فى حلقنا ..

أن تعزيات الروح تجعل تلذذات الجسد جهالة وهلاكا ولسعات أفاعي وحيات مهلكة ..

يجب أن نكون فى موقف صلاة أثناء قراءتنا للكتاب لنطلب منه هذه الطلبة " يا رب علمنى وصاياك" وعندما يعلن الله لنا الوصية لنشكره ولنقل : "مستعد قلبى يا الله مستعد قلبى" . إن طاعة المؤمن للكلمة وانفتاحه لها حل لمشكلة العزلة وقضاء على شهوة الجسد.

[illegible]

الخطيئة تظل تلح على الإنسان كعبء ثقيل يحملها ضميره وكعقرب يظل يلسع سما حتى يتخلص الإنسان منه بالتوبة والاعتراف ..

لذلك فأن سر التوبة هو غسل وتطهير وإلقاء للأحمال الثقيلة التى ينوء بها الكاهل البشرى الضعيف ..

الفكر أو الفعل الجنسى يتبع مبدأ إجبار التكرار حتى يصير عادة، والمسيحى يكسر هذا المبدأ بالتجدد فى سر التوبة حيث يختبر الحياة الجديدة كأنه خارج من حميم المعمودية لأول مرة .. التوبة معمودية ثانية .

ففى سر التوبة يجد المسيحى على الدوام النعمة التى فقدها بارتكابه الخطيئة، وهو فى رجوعه لأبيه السماوى لا يغتسل من وسخات الخطيئة فقط بل ينال دفعة جديدة من دفعات النعمة والحب الأبوى كما حدث مع الابن الضال عندما لبس ثوبا جديدا ووضع فى يده الخاتم وذبح له العجل المسمن على أننا نحتاج فى ممارسة سر التوبة عزم القلب وإخلاص النية واستقامة السريرة حتى تكون توبتنا صادقة أمام الله ومستمطرة مفاعيل نعمته ورحمته التى يفيض بها بغنى على محبى أسمه القدوس.

وإذا كان بعض الشباب لا يفيد من سر التوبة فى هذه الأيام فقد يرجع ذلك إما إلى عدم فهم السر وممارسته بطريقة شكلية خوفا من عذاب الضمير أو نار جهنم .. أو لعدم وجود آباء اعتراف مختبرين كثيرين يواجهون مشكلات الشباب وخاصة ما يختص منها بالجنس والجسد .

كانت الكنيسة فى القديم لا تصرح لأحد من القسوس أن يتقبل الاعترافات إلا بعد أن يكون قد قضى سنين طويلة فى الكهنوت والخبرة الروحية فصار شيخا محنكا قادرا على قيادة النفوس .

قيادة النفس فى سر التوبة تحتاج من الكاهن إلى إلهام خاص إلى إرشاد من الروح .. حقيقة أن الكاهن يلزمه أن يتعرف على معطيات علم النفس والتربية ويلزمه أن يلم بتاريخ المعترف وظروفه وأحواله الجسمية والنفسية والدراسية والعائلية .. ولكن هذا كله بمثابة الهامش أما متن الموضوع كله فهو الإلهام والصوت الإلهى الداخلى ..

إن وُجد آباء، وُجد أبناء ..

[illegible]

الجسد المقدس والدم الكريم يعطى غفرانا للخطايا وحياة أبدية لكل من يتناول منه .. نحن فى الأفخارستيا نشترك مع الله فى موته وقيامته، والإنسان الجديد الذى فينا يتغذى على المن السماوى والخبز النازل من السماء .. أنه يعطينا الحياة التى تغلب نواميس الطبيعة .. أنه الحياة الفائقة للطبيعة .. أنه خبز سماوى وحياة أبدية.

أن سر الافخارستيا هو العصارة الآتية من الكرمة إلى الأغصان لتحييها وتقويها وتشددها وتثمرها وتخصبها وتنميها، أشعياء مست فمه الجمرة الإلهية من على المذبح فطهر. وأما نحن فتدخل أحشاءنا هذه النار المقدسة لتطهرنا من كل دنس الجسد والروح ولكى تلهب فينا مشاعر الحب والغيرة والسهر وانتظار مجئ الرب فى يقظة نفس وأمانة قلب.

بعض الشباب لا يفيد من الافخارستيا لأنه يلجأ إليه عندما تحاربه الشهوة الجنسية فقط .. أنه لا يدرى أنه يتقدم إلى المائدة المقدسة بدون استحقاق ، ذلك لأنه لا يقدم حياته بذلا وعطاء ولكنه يطلب لأناه شيئا ولذاته موضوعا وراحة شكلية ..

[illegible]

والصوم حقا علاج لمشكلة نهم البطن وتلذذ الحنجرة كما يقول الآباء .. والرسول يقول : " كل من يجاهد يضبط نفسه فى كل شئ " (اكو ٩ : ٢٥) ، وقد سبق أن أشرنا إلى العلاقة الكبيرة بين الأكل والجنس ..

ولكن يلزمنا أن ننتبه إلى أن اعتلال الجسد وهزاله كثيرا ما يكون مثيرا للشهوة، فقد وُجد أن الإرهاق من الصوم الشديد يثير الجهاز الهضمى تماما كالإدمان على الأطعمة الدسمة ..

ثم أن القديس يوحنا الدرجي يؤكد فى كتابه سلم السماء " أن الصوم وحده ليس علاجا النجاسة لأنه وجد سقماء غاية فى السقم وصائمين صوما شديدا ولكنهم متدنسون بهذه القتالات". ويضع مبدأ رائعا لحياة العفة فيقول: " الطاهر هو من قابل عشقا بعشق " .. فلا شك أن الأساس فى حياة العفة هو الحب لشخص المسيح .. لذلك يلزم إن صمنا ألا نكون عابسين (مت ٦ : ١٦) ، بل ندرك أن " الصوم فعل محبة بالدرجة الأولى وجزءا لا يتجزأ من

اختبار الصليب ومدخلا حسيا إليه، وأننا حين نرهق أجسامنا بالصوم نهدف إلـــى أن نرهــق الذات، وإذا بلغنا إلى إرهاق الذات بتذليل الجسد نكون قد اقتربنا فى الواقع من هلاك الـــذات ولو جزئيا .. نحن نصوم لا لنأخذ شيئا لأننا أخذنا المسيح ولا لنعطى شيئا لأن عطاءنا مـــهما بلغ ولو إلى حد الموت فأنه لا ينفع أن يرفع حتى ولا خطيئة واحدة .. نحن نصـــوم ونقــدم أجسادنا ودماءنا كذبيحة مظهرها التعب وجوهرها قبول الموت بالنية لنحسب أهــلا أن نتحــد سرا فى جسد المسيح ودمه " . أن قصة خروج الأنبا أنطونيوس من وحدته بعد عشر ســنين وهو فى صحة معتدلة توضح فضيلة الحكمة والإفراز التى كانت له.

لذلك يلزم تصحيح أخطاء شائعة بين الشباب أهمها فصل الصوم عن الحب ، ومحاولــة استخدام الصوم الشديد للتغلب على مشكلات العفة دون إرشاد وتوجيه روحى سليم ، والنظــر إلى الطعام على أنه شهوة وللجسد على أنه نجاسة مـــع أن " الأطعمـــة للجــوف والجــوف للأطعمة والله سيبيد هذا وتلك " (١كو ٦ : ١٣) و " كل شئ طاهر للطاهرين" (تي ١ : ١٥).

لنتحرز لأنفسنا لئلا تثقل قلوبنا فى خمار وسكر (لو ٢١ : ٣٤) ولنصم لا لكى ننال مـن الصوم مكسبا لحياة العفة ولكن ليكون صومنا تعبيرا عن العفة والحب اللذين يعملان فينا ..

وبتعبير مختصر لنصم لا لكى ننال منه فائدة لذواتنا ..

وإنما يكون صومنا ذبيحة مُعبرة عن ذبيحة حياتنا مُقدمة فى ذبيحة الرب المقبولة ..

المرشد الروحي

المسيحية تلمذة، والرب يسوع تلمذ جماعة الرسل، وهؤلاء سلموا الإيمان للكنيسة عــبر العصور والأجيال فى سيرة القديسين والمعلمين الروحيين.

وإن كان الشباب يشكو من أزمة فى المجال الروحى فهى الافتقـــار إلـــى المرشــدين الروحيين المختبرين القادرين على أن يسلموا للنفوس ما تسلموه من الرب .. وســتظل هــذه الأزمة شديدة إلى أن يتكرس كثير من النفوس المحبة للمســيح مضحيــة بمغريــات العــالم ومتتلمذة إلى الآباء الذين أثبتت سيرتهم وخبراتهم أنهم يسيرون على الدرب.

- ❖ أن وجدت مرشدا روحيا حاذقا منفتحا محبا بالحقيقة فقد وجدت كنزا نادرا..
- ❖ أن وجدت أب اعتراف ملهما بالروح عطوفا حنونا فقد وقفت أرجلك عند ديار أورشليم.

[illegible]

[illegible]

- ❖ تيار الغريزة الجنسية
- ❖ مراحل النمو النفسى والجنسى
- ❖ لماذا يحدث الانحراف الجنسى
- ❖ بين التيارين الجنسى والروحي
- ❖ الانحرافات الجنسية ودور الإيمان إزاءها

[illegible]

العفة عند الإنسان الطبيعى هى قمة النمو النفسى والجنسى السليم. ولكنها عند المسيحى امتداد لمشيئة الرجولة بعد تلامسها مع الروح القدس فى الولادة الثانية (يو ١ : ١٣ .

ولذلك ليست العفة شذوذا كما يرى الإباحيون، كما أنها لا تسبب كبتا بل على العكس أنها هى التى تكشف كل كبت وكل شذوذ وكل انحراف فى تيار النمو النفسى الإنسانى ..

وقد أثبتت الدراسة العملية أن ما يقرب من ٩٥% من المتدينين يؤكدون أن العفة لا تنشئ كبتا وأنها لا تتعارض مع طبيعة الجسد.

واتضح صدق هذا الاتجاه فى بقية البنود إذ جاءت الموافقة بنسبة ٩٥% فى كافة البنود الأخرى المتفقة مع هذا الاتجاه.

ولكن إجابات بعض غير المنضمين إلى الجماعات الدينية جاءت مخالفة لهذه النتيجة، إذ بينت أن الكثيرين ينظرون إلى العفة على أنها كبت أو أنها مستحيلة التحقيق ويبدو أن هناك أسبابا وراء هذه النتيجة ..

١ - فإما أنهم لم يختبروا حياة الإيمان وبالتالى لم يتذوقوا حياة العفة .

٢ - وإما أنهم رأوا جماعة من المتدينين يعيشون فى كبت ويدعون أن هذا هو العفة الأمر الذى يسيئ إلى التدين والعفة المسيحية والخلق المسيحى المنفتح .

٣ - وإما أنهم يعرفون الحق ويهربون منه.

على أية حال فأن هذا الفصل يواجه المتدينين بأن يفصل لهم الفارق بين العفة المسيحية والانغلاقية كما يواجه غير المتدينين ليشرح لهم كيف أن العفة وأن كانت عطية وهبة إلهيـــة إلا أنها أيضا تتفق مع سلامة النفس والجسد.

لأن الله لا يمكن أن يعطينا إلا كل ما هو حق وطاهر وجليل ونافع للبنيان .

[illegible]

تشبه الغريزة تيار النهر لا يرى واضحا عند منبعه ولكنه يظهر فى مجراه عندما يحـدد طريقه وتتضح ضفتاه ..

تبدأ الغريزة الجنسية كبقية الغرائز مع الإنسان منذ ولادته. وقد كان لمدرســة التحليـل النفسى الفضل فى إبراز ديمومة الطاقة الجنسية واستمرارها منذ الولادة حتى اللحد.

إذ كان المعتقد سابقا أنها لا تبدأ إلا فى المراهقة. والنهر إذا أعترضته صخور كبـــيرة أو أعشاب كثيفة، تعطل سير مجراه الطبيعى وتوقف تياره الدفوق ..

والأمر هكذا بالنسبة للنشاط الجنسى فأنه إذا حدثت خبرات سيئة أو عقد نفسية تختــص بشئون الجنس فأنها توقف أو تضعف السير الطبيعى للتيار الجنسى حتى يكـــاد يقـف عنـد مرحلة معينة ويعجز عن أن ينمو ويتقدم لمرحلة أخرى أكثر نضوجا ..

[illegible]

يبدأ النمو بالمرحلة الذاتية أو النرجسية والإشارة هنا إلـــى (نارســيوس) أحـد فتيـان الإغريق وكان ذا جمال نادر وتقول الأساطير أنه أعجب بصورته فى الماء فوقع فى غـــرام نفسه وظل مستلقيا على بطنه متأملا فى وجهه على صفحة الماء حتى مات.

ويرى فرويد أن عشق الذات يشبه كثيرا حالة الطفل فى المهد حيـــث يكـون نشـاطه النفسى كله مركزا حول نفسه وتكون الطاقة الجنسية (الليبيدو) شاملة جميـــع أنسـجة الجلـد وبالذات للفم والشرج.

وينفصل الطفل من هذه المرحلة حتى يخرج من مرحلة المهد إلـــى مرحلــة الطفولـة المبكرة لتتسع فيها ميوله للخارج ويترك الأحاسيس المنبثقة من جسده ليوثق علاقاتـــه بمـن

يتصل بهم فى بيئته المنزلية وتتضح فى هذه المرحلة تعبيرات الحنو نحو الحيوانات الأليفة المختلفة.

ثم تأتى المرحلة الأوديبية، والإشارة هنا إلى الملك أوديب اليونانى الذى يقال أنه قتل أباه وتزوج أمه وقد دفع فرويد إلى هذا التشبيه ما يرى كثيرا من اتجاه الابن إلى الأم فى حنان غريب مع غيرته من أبيه، والبنت إلى أبيها بشكل واضح وغيرتها من أمها .. فى هذه المرحلة تتجمع الطاقة الجنسية لتتركز فى المناطق الشبقية.

وفيما بين السادسة حتى الثالثة عشر تقريبا مرحلة النضال ضد الجنس الآخر والصبيان فيها يتضايقون من البنات الأمر الذى يحدث معارك كثيرة بين الصغار من الجنسين. وكأن الطبيعة تعمل هذه المرحلة كدفعة وقائية للتيار الجارف فى المرحلة التالية. وتبدأ الطاقة الجنسية تتركز حول العضو التناسلى ..

ثم تأتى مرحلة المراهقة بعد أن يكون الفتى قد انحل من الرباط الأوديبى والتمركز النرجسى وفيها تبدأ التغيرات الفسيولوجية والسيكولوجية التى تعد الصبى ليكون شابا ورجلا، والبنت لتكون فتاة وامرأة. ان القلق الذى يسود مرحلة المراهقة بسبب التغيرات البيولوجية والفسيولوجية والسيكولوجية تدفع المراهق إلى أن يفتش عن الآخر وهو كثيرا ما يجده فى كائن من جنسه وهذا ما يفسر وجود نزعة إلى الجنسية المثلية فى حياة هذا العمر العاطفية ..

ولكن الكائن البشرى يجب أن يجتاز هذه المرحلة ليبلغ طور الجنسية الغيرية الذى فيه تحرر تام من كل الأربطة النرجسية والأوديبية لينقل الاهتمام الجنسى من الأنا إلى شخص آخر من جنس آخر .

ثم يتقدم النمو الجنسى من مرحلة الجنسية الغيرية، التى فيها يشتهى المراهق كل فتاة ، إلى أن تتحدد الرغبة بدلا من الجنس كله فتاة واحدة . ويكون هذا غالبا فى المستوى الزمنى لنهاية المرحلة الجامعية.

كما يكون هذا الاختيار سليما إذا كان قد عبر جميع المراحل السابقة من مراحل النمو النفسى والجنسى.

متى يحدث الانحراف الجنسى

ان لم تتتابع عمليات النمو الكاملة يصير النمو الجنسى قاصرا وهو ما يسمى بالشذوذ.. فالشخص الذى يبلغ من العمر خمس وعشرين عاما وهو لا يطلب من الجنسية الا ما يشبع أناه والذى لا يحب إلا نفسه ويريد أن يتركز أهتمام الجميع حول ذاته هو إنسان نرجسى المرحلة ولم يتعداها رغم أنه قد يكون حائزا على شهادات جامعية عالية.

والفتاة أو الشاب الذى يتعلق بأحد والديه تعلقا عاطفيا شديدا رغم زواجه من شريك آخر يثبت وجود بقايا أوديبية .. والفتاة أو الشاب الذى يثبت عند مرحلة الجنسية المثلية ولا يتعداها إلى الجنسية الغيرية إنسان ويحتاج إلى علاج طبى (نفسى وجسمى معا فى أحيان كثيرة).

إن وقوفه عند مرحلة معينة وقصوره عن بلوغ ما بعدها شذوذ يحتاج إلى معونة علاجية إذا أهملت فى البداية صعب الإفادة منها فيما بعد ..

بين التيارين الجنسى والروحى:

إذا حددنا معالم التيار الجنسى النرجسية والأوديبية والجنسية المثلية والجنسية الغيرية والأحادية الزوجية، وإذا حددنا معالم التيار الروحى بأنه يتعدى مشيئة الدم والجسد والرجل ليصل إلى مستوى الولادة التى من فوق. فأننا يمكن أن نرسم هذا الشكل الذى فيه يتقابل التياران الجنسى والروحى ..

المقارنة	الإنسان الطبيعى			الإنسان الجديد
الحالة	النرجسية الجنسية الغيرية	الأوديبية	الجنسية المثلية الأحادية الزوجية	الحب الحقيقى زواج مكرس بتولية طاهرة
القامة	مشيئة دم	مشيئةجسد	مشيئة رجل	من الله ولدوا

وإذا كان الرسول يتطلب من المؤمن أن يكون قد انتقل من الولادة التى على مستوى الدم، والتى على مستوى الجسد، والتى على مستوى مشيئة الرجل، وليكون على مستوى

الولادة التى من فوق (يوا : ١٣) ، فأنه بالضرورة يتطلب أن يكون الإنسان قد انعتق من الأربطة النرجسية والأوديبية والمثلية.

بل أن الأحادية الزوجية نفسها التى هى مشيئة الرجل يلزم أن تنالها لمسة إلهية، لمسة الحب والعفة والوقار حتى لا يكون الزواج مجرد علاقة إنسانية أرضية بل شركة ألفة وحّدها الروح وأدخلها أعتاب الأبدية ..

أن المعيار السليم للنمو الجنسى هو الانفتاح نحو الآخر، وبلوغ مرتبة الحب الإنسانى الكامل الذى لا تطلب الغريزة منه أنانية جامحة شاردة ولكنها تقترن بالمحبة والانعطاف، أما كل جنسية استيلائية فأنها تظهر عدم نضوج فى الكيان البشرى وتظهر توقفا عند مرحلة مركزية الأنا الطفولية أو نكوصا إليها .

لذلك لا نعجب إذا سمعنا عن أخبار الفشل فى الحياة الزيجية عند كثير من الشبان حتى بين الجماعات المتدينة ، إذ لا يكون النمو الجنسى قد سار فى تياره الطبيعى ونضج نضوجه المطلوب قبل الأقتران بالآخر فى شركة الزواج ، ولا تكون هناك نعمة الإيمان التى بها تحدث المعجزة فيبنى الله الأودية المتهدمة ويكسر الأكمة المتشامخة ويصلح المعوجات والشعاب القديمة المتأصلة فى خبرات الإنسان وتاريخه الأصيل ..

إن العشرة الزوجية تكشف الانحراف والشذوذ ولذا يلزم لكل من يقدم لهذا السر العظيم أن يمتحن نفسه ويرى هل هو مستحق؟! ومعيار الاستحقاق هنا هو القدرة على البذل وتقدير الآخر من أجل شخصيته فحسب.

والانطلاق من سجن الأنا والذات إلى حرية العطاء ورحاب البذل المتسعة. وإذا كان الزواج الواحدى هو قمة النمو الجنسى على حد تعبير مدرسة التحليل النفسى .. فأن الزواج المسيحى يبلغ هذه القمة ويطلب من المؤمن أن يحيا فوقها متمتعا بنضجها وكمالها ويأبى به أن ينزل أو ينكس إلى مرحلة دون هذه الأحادية ..

أنه يطلب كما سنرى فى فصل الزواج أن يكون الزواج قائما على أساس روحى قبل أن يكون جسديا حتى يتفق هذا العمل مع الإيمان والولادة التى من فوق .

على أن المسيحية تتعدى فى أبعادها الروحية المتسعة ما تحدثنا عنه من نضج ونمو لتصعد إلى قمم أعلى أكثر بذلا وأعمق حبا .. أنها حياة البتولية التى فيها يدخل البتول فى عشق مع الله غير المحدود مالئ الكل، السماء والأرض ..

[redacted]

[redacted]

تعتبر ظاهرة الجنسية الذاتية من أهم ظواهر انحرافات الحب .. وهى ترجع إلى الفترة التى كان الطفل فيها يجد لذته فى جسده وأعضائه.

وقد تبين من الدراسة العلمية للمراهق المصرى " أن نسبة كبيرة جدا من المراهقين يمارسونها .. وأن أكثر المراهقين إغراقا فيها هم الذين يتسمون باتجاهات سلبية انسحابية وأكثرهم اعتدالا المراهقين المتزنون الإيجابيون " (١) .

والجنسية الذاتية (الاستمناء) هى شكل من أشكال الاكتفاء الذاتى والانطواء والارتداد إلى النفس، وخطرها يكمن فى أن يصبح الاكتفاء الذاتى أسلوبا عاما فى الحياة يحول دون التجاوب الاجتماعي والمشاركة فى الأساليب الاجتماعية إضافة إلى الخطر الحقيقى وهو تسرب الحب نحو الذات بدلا من اتجاهه نحو الآخر ..

ولا شك أنه مما يضاعف خطر هذه العادة فى ممارستها تلك المعلومات الشائعة عند المراهقين من أن الاستمناء يجلب الأنيميا والهزال والسل والعقم والجنون بينما يرى البعض أنه مفيد فى تقليل حب الشباب فى الوجه ويؤدى إلى خفض وزن الجسم ويمنع الكبت الجنسى .. وهذه كلها معلومات خاطئة كثيرا ما تجعل المراهق يسقط فى بؤرة ممارسته هذه العادة .

وليست الجنسية الذاتية مقصورة على المراهقين بل أن المراهقات أيضا يمارسن هذه العادة. ومما يعقد نفسية المراهقات ذلك الكبت الذى تعيش فيه الفتاة المصرية فى أغلب البيوت .. والملاحظ عموما أن النرجسية قد تلعب دورا هاما فى الحياة المراهقة باعتبارها

١ - صموئيل مغاريوس : المراهق المصرى ص ١٠١ .

الأداة التمهيدية لتقوية شعورها بذاتها وهكذا تندفع الفتاة نحـــو الإعجـاب بجمالــها وتبــدى الإعجاب بمفاتن جسمها وقد يولد العشق الذاتى لدى الفتاة، إضافة إلى الجنسية الذاتية، الكثــير من أحلام اليقظة وحينما يشتد الصراع بين أحلام اليقظة ومطالب الواقع تستسلم لنوبات اليأس والحزن والبكاء ..

ويتأثر الإسراف فى الجنسية الذاتية بجدب الحياة العاطفية فإذا تـــهيأ للمراهــق النمــو الوجدانى السليم المتزن تخلص من هذا النمو الجنسى ..

" ولقد أثبتت الأبحاث أن أساليب التخويف والتعنت وتضييق الخناق علـــى المراهــق والمبالغة الشديدة التى تتجاهل الواقع الفعلى، فعلاوة على أنها لا تجدى فى علاج المراهق من مشكلاته، فهى توقعه فى الحيرة والصراع، وليس أنجح فى مقاومة الجنسية الذاتيـــة مـــن أن تكون للمراهق الصداقات والعلاقات الاجتماعية الناجحة والاهتمامـــات الواســعة الرياضيــة والفنية والعلمية للانصراف عن التفكير الدائب فى النفس والتخلص من الاتجاهـــات الســلبية والتعلق بالأهداف الاجتماعية الإيجابية .

وقد أثبتت الأبحاث أن رجال الدين ورواد الشباب فى الجماعات الدينيـــة هـــم أجــدر المشرفين على توجيه المراهقين خاصة إذا كانوا يعطفون عليهم ويقبلون على معالجتهم بروح واقعية بعيدة عن التزمت (٢) .

[illegible]

أن المراهق الذى مازال يمارس الجنسية الذاتية (الاستمناء) يثبت أنه نفسيا يعيش فـــى ذاته، ويثبت روحيا أنه لا يزال فى المرحلة التى لم تتلامس مع النعمة .. لأن النعمة تحـــرر الإنسان من ذاته .. تخلصه من حبه لنفسه وتطلقه إلى حب الآخــر، ولذلــك فــأن المرشــد الروحى الذى يخدم جماعة المراهقين يلزمه أن يخدمهم ويثابر فى خدمتهم روحيا حتى تحــدث المعجزة التى فيها يتلامس كل واحد مع النعمة ويحدث فى حياته اختبار الحيـــاة الجديــدة .. يلزم للمرشد أن يتعرف على الظروف التى أدت إلى ممارسة هذه العادة وإلى العوامل التـــى

---

٢ - صموئيل مغاريوس : المراهق المصرى صَ ١١٢ - ١١٤.

تغذيها حتى يقدم حلولا عملية تشجع المراهق على التقدم، وقد أثبتت الخبرة فى خدمات المراهقين .

أن أب الاعتراف والمرشد الروحى الذى يكون صبورا حنونا عطوفا على مشكلات الشباب ، قادرا على أن يسلم للنفوس الحب النارى الذى فى قلبه للمسيح، حاذقا فى فهم المشكلات والتحديات الخارجية النفسية والاجتماعية ، قادرا على أن يأخذ بيد الشاب الصغير فى هدوء نحو أعتاب حياة العفة ..

مثل هذا الخادم وحده يمكن للمراهقين أن يطمئنوا لتسليم أنفسهم إليه ويطيعوا إرشاداته سواء فى توصياتهم إلى الخروج من محبة الأنا أو فى التغلب على عُقد الحرمان أو فى التخلص من الإثارات الجنسية الخارجية، أو فى تذوق حلاوة العشرة مع الله كبديل للذة الجسدية التى كل من يجرى وراءها يهلك وكل من يشرب من مياهها يعطش ..

كيف نتخلص من العادة الرديئة ؟

للغريزة ثلاث جوانب أدراك ووجدان ونزوع .. فالإنسان يدرك المثير فيشعر شعورا معينا فيسلك إزاءه سلوكا خاصا، هناك الفكر الخاص بالجنس وهذا يحرك المشاعر والأحاسيس وهذه بدورها تكون السلوك الجنسى والعادات الجنسية ..

لذلك عندما عالج رب المجد الغرائز نظر إلى الجانب الإدراكى والوجدانى وأعطاه الأساس الأول فى الخطيئة " كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه" (مت ٥ : ٢٨) ..

والرسول بولس عندما لمس عملية التجديد فى حياة المؤمن قال " تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" تجديد الذهن أذاً معناه تجديد الغريزة وتطهيرها ونقاوتها، وهذا يبرز الأهمية الكبرى للفعل الباطنى فى المسيحية فالشاب الذى يشكو من ممارسة العادة الجنسية عليه أن يفحص قلبه وفكره ..

إن التخلص من الصور الواقعية الذهنية والأفكار الشهوانية ومقاومتها أمر ضرورى للخلاص من الخطيئة، لذلك يقول الرسول " أما الشهوات الشبابية فاهرب منها ".

ولكن هناك الجانب الإيجابى فى حرب الشهوة ذلك أنه لا يكتفى بنا أن نهرب وأن نبعد عن كل ما هو معثر ولكن الرسول يطالبنا أن نلبس الرب يسوع قبل أن يطالبنا بألا نصنع تدبيرا للجسد لأجل الشهوات (رو ١٣ : ١٤).

والقديس باسيليوس يقول فى نسكياته إجابة عن السؤال كيف نقطع منا الشهوة الرديئة ؟ " بالشهوة القوية التى فى مرضاة الله هذه التى أوجدها المرتل فى نفسه وأظهرها لنا بقوله " أحكام الرب حق مبررة جميعها وإرادة قلبه مختارة أفضل من الذهب والحجارة الكريمة وأحلى من العسل والشهد " (مز ١٨).

فشهوة الأفضل تكلفه أن يرفض الأنقص [٣] .. أما إذا استمرت العادة وقتا رغم حرص المؤمن بعد تجديد حياته على نقاوة قلبه وطهارة فكره فأن هذا يكون بسبب سلطان العادة وهذا يزول عندما تهدأ النفس، ولا تعطى للعملية أية أهمية، ويزداد الحرص على المقاومة عند بداية الإثارة الحسية ..

أن الرب يسوع عندما يجد نفسا أمينة تجاهد لأجل العفة ويلمس فيها الحرص والمحبة والغيرة على اقتناء حياة القداسة يسكب روحه القدوس روح العفة والقداسة والطهارة وعندئذ يشعر المؤمن بأنه بالفعل قد صار خليقة جديدة .. قال أحد الشبان بعد أن عمل فيه روح الله القدوس " لقد تغيرت كيميائية دمى، لم أعد أطيق ممارسة ما كنت أعمله قبل تعرفى على المسيح مخلصى الحبيب" ..

٢ - الكبت الجنسى

الكبت الجنسى عملية لاشعورية، فيها يشعر الإنسان بثقل الدافع الجنسى وتضارب الدوافع والميول إزاءه، فهناك رغبة بالميل نحو الآداب وهناك رغبة بالمقاومة إزاء هذا الصراع الداخلى يحدث ما يسمى بالكبت .

وقد تكون أسباب منزلية وتربوية فى العملية كما قد تكون هناك أسباب نفسية .. العفة لا تنشئ الكبت لأن العفيف قد تقدس فكرا ووجدانا ونزوعا وليس فيه أدنى أنقسام فى الدوافع،

٣ - نسكيات باسيليوس : أصدار دير السريان ص ١٦٦.

العفيف لا يحس بالفراغ ولا بالصراع لأنه مملوء حبا ويجب أن نميز بدقة بين الكبت والضبط لأن الكبت عملية سلبية بحتة وتهرب من الواقع أما الضبط فهو مرحلة لعملية إيجابية، أنه عملية انفتاح كامل إلى الواقع .. أن الكبت ينشئ الانطوائية والكآبة والأمراض النفسية أما الضبط تعهد واع للجنسية وإخضاعها بفرح ورضا للمثل الأعلى ..

بعض الذين يقعون تحت سيطرة الكبت الجنسى بسبب ظروفهم الخاصة يلبسون رداء التدين وينادون باتجاهات منغلقة منحرفة تجعل الشباب يكره الدين، يحملون الناس أحمالا عسيرة لا يلمسونها هم بأطراف أصابعهم، يركزون الاهتمام فى التعليم على الشكليات ولا يلمسون الجوهر، يهولون فى الأمور الجنسية ويثقلون التحذيرات ولا يستطيعون أن يمدوا أيديهم للساقطين كى ينشلونهم هؤلاء يذخر الجو الدينى بكثير منهم يلقون عليه بظلهم ويحملونه انحرافهم المعثر .

العفة إيجابية قوامها الحب والانفتاح وتكريس الدافع الجنسى للرب .

[illegible]

هذه أيضا انحرافات للحب .. أن الشاب الذى لا يريد أن يلتزم فأنه يشتهى ولا يحب .. أن أحببت يلزمك أن تتزوج أما الغزل والصداقات الجنسية والحب الرومانسى فهذه عودة إلى اللذة الذاتية، إنها نكوص وتدهور بالحب ..

الذين ينخدعون بأنهم لا يخطئون فى صداقتهم الجنسية طالما لا يمارسون الزنا يلزمهم أن يعرفوا أنهم يعيشون فى خداع محبب إلى نفوسهم، أن أحلام اليقظة تشير إلى العجز والقصور النفسى كما تشير إلى الظروف السيئة والخبرات المؤلمة التى أدت إلى الحياة الانسحابية ، كما توضح نقصا خطيرا فى النمو النفسى وخطرا داهما على استعداد الشخصية للحب والبذل الحقيقى.

إن الغزل والمبدعات الجنسية بشتى صورها هى تمهيد طبيعى للعلاقة الجنسية المباشرة فى الاتحاد الجسدى الكامل حتى لا يصير هذا اغتصابا ومفاجأة غير سارة وإنما تعبير عن أسمى أهداف الحب فى الاتحاد.

وعلى هذا فأن بعض الشباب الذين يقتصرون فى إشباع شهواتهم علـــى كــل صــور العلاقة الجنسية دون الفعل المباشر كنوع من أنواع التعفف الزائف عن الانغماس فى الشـــهوة يصيبون أجهزتهم بأبلغ الضرر .

لأنهم يعدون أنفسهم نفسيا وفسيولوجيا للفعل الجنسى، ثم يبترونه بعد أن يصلون إلـــى قمة التوتر الجنسى فيبدون كمن سحب شهيقا طويلا متواصلا دون أن يزفر الهواء المتجمـــع فى رئتيه. هؤلاء يحملون ذواتهم نفسيا وبدنيا بعد أن تحطموا روحيا.

وهكذا تصير العفة العاملة شرطا أساسيا هاما ليس فقط لضمان سلامة الحياة الروحيـــة من الاضطراب والضعف بل وأيضا سلامة النفس والبدن معا.

[illegible]

الزنا هو انحراف عن الحب كما أنه مقاومة للوصية، هو خروج عن الالـــتزام الــذى يقتضيه الحب .. أنه رغبة فى إظهار السيطرة أو الخروج من العزلـــة بالاتحـــاد الجســـدى ، والاتحاد الجسدى فحسب يعمق العزلة ويزيدها شدة وتوتراً كما يحدث انقساما عميقا فى الأنـــا وتدهورا فى الشخصية ..

الزنا رغبة جنونية جارفة للانفعال وثورة صاخبة على الملل والســـأم، وميــل شــديد للترف ومبتهج الحياة والانفعال الفائر ..

الزنا خطيئة موجهة إلى الجسد، فالرسول يوصينا قائلا : "أهربوا مـــن الزنـــا .. كــل خطيئة يفعلها الإنسان هى خارجة عن الجسد، لكن الذى يزنى يخطئ إلى جســـده، أم لســـتم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم، الذى لكم من الله وإنكم لستم لأنفســكم " (١كو ٦ : ١٨،١٩).

الزنا إهانه للجسد وتمزيق لثوب البر الذى توشح به المؤمن فـــى المعموديـــة وتعريـــة للنعمة التى تسربل بها كل مولود من الله وتلويث للخليقة الجديدة التى هـــى عمـــل الصليـــب والفداء حتى وإن كان هذا التلويث فى الفكر فقط دون الأداء .. لذلك يجعل الكتـــاب المقـــدس البحيرة المتقدة نارا وكبريت نصيب الزناة والرجسين والنجسين ومضاجعى الذكور ..

الزنا تعطيل للنمو الروحى والنفسى الذى يؤهل للحياة العائليـــة أو الامتـــداد للبتوليـــة الطاهرة .. انه عملية تثبيت للأنانية والاستيلائية الكائنة فى أعماق الإنسان العتيـــق لذلـــك لا يستطيع الزناة أن يفيقوا من خمار هذه اللذة الجســـدية الســـاقطة لينـــهضوا بأعبـــاء الحـــب ومسئوليات البذل ومتطلبات نكران الذات والكفر بها فى إطار الزيجـــة المقدســـة والبتوليـــة المكرسة إلا إذ حدثت معهم معجزة كالتى أجراها الرب يسوع مع السامرية والمرأة الخاطئة.

عناق الجسم الآخر فى العشق هو محاولة جنونية للرغبة فى امتـــلاك وجـــود الآخـــر امتلاكا ماديا وتحقيق ضرب من الوحدة الحسمية معه. هو فى الوقـــت نفســـه صـــراع دام لا هوادة فيه ولا رحمة بل لا خجل فيه ولا تحفظ ونزوع نحو الوجود فيما وراء الفـــرد أعنـــى نحو النوع نفسه من أجل العمل على امتداده أو استمرار بقائه. ولكن هذا الجنـــون العشـــقى، جنون الامتلاك ، سرعان ما يبوء بالفشل. إذ أنه على الرغم من التحام الجسدين فـــى حالـــة العناق الجنسى الوثيق فأن جسمى المحب والمحبوب يظلان منفصلين بعـــد الاتصـــال لكـــى يواجه أحدهما الآخر دون أن يملك أحدهما الآخر وهكذا يتحقق المحبان من أن الحب الجسدى لم ينجح فى التوحيد بينهما ما دام كل واحد منهما قد وجد نفسه بعد الاتصال الجنسى مرتـــدا إلى وحدته أن لم تحدث فى بعض الأحيان أن يبغض أحدهما الآخـــر بســـبب هـــذا الاتحـــاد الجنسى نفسه.

[illegible]

ولقد اختلف البحاثة فى دراسة الدوافع إلى الزنا فمن قائل بان الدافع الأقتصادى يمثـــل ٧٥% من ضغوط المشكلة، إلا أننا لا نتفق مع التركيز حول العامل المادى لأن الفقـــر عنـــد البعض يولد الزنا ولكن أيضا يتزايد عند الكثيرين مع الغنى .. أن ابحاثا كثيرة عملـــت فـــى الخارج أثبتت أن غالبية الزوانى من الخادمات فى البيوت، ومن ثم يبرز أن السبب ليس هـــو الحاجة إلى الطعام والملبس، وإنما لأن الزوانى يعشن على هامش الحياة ويشعرن أنهن فـــى حاجة إلى المحبة كغيرهن من الناس. حقيقة أن دافع الشهوة والفشل فـــى الـــزواج والنقـــص العقلى كثيرا ما يؤدى إلى الانحدار ولكن الشقاء النفسى والجسمى كثيرا مـــا يكـــون الدافـــع

الحقيقى إلى الزنا، وأما الحب والعطف على هذه النفوس المنكسرة البائسة سيظل هو الطريق الوحيد إلى تلامسهم مع القلوب الكبيرة المكرسة للرب بغية إدخالها حظيرة الإيمان .

أنظر إلى يسوع وما صنعه مع الزناة والزوانى لكى تتعلم كيف تصلى من أجلهم لا أن تلعنهم وتدينهم مع سمعان الفريسى.

وقد تكون هناك عوامل اجتماعية ونفسية ضاغطة بشدة حتى أن النفس تسقط دون إرادة كالخادمة التى تقع فى حبائل سيد شرير مثل الغنمة التى تجد نفسها بين أنياب ذئب مفترس ..

مثل هؤلاء يشفق عليهم الرب يسوع وإن لم يشفق عليهم المجتمع ويدعوهم للقيام ويعدهم بأن يدخلوا الملكوت قبل الجالسين على كراسى الكتبة والفريسيين (مت ٢٣ : ١ ـ ٣).

والكتاب المقدس يعتبر الزواج من المطلقة زنا، لأن العملية الجنسية لا تكون إلا بين الزوجين اللذين أحبا بعضهما بعضا والتزما بالحياة المقدسة الباذلة، وأن حدث طلاق فلابد إن السبب هو الزنا لأنه وحده الذى يفصل رابطة الزيجة ووحدتها. وكل من يتزوج بزانية مُطلقة يزنى ويجعلها تزنى .. وأن حدث طلاق لأى علة أخرى فهو باطل، وتظل المطلقة موقوفة على زوجها وكل من يمسها يزنى.

" إن الاتصال بالبغى ، إذا نظرنا إليه من ناحية جنسية ، ليس سوى شكل متطور قليلا من أشكال الاستمناء وبعبارة أخرى شكل من اللذة الذاتية التى هى مرحلة طفولية لا تليق بالبالغ، ففى هذا الاتصال ليس الآخر سوى واسطة للحصول على لذة منكمشة ..

ليس سوى أداة يمكن استبدالها بأية أداة أخرى تستخدم للحصول على تمتع نجس دون أى اعتبار لشخص الآخر وللذل اللاحق به من جراء إنزاله إلى رتبة الآلة والسلعة ..

إن اتصالا كهذه ليس فقط يشكل نكوصا إلى الجنسية الطفولية وعدم نضوج عاطفى ولكنه أيضا فى نظر بعض علماء الجنس عاجز عن تحقيق الرغبة الجنسية بصورة عميقة لأنه ناقص من الناحية النفسانية لأن الجنسية ليست بيولوجية بحتة ولكنها مندمجة فى وحدة الشخص الإنساني وخاضعة لمتطلباته المميزة.

ورب معترض يقول : إن العلاقات الجنسية السابقة للزواج تعطى الشاب خبرة تمكنه من النجاح فى علاقاته الزوجية، وعليه نجيب أن هذه الخبرة المكتسبة فى أغلب الأحيان فى الاتصال بالبغايا لا يجوز أن تسير الاتصال بفتاة نقية، بل أن تصرفات تعتمد على هذه الخبرة يمكن أن تسبب جرحا عميقا لنضارة الفتاة وأن تقضى على الحب بأحداثها نفورا واشمئزازا فى نفسها .

إن الزواج ليس بدعارة شرعية وعدم خبرة الزواج هى شهادة للزوجة على انه حفظ نفسه لأجلها .. هى إذاً شهادة حب ، وما أجمل أن يكتسب الزوجان خبرتهما معا فى سياق حياتهما المشتركة " (٤) .

هكذا رأينا أن العفة تتفق مع النمو النفسى السليم وأنها تؤهل للحياة الزوجية السعيدة وعرضنا لألوان الانحرافات التى تفصل العفة عن الحب كالاستمناء والكبت والغزل والزنا، ولا شك أن تقديس الهيكل للرب وبالصلاة والتناول من الجسد والدم الأقديسين يحمى الهيكل من الانزلاق فى متاهات الانحرافات ويعده للحياة الزوجية المكرسة التى هى موضوع الفصل القادم.

صلاة

- ❖ يا ضابط الكل ..
- ❖ يا من تضبط النجوم والأفلاك فى مسارها، ويا من تحكم العالم بنواميس غاية فى الدقة والإحكام. أتوسل إليك أن تضبط غرائزى ..
- ❖ أنت يا سيدى الذى خلقت فى الغريزة فاعطنى نعمتك كى أسيطر عليها وأتحكم فيها وأخضعها لمشيئة الحق ..
- ❖ قدس يا سيدى ميولى ونزعاتى، ونصر شهوتى ووجدانى ..
- ❖ كن أنت شهوتى .. فلا أشتهى إلا بك ومنك.
- ❖ كن أنت شبعى .. فلا أتوق لآخر إلا منك وإليك.

---

٤ – كوستى بندلى : العفة والحب من منظار سيكولوجى مجلة النور سنة ١٩٦٢.

❖ يا ضابط الكل ..

❖ سعيت نحو الطرق الاجتماعية وكافة الوسائط البشرية.

❖ وجريت وراء نصائح الناس وارشادات المعلمين التمس للفراغ النفسى حلا وللعزلة الداخلية مخرجا وجوابا ..

❖ وأخيرا أيقنت أن نفسى التى خلقتها وجسدى وميولى التى أبدعتها لن تجد راحة إلا فيك ، فاعطنى أن أتكل على عمل نعمتك واستند إلى فعل روحك وقوة ذراعك.

❖ يا ضابط الكل ..

❖ علمتنى الكنيسة أن الصوم والصلاة يهذبان الغريزة ويضبطان لجام الجسد.

❖ وكلمنى المرشدون الروحيون أن الحرص والدقة فى التصرف وإماتة العين وطهارة الفكر وسائط لحياة التعفف المسيحى.

❖ ولكنى أوقن يا سيدى أنك إن لم تحفظ المدينة باطلا سهر الحراس وإن لم تغطنى سحابة نعمتك باطلا كل جهادى ونسكى ودقتى ..

❖ اسندنى يا سيدى واضبط حياتى داخلا وخارجا فانك بالحقيقة ضابط الكل .

(١٩٩٤)

[illegible]

[illegible]

- ❖ **العفاف وهدف الزواج**
- ❖ **العفاف كاستعداد للـــزواج**
- ❖ **العفاف واختيار الشـــريك**
- ❖ **العفاف وحدود العلاقة قبل الـــزواج**
- ❖ **العفاف فى الـــزواج**
- ❖ **عمل السر الالهى فى العفـــاف المســيحى**
- ❖ **التحديات ضد الزواج المســـيحى**

أولا : العفاف وهدف الزواج

- ❖ هل الزواج إشباع للغريزة وتنظيـــم للشـــهوة؟
- ❖ أم هل هو خلاص من العزلة ورغبة فى إيجاد الجماعـــة والأســـرة المؤتلفـــة؟
- ❖ أم هل هو رغبة فى إنجاب النسل الذى يحقق شيئا من الخلـــود فـــى إطـــار الزمـــان؟
- ❖ أم هو يهدف إلى امتداد ملكوت الله وســـرعة مجيئـــه الثـــانى؟
- ❖ لنحاول أن نتفهم هذه الأهداف ونناقشها واحـــدة تلـــو الأخـــرى.

١ - الزواج والشهوة

ينظر البعض إلى الجنسية فى الإنسان نظرة حقيرة، وقـــد يكـــون الســـبب فـــى هـــذا وجود نفس هذا الدافع البيولوجى عند الحيـــوان، أو قـــد يكـــون بســـبب خطـــأ فـــى تعليـــم الخطيئة الأصليـــة ..

أما عن اتفاق الغريزة بيـــن الإنســـان والحيـــوان فـــى الجـــانب الـــنزوعى فـــهذا لا يعنى أنها واحدة تماما .. الجنســـية فـــى الإنســـان تختلـــف اختلافـــا جذريـــا عنـــها فـــى الحيوان، الجنسية فى الإنســـان مشـــحونة بـــالعواطف ومفعمـــة بالروحانيـــة وتســـتطيع أن تمتد إلى أبعاد يعجز الحيـــوان تمامـــا أن يصـــل إليـــها. أن الإنســـان يســـتطيع أن يســـمو

بغريزته ويعلو بها إلى أن يصل إلى صورة الراهب الطاهر القديس أما الحيوان فلا يستطيع أن يتحكم فى غريزته لأنها تلقائية فقط.

أن الوظائف البيولوجية حيوانية عند الحيوان أما عند الإنسان فقد تأنست وليس سقوطها إلى مستوى الحيوانية سوى علامة انحلال خطير للوحدة الإنسانية واستقالة مريعة للشخص الإنسانى. فبينما نرى الحيوانات تتزاوج بدوافع حتمية غريزية وفى فترات زمنية محددة نرى أن نشاطها الجنسى هو مجرد ممارسة وظيفة آلية غايتها الوحيدة تأمين استمرار النوع، أما الجنسية السليمة عند الإنسان فهى مرتبطة دوما باللقاء بين شخصين، بالمبادلة بينهما بانفتاح كل منهما للآخر باتحادهما، وبعبارة أخرى أن النشاط الجنسى مرتبط بالحب " أن الجنسية فى الإنسان أعطته مكانا مرموقا فى الخليقة كلها .. أن الإنسان يستطيع عن طريقها أن يحول هذا الدافع إلى تقدمة وقربان مقدس .. هذا أمر لا يستطيع الملائكة ولا تستطيع الحيوانات أن تفعله ، لأن الإنسان وحده هو الذى يحمل الطبيعة الأرضية كما يحمل النعمة أيضا " [١].

• أما عن النظرة الخاطئة إلى الجنسية فى الإنسان وربطها بالخطيئة الأصلية فأن روح الكتاب وقوانين الآباء والتسليم الرسولى يقدر سر الزواج تقديرا كبيرا .. أن الزواج فى المسيحية مكرم والمضجع غير نجس، وقد سبق أن أوضحنا مقاصد الله من الجنسية فى الإنسان والنظرة المقدسة التى ينظر إليها الكتاب المقدس للجنس والحب الإنسانى، وأن مجمع غنفره المكانى فى القرن الرابع قطع بالحرم أولئك الذين يدينون الزواج أو يحرصون على التعفف بسبب احتقار الزواج لا بسبب جمال البتولية نفسها [٢]، كما حرم أولئك الذين يعيشون فى حياة بتولية من أجل الرب وينظرون إلى المتزوجين نظرة احتقار (قانون ٩ ، ١٠) ، وقوانين الرسل تحكم بالقطع على الاكليروس والعلمانيين الذين يمتنعون عن الزواج وأكل اللحم وشرب

١ - الأب جورج خضر: السر العظيم عن St.Vladimir's Seminary Quarterly 1964,Vol.8,P.31-38.
٢ - نفس الاتجاه الذى كتب به الرسول بولس فى رسالة الأولى إلى تيموثاوس ص٤ آية ٣.

الخمر باعتبارها نجسة (قانون ٥١) . " أن الإنسان خُلق على صورة الله ليس فى النفس فقط بل فى الشخص كله ، ومع أن الخطيئة شوهت الإنسان ومع أن الجسد كعنصر جوهرى من الشخصية قاسى كثيرا من تأثير الخطيئة حتى صار أسيرا لناموس الخطيئة إلا أنه يحفظ عبر تمزقات الرداء السماوى سر طبيعته الحاملة الروح ، بل وحتى إذا ابتعد الإنسان عن الله إلى الحد الأقصى يبقى شخصيا مخلوقا على صورة الله مالكا طبيعته بحرية " ([٣]).

كل شئ فى الإنسان بما فيه الجنس يفتدى ويعمد. إن كبرياء العقل يمكن أن يثور ضد النعمة بعنف أكثر من الشهوة الجنسية، أو أليس انحراف الجنسية هو بالضبط تأكيد لإرادة القوة ..

أن التناسل عن طريق الاتصال الجنسى هو جزء من خطة الله " اثمروا واكثروا " .. هذه كلمات تشير إلى تأسيس الزواج فى الفردوس وأن مبدع الخليقة لم يعلن عن طريق آخر لتكاثر الجنس .. وأن كان قد حدث أن الأطفال الذين جاءوا من الزوجين الأولين قد جاءوا بعد السقوط فى الخطيئة فهذا لا يعنى أنهم ولدوا كنتيجة للخطيئة ([٤]).

أن الموت هو نتيجة الخطيئة وليس التناسل .. وإذا كانت هناك بعض الكتابات لبعض معلمى الكنيسة تقول إن المعرفة الجنسية كانت هى فى الحقيقة موضوع الأكل من الشجرة فأن روح الكتاب وأقوال الآباء تنفى هذا الاتجاه .. وإذا كانت الجنسية هى الخطيئة الأولى فكيف يمكن أن تكون الجنسية هى أم خطايا مثل البدع والهرطقات؟! أن الخطيئة الأصلية هى المعرفة الناقصة، المعرفة الذاتية التى ليست من الله، الانفصال عن الله فى الفكر حيث يعرف الخير والشر وليس من خلال الله ولكن من خلال الذات ومن هنا يكمن سر السقوط .

---

٣ – مرسيل مرقس : الجسد هيكل للروح القدس مجلة النور مقال سنة ١٩٥٧ عدد٦ .
٤ – الأب جورج خضر : مقال السر العظيم سابق ذكره.

أن الزواج ليس لإشباع الشهوة فحسب لأننا نــأكل ولـولا الأكـل نمـوت .. ولكـن كم من كثيرين يندفعون نحو أكلــهم وشــربهم ويجعلـون كـل حياتــهم كأنــهم يعيشـون للأكل والشرب .. هكــذا أيضــا بالنسـبة للعمليـة الجنسـية، فـأن الشـهوانيين يطلبـون زوجات لمجرد إشباع شهواتهم فقط ومثل هؤلاء ينـدر أن يقنعـوا حتـى بزوجاتــهم (٥).

والقديس أوغسطين يرى أنه بالرغم مـــن أن الشـهوة وسـيلة لإنجـاب النسـل إلا أنه يلزم عدم طاعتها والاستعباد لها أثناء الـــزواج مستشــهدا بقـول الرسـول " لا تملكـن الخطيئة فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فــى شـهواته" (٦). وفـى موضـع آخـر يقـول أن معنى زواج المؤمن ليس فقط أن يمتنع عـن اسـتخدام أنـاء رجـل آخـر كمـا يفعـل الذين يشتهون زوجات الآخرين، ولكنه يجب أن يعرف أيضا أنــه حتـى أنـاءه هـو ليـس ملكـا لــهوى الشــهوة الجسـدية .. وهــذه النصيحـة لا تفـهم مـن الرسـول بولـــس (١تس٤ : ٢-٥) على أن المعاشرة الزوجية محرمة ولكـــن لكـى يفـهم أن هـذه المعاشـرة لم تكن موضوع عبوديــة .

إن الشهوة الجسدية تزال نسبة الخطيئـــة إليـها فــى المعموديــة وتضبـط بالقداسـة والتعفف ولكنها تمحى عندما نلبس الجسد الجديد ونقام فى عـدم فسـاد .. فـى مجـد ابـن الله ..

ونلخص من هذا كله أن العفة المسيحية تمنــع أن يكـون هـدف الـزواج المعاشـرة الجنسية فحسب. أنها لا تحرمها فى الزيجــة وتـرى أن الـزواج صـون للعفـة وحمايـة لغير القادر أن يضبط نفسه، ولكنها مسيحيا مرتبطة بـالحب أشـد الارتبـاط متجهـة نحـو إنجاب الأولاد لامتداد ملكوت الله .. أن المســيحيين لا يسـتعبدون للغريـزة فـى الـزواج لأن الزيجة المسيحية ليست دعارة شـرعية .. أن القلـوب المكرسـة للمسـيح لديـها مـا يملأ قلبها من حب وعندها من يشغل حياتها حتى تكـــون الجنسـية وسـيلة فقط وليسـت غاية إطلاقـــا.

٥ – أغسطين : مقالة عن الزواج والشهوة فصل ٢،٩.
٦ – أغسطين : مقالة عن الزواج والشهوة فصل ٢،٩.

[illegible]

إذا كان الله هو شركة " نحن " ، والإنسان خلق علـــى صورتـــه ومثالـــه فـــلا شـــك أن العائلة هى التى سبق فرضها كنموذج سماوى لوجـــود الجنـــس البشـــرى ..

فى سفر التكوين إشارة إلى رغبـــة الله فـــى إلا يكـــون آدم وحيـــدا بـــل يحيـــا فـــى شركة مع الآخر .. " وقال الرب الاله ليس جيدا أن يكـــون آدم وحـــده فـــأصنع لـــه معينـــا نظيره " (تـــك ٢ : ١٨).

إن خلقة المرأة هى الاستجابة لحاجة الإنســـان أن يعيـــش مـــع كـــائن آخـــر مشـــابه لنفسه يكون معينا نظيره. لقد أعطى آدم صحبة الحيوانـــات ولكنـــه لـــم يجـــد بينـــها هـــذا المعين النظـــير.

للإنسان علاقة مع عالم الحيوان لأن جســـده ينتمـــى إلـــى نفـــس الـــتراب، وتســـمية آدم للحيوانات التـــى كـــانت بموافقـــة مـــن الله تشـــير إلـــى أن آدم كـــان يعـــرف هـــذه الحيوانـــات ..

ولكن الإنسان غير هـــذه المخلوقـــات كلـــها .. المـــرأة هـــى التـــى خُلقـــت لتكـــون معينا، ولتقضى على العزلة التى هى الفراغ الداخلى والحاجـــة العميقـــة إلـــى الآخـــر كـــى يسد هذه الفراغ أنها إنسان مثله يستطيع أن يعيش معها علـــى مســـتوى أكـــثر عمقـــا مـــن المستوى الذى عاشه آدم مع المخلوقات الأخرى فـــى الجنـــة .

إن كلا الرجل والمرأة متجـــه الواحـــد نحـــو الاخـــر، وكلاهمـــا يصنعـــان عشـــرة وتكاملا واتحادا .. أن طريقة صنع حواء من لحم وعظـــم آدم يشـــير إلـــى أنـــها مـــن ذات طبيعـــة آدم عندمـــا بنـــى الـــرب الإلـــه الضلـــع التـــى أخذهـــا مـــن آدم وكـــوّن امـــرأة (تك ٢ : ٢٢) .. لقد أحضر الله بنفسه حواء إلى آدم حتى لا يكـــون هنـــاك شـــك فـــى أنـــه خلقها له وليست ككائن منفصل يعيش بعيدا عنه .. أنـــها خُلقـــت لتحيـــا معـــه فـــى وحـــدة تامة . إن الإصحاح الثانى من سفر التكويـــن يشـــرح أن الوحـــدة ليســـت وحـــدة جســـدية

وإنما وحدة شخصين خلقا من أجل بعضهما، ففـــى اتحادهمـــا يســتطيعان أن يتخليـــا عـــن العزلـــة ..

وهكذا ظهرت فكـــرة الـــزواج فـــى مظـــهرها الروحـــى والجســـدى .. الكـــائن البشرى يهرب من العزلة إلى الشركة .. والحب فقـــط يســتطيع أن يجعـــل كـــائنين كائنـــا واحدا على حد قول ذهبى الفـــم .

الجنس من الأسباب الرئيسية للعزلة الإنســـانية .. الجنـــس يحـــدث انقســـاما عميقـــا فى الأنا التى هى بطبيعتها ثنائية الجنس، فهى أمـــا ذكـــر أو أنثـــى ..

وهكذا نرى أن محاولة الإنسان فـــى التغلـــب علـــى العزلـــة عـــن طريـــق الاتحـــاد الروحى هى أساس محاولة للتغلب على العزلـــة التـــى يســـببها الجنس لتحقيـــق الاتحـــاد بالتكامل الجنسى .. أن وجود الجنـــس يقتضـــى الانفصـــال والحاجـــة والشـــوق والرغبـــة فى أن يجد المرء نفسه فى الآخر، بيد أن الاتحاد الجسدى للجنســـين ليـــس فـــى حـــد ذاتـــه كافيا للقضاء على العزلة بل أنه على العكـــس مـــن ذلـــك قـــد يزيـــد مـــن شـــدة شـــعور الإنسان بعزلته ويساعد على اندفاع الأنا فـــى العـــالم الموضوعـــى ..

الحب هو أمل الإنسان فى الانتصار على العزلـــة .. أنـــه الاتصـــال الروحـــى مـــع شخصية أخرى .. ان الحب الصـــادق بصفتـــه أعلـــى ذروة فـــى الحيـــاة يظـــل الوســـيلة الفعالة الوحيدة للعلو على العزلة كما قـــال الفيلســـوف بردائيـــف.

ومعنى هذا أن فـــى الإنســـان تجربـــة أليمـــة هـــى تجربـــة الانفصـــال .. انفصـــال الإنسان عن ذاته العميقة .. فيه نقص كيانى يسعى دائما إلـــى ملئـــه بوثبـــة نحـــو الآخـــر، أن حاول أن يسد هذه النقـــص .

وأن حاول أن يتخلص من هذه العزلة بالاتحاد الجســـدى مـــع الآخـــر فحســـب فـــأن هذا الاتحاد من طبيعته أن يزيـــد عزلتـــه مـــرارا كمـــا ذكرنـــا انفـــا فـــى الكـــلام عـــن الزنا كانحراف مـــن انحرافـــات الحـــب .. ان الحـــب وحـــده هـــو الـــذى يقضـــى علـــى العزلـــة ..

الحب الحقيقى يعرفـــه المــتزوجون مــن أجــل المســيح كمــا يعرفــه البتوليــون المكرسون من أجل الحمل الذبيـــح ..

أن كان الزواج فى المسيح ومن أجل المســيح فــهو حــل لمشـكلة العزلــة والأنــا وإلا فهو تعميق لـــها.

[illegible]

يترنم داود النبى مرتــل اســرائيل الحلــو مطوبــا النســل المبــارك فــى مزمــوره قائلا : " تصير مغبوطا ويكون لك الخير ، امرأتـــك تصــير مثــل كرمــة مخصبــة فــى جوانب بيتك، بنوك مثل غروس الزيتون الجدد حــول مــائدتك ، هكــذا يبــارك الإنســان المتقى الرب" ويقول أيضا : " البنون ميراث من الرب أجــرة ثمــرة البطــن " ..

أن هدف إنجاب النسل مقرر مـــن الـــرب .. " اثمــروا واكــثروا " وفــى صلــوات الإكليل تقول الكنيسة " فعلى هذا الرسم وهذه السنة هكـــذا اتخــذ ســائر الأبــاء المؤمنيــن امرأة واحدة بطهر ونقاوة لطلب الذرية وإيجاد الخلـــف فيجــب أن يعــرف بعضكمــا حــق بعض ويخضع كل منكما لصاحبــــه ".

والقديس أوغسطينوس يؤكــد أن النســل مــن أهــم أهــداف الــزواج فيقــول. " إذاً فالاتحاد بين الذكر والأنثى لغرض إنجاب النسل هـــو الخــير الطبيعــى للـــزواج ، ولكــن من يستخدم هذا الخير بطريقة بهيمية فأنه يســئ اســتخدامه لأن قصــده يصبــح إرضــاء شهوته بدلا من إنجاب النسل !! ويستطرد فـــى قولـــه بـــأن الحيوانـــات الدنيـــا التـــى لـــم توهب العقل حريصة على أن يكـــون الاتصــال الجنســى فــى مواعيــد معينــة بطريقــة طبيعية لإنجاب النســـل (٧) .

والحب الحقيقى لا معنى لـــه بـــدون العائلـــة والطفـــل . أن الطفـــل يكمـــل الـــزواج ومع الزواج ربما لا يُعرف على أســـاس الطفـــل ولكـــن لا يمكـــن التفكـــير فـــى الـــزواج مجردا عن الطفل .. ان الزوج والزوجة يرغبان بشدة فـــى التلاقـــى فـــى أطفالـــهما" .

٧ – أغسطين : المقال السابق فصل ٥ ص٢٦٥ .

الأمومة تجربة حية خصبة تلازم المرأة طفلة ومراهقة وأما وجدة .. وفى العهد القديم نجد أن النسل الكثير بركة من الله . فقد دعا يعقوب لابنه يوسف ببركات الثديين والرحم (تك ٤٩ : ٢٥) ، كما طلب أرميا من العبرانيين أن يأخذوا لبنيهم نساء ويعطوا لبناتهم رجالا فيلدن بنين وبنات ويكثرون هناك ولا يقلوا (أرميا ٢٩ : ٦) وتمجد المزامير العائلات الكبيرة كبركة خاصة من الله (مز ١٢٧، ١٢٨) ويطلب هوشع النبى إلى الله أن يعاقب أعداء إسرائيل بإعطائهم رحما عقيما وثديين يابسين (هو ٩ : ١٤).

ولم يركز العهد الجديد على التكاثر والنسل الجسدى، وإنما اهتم اهتماما كبيرا بالميلاد الروحى، الميلاد الذى من فوق. التجديد الذى بالنعمة .. بالماء والروح .. فبولس يتكلم كثيرا عن أولاده الذين يتمخض بهم حتى يتصور المسيح فيهم (غلا ٤ : ١٩) وعن الذين ولدهم فى قيوده (فل ١ : ١٠) ، والرب نفسه كرّم الولادة الروحية عن الأنساب الجسدية عندما صرخت المرأة بفرح قائلة " طوبى للبطن الذى حملك، والثديين اللذين رضعتهما" (لو ١١ : ٢٧) فكانت إجابة الرب " "بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه" . والرسول عندما يتكلم عن ولادة الأم للبنين يقول : " ستخلص بولادة الأولاد أن ثبتن فى الإيمان والمحبة والقداسة مع التعقل " (اتى ٢ : ١٥) (ويقصد الرسول بخلاص الأم هنا تحررها من العار الذى لحقها كابنة لحواء) .

والقديس أوغسطين يقول " ليكن من بركات الزواج النسل المولود بل المولود ثانية لأنه يولد جسديا للعقاب والدينونة أن لم يولد ثانية للحياة الأبدية " [٨] .

وهكذا أصبح مركز الاهتمام فى العهد الجديد خلق الإنسان الجديد المسيحى المؤمن المولود مّن فوق، فإذا كانت الأسرة المسيحية كنيسة فيلزم لهذه الكنيسة

٨ - أغسطين : المقال السابق ص٢٧٢ .

الصغيرة أن تضم إليها بنين مؤمنين كما تضم الكنيسة الجامعة نفوس الذين يخلصون ..

وهذه الأبوة الروحية يمكن تحقيقها فى الأسرة التى تعجز لظروف قاهرة عن تحقيق النسل الجسدى. أن عدم وجود أطفال لا يهدد كيان الأسرة المسيحية ولا يكون مدعاة لتفككها .. هل من الحكمة أن نقتلع الأشجار التى لا تثمر أو أن نعد شكلها الجميل وظلها الوريف أمرا لا قيمة له .. فالظل قد يكون رمزا للأمان، وحاجة الإنسان إلى الأمان والطمأنينة لا تقل عن حاجته إلى الطعام والشراب . أن الأسرة التى لا تتجب نسلا يكفيها أن تبقى شاهدة للمسيح فى ترابطها وحبها وصبرها وانفتاحها للآخرين .

نخلص من هذا أن النسل هدف من أهداف الزواج المسيحى على شريطة أن يكون الوالدان حريصين على أن تكون عملية التربية فى مخافة الرب وحبه كى يولد الأبناء من فوق ويثبتون فى الإيمان والمحبة والقداسة .

إذا كان أهل العالم يظنون فى التناسل البقاء والخلود، فأن المسيحى يهزم عنصر الموت الذى فى الجنسية لا بإيجاد نسل أرضى وإنما بقوة القيامة العاملة فى حياته .. انه إما أن يكون خصياً من أجل ملكوت الله أو أن يصير مرتبطا بزوجة ولكن فى المسيح يسوع مضيئاً مضجع الزوجية بأنوار القيامة المجيدة وهنا يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم كما طلب الرسول (١كو ١ : ٢٨ - ٣١).

الزواج والملكوت

غاية الزواج قبل المسيح أن يأتى المسيح لخلاص البشر وغاية الزواج بعد المسيح توحيد البشر فى المسيح واعادة خلق البشر فى المسيح عن طرق إعطاء أبناء للكنيسة [٩] . الأسرة المسيحية هى علامة الملكوت وشاهدة له . ان المحبة القائمة بين الأزواج والزوجات، وبين الآباء والبنين، سوف تدوم فى الأبدية وتدخل

٩ - نشرة دير الحرف عدد ٤ ص٤.

فى الخلود .. أن المحبة القائمة بين أبناء الأسـرة تمثـل الصـورة التـى أرادهـا الله فـى النموذج الرائع الذى عقده فى الجنـــة .

[illegible]

وفيه يتعهد الزوجان بـأن يعيشـا معـا دون أن يفصلـهما المـوت .. فـى علاقـة حب متبادل واضعين نصب أعينهما تقديس أشخاصهما وأطفالـهما بواسـطة هـذا التعـهد وفىَ إطار دائرة جريان الحب المتبادل فأن طبيعتـهما السـاقطة ترفـع وتتجـدد ويعلنـان قوة الملكوت الذى يرسم مقدما فـى شـركتهما الزوجيـة إذ تكـون العائلـة هـى علامـة للملكوت وشاهِدة لــه .

أن وظيفة الزواج هو النمو المستمر فـى جعـل العلاقـة الزوجيـة أكـثر باطنيـة باستمرار وكما يقول ذهبى الفم أولئك الذين يتحـدون معـا حتمـا يصـيرون فـى الدهـر إلى الأبد فى المسيح ومع بعضهم البعض فى فـرح أبـدى .

سوف يختفى فى الأبدية الجنس ودور الفعل الجنسـى لأنـه علامـة خارجيـة أمـا الحياة الداخلية فلن تختفـى.

الحب الذى كان بينهما تذوقا مسبقا للملكـوت وعربونـا فقـط لـه أن يتلاشـى بـل يدوم إلى الأبد لن يكون هناك رجل وامرأة فى لقـاء الرجـل بـالمرأة.

إن المحبة التى تملك قلوب أعضاء الأسرة تعطـى المَعنـى وتشـرح الـهدف الـذى من أجله رسم الله الزواج والاتصال بين الرجـل والمـرأة.

حقا سوف يختفى فى الملكوت كل مـا يتفـق وقوانيـن الزمـان، ولا يبقـى إلا مـا يتناغم والخلود، فلا يوجد هناك تزاوج وتناسل لأن الـهدف يكـون قـد تحقـق والكنيسـة استكملت أعضاءها ورفعت فـوق الزمـان ..

فى الرسالة الثانية المنسوبة لاكليمندس الرومانى قول جميـل عندمـا سـأل أحدهـم الرب متى يأتى ملكـوت الله قـال لـه عندمـا يصـير الاثنـان واحـدا وعندمـا يصـير الخارجى داخليا وعندما لا يكـون رجـل وامـرأة فـى لقـاء الرجـل بـالمرأة. ويشـرح

المؤلف الأخير بأن الأخ عندما يرى أخته لا يفكر فى الجنـــس الأنثـــوى كمـــا هـــو، وهـــى أيضا بدورها لا تفكر فيه كذكـــــر [١٠] .

فى ملكوت الله لا يزوجـــون ولا يـــتزوجون ولكنـــهم كملائكـــة الله يحيـــون، ولكـــن هذا الملكوت أعطى لنا أن نسرع فى تحقيقه ومجيئـــــه .. عندمـــا يـــدرك الرجـــل والمـــرأة علاقة زواجهما بالحياة الأبدية يسعيان بهمة لخـــلاص أنفســـهما وخـــلاص نســـلهما، أنـــهما يعملان بالفعل علـــى امتـــداد ملكـــوت الله ويســـرعان بتحقيـــق وعـــد الله بمجيئـــه الثـــانى المخوف المملوء مجدا .. لأن الملكوت مفتوح الرجـــال والنســـاء عندمـــا يصـــير اتحـــادهم كاملا وحبهم نقيا صادقا روحانيـــــا.

[illegible]

الزواج طريق قداسة .. هو لذلـــــك طريـــق وعـــر ولابـــد للـــزواج المســـيحى مـــن الحياة الداخلية .. لذلك يلزم الشاب والشابة تحقيقـــــا لحياتـــهما المســـيحية فـــى الـــزواج أن يضعا نصب أعينهما واقع اتحادهما الروحى حتى يستعدا لـــــه قبـــل الـــزواج ويقدمـــا عليـــه اقدام مسيحيين .. على الخطيبين أن يفهما أن الكمال المســـــيحى كلـــه ومـــا يصحبـــة مـــن التكاليف والحب يجب أن يحققاه يدا بيـــد ولابـــد لذلـــك مـــن أن كـــون كلاهمـــا مســـيحيين حقيقيين .. فأن يكن أحدهما خاليـــا مـــن الاشـــتياق المســـيحى لا تتحقـــق قداســـة الـــزواج الخاصة وأصبح الزواج تجربة ومحنة لمن يريد أن يتبـــــع المســـيح .. أمـــا كونـــه تجربـــة فلأن الشريك العالمى يحاول أن يشد الآخر إلى طريقـــــه وطريـــق العـــالم أوســـع وأســـهل دائما .. وأما كونه محنة فلأن الشريك المسيحى لا يعـــدم أن يجـــد مصاعبـــه ســـبيلا إلـــى المقاومة وإلى إظهار تعلقه بالمســـــيح .

فى الفترة الطويلة التى ما بين المراهقة والـــــزواج يعمـــل المســـيحى العفيـــف نحـــو تربية العفة وأنمائها فى حياته استعدادا لاستقبال الحيـــــاة الزوجيـــة المباركـــة، أنـــه يحفـــظ نفسه من كل دنس من أجل الحـــــب ..

١٠ – الأب جورج خضر : السر العظيم ص٣٦ .

أنه يرفض الخضوع للنداءات الغريزية من أجل تكريم حب المستقبل الذى سيحياه حارا طاهرا نقيا ..

أنه يرفض الخبرات الجنسية السابقة للزواج لكى يحمل لزوجته شهادة عفة وأمانة وحب، أنه يرفض أن يقترب من خطيبته فى فترة الخطوبة لأنه ككرام ماهر أمين يريد أن يحتفظ بالبستان ناضرا مليئا بالورود الجميلة الرائحة التى أن امتدت إليها أيدي عابثة ذبلت وضاع جمالها .. ستظل العفة فى فترة الخطوبة على قدر مشاقها شهادة أمانة للزوجين وللمسيح رئيس الكهنة العظيم.

والعفة فى الفترة السابقة للزواج كما أوضحنا فى مفهوم العفة سابقا ليست سلبية بمعنى أنها ليست الامتناع عن الممارسة الجنسية والتلذذ الجسدى ولكنها حرص شديد على نقاوة القلب وطهارة الأعضاء الداخلية ..

أن هذه الإيجابية بقدر اتفاقها مع المفهوم المسيحى للعفة هى الوسيلة الوحيدة لحفظ شخصية العفيف من الانفصام والتفكك والأمراض النفسية أن هو حرص على العفة الشكلية فقط دون الحياة الباطنية أيضا .

لذلك نستطيع أن نفهم أن الاستعداد للزواج يبدأ من الطفولة المبكرة ويستند إلى التربية التى يتلقاها الطفل من والديه متأثرا بمختلف العوامل التى تؤثر فى تنشئته الاجتماعية والروحية والتى تكون فيه الاتجاهات والأنماط والأساليب التى سوف يستخدمها فيما بعد فى معاملاته مع الآخرين .. فإذا شب الطفل وفيا مخلصا محبا، فمن المرجح أن يظلَ هكذا فى المستقبل وتبقى طبيعة ثابتة فيه فلا يعود يشعر الزوج أو الزوجة أن الوفاء واجب أو عبء بل أمر طبيعى تستلزمه طبيعة الزواج وأمر سهل لأنه اعتاد علمه.

أن مشكلة الإخفاق فى الحياة الزوجية ترجع إلى قلة الاهتمام بالإعداد لهذه الحياة .. الإعداد الروحى الذى يؤهل الفتية أن يكونوا قديسين وبلا لوم أمام الله .. والإعداد النفسى والتربوى الذى يحرص على تخليصهم من العقد المكبوتة وأغتناء

نفوسهم بالإيجابية والتفاؤل وقبول الآخر .. والإعداد الإجتماعى الذى ينمى اتجاهات تحمــل المسئولية والتعاون وتقدير العمل المشترك.

هذه المسئولية ملقاة أساسا على البيت .. كما تتحمل الكنيسة والمدرســة والمؤسســات جانبا من هذه التبعة .

[illegible]

فى الدراسة العملية التى أجريت كانت أهم الإجابــات عــن كيفيــة اختيــار الزوجــة وشروطها هى كــالآتي:

١ - أن يكون عن طريــق أب الإعــتراف.

٢ - أن يكون الاختيار بعد صلاة قوية وطلــب مشــورة الله الواضحــة.

٣ - أن يكون الاختيار عن طريق الاختلاط العــائلي وتعــارف الأســرات.

٤ - أن يتم الاختيار عن طريق التعارف فــى العمــل والمهنــة.

٥ - أن تكون فى مستوى اجتماعي وتعليمى يتلائــم ومســتوى الــزوج.

٦ - أن يحرص الزوج على اختيار من تتفق معه فــى الميــول والاتجاهــات والــهوايات.

هذه تقريبا أهم آراء أكــثر مــن خمســمائة مجيــب مــن الجــامعيين والجماعيــات المنتظمين فى الجو الدينــى.

من الملاحــظ علــى هــذه الإجابــات أن هنــاك اهتمامــا كبــيرا بتدخــل الله فــى الاختيار، ولكن هناك أيضا مستويات وقواعــد يحــرص عليــها المجيبــون .. ويمكننــا أن نضع الأسس التى تتفق والعفة المسيحية فى اختيار الشــريك فيمــا يلــى :

١ - تدخل الله فى الاختيار مع وضــوح الــهدف.

٢ - الحرية الباطنية والخارجيــة .

٣ - الحــب .

[illegible]

إذا كان هدف المسيحى واضحا فى الــزواج .. أن يســعى إلــى امتــداد ملكــوت الله وتحقيقه فى الحياة الزوجيــة وانجــاب نســل مبــارك طــاهر .. ان كــان هــذا الــهدف

واضحا فأن تدخل الله في الاختيار يكون سهلا لأن المعطلات تكون في شبه المنعدمة .. تحدث دائما عند رجال الله المعجزة التي هي شبيهة بمعجزة الإيمان والتوبة والاختبارات القوية في الطريق الروحاني .. هذه المعجزة أن الشاب يكتشف خطيبته اكتشافا روحيا يملأ حياته بالسلام والراحة الداخلية والطمأنينة .. ويتقدم لأب اعترافه ومرشده الروحي ويخبره بذلك فيصلي الجميع من أجل الموضوع وإذ ينمو الحب الداخلي نحو هذه الفتاة، وينمو معه السلام والتعفف، يتقدم الشاب عن طريق أسرته في الغالب ليعرض ويكشف ما في قلبه من حب طاهر ورغبة مقدسة في الحياة المشتركة مع من اكتشفها .. وأن حدث قبول من الطرف الأخر وأثبتت أيام الخطوبة أن نفس هذا الاكتشاف حدث لهذا الطرف الآخر .. كان معنى هذا أن المعجزة تحققت وأصبح على الاثنين أن يتغلبا على كل صعوبة نقف أمام حبهما الطاهر .. لا يتشكك الشاب في حبه ويظنه شهوة طالما الهدف واضحا وطالما الحب ملتزما .. الالتزام الكلي والنهائي هو أن يعطي كل واحد نفسه للآخر دون تحفظ ويتعهد أحدهما الآخر بشكل أنه يوحد شخصه ومصيره مع شخص الآخر .

دور الرجل قيادي ولذا أعطى له أن يبدأ الاختيار .. أن كان أمينا في الهدف تسنده النعمة ويشير الروح له على المختارة كما حدث لاسحق ويعقوب في القديم .. فهو مسئول في فترة الخطوبة أن يعرض اتجاهاته وقيمة التي سيحيا عليها، وعندما ترحب الخطيبة فان معنى هذا أنه مسئول عن تنفيذ هذه القيم بالحب والمثابرة. والمرأة بطبيعتها مستعدة للطاعة متهيئة للتقبل خاصة أن كان المسئول أمينا محبا طاهرا متعففا.

صفوة القول أن الهدف والدافع النقي يسهل عملية تدخل الله وهذا يحدث في شكل اكتشاف معجزي لذيذ .. وان حدث القبول من الطرف الأخر في حرية ووافقت العائلات على ذلك كان معنى هذا إتمام المعجزة .. أما أن لم يوافق الوالدان رغم موافقة الفتاة يلزم الانتظار والصلاة حتى تكمل المعجزة لأن المعارضة الحادثة

من إنسان قد تكون صوتا من الله .. أنه يغلق ولا أحد يفتح .. لذلك يحرص الإنسان الروحى على أن يستمتع صوت الله فى وضوح وتأكيد، وهو يتأكده عندما يجد نفسه قد أخلى مشيئته الخاصة وبدأت أراده الله تفتح الأبواب وتحطم العقبات وتقدم التسهيلات كأن صوت الله يقول له : تقدم ولا تخف لأنى معك.

والظاهر أن القانون الأسمى الذى يتحكم عادة فى مصير البشر هو أن كلا منا لا يظفر فى الحياة إلا بما هو أهل له وأن الحدث الذى يقع لنا إنما يوجهنا فى الطريق الذى سبق لنا اختياره، فالنفس الطاهرة قلما تتعلق إلا بنفس أخرى أكثر منها طهارة وهذا تفسير للآية " يعطيك الرب حسب قلبك ".

[redacted]

الحرية هى أهم علامات الرجولة والنضج .. ونقصد بالحرية هنا التحرر الداخلى والخارجى ..

أما التحرر الداخلى فهو ما ذكرناه سابقا فى الفصل الثالث أن يكون الإنسان قد تخلص من مركزية الأنا وعقد النرجسية والأوديبية ورومانسية المراهقة، والتحرر الداخلى على الصعيد الروحى هو التقاء مع ابن الله كى يصير الإنسان حرا غير مستعبد لخطاياه صالبا الإنسان العتيق والأهواء والشهوات .. التحرر الداخلى على الصعيد النفسى هو النضج والنمو النفسى السليم ..

قد يبحث المحب لا عن قرين أو رفيق بل عن بديل للأب والأم وذلك فى حالة تعلق البنت بأبيها تعلقا جنسيا لا شعوريا أو تعلق الشاب بأمه (١١) .

الحب الشعرى ينمو فى الغفلة والأحلام وكثيرا ما يكون مآله الخيبة واليأس، أما الحب الذى يريد أن يكون رباطا وثيقا بين اثنين جسما وقلبا وروحا وأن يكون درعا قويا لوقاية الزوجين من أحداث الدهر فيجيب عليه أن يكون يقظا من حين إلى آخر وأن يقوم على دعامة الوجدان النقى والعقل المستنير .. أن الإلحاح الذى يبديه

١١ – يوسف مراد : سيكولوجية الجنس ص٨٢ .

أحد الزوجين فى أن يكون الآخر شبيها بــه كـل المشـابهة لا يرجـع إلـى قـوة الحـب وكماله بل إلى ضعفه ونقصه .. أن الشخص هنا لم يتحرر بعـد مـن عبوديتـه لنفسـه..

يلزم للخطيبين أن ينظر كل واحـد منـهما للآخـر علـى انـه يواجـه كائنـا حيـا وشخصا واقعيا بأخطائه ومواهبه، بحسناته وزلاتـه لا مخلوقـا خياليـا يتصـوره حسـب رغباته أو مخاوفـه ..

يلزم للخطيبين أن يكونا قد تحـرر من آثـار المـاضى والعوامـل اللاشـعورية كأن تصبح الغيرة مجرد تعلـق غرامـى مطلـق يثير باسـتمرار الخـوف مـن فقـدان المحبوب دون وجود أى أمر جديد يبرر هــذا الخـوف ..

الحب والحريـة يطرحـان الغـيرة والخـوف إلـى خـارج .. إذا كـان كـل مـن الشريكين يشعر بأنه يهب نفسه للآخر فى جـو مـن الحريـة والتقديـر المتبـادل فلاشـك أن هذا الشعور بالحرية أقوى عـامل من عوامـل إسـعاد الزوجيـن وتدعيـم أواصـر الحب والاتحـاد [١٢] .

ان هذا الحب الذى عاش فى مناخ من الحريـة هـو الوحيـد الـذى يقضـى علـى الملل والرتابة وحالات القلق والتذمر واضطـراب المـزاج التـى تـهدد الحيـاة المنزليـة فى كثير من الأسـر ..

أما الحرية الخارجية فنعى بـها ألا تكـون هنـاك ظـروف خارجيـة يعيـها الفـرد عند تحديد شريكة حياته .. كأن يكون ملزما بأن يتزوج مـن فتـاة يكـون لـها أخ يـتزوج أخته ويصنع بدلا كما تعمل بعض العـائلات .. لا مـانع مـن أن يحصـل هـذا الـترابط الوثيق ولكن على شـريطة إلا يكـون تضحيـة إجباريـة مـن الطرفيـن تنغـص علـى الجميع حياتهم .. أن رغب أخـو العـروس أن يـتزوج أخـت العريـس بعـد أن أحبـها وأستراح لعائلتها هذا حسن ، ولكن أن يكـون هنـاك شـرط يمنـع حريـة الإنسـان فـى

١٢ - المرجع السابق ص ١٠٢.

اختيار من يحبها هذا يهدد الأسرة منذ بداية نشأتها (١٣) ، وما نقوله على شرط تبادل الزواج نقوله على الالتزامات المادية التى إن دلت على فقدان شرط الحرية الخارجية فهى تدل على فقدان الحرية الداخلية أيضا ..

[redacted]

من أكثر الكلمات التى لوثها العالم لفظة الحب . يستخدمها ستار لأغراضه المشبوهة وشهواته الدنسة.

[redacted]

الحب الحقيقى هو أن نريد الآخر كشخص لا كشئ نمتلكه .. هو انفتاح وعطاء والتقاء مع الآخر فى حياة شركة قوامها الإخلاص والحرية. أنه أشبه ما يكون بالنور .. هو خروج من القوقعة الصغيرة "الأنا" .. إنه ليس الشفقة وليس التعاطف والمشاركة الوجدانية .. الحب يتجه أولا بالذات نحو القرار الباطنى العميق لذلك الآخر الذى نبغى النفاذ إليه ..

الحب شوق إلى الخلود .. هو الصورة السليمة للحياة بينما الشهوة هى الصورة المضطربة للحب على حد قول القديس أوغسطينوس .. الحب لا يعرف شروطا ولا يفرضها .. من طبيعة الحب الخالص أن يتجه نحو الذات يأسرها لكى يستوعبها بأكملها دون أن يسمح لأى تحفظ أو تعلل أو تهرب أو اعتذار يتسلل إلى موضوع حبه .. أنه لا يضع أية تحفظات ..

البعض يخلط بين الحب وبين الانفعال الحى والاندفاع الغريزى الذى يعمى ويصم ولكن من المؤكد أن الحب الحقيقى هو الذى يقف متزنا رصينا بين الوهم والخيال .

الحب تضحية وبذل .. أنه يقدم على أقسى التضحيات وأشق الأعمال فى سبيل من يحب .. أن حبا أمكن أن ينتهى لم يكن يوما حبا صادقا .. الحب الزوجى

١٣ – تشترط القوانين الكنيسة أن يكون كلا الخطيبين غير قاصر وفى طقس الخطوبة والزواج يسأل الكاهن كل شريك عن مدى حريته وموافقته فى الزواج.

رمز لحب المسيح للكنيسة فكما أحب المسيح الكنيسة وبذل ذاته لأجلها هكذا يحب الرجل زوجته [١٤].

الحب الحقيقى عند الراغبين فى الزواج شركة فى الروح واتحاد وألفة على صعيد العقل والقلب والمزاج ..

أنه ضرب من التوافق الخفى بين نوازع ومطالب الروح.

" إن المعيار الأوحد للحب هو أنه ليس له أى معيار .. قد يكون لكلمة الإفراط معنى بالنسبة إلى سائر الفضائل الأخرى فيما عدا الحب فأنه يمثل قمة، وحدا أمضى، وخيرا أسمى .. وهذا هو السر فى أن الفلاسفة جعلوا الحب قمة القيم كلها " [١٥] .

" قالت قطعة الجليد وقد مسها أول شعاع من أشعة الشمس فى مستهل الربيع " أنا أحب وأنا أذوب وليس فى الإمكان أن أحب وأوجد معا.

فإنه لابد من الاختيار بين أمرين ، وجود بدون حب وهذا هو الشتاء القارس الفظيع أو حب بدون وجود وذلك هو الموت فى مطلع الربيع " .

ليس من شك عندنا فى أن الله قد أراد منذ البداية أن يتحد وأن يحب أى أنه فى حاجة إلى الآخر وكل ما تفعله يقظة الغرائز الجنسية هو إنها تساعد على خلق الجو النفسى الملائم لمولد الحب ..

على ذلك فالدلالة الحيوية للحب لا يمكن أن تكون التناسل والإشباع الجنسى بل التحرر من العزلة والبذل المستمر ..

الحب علة لنفسه أى أننا لا نحب صفات الشخص بل نحن نحب الشخص نفسه .. أننى أحبه لأننى أنا من أنا ولأنه هو من هو .. ومعنى هذا أن الحب يتجه نحو الكينونة لا نحو الملكية ..

١٤ - أف ٥ : ٢٥.
١٥ - زكريا إبراهيم : مشكلة الحب .

كل من يحب شخصا لجماله أو ماله أو جاهــه أو مركـزه فأنـه لـم يعـرف بعـد معنى الحب لأن هذه كلها ليست سوى صفات .. هى ليســت الشــخص نفسـه، مـن هنـا يختلف الحب عن الاحـترام والإعجـاب .

الحب ليس الـهوى والغـرام الـذى يسـتخدمه البعـض لزيـادة إحساسـه بالحيـاة ورغبة فى تحقيق أمله فى السعادة .. أنه اتجاه غـيرى يتجـه نحـو الآخـر لكـى يعمـل على خدمته ويسهم فى تحقيق سعادته ويشترك معه فـى تثبيـت دعـائم ملكـوت الله علـى الأرض ..

الحب ليس هـو الشـهوة الجسـدية لأن الالتحـام الجسـدى ، ليـس هـو مصـدر الوحدة فأن جسمى المحب والمحبـوب يظـلان منفصليـن بعـد الاتصـال لكـى يواجـه أحدهما الآخر دون أن يمتلك أحدهما الآخـر .. وهكـذا يتحقـق المحبـان مـن أن الحـب الجسدى لم ينجح فى التوحيد بينـهما مـا دام كـل واحـد منـهما قـد وجـد نفسـه بعـد الاتصال الجنسى مرتدا إلى وحدته إن لم يحدث فـى أغلـب الأحيـان أن يبغـض أحدهمـا الآخر بسبب هذا الاتحاد الجسمى، أن ما يمزج بين الأبـدان فقـط إنمـا هـو بعينـه مـا يفصل بين النفوس والأجسـاد .

العشق هو إسقاط الأنا على المحبوب كـأن الشـخص عندمـا يعشـق يبحـث عـن نفسه فى صورة المحبـوب ..

والمحبوب عنده صور للذات لذا قيـل أن الحـب (العشـق) أعمـى .. أمـا الحـب الحقيقى فهو غير هذا تماما، انه انفتاح للآخر وقبولـه وتعـهد بتحمـل شـخصه بكـل مـا فيه .. أنه هبة تتجسد كل لحظة لأنها لا تقـوم علـى نـزوة متقلبـة أو رغبـة عـابرة أو غرض رخيص وإنما تقوم على وعـد أبـدى [١٦] .

الحب جاذبية من جهة، نداء من جهة أخرى، ضـرورة وتقييـد مـن جهـة، حريـة واختيار من جهة أخـرى ..

---

١٦ – يوسف مراد : سيكولوجية الجنس ص ١٠٣ .

آفة الجاذبية أنها تزول بعد الإشباع الذى لا يلبث طويلا حتى يترك وراءه فراغا ومرارة وقلقا ..

أما النداء الذى يستجيب له الحب والذى يدفع المستجيب إلى بذل نفسه وإنكار ذاته فلا يؤدى أبدا إلى هذا الإشباع .

وبالتالى إلى هذا الفراغ المرير بل يظل صوته مسموعا لأنه صوت الأمل ومن يهب نفسه تلبية لهذا النداء تعود إليه هبته ويجد نفسه أكثر ثراء واكتمالا ..

وعلى العكس من ذلك فلأن العشق أخذ واستيلاء .. لهذا فأن كلا الشريكين يفقران أحدهما الآخر إلى حد الإفلاس والفراق هو النتيجة الطبيعية .

أن سكنى الحب فى الجسد ونموه فيه هما عطية الكلمة الصائر جسدا، أنه يحول كل اقتناء إلى تحرير ويجعل سرعة زوال اللذة إلى ثبات الفرح .. ليس الأمر معنويا مثاليا بل هو خلق جديد [١٧] .

يقول القديس ذهبى الفم " لنفرض زوجة وزوجا ولتكن المراة متعففة بدون موافقة زوجها.

فإن ارتكب الزوج نتيجة لامتناع زوجته لذلك دعارة أو إذا أرهق وتشاجر بسبب سلوك زوجته فماذا يفيد الصوم وماذا تفيد العفة. أن الحب هنا يكون قد شدخ وليس هناك فائدة ما من الصوم " [١٨] .

حقا أن الحب والبذل وإرضاء الآخر من أجل المسيح هو حجر الزاوية فى الزواج المسيحى .

هل يلزم أن يكون هناك حب قبل الزواج ؟

سبق أن ذكرنا أن إحدى الأسس التى تميز الحب عن الشهوة مبدأ الالتزام .. والالتزام لا يتحقق إلا فى الزواج لذلك نستطيع أن نقرر مبدأ هاما هو أنه لا حب إلا خلال الزواج، ولا زواج إلا خلال الحب .

---

١٧ - مرسيل مرقس : الجسد هيكل للروح القدس، مجلة النور سنة ١٩٥٧ عدد ٦ .

١٨ - القس تادرس يعقوب : الحب المقدس جـ١ ص ٢٦٧ .

إن الحب الزوجى ينشد خير المحبوب ويعمل مــــن أجــل تحقيــق خلاصــه فــالحب الزوجى فى الحقيقة اعتراف بالآخر وإقـــرار بتســاوى الأنــا والأنــت وتســليم بضــرورة قيام العلاقة على أساس من التبادل الشـــخصى الصحيـــح.

الحب ينمو ويكتمل فى الزواج ولكنه قبل الـــزواج .. يلــزم للــذى يختــار شــريكة حياته أن يكون على استعداد تام أن يحبها .. أن شــعر بميــل روحــى ونفســى وانجــذاب عاطفى نحوها وإلا فلينتظر، حقيقة أن كثيرين من أجدادنـــا لــم يكونــوا يــرون زوجاتــهم إلا على كرسى الإكليل فى الكنيســـة.

وكان حب الزوجيـــن لبعضــهما ينمــو ويــزداد، إلا أن عصرنــا هــذا لا تناســبه المفاجأة هذه، يلزم لكل من الطرفين أن يشعر بأتفـــاق واضـــح فـــى الميــول والاتجاهــات ويكون لدى كل منهما الاستعداد الكامل للبـــذل والعطـــاء والتضحيـــة ..

الحب الذى يعتمد على الجاذبية الجسمية فقط ليس حبا علـــى الإطــلاق أنــه شــهوة سريعة الـــزوال ..

الحب هو الذى يؤنـــس الجنســية وبدونــه تصــير الجنســية حيوانيــة كمــا ذكرنــا آنفا .. ومع أن الحب الإنسانى ليس له مكان فى الكتـــاب المقــدس ولكــن الكتــاب اســتعار لغة هذا الحب لكى يعبر بها عن أعظــم موضوعاتــه كالعلاقــة بيــن يــهوه وشــعبه فــى العهد القديم عندما يستخدم المفردات المألوفة عن التعـــاطف البشــرى عندمــا يتكلــم عــن حب الله لنــا ..

إذا كان الزواج سرا مقدسا فإن الحـــب البشـــرى هـــو مـــادة الســـر إن جــاز هــذا التعبير تماما كمادة الخبز والخمر فـــى الافخارســتيا .. عندمــا يســتدعى الكــاهن حلــول الروح القدس فأن الروح يعمل فى الحـــب الـــذى بيـــن الزوجييـــن ويقـــدس هـــذه العلاقـــة ويحيلها إلى تقدمة وبذل وعمل إلـــهى خـــالد ..

والذى يتقدم لهذا السر العظيـــم دون أن يكـــون لديـــه هـــذا الحـــب المقـــدس يكـــون مجرما تماما كالذى يتجاسر علـــى الأفخارســتيا دون اســتحقاق

أن حركة المحبة المعطية هى التـــى تفتـــدى الشـــهوة وتخضعـــها لنعمـــة الله الفائقـــة الغنى .

وكل حب يمارس خـــــارج الـــزواج يحمـــل جرثومـــة تحطيـــم نفســـه وفنائـــه .. إذ يكون فاقد القدرة على إيجاد الشـــــركة ..

والكنيسة تصلى من أجل تقديس الحـــب بيـــن العريـــس والعـــروس قائلـــة " استـــر عبديك واحرس اتصالهما واحفظ مضجعهما نقيـــا، حصنـــهما بملائكتـــك الأطـــهار، لتكـــن لهما أكاليل مجد وكرامة .. أكاليل تـــهليل وبهجـــة .. أكـــاليل فضيلـــة وعـــدل .. أكـــاليل عزاء وثبات .. أنقذهما من كل فكر قبيح وشـــهوة رديئـــة ..

عبيدك هؤلاء الذين ألفهم معا الروح القـــدس مثـــل قيثـــارة يســـبحون الله كـــل حيـــن بمزامير وتسابيح وتماجيد روحية النهار والليـــل بقلـــب لا يســـكت" .

والحب ينمو فى الزواج وليس للزمان سلطان عليه بـــل علـــى العكـــس إنـــه يســـتغل الزمان للنمو والارتقاء .. يزيده عمقـــا إنجـــاب الأطفـــال، ويمـــلأه بهجـــة نمـــو الأســـرة، ليس فى العدد فحسب بل فى الـــروح أيضـــا.

عندئذ يصبح الاباء مشابهين للاب الســـماوى فـــى الخلـــق والتدبـــير بفضلـــه تتلـــون الحياة الزوجية بلون مجيد، ويشـــيع فـــى الجـــو العـــائلى روح الأمـــل والتفـــاؤل وتصبـــح الأعباء اليومية أيسر وأخف وطأة وعلى الرغم من بـــرودة الأيـــام وتعـــاقب الســـنين يظـــل الحب الزوجى صامدا قويا ناميا مبعث الطمأنينـــــة والـــهناء ..

[illegible] العفاف وحدود العلاقة قبل الزواج

ذكرنا أن الحب يبدأ قبل الزواج مباشـــرة وينمـــو فـــى الـــزواج .. وهنـــاك البعـــض يستند إلى هذا المبدأ ويطالب بأن يكون علاقـــة مـــا مـــع فتـــاة مدعيـــا أنـــه يســـعى إلـــى اكتشافها طالبا أن يطمئن أنها تحبه وأنه يحبـــها حقـــا ..

وقد جاءت إجابات الاستفتاء عن حدود العلاقة بيـــن الشـــاب والفتـــاة قبـــل الـــزواج منحصرة فيما يلـــى :

١ - أن تكون الصداقة فى حدود العمل والوظيفـــة فقـط .

٢ - أن تكون على أسس دينية وفى نطاق خدمـــة المســـيح .

٣ - إلا تكون فى سنوات المراهقـــة .

٤ - أن يقصد منها الزواج وتكون مبنية على العفة والطهارة .

٥ - ان تكون تحت أشراف الأســرتين وبعلمــهما .

وهذه الإجابات كلها طيبة ولكن يلــزم أيضـا للشـاب أن يسـتمع لصـوت الله فـى قلبه حتى لا يخطو أية خطوة توبخ فى النور أو يتكلــم أيـة كلمـة تكـون معـثرة لـه أو لها .

الشاب المسيحى يعرف أن الله عن يمينـــه فكيـف يختلـى بـها أو يتحـدث معـهما بكلام عاطفى يستحى أن يقوله أمـــام الآخريـن؟!

الشاب المسيحى لا يتعجل ولا يطلب أن يستولى هو علـــى قلـب الفتـاة، أنـه يريـد أن يستلمها من يد الله وليس من يد إنســان، أن المحبـة تلـزم الشـاب إلا يـؤذى عفـاف الفتاة وحشمتها ووقارها ولا شك أن أمانة كل واحـد وطهارتـه دلالـة علـى نقـاوة حبـه المسيحى.

الشاب المسيحى لا يحزن إذا وجد أن الفتاة التـــى فكـر فيـها يومـا، قـد تزوجـت بغيره فهو كمحب يفرح لراحة الآخر وكمؤمن يثق أنها ليسـت مختـارة لـه شـخصيا .

والشاب المسيحى لا ينشغل بالمعرفـة الجنسـية كمعلومـات لأنـه يعـرف أن هـذا منزلق وعر، حقا أنه لا غبار على المعرفة فى أى مجـــال علمـى إلا أنـه فيمـا يختـص بالجنس فأن الأمر هنا متداخل مع مشاعر الإنســـان وعواطفـه العميقـة، ومـا أسـهل أن يستغل إبليس الميل للمعرفة الجنسية فيقود الإنسان مـــن معرفـة عموميـات الجنـس إلـى التفاصيل الدقيقة ويخرج الأمر مـن نطـاق العلـم إلـى التلـذذ والتشـهى وتفتيـح ذهـن الإنسان إلى أمور لم يحـــن .

أوانها فيفسد قلب الإنسان وتزلـــزل حـــدوده وتـــبرد عواطفـــه الروحيـــة ويتنجـس ذهنه بالصور والخيـــالات ..

العلاقات الحسية والعاطفية فـــى الـــزواج أمـــور تلقائيـــة لا تحتـــاج إلـــى تلقيـــن أو دراسات ولا يليق أن يضطرب بسببها ذهـــن الشـــاب أو الفتـــاة ..

الشاب المسيحى لا ينشغل بـــأمر الـــزواج إلا إذا شـــعر بيـــد الله تقـــوده إلـــى هـــذه الشركة المقدسة، أنه لا يفتش ويبحث ويصادق الفتيات إلـــى هـــذه الشـــركة المقدســـة، أنـــه عليه يلتقى بشريكة حياته بينما ظروفه الروحيـــة والنفســـية والاجتماعيـــة لـــم تؤهلـــه بعـــد لهذه الخطوة، أن رغبة الزواج هنا شهوة يســـتغلها عـــدو الخـــير لتجربـــة المؤمـــن حيـــث لا يقدر على تجربته بالخطيئة المباشرة بل نقول أكـــثر .. أنـــه يليـــق بالشـــاب والشـــابة أن يجعلا البتولية منهجهما ولا ينشغلا بآخر فى صـــــدر الشـــباب حتـــى يـــأذن الله باســـتمرار البتولية والتكريس أو الزيجة المقدســـــة .

على المؤمن إلا يضطرب خوفـــا مـــن أن تفلـــت منـــه الأيـــام ولا يجـــد الشـــريكة المؤمنة طالما أنه قد سلم الأمر للرب وهـــو واثـــق مـــن أنـــه ســـيختار لـــه فـــى الوقـــت المناسب الشريكة المناسبة تمامـــا .

لا يليق به أن ينتقى ويختار أعتمادا على العينيـــن بـــل يـــترك الأمـــر للـــرب الـــذى ينظر إلى القلب، وأن حدث هناك اختيار مـــا فليضعـــه قـــدام الـــرب دون شـــروط، وفـــى صمت عليه أن يقبل مشورة الله أن بالموافقـــة أو الرفـــض .

[illegible]

إذا كنا قد قررنا أن الجنسية عنـــد الإنســـان مرتجلـــة بـــالحب وأن الجنســـية أيضـــا عنده وسيلة وليست غاية وأن الزواج يلزمه اســـتعداد .. بالعفـــة والحـــب .. لأنـــه بالعفـــة يحفظ نفسه طاهرا، وبالحب يؤهلها لحيـــاة الشـــركة.

وإذا كنا قد شرحنا آراء الأباء فـــى العلاقـــة بيـــن الجنســـية والنســـل فـــى الـــزواج وألقينا ضوءا على هدف الزواج الحقيقى وعلاقتـــه بـــالملكوت والمجـــئ الثـــانى .. وبينّـــا

أهمية دور العفة فى اختيار الشريك سواء فى وضوح الهدف أو فى الحرية أو فى تمييز الحب عن الشهوة الخادعة .. فإن هذه كلها إن تحققت يسهل تحقيق العفة فى الزواج لأنها تكون امتداد لحياة سابقة واستمرار لفضيلة محببة .

ليس معنى العفة فى الزواج أن الرجل يمنع جسده عن زوجته أو أن الزوجة تمنع جسدها عن رجلها فالكتاب يوصى بعكس هذا تماما (١كو٧) ولكن الأمر المقطوع به أن العلاقة الجسدية ليست خطية كما ذكرنا، ولكن أن تكون هدفا فى حد ذاتها أمر يحطم الحب ويعرض الوحدة للانحلال ويعمق العزلة فى حياة الطرفين .

المتزوج المسيحى يجتمع لأنه يجد فى هذا الاتصال تعبيرا عن حب داخلى أكثر عمقا وأصالة ..

[illegible]

هو حب لا يتمركز حول الذات بل يستند إلى التضحية بالذات ويرتكز على العطاء ويقوم على التعقل والاستقرار والوفاء المتبادل وهو حب غير مسبب محدد ببواعث ولكنه يبرر وجود نفسه فهو لا يقوم على دوافع وبواعث ومثيرات خارجية ولكنه يستمد كيانه وجوهره من سر الحب الداخلى فهو حب مبدع خلاق ..

وهو حب يقدس الغريزة الجنسية ويفتديها، فالعلاقة الجسدية بين الزوجين لا تكون كريهة أمام الله بسبب الحب الروحى الذى يملأ قلب الزوجين ويوحدهما فى شركة واتحاد روحى عجيب.

وهو حب رزين غير متهور أو مندفع أو طائش ولكنه يعى التزامات الحياة الزوجية ومسئولياتها ويقدر كل متاعبها وعنده إمكانية احتمال المعاناة مهما كانت ثقيلة ..

وهو حب واقعى وليس خيالى كما فى أحلام المراهقين وهو حب ملتزم بالشخص وليس نوعا من التلهى وراء اللذة الحسية .. وهو حب قوى لأنه يستمد كيانه من الحب الالهى .. وهو حب معين المعرفة الشاملة العميقة وآية هذا الحب

أنها تمحو كل تباعد المسافة بين الاثنين ليكون وحده نموذجا مباركا ومثالا حيا في العالم ..

وهو حب مثمر فياض لا ينحبس فى صفات الزوجين كما لا ينحبس النور فى أصابع الأيدى ..

فى أطار العلاقة الجسدية يحدث التفانى فى إنكار الذات، فالزوج يراعى زوجته على حساب نفسه وهى تراعيه على حساب نفسها وكل يتفانى فى إنكار نفسه وتحقيق رغبة الآخر وإراحته، " ليعرف الرجل المرأة حقها الواجب وكذلك المرأة أيضا الرجل ..

ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل وكذلك الرجل أيضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة. إذا امتنعت المرأة فى ورع بغير إرادة الرجل قد تسقطه فى الزنا فما هى فائدة الصوم والامتناع. أنهما بلا فائدة ولا ربح إذا انتزعت المحبة على حد قول ذهبى الفم .

فالعفة فى الزواج تقوم على المحافظة على المعنى الأصيل للحياة الجنسية، إنها إخضاع الحياة الجنسية للحب الذى يجعل كلا من الزوجين يشعر أن رأى الآخر وراحته وسعادته ثمينة وهامة كحياته تماما .

هذه العفة هى أن يكون العمل الجنسى معبر عن الاهتمام الكلى بالآخر .
والعفة فى الزواج تقتضى من كلا الزوجين أن يواصل تحفظه الشديد من الشهوة الردية وعفته فى السلوك الجنسى .

أنه ينظر إلى علاقته الجنسية بشريكه نظره قدسية ويرى لها حرمه تمنعه من التحدث عنها أو إشاعتها .

أنه يأبى أن يشترك فى الثرثرة الجنسية المبتذلة التى تشيع بين الكثيرين من المنحلين أو بين بعض المتزوجين الذين يرون فى الزواج تحررا من كل قيد فرضوه على أنفسهم قبل الزيجة من جهة الفكر أو الكلام .

أنه يقدس السر الذى ربطه بشريكه ويظـــل متحفظـا فـــى فكـره ونظـره وكلمتـه مبتعدا على كل أمر كان يراه قبل زواجه جارحـــا لعفتــة كـالأفلام الخارجـة والقصــص والقراءات الخليعة أو ما شـــابهها .

إن الزواج لا يغير مفهوم الخطية. وإنما يحفـــظ الإنســان منــها والمنظــر أو اللفـظ أو الفكر النجس ينفر منه الشاب الطـــاهر الـــذى لـم يـتزوج بعـد كمــا يأبـاه المـتزوج العفيف لأن القداسة هى حياة المسيحى مع الله متزوجـــا كـان أو بتـولا.

والزوجـــان المســيحيان يلزمــهما أن يختـبرا لمســات مــن حيـاة البتوليـــة .. إن زواجهما مرتبط بالملكوت، يتعجلونه بتقديــس أنفســهما وأنفـس أولادهمــا أيضــا . لــذا نص قانون الكنيسة على أن يهجر الزوجان بإرادتــهما واتفاقــهما مضجـع الزوجيـة أيـام الأصوام والأيام التى يستعدان فيها للاقــتراب مــن جسـد المسـيح ودمــه والأيـام التـى يتناولان فيها من هذا السر العظيـــم .

فى جو الخلوة المقدسة وفـــى هــذا الانعـزال الطــاهر يسـتطيع كـل واحـد مـن الطرفين أن يكشف نفسه أمام الله ويمتحن ذاته لئلا يكون قـــد انزلـق وســكر مــن خمــار هذا العــــالم.

إن فترات البتولية هذه تحفظ حب الزوجين مـــن أن تتســلل عبوديــة الشــهوة إليــه فتقتله، وهى أيضا وقوف على ربوة عالية ليتـــأكد كــل فــرد مــن ســلامة مسيره فــى الطريق الروحانى، ويطمئن على خلاص نفسه ونفس شــريكه فــى الحيـاة الزوجيــة.

نعم أن الحب والعفة همـــا أســاس الحيـاة الزوجيــة المســيحية، والقديــس يوحنــا ذهبى الفم يساوى الرهبان بــالمتزوجين فــى الــتزام الســير بــالطريق الضيــق والجــهاد الروحى وصلب الذات والجسد عندما يقول " حينمـــا يــأمر الســيد المسـيح بالسير فــى الطريق الضيق فهو لا يوجه الحديث إلى الرهبـــان فقــط بــل أنـــه يوجهــه إلـــى جميــع الناس، وعلى هذا المقياس يأمر العالم كله بأن يبغــض حياتــه علـــى هــذه الأرض، ومـــن هنا يتحتم على المتزوج كما على الراهب أن يصل إلـــى نفــس الــذرى (القمــم)". ويقــول

أيضا " تخطئون تماما لو إنكم ظننتم أن هنـــاك أمــورا مطلوبــة مــن المــتزوج وأخــرى من الراهب .. الحالة الزوجية كالرهبنة كلاهما شكلان للعفة التـــى تطبــق فــى كــل مــن الحالتين تبعا للمعيشة المختـــارة".

كما يـــرى بعــض الآبـــاء أن العــهود الرهبانيـــة وهـــى العفـــة والطاعـــة والفقــر الاختياري يلزم تطبيقها على الحياة الزوجيـــة المســيحية.

فالعفة تحتم التفانى والإخـــلاص غــير المنقســم لله ولنعمتــه ولا يصبــح الشـــخص زوجا أو زوجة إلا على أســـاس الحـــب الزوجـــى الموجــه لله مباشـــرة. وعـــهد الطاعـــة يطبق عندما يتعهد الزوجان إلا ينقـــادا إلا بـــروح الله ولا يســـيرا إلا وفقـــا لإنجيــل ربنــا يسوع المسيح. وعهد الفقر والتجـــرد يتحقـــق عندمـــا لا يرتكنـــا إلا علـــى الله ولا يتكـــلا على يقينية الغنى بل علـــى الله ..

وقد اعتبر التقليد القديم فترة الخطوبـــة كفــترة الاختيـــار الســـابقة علـــى الرهبنــة، كما يفضل بعض المتزوجين بعد إتمام الشـــعائر الدينيـــة مباشـــرة أخـــذ خلـــوة فـــى ديــر فترة معينة تستهدف الاستعداد النفسى للقدسية الزوجية، فـــالجو الرهبـــانى بمـــا فيـــه مــن عمق روحى يكسو الزواج بفـــرح صـــاف.

وكما جرب الشيطان الرب يسوع فى تجـــارب الجســد والتمــرد وتعظــم المعيشـــة، فإن كل أسرة مسيحية معرضة لهذه التجـــارب الثـــلاث.

وهى مسئولة أن تحفظ فى حياتها الداخليـــة ســـر المســيح الغـــالب المنتصــر علـــى كل شهوة أو هوى. سواء كان هذا شهوة جسد أو شهوة عيـــون أو تعظـــم معيشـــة .

إن الأسرة تتميز بالضبط والعفـــة والوقـــار هـــذه التـــى لا يعرفـــها العـــالم اللاهـــى الحب للشهوة وللدنس والاستهتار والعبـــث بـــالقيم ..

[redacted]

[redacted]

الرب يسوع هو حجر الزاوية في العفة الزوجيـــة وهـــو ينبوعـــها الدفـــوق .. إليـــه يحتاج الزوجان كى يتطهر حبـــهما الجنســـى ..

وكل علاقاتهما ككل نشاط بشرى يحتاج إلى فداء المسيح وتطهير الروح القدس .. إنهما بسر الزيجة يأخذان التصريح المقدس باستخدام الأعضاء التناسلية لخلق أشخاص جديدة. لذلك نجد فى صلوات الكنيسة سواء فى الخطوبة أو عقد الأملاك أو الإكليل طلبات كثيرة كى يطهر الرب العريسين ويربطهما برباط العفة والقداسة .. ففى عقد الأملاك لحن يردده المرتلون عند وضع الحلل .. " الحلة الروحية التحف بها ميخائيل، والنطقة الجوهرية تمنطق بها ميخائيل، حلة العفاف أعطيت لهذا العريس، وإكليل البهجة وضع على رأسه كالذى قاله داود مجدا وكرامة جعلتهما تاجا عليه" ..

وفى صلاة الإكليل طلبات كثيرة إلى الرب يسوع أن يربط العريسين برباط القداسة " لكى يكونا بكل تقوى وعفاف متصلين بجسدهما وروحهما ويستحقا البركة التى من قبلك".

" ثبت اتصالهما، أحرس مضجعهما نقيا، استرهما مع بيتهما بيمينك الغير مغلوبة، نجهما من كل حسد ومن كل مكيدة، أحفظهما بامتزاج واحد وسلامة، هب لهما فرحا وسرورا ليظهرا لك يا الله الحى ثمرة الحياة من البطن" ..

وفى صلاة مسح العريسين بالزيت المقدس وهنا مسحة العروسين إشارة إلى مسحة الميرون الذى هو انسكاب موهبة الروح القدس تقول الكنيسة " ليكن زيتا لتقديس عبديك آمين، سلاح البر والعدل آمين، مسحة الطهارة وعدم الفساد آمين، نورا وجمالا لا يذبل آمين، فرحا وزينة وعزاء حقيقيا آمين، قوة وصلاحا وغلبة قبالة كل أفعال الضاد آمين، تجديدا وخلاصا لنفسهما وجسدهما وروحهما آمين، غنى وإعطاء ثمرة الأفعال الحسنة آمين .. ".

وهكذا نستطيع أن نلمح قصد الكنيسة من هذه المسحة وهو إعادة مجد وجلال هذا السر الذى كان له عند نشأته فى الجنة .. إنها تريد أن يكون العروسان ملوكا

وكهنة وأنبياء وهذا المجد الذى اضفاه السيد الرب فى عرس قانا الجليل وبالتالى على كل عرس مسيحى يرجع للحب الزوجى وسر الزيجة الصفة الأصيلة ذاتها ..

" لتكن لهما أكاليل مجد وكرامة آمين، أكاليل بركة وخلاص آمين، أكاليل فرح ومسرة آمين، أكاليل تهليل وبهجة آمين، أكاليل فضيلة وعدل آمين، أكاليل حكمة وفهم قلب آمين، أكاليل عزاء وثبات آمين" ..

وهى تعنى من وضع الأكاليل أيضا إنهما إذا توجا سويا وأصبحا متحدين عليهما أن يحققا هذه الوحدة فى المعاناة الطويلة اليومية التى تستغرق زمان شركتهما معا حينما يظل ظل الإكليل (الصليب) عليهما ويمارسان حياة الاستشهاد اليومى .. ويلزمنا أن نشير إلى أهمية صلاة وطلبة حلول الروح القدس على العروسين كى يوحدهما فى المحبة ويصيران جسدا واحدا وروحا واحدا وقلبا واحدا ..

وهكذا يكون لعمل الروح القدس السرى فى الزيجة أثره الفعال فى الحب الذى يربط العروسين وأحد الآباء يشبه الحب الجنسى بين الزوجين كمادة السر مثلما القربان والخمر فى سر الإفخارستيا ..

فكما يحل الروح القدس فى القربان والخمر ويحولهما إلى جسد ودم عمانوئيل هكذا يحل الروح القدس فى الحب الزوجى الذى يربط الاثنين ليصيرا واحدا وليس هما بعد أثنين بل واحد .

وفى هذا تصلى الكنيسة فى صلاة عقد الأملاك " .. أعطهما علامة إشارة اتصالهما ليكونا بألفة واحدة برباط المحبة إذ نقول لهما سلامى أعطيه لكما ..".

وفى قراءة الإنجيل فى عقد الأملاك " .. ويكونان كلاهما جسدا واحدا وليس هما أثنان لكن جسدا واحدا وما أزوجه الله فلا يفرقه الإنسان" ..

وكما قدس الرب يسوع الكنيسة يوم الخمسين بحلول روحه القدوس عليها هكذا يقدس كل كنيسة ناشئة فى سر الزيجة بحضوره المبارك وحلول روحه عليها.

وليس صدفة حديث الرسول بولس عن الحب الزوجى فى مجال حديثه عن حب المسيح والكنيسة " أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكى يقدسها .. كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم . من يحب امرأته يحب نفسه فأنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضا للكنيسة لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا . هذا السر عظيم ولكننى أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة" (أف ٥ : ٢٥ ـ ٣٢).

يتضح إذاً من قول الرسول إن رباط الزيجة يصور اتحاد المسيح بالكنيسة وإنه على هذا المستوى يكون الزواج سرا عظيما ويكون رباط الحب الزوجى مقدسا ولا شك أن حضور الرب يسوع فى سر الزيجة يضفى على العروسين هبة قدسية وبتأثير فاعلية الروح القدس يتحول ماء الشهوات الطبيعية الغريزية إلى ذلك النتاج من عصير الكرمة .. الكرمة النبيلة التى تعنى التحول نحو حب جديد، حب من فيض النعمة يدخل أعتاب الملكوت والأبدية .. وكما حول الرب يسوع الماء فى عرس قانا الجليل إلى خمر مفيق مبارك. هكذا لا يزال بروحه القدوس وشخصه المبارك يكرر الأعجوبة ويحول الغريزة الجنسية فى الزوجين إلى خمر حب ونشوة فرح أبدى يسكرهما الرب يسوع ويجعلهما يرفضان كل حب غريب وكل سكر عالمى أرضى ..

يقول القديس أكليمنضس الإسكندرى " إن المسيح فى قانا الجليل أيد ما أنشأه فى الجنة وأعاد إلى الزواج جلاله القديم، وهكذا الابن دعّم ما أسسه الآب عندما علّم عن وحدة الرجل والمرأة " أما قرأتم أن الذى خلق من البدء خلقهما ذكرا وأنثى" (مت ١٩ :٤).

هكذا تصلى الكنيسة فى إحدى طلبتاها فى الإكليل قائلة " يا من نقل الماء خمرا حقيقيا بسلطان لاهوته بارك عبديك وطهرهما بمحبتك للبشر .. يا من حل فى

عرس قانا الجليل وبارك ذاك العرس ونقل المــاء إلـى خمـر حقيقـى بسـلطان لاهوتـه بارك واستر هذا العرس الذى لعبديك بسلام وألفـة ومحبـة وأحرسـهما .. نسـألك يـارب أن تسمعنا وترحمنـا ..".

إن السر المقدس يعمل على تقديس العلاقـات الجسـدية والجنسـية بيـن الشـريكين إذ من خلاله لا تصير الجنسية عمليـات بيولوجيـة أرضيـة وإنمـا تقدمـة وذبيحـة ذات طابع روحى إن عاش الاثنان على مستوى الإنجيـل والتقـوى المسـيحية .

[redacted]

ما أجمل أن ينشد المرتلون لحنا يعبر عن الوحـدة التـى صـارت بيـن العريسـين بالحب والألفة التى بينهما إذ يقولون " هـؤلاء الذيـن ألفـهم معـا الـروح القـدس مثـل قيثارة يسبحون الله كل حين بمزامير وتسابيح وتمـاجيد روحيـة، النـهار والليـل بقلـب لا يسكت".

فالسر المقدس يعمل على تدعيـم هـذه الوحـدة وإبقائـها وعـدم انقطاعـها .. أنـه يضع أختاما مقدسة عليها حتى لا ينفصم عراها .. هكـذا فـى الظـاهر يسـعى الزوجـان على حفظ وحدتهما بالأمانة والعفة والبذل المشترك وفـى البـاطن يعمـل الـروح القـدس على تدعيم هذه الوحدة وتعميقها وإعطائها الغلبـة علـى كـل تحديـات الزمـان فبنعمـة سر الزواج ينال الزوجان المسيحيان شيئا مـن الحالـة الزوجيـة السـابقة علـى السـقوط فى الجنـة ..

وعن هذه الوحدة المقدسة يقـول ذهبـى الفـم " لـو ألقيـت بـالعطر علـى زيـت لأصبح المزيج واحدا هكذا فى الـزواج يمكنـهما أن يعيشـا فـى سـلام خلـف السـور المنيع ومنهما تفوح رائحة المسـيح الذكيـة ".

ويتعلق بهذا الأمر أن السر يمنح للشريكين قوة للتغلـب علـى المعانـاة فـلا تكـون السقطات من أحدهما جراحات مميتة ولا عدم الإخلاص أحيانـا لعنـة لا خـلاص منـها. أن ما يدركه الرهبان مباشـرة يدركـه المـتزوجون تدريجيـا .. وواسـطتهم هـى نعمـة

السر الإلهي حيث يرى أحدهما المسيح خلال الآخـــر .. والآخـر هـو حبـه الـذى هـو هبة النعمــة ..

فنعمة السر تعطى للمــتزوجين قــدرة علـى احتمــال أخطــاء الآخـر تمامــا كمــا تعطى التبتل قوة للنساك علــى احتمــال الضجـر والملــل والفتــور الداخلــى .. ويــرى ذهبى الفم أن الرب يسوع دعى إلى عرس قانا الجليــل ليحيــط الــزواج بالنعمــة ويفيــض نعمته لاحتمال الآلام المقبلــة للشــريكين ..

ونستطيع أن نجد معانى روحية عميقة فى طقــوس ســر الزيجــة نعــرض بعضــها فى اختصــار :

١ - الوجود قرب الهيكل المقدس إشارة إلى دخولهما فــى حيــاة التكريــس الزوجــى وأن زواجهما لا يمنع اقترابهما من حياة القداسة بل يدخلــهما أعتابــه الطــاهرة.

٢ - رسم الصليب عليهما مرارا إشارة إلى أنهما لا يعيشــان لأنفســهم بــل للــذى صلــب لأجلهما وقام وإنهما قد صلبا للعالم كما أن العالم قــد صلــب لــهما ..

٣ - دهنهما بالزيت المقدس إشارة إلى أنهما قــد أصبحــا ملوكــا وكهنــة وأنبيــاء لله الآب ملوكا فى تحكمهم وسيطرتهم على غرائزهم. وكهنة فى تقديــم حياتــهم ذبيحــة حيــة مقدسة مرضيــة .

وفى رفع صلوات دائمة عنهما وعن أولادهما وعــن الكنيســة والعــالم، وأنبيــاء فــى تحملهم الآلام المرة والمعاناة القاسية وقــت الشــهادة للحــق ومعارضــة تيــار الإثــم الذى فى العــالم ..

٤ - تناولهما من الأسرار المقدس يوم زفافهما وهـــذا ربــط روحــى بيــن ســر الزيجــة وسر المسيح والكنيسة وقد شرح هذا الرسول بولس فى رســالته إلــى أفســس ..

كما بيّن أيضا أنه لا غذاء لهما إلا جسد ابــن الله المقــدس ودمــه الزكــى الكريــم وأن المن السماوى هو الذى يعطيــهما الإعالــة والحيــاة وليــس بــالخبز وحــده يعيشــان ولكن بكلمة الله يقتاتــان.

٥ - إضاءة الأنوار وقت حفل العرس إشـــارة إلـــى أن حياتــهما ليــس فيــها دنــس ولا ظلمة وأنهما يضيئان كالأنوار فــــى الطــهارة والنقــاوة والبــهاء وأن الــرب يســوع نور العالم حاضر الحفل تماما كما فى عرس قانــا الجليــل كــى يضفــى مــن نــوره على حياتهما نورا وبـــهاء ..

٦ - رفع البخور أثناء الصلاة والبخور هـــذه تطــرد الشــياطين كمــا فــى ســيرة طوبيــا وهى إشارة إلى الصلاة الزوجيـــة المقبولـــة أمـــام عـــرش الله وإشـــارة أيضـــا إلـــى الرائحة الزكية التـــى تفــوح مــن محبتــهما للمســيح ومحبتــهما لبعضــهما بعضــا ومحبتهما للآخريـــن.

٧ - وضع الأكاليل على رأسيهما : إشارة إلـــى أنــهما يحمــلان روح الشــهادة، فـــالإكليل هنا يرمز إلى الاستشهاد فكما أن الشهيد يستشهد فى لحظة فـــأن مـــا يدركـــه الشـــهيد فى لحظة يحققه الزوجان فى السنين والأيام الطـــوال . وكثـــيرا مـــا تكـــون المعانـــاة المستمرة أكـــثر صعوبـــة مـــن الآلام الخاطفـــة .. لـــهذا يـــرى الآبـــاء أن احتمـــال الزوجين الآلام القاسية المستمرة من أجل المسيح استشـــهاد قـــد يكـــون أعظـــم عنـــد الله من استشهاد الشـــهداء القديســين. وضـــع تقليـــد الدبلـــة وتبادلـــها ووضـــع يـــد العريس فى يد عروسه أشارة إلـــى الوحـــدة القلبيـــة والروحيـــة التـــى صـــارت بيـــن الاثنين وأنهما ليسا اثنان فيما بعد بل واحدا، وأن كـــل واحـــد منـــهما صـــار ملتزمـــا ومسئولا عن الآخر، فمواهب الواحد محســـوبة للآخـــر وصفـــات الواحـــد موضوعـــة على الآخر وإذ أصبحا كلاهما فـــى وحـــدة يحضـــر الـــرب يســـوع فـــى وحدتـــهما ليباركهما وليصير هو المســئول عنـــهما ســـويا لأنـــه حينمـــا يجتمـــع اثنـــان باســـمه يحضر بينهما اجتماعـــهما.

[illegible]

[illegible]

يحدث فى بعض الأحيان أن يكتشف أحد الزوجيـــن أن الشـــريك الآخـــر.

ليس كما كان يتصوره قبل الزواج .. أو قد تحدث بعض الظروف الخارجية من جهة أو أخرى تؤدى إلى نقص الحب من الزوج أو نقص الطاعة من الزوجة، الأمر الذى إذا استمر هكذا دون أن يعالج يصدع كيان الحياة الزوجية .. يقول القديس ذهبى الفم " المحبة من اختصاص الرجال والخضوع من اختصاص النساء فإذا قدم كل إنسان ما يلتزم به تثبت كل الأمور فالرجل بحبه للمرأة تصير هى مُحبة له والمرأة بطاعتها للرجل يصير وديعا نحوها .. لا تنتفخى لأن الرجل يحبك، لقد جعله الله يحبك لتطيعيه فى خضوع بسهولة ، لا تخافى من خضوعك لأن الخضوع للمحب ليس فيه صعوبة " (١٩).

والكنيسة فى صلوات الإكليل توصى الزوج أن يتسلم زوجته بنية خالصة ونفس طاهرة وقلب سليم ويجتهد فيما يعود لصالحهما ويكون حنونا عليها ويسرع إلى ما يسر قلبها لأنه من اليوم قد صار الرئيس عليها من بعد والديها.

كما توصى الزوجة أن تكرم زوجها وتخافه ولا تخالف أمره ولا رأيه .. وأن تقابله بالرحب والسعة ولا تضجر فى وجهه ولا تضيع شيئا من جميع حقوقه عليها .. وأن تطيعه كما كانت أمنا سارة مطيعة لأبينا إبراهيم مخاطبة إياه سيدى ..

هذا ما يجب أن يكون ولكن إذا أخل واحد من الطرفين بواجبه يلزم على الآخر أن يحتمله وفى هذا يقول القديس أوغسطين " لقد أمر الرب بضرورة احتمال جميع المتاعب الأخرى، ماعدا الزنا، بثبات من أجل المحبة الزوجية ولأجل العفة" (٢٠) .

وعندنا أمثلة كثيرة عن احتمال الطرف للآخر، فالمسيح له المجد أحب الكنيسة وهى فى المزبلة وقدسها وطهرها بدمه وجعلها فى شخصه بلا لوم أمام أبيه ..

---

١٩ - عن كتاب الحب المقدس جـ١ ص٢٥٨ .
٢٠ - المرجع السابق ص٢٥٥.

والقديسة مونيكا أم أوغسطينوس أحبــت زوجــها واحتملتــه حتــى لــم يســتطع أن يتغلب على روح التقــوى التــى غرســتها هــذه الأم الطــاهرة فــى قلــب ابنــها .. لقــد اعتبرت مونيكا طاعتها لزوجها طاعة للرب لأن الله أمــر بذلــك، والــرب قــد هيــأ كــل طرف بإمكانيات هائلة للاحتمال فمنح الرجل إمكانيــة القيــادة حتــى يتمكــن مــن توجيــه زوجته مهما كانت ظروفــها، والمــرأة مُنحــت روح الصــبر والاحتمــال وطــول الأنــاة حتى تتمكن من احتمال زوجها مهما كان ســكيرا مســرفا قاســيا .

إن المشكلة تتعقد عندما يفقد الرجل روح القيادة بســبب ضعــف فــى شــخصيته أو انهزام داخلى أو شعور الزوجة بتفــوق عليــه فــى المرتــب أو المســتوى الاجتمــاعي أو لأى سبب آخــر.

إن الزوجة المسيحية تخضــع لزوجــها فــى الــرب ولا تفــرض ســيطرتها عليــه ولكن بالمحبة يتفاهم الطرفان كما يرشــد روح الــرب.

يقول أحد القديسين أن الفرق بين صــورة الله فــى الــزوج وفــى الزوجــة أن الأول يتسلمها من الله بينما الزوجة تتسلم هذه الصورة مــن زوجــها لأنــها خلقــت منــه لتكــون مثله كشــبهه.

وكما أن المسيح لا يعتمد على الكنيسة ولكن الكنيســة علــى المســيح هكــذا أيضــا أصبحت الزوجة زوجة بسبب حــب زوجــها وإليــه خضوعــها هــذا بالإضافــة إلــى أن حواء أغويت أولا وأنها خلقت بعــده.

كل ما ينصحنا القديسون به عندما توجد أزمة بيــن الشــريكين كنقــص فــى الحــب عند الزوج أو نقص فى الطاعة عند الزوجــة هــو أن يحتمــل الطــرف الآخــر شــريكه حتى الموت .. من أجل هذا ليس فى الكنيسة طــلاق إلا لعلــة الزنــا ..

ولقد أثبتت الدراسات النفســية ومــا قــام بــه المحللــون النفســيون فــى عياداتــهم لحالات الطلاق أو الرغبة فــى الطــلاق أن الطــلاق لا يصلــح أبــدا أن يكــون علاجــا للأزمات بل العلاج الناجح هو أن يفهم الراغب فــى الطــلاق الدوافــع اللاشــعورية التــى

تجعله يفكر فى مثل هذا الحل ويخلصون بنتيجة هامة هى أن أغلب الأزمات العنيفة التى تهز بناء الحياة الزوجية لا حل لها سوى التضحية [٢١] .

[illegible]

عندما يقع أحد الطرفين أو كلاهما تحت تأثير الزمان ويكون الحب ضعيفا يحدث الملل والجفاف العاطفى ويصيب المنزل السأم كما تحدث المشاجرات. وكثيرا ما يشعر الزوجان بالوحشة والفراغ بعد تقدم السن واستقلال الأولاد بالمعيشة. أن بعض الأمهات المتقدمات فى السن ينزلقن إلى عادات رديئة كالحرص على منع الابن من الزواج، وان تزوج فليبق مرتبطا بالأم مهما كان الثمن .. أما الرجال فبعضهم يدمن الخمر أو القمار وكثيرا ما يشتعل بأفكار جنسية حادة .. أن بعض العلماء يفسرون طياشة مثل هؤلاء الأمهات والآباء فى هذه المرحلة بالمراهقة الثانية. إن الحب الصادق هو الذى يحاول ان ينسج لنفسه من خيوط السأم والملل والزمن والحياة المشتركة نسيجا متينا قويا له روعة ما فى الطبيعة من جمال ..

إن الإيقاع المتصل الذى سارت عليه عملية الزمن فى نظر المحبين اللذين تقاسما حلو الحياة ومرها بمثابة تعبير عن تلك المشاركة الطويلة التى جمعت بينهما فى علاقة شخصية موحدة هى علاقة الشركة بين الزوجين .. ان المحبين قلما يستطيعان أن يبقيا طويلا فوق قمة الحب الشامخة لأن البقاء فوق الذرى العالية يصيب بالدوار أحيانا .

وهذا هو السبب فى أن معجزة الحب الكبرى تخيب أحيانا لكى يستيقظ المحب على الحقيقة الأليمة المرة وهى أخطاء المحبوب، ولكن النعمة التى بدأت عملها فى الحب منذ البداية هى القادرة أن تكمل وتستر كثرة من الخطايا وتعبر بالمحبين فوق أحداث الزمان وهموم المكان وضعفات الكيان.

[illegible]

سبق أن شرحنا أهداف الزواج وكان من أهم هذه الأهداف تربية الأطفال فى نشأة مسيحية صالحة حتى يولدوا من فوق ويثبتوا فى تربية الإيمان والتقوى والتعقل كما ذكر الرسول ..

٢١ – يوسف مراد : سيكولوجية الجنس ص١٠٨ ، ١١٨.

ولكن انشغال المرأة الآن بالتوظف والعمل الذى يشغل طيلة يومها تقريبا يجعل موضوع تربية الأولاد تربية مسيحية سليمة أمرا متعذرا .. ولنسرد آراء بعض قادة الفكر الفلسفى والسيكولوجى ثم نعطى الرأى فى هذه القضية، يقول الدكتور يوسف مراد: " إذا كان حب الأم لطفلها له هذه الأهمية الجوهرية فى تكوين جيل صالح متزن ناضج فمن واجبنا أن نطرح من جديد على بساط البحث مشكلة عمل الأم خارج المنزل من الصباح إلى المساء وترك طفلها الصغير فى رعاية مربية مأجورة تتغير من وقت إلى آخر .. أليس من حق الطفل على أمه أن يطالبها أولا بهذا الغذاء الروحى الذى بدونه يتحول الغذاء المادى إلى شئ منفعى يصعب هضمه وتمثيله" (٢٢) .

ويقول الدكتور زكريا إبراهيم " نحن نعنى أن كل عمل تنهض به المرأة إلى ميدان العمل وأن تشترك مع الرجل على قدم المساواة فى النهوض بأعباء المجتمع لا يشبع حاجة المرأة إلى الاستقرار المنشود. ولسنا ندرى إلى أى حد يمكن أن تنجح المرأة فى التوفيق بين الحافزين ولكنا نعتقد أن هذا النجاح رهن بظروف كثيرة .. أما القول بأن المرأة تعيش فى هم مقيم وأن حياتها هى سلسلة من الانتظارات إذ هى تنتظر الحب وتنتظر الزواج وتنتظر الطفل وأن سأم يسيطر على حياة المرأة أن عاشت فى البيت .. هذا يرد عليه بأن الرجل أيضا قد يسيطر عليه السأم لأن الزمان بما فيه من صيرورة ورتابة وتكرار هو الذى قد يجعل من السأم جزءا لا يتجزأ من صميم وجودنا البشرى" (٢٣).

نحن لا نعارض تعليم الفتاة تعليما جامعيا عاليا ولا نعارض عملية توظيفها، فالجامعة والوظيفة فرصة لتنمية شخصية الفتاة وإدراكها للحياة وقدرتها على العمل والنجاح فيه واكتساب الخبرات الاجتماعية التى يندر اكتسابها فى الجو المنزلى كما أن الزواج ليس قدرا محتما على كل فتاة فيصير العمل سلوى وتعزية عن الحرمان من الزوج والأولاد وتتخلص الفتاة من عقدة العانس إلى حد كبير.

---

٢٢ – المرجع السابق ص١٥٢.

٢٣ – زكريا إبراهيم : سيكولوجية المرأة ص١١٣.

ولكن الشئ الهام الذى لا يجب أن نفرط فيه هو تربيتها لأولادهـا ان أنجبت أطفالا فمسئولية التربية هى أولى أعبائها .. أن تركتها إلى غيرها من التبعات تكون قد أهملت فى أشرف الرسالات وأهمها أمام الله والناس.

قد يكون الدافع إلى توظف المرأة المتزوجة رغبتها فى المساواة المطلقة بالزوج والتعويض عن مركب النقص الذى يوجد عند النساء غير المتدينات، وقد يكون الدافع إلى هذا التوظف الرغبة فى الحياة المادية ذات المستوى الراقى .

أن الرجل هو المسئول الأول عن لقمة العيش وعليه أن يعرق الليل والنهار حتى يهيئ لزوجته وأولاده الحياة المقبولة والمرأة هى المسئولة الأولى عن تربية الأطفال وخاصة فى سنواتهم الأولى حيث يكون الطفل قابلا للتشكيل والاستهواء والمحاكاة والتقليد وسرعة التأثر.

إن التضحية بمرتب الزوجة لا يساوى شيئا أمام الثمرة الغالية . الطفل هو الوديعة الثمينة القادرة على تقبل كل توجيه وتربية وتنمية وتنشئة صالحة. أن أنانية الزوجين هو السبب الرئيسى فى إهمال تربية الطفل وتركه لدور الحضانة أو للأقارب أو للمربيات أو للخادمات.

سوف يعطى الوالدان حسابا عن الوزنات التى أعطيت لهما وأهملوها جريا وراء قوش يفر من الأيدى كما يفر الإنسان من الطاعون ..

ولا يقل تعلق الأمهات النرجسيات الشديد بأولادهن إذ يعملن بحنانهن الزائد وعنايتهن الفائقة على تقوية وشائج الحبل السرى السيكولوجى الذى يربط بينهن وبين أطفالهن .. لا يقل هذا خطورة عن إهمال الأمهات لتربية أولادهن .

إن المعاملة الثابتة المتزنة الهادئة هى أفضل نمط فى تربية الأولاد تربية مسيحية سليمة. وإذا كانت الأم هى المدرسة الأولى المسئولة عن إعداد الناشئة فأنه من أهم ما يلزم أن ننوه عنه هو حرص الأمهات على أولادهن حرصا مسيحيا خاليا من التعلق الذاتى العاطفى وبعيدا عن الإهمال واللامبالاة والانشغال بأمور كثيرة تفقد الطفل روح الرعاية الأموية المطلوبة.

صلاة

أيها الختن السماوى .. عريس الكنيسة الحقيقى يا من أنت أجمل من القمر وأطهر من الشمس أقبل شكرى لأنك خلقتنى على صورتك ومثالك فى القداسة والحرية والحق .. لقد طلبت منى أن أعيش فى شركة الألفة كما تعيش مع أبيك الصالح والروح القدس فى حب لا يوصف ونور فرح لا ينطق به .. اعط يا سيدى لكل أسرة وضع عليها اسمك ان تحقق رغبتك وتحيا وفق مسرة مشيئتك ..

يا إلهى، عرف كل من يريد أن يتزوج ان الحياة الزوجية ليست متعة الشهوة وأنها ليست مجرد انسال او قضاء على العزلة والفراغ والسأم، وإنما هى شركة فى الحب والبذل وصون للقداسة والعفة إلى يوم مجيئك لتأخذ مختاريك لمدينة الأبكار ..

يا إلهى ألق بأضواء نعمتك على مضاجع الزوجية كى تطهر أشعتها كل واحد وواحدة لتصبح الزيجة تنفيذا لوصاياك وامتدادا لملكوتك وشهادة لنعمتك وإسراعا لمجيئك الآتى المخوف المملوء مجدا.

يا إلهى أعط نعمة للمتزوجين أن يرتفعوا فوق أمواج الحياة وتيارات المشغوليات والاهتمامات المادية لتكون لهم معك فرص العبادة والتأمل فى وصاياك واختبار الحياة المقدسة فيك وبك إلى التمام .

يا إلهى أقبل صلاة كنيستك المرفوعة إليك فى كل قداس ومع كل ذبيحة " طهارة للذين فى البتولية وحياة صالحة للذين فى الزيجة ".

[illegible]

[illegible]

- ❖ **ما هى البتولية ؟**
- ❖ **كرامة البتولية .**
- ❖ **سمات البتولية .**

[illegible]

عندما تحدثنا عن العفة والحب فى الزواج أوضحنا أن الزواج المسيحى هو حياة صون وحماية من التحرق ليمتد فيصبح حياة بذل وتضحية من أجل الرب.

ولكن هذه الحياة الزوجية مهما كان تكريسها تشغل بأمور أرضية لازمة وترتبك بمتطلبات جسدية واجتماعية وعائلية حتمية ..

إن الزواج اتحاد عجيب بين متناقضات كثيرة، ابتسامات منصهرة إلى دموع وألم ممتزج بلذة وتوقع دائم للموت بالنسبة إلى أطفال مولودين حديثا ..

ويقول أحد القديسين : " إن الزواج قد يكون بدء للانغماس فى اللذات الجسدية لأن كثيرين بمجرد ممارستهم للذة التى ظنوا أنها شرعية انقلبوا إلى حياة غير نقية كما لو كان الزواج هو نقطة البدء فى الانغماس ".

" إن غاية الزواج بعد المسيح هى توحيد البشر فى المسيح ، هى إعادة خلق البشر فى المسيح عن طريق إعطاء أبناء للكنيسة . ولكن البتول لا يحقق وحدة طبيعته عن طريق سر الزواج بل بالزواج الروحى أى باتحاده مع المسيح وتوحيد ذاته فيه ..

من أجل هذا فأن البتولية أخصب من الزواج لأن البتول بصلاته والتصاقه بالله يعطى أبناء روحيين للكنيسة فى خصب لا يقاس بخصب الزواج " [١] .

لذلك لا نعجب أن نجد أناسا امتلأت قلوبهم حبا للمسيح فرفضوا أن ينشغلوا بآخر سواه ..

---

١ – نشرة دير الحرف عدد٤ ص٤ .

صار هو عريسهم الوحيد وعاشوا فى هيام معه مجاهدين أن يرضوه ويحفظوا وصاياه.

البتولية ليست مجرد اسم لأن العذارى الجاهلات رُفضن ولأن الذين لهم صورة التقوى وينكرون قوتها ليس لهم نصيب فى ملكوت السموات. ليست البتولية مجرد امتناع عن التناسل وإنما هى اشتياق إلى الرجاء الموعود به أن يكون لهم نصيب أفضل من البنين والبنات (أش ٥٦) ويقدمون عذراويتهم ذبيحة حب وتكريس للرب.

ليست البتولية جهادا ينتهى بإخضاع الجسد ولكنها تتسع فى مداها حتى تشمل كل شئ فى النفس .. إنها حالة الطهارة الكاملة للنفس حتى يكون الختن الحقيقى نصيبها .. إنها لا تبعد عن كل ارتباطات الجسد فحسب إنما هى تجعل هذا الذهن مجرد بدء لعملية نقاوتها على أوسع نطاق ..

وقبل مجئ الرب كانت البتولية سر قوة ايليا كما كانت مصدرا من مصادر شجاعة المعمدان .. كلاهما عزل نفسه عن المجتمع البشرى وكلاهما ترك الأطعمة المعتادة .. واحد لبس جلود معزى والآخر لبس وبر الأبل وكلاهما كان سهما مبريا فى يد الرب.

وأننا نجد فى الكتاب المقدس عملاقين من عمالقة حياة البتولية هما يوحنا اللاهوتى وبولس الرسول .. كلاهما اختطف إلى فوق وكلاهما دخل إلى العمق، واحد كتب إنجيله ورسائله الكفيلة أن تعرف الإنسان المسيح وآخر كتب رسائله وعاش خدمته الكفيلة أن تعمق وتشرح أبعاد المسيحية، ولأن بولس الرسول كان مدركا ميزات حياة البتولية التى عاشها مجّد هذه الحياة وكرّمها ويكفينا ما كتبه فى كورنثوس الأولى الإصحاح السابع .. أما يوحنا الحبيب فأنه رأى أولئك الذين عاشوا بتوليين للمسيح .. رآهم فى أورشليم السمائية جوقة وسيمفونية ضاربة بالقيثارة يترنمون ترنيمة جديدة أمام العرش وأمام الأربعة الحيوانات والشيوخ .. أعطى لهم وحدهم أن يتعلموا هذه الترنيمة الجديدة ..

إنهم المئة والأربعة والأربعون ألفا المختارون الذين اشتروا من بين الناس باكورة لله وللخروف (رؤ ١٤ : ٢ – ٥).

وقوانين الآباء الرسل تحدثت عن حياة البتولية وبيّنت إنه ليس أمرا من الـــرب علـــى الجميع وإنما هو جهاد وهبة وتفرغ للعبادة لخدمة الرب (١ : ٥٥) وعندما نستعرض تـــاريخ الكنيسة نجد أن معظم الذين حملوا رسالات كبيرة فى المجال الروحى كانوا بتوليين ورهبانـــا. لنذكر أنطونيوس وأثناسيوس وشنودة وكيرلس عمود الدين وذهبى الفم وباســـيليوس الكبـــير واغريغوريوس الناطق بالإلهيات، كما نذكر بعض المبشرين وخدام الكلمة ورجال النـــهضات الروحية أمثال أسكندر حنا وحبيب جرجس ..

إن القديس كبريانوس يقول " البتوليون أحرار غير مرتبطين بزوجة أو أولاد أو عـــالم.. هم لا يخشون اضطهاد ولا يخافون من أحد ولا يحزنون على موت أطفـــال ويعيشـــون فـــى نصرة اللذة وفى استمرار لبراءة الطفولة " (٢) .

والقديس العظيم الأنبا أنطونيوس يطوّب البتولية فيقول .. " نحن نسمع الطوباوى بولـــس الرسول عندما وصل إلى كرامة البتولية قال من أجلهاأريدكم جميعا أيها الأخـــوة أن تكونـــوا مثلى .. لأن البتولية هى الذبيحة الروحانية المقدسة وهى البشارة والحياة التى تظهر الســـرائر الخفية منذ الدهور والأجيال كلها!! (٣).

والأمر الذى يلزم إبرازه بوضوح إن هناك فارقا كبـــيرا بيـــن العزوبـــة والبتوليـــة .. العزوبة أنانية .. أنها رفض للالتزام والبذل والتضحية من أجل الآخر، ورغبة فـــى التمتـــع بحرية مطلقة هى يمينها سجن الذات والأنا .. ولكن هناك بعضا ليسوا على هذه الدرجة مـــن الأنانية وإنما يعيشون عزابا من أجل العلم أو السياسة أو الدفاع عن قضية اجتماعية أو أمـــر دنيوى يخدم الإنسانية .. هؤلاء ليسوا أنانيين ولكن لأن عزوبتـــهم لأجـــل النـــاس فـــأجرهم يأخذونه من الناس مائة ضعف فى حياتهم وبعد موتهم.

أما البتوليون فهم جماعة امتلأت قلوبهم بالحب السمائى ورغم إنـــهم وجـــدوا أنفســـهم قادرين على تكوين حياة زوجية، ولديهم الإمكانية أن يسعدوا زوجاتهم وأولادهـــم، وعندهـــم

2- St. Cyprian. The Discipline and advantages of Chastity, Ante-Nicene Fathers Vol. 5. P.587.

٣ – روضة النفوس فى رسائل القديس انطونيوس ص١٧١.

النعمة التي تمكنهم من أن تكون حياتهم الزوجية من أجل المسيح، وعلى مستوى العفة والحب الذى ذكرناه سابقا .. لكنهم من أجل شدة حبهم فى المسيح ومن أجل شدة رغبتهم فى التفــرغ للختن السماوى طلبوا ما هو أفضل منتظرين أن يزفوا للعريس السماوى فى مدينة الأبكار.

[redacted]

ولا شك أن ما كتبه بولس الرسول يؤكد أفضلية البتولية عن الزواج .

- ❖ غير المتزوج يهتم فى ما للرب كيف يرضى الرب، أما المتزوج فيهتم فى ما للعالم كيــف يرضى امرأته ..
- ❖ إن بين الزوجة والعذراء فرقا .. غير المتزوجة تهتم فى ما للرب لتكون مقدســـة جسـدا وروحا أما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى زوجها .
- ❖ من زوّج فحسنا يفعل، ومن لا يزوّج يفعل أحسن .. أريد أن يكون جميع الناس كما أنــا .. أريد أن يكونوا بلا هم (٤) .

والقديس اغريغوريوس النيصصى يقول : " البتولية حصن ضد كل أتعاب الزوج، ليـس فيها يتم أو ترمل، إنها دائما فى حضرة عريس لا يموت ..

لها نسل التكريس تستمتع به دائما، ترى بيتها الذى تملكه حقــا مزينــا بكــل الكنــوز الروحية لأن السيد الرب نفسه يسكن فيه.. إنها حالة لا يحدث فيها انفصال مـــع مــن تتــوق النفس إليه " (٥).

والقديس ايرونيموس بعد أن ذكر كلام الرسول بولس السابق قال بينما نسمح بـــالزواج نفضل البتولية النابعة عنه .. فالذهب أثمن من الفضة ولكن هل تفقد الفضة قيمتها كفضـــة .. إن كنت قد دعوت البتولية ذهبا فالزواج دعوته فضة .. الزواج كالبتولية عطيـــة مــن الله .. لكن عطية تختلف عن عطية أخرى .. ليس الختـــان شـيئا ولا الغرلـــة شـيئا بـل حفـظ وصايا الله" (٦) .

---

٤ – كورنثوس الأولى إصحاح ٧.

5- Gregory of Nyssa, (On Virginity) N.& P.N. Fathers, 2nd, Vol. 5, P.343.

٦ – عن كتاب الحب المقدس جـــ١ ص ٢٧٠ – ٢٧٣.

ولكى ندرك كرامة البتولية نذكر أن رحم عذراء مقدسة حمل ربنا يسوع ابن الله الكلمة وأن جسد آلهنا ومخلصنا أخذ من عذراء بتول .

وكثيرون من الشباب الذين لبسوا الرب يسوع عاشوا فى مشابهة له فى أفكاره وحياته وسلوكه وصلاحه وصبره وطول أناته وكانت حياة البتولية أفضل مُعين لهم لكى يعيشوا مقدسين جسدا وروحا، ثابتين فى خدمة سيدهم لا يتحولون عنه أبدا بل ينتظرونه دائما فى طهارة وتقديس روح الله مهتمين كيف يرضوا الرب وحده.

على أن هذه الأفضلية لا يجب أن يشعر بها البتول لئلا يفتخر وينتفخ فيفقد المسيحية ذاتها .. إذ يلزم أن يعرف البتول أن بتوليته أنما هى هبة من الله ..

إنها عطية مجانية .. إنها دعوة من الرب وأن استلزمت فهى تستلزم الشكر والتمجيد للذى يهب ويعطى غير ناظر إلى الاستحقاق والجدارة ..

يقول القديس العظيم الأنبا أنطونيوس " لا يفتخر أحد من البتوليين بالبتولية فإن النعمة هى من الله" (٧).

والقديس أوغسطينوس يعلق على الآية " لكن كل واحد له موهبته الخاصة من الله" فيقول أن البتولية موهبة كما الزواج المسيحى موهبة ..

كلاهما يقفان على خط واحد بالنسبة للخلاص الذى لنا فى المسيح ولكن على هذا الخط يقف واحد أكثر تفرغا لله لأنه فضل الحياة المكرسة المخصصة، إن المتزوج يشبه إلى حد ما مرثا والبتول يشبه مريم التى اختارت النصيب الأصلح ..

نحن نعيش فى عصر لا يكرم البتولية والرهبنة، بل الكثير من المسيحيين يفزعون عندما يجدون شابا ناجحا فضّل هذه الحياة مع أنهم جميعا يئنون من ثقل الحياة ونير الاهتمامات وظلمة الهموم ..

ولعل هذا المحك يكشف لنا إن الكثرة لا تعيش بروح مجيئية .. عيونهم ليست إلى فوق ، وأنظارهم ليست شاخصة نحو أورشليم السمائية لأن البتول يشير إلى هذه الحياة

---

٧ – روضة النفوس فى رسائل القديس أنطونيوس ص ١٧١ .

ويكشف عن قبس من نورها الوهاج .. هذا النور لا تحتمله عيون عاشت كثيرا في ظلام التراب ..

وهناك تساؤل .. إذا تبتلّ جميع البشر أفلا تنقرض البشرية؟!. هذا افتراض غير وارد في الواقع ومع ذلك فقد رد عليه أوغسطينوس المغبوط بما معناه .. إذا افترضنا أن جميع الناس سلكوا طريق البتولية فلن يكون هذا شر وإن انقرضت البشرية، لأنه إذا سادت العفة بين الناس محبة لله وتكريسا له فهذه غاية البشرية والأفضل أن تنقرض بالوصول إلى غايتها من أن تستمر فى الأهواء " (٨).

[illegible]

[illegible]

ما قلناه عن الزواج ينطبق تماما على البتولية ..

- الزواج المسيحى قوامه الحب بين الزوج والزوجة فى المسيح ..
- والبتولية المسيحية قوامها الحب بين البتول والمسيح ..

وكما أن الزواج يفسد إذا خلا من الحب هكذا البتولية أيضا فأنها تخرب بل وتفقد أهم مقوم من مقوماتها وتصبح مجرد عزوبية إذا انعدم منها الحب ..

عندما تكلم بولس الرسول عن البتولية قال : " غير المتزوج يهتم في ما للرب " . وعندما أشار رب المجد إلى البتولية قال : " يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات " (مت ١٩ : ١٢).

فالحب الالهى والشوق الشديد للملكوت والحنين العميق للعريس السماوى علامة أكيدة من علامات البتولية الصحيحة .. ليس المهم العذروية، وإنما المهم العذراوية المُحبة .. "حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحن وخرجن للقاء العريس، وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات" (مت ٢٥ : ١،٢) جميعهن كن عذارى ولكن نصفهن رُفضن لأنهن لم يحملن فى قلوبهن حبا وبهجة ودهن فرح ..

٨ – نشرة دير الحرف عدد٤ ص٤ .

والذى يريد أن يتعمق هذا الجانب من روح البتولية عليه ان يقرأ ويتمثل سفر نشيد الأناشيد ، أنه يمثل بالحقيقة هيام البتول بالمسيح النفس البتول تخاطب حبيبها فهى تشتهى أن تجلس تحت ظله وثمرته حلوة لحلقها، والعريس الذى أحس بحب عروسه يبادلها حبا بحب ..حبه أقوى من الموت والغيرة قاسية كالهاوية .. لهيبها لهيب نار لظى الرب .. مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفئ المحبة والسيول لا تغمرها .

والقديس الشيخ الروحانى يحدثنا عن حبه البتولى فيقول: " أيها الختن مشتهى كل الأمم، من ذا الذى لا يعجب بهذه الرؤيا العجيبة .. انظر يا أخى ماذا يفعل الحب بالذين يقتنوه .. شربوا منه وسكروا ونسوا حياتهم الزمنية وعالمهم الفانى .. سمعوا ربهم حين يقول لخاصته: " إن كنتم تحبوننى احفظوا وصاياى" .. حفظ الوصايا يا أخوتى حصن حصين لا يقدر أخبث اللصوص ان يدخلوا إليه وهكذا قال كلمة الله .. " إن حفظتم وصاياى ثبتم فى محبتى" .. المحبة نار تشتعل بالقلب .. صاحبها قائم فى خدمته بالفرح .. إنى سمعت مرات كثيرة، سمعت أناسا من الأخوة حين كان يسكر بمحبة المسيح ما كان يقدر أن يمسك ذاته من النار الالهية المتقدة فى قلبه ومن أبتهاج فؤاده ومن اشراق سبح الله الذى كان عليه .. كان يصرخ ويقول : " آه لهبتى محبتك يا الهى أضمحلت حياتى بمحبتك يا ربنا ولم أقدر أن أصبر "(٩).

وغذا كان يوحنا السلمى يقول : " لا بتولية بدون حب والانسان الطاهر هو الذى أحل الحب الالهى محل الحب الجسدى، فأنه يشبه من يحاول رد هجمات الأهواء عن طريق العفة الجسدية فقط دون الصلاة والتهاب القلب بالشوق للالهيات كمن يحاول الخروج من دوار البحر وهو يسبح بذراع واحدة " (١٠).

البتوليون يحققون قول اشعياء النبى الذى نطقه بروح البنوة عنهم " كما يتزوج الشاب عذراء يتزوجك بنوك .. وكفرح العريس بالعروس يفرح بك إلهك" (أش ٦٢ : ٥) ..

حقا ما أمجدك أيتها البتولية . إنك شعلة حب أضيئت فى هذا العالم لكى تخلد نيرانها فى الأبدية حارة مشتعلة كالسيرافيم ممتلئة بالله كالشاروبيم.

٩ - الشيخ الروحانى : الحب الالهى ص٧٤، ٧٥.
١٠ - يوحنا السلمى : سلم السماء " مخطوط بلا أرقام صفحات".

تكريس كامل

فى العهد القديم كانت هناك ذبائح .. كانت هناك محرقات .. الذبائح كان يأكل منها الكهنة .. أما المحرقات فكانت كلها للرب ..

المتزوجون يقدمون حياتهم ذبيحة مرضية أما البتوليون فهم محرقات مقدسة .. يقول القديس العظيم الأنبا أنطونيوس: " لتترك العذراء عنها ضمير النساء وفكر الجسد وكبرياء القلب ومحبة المال والنميمة والبغضة ومجد العالم وتتمسك بالعبادة لأنها أن اكتسبت هذا كله فأنها تكون ذبيحة بغير عيب ولا دنس" [١١] .

إن حياة البتوليين شبيهة بما فى السماء حيث لا يزوجون ولا يتزوجون. أنها تسبيق للآخرة وتذكير للعالم بما طلبه يسوع من تكريس له . غير المتزوجة تهتم للرب لتكون مقدسة جسدا وروحا .. المتزوجة لا تملك جسدها لأن لزوجها سلطانا عليه أما غير المتزوجة فهى تقدم جسدها وروحها لمن أحبته وتكرست له ..

إن حياة البتولية تشبه الناردين الخالص الكثير الثمن الذى سكبته مريم عند قدمى يسوع وملأت به البيت من رائحة الطيب واستحقت به التطويب الخالد على مر العصور والأيام ..

لا نكاد نجد آية تشرح هذا التكريس الكامل مثل تلك التى ذكرها سفر نشيد الاناشيد "أختى العروس جنة مغلقة عين مقفلة ينبوع مختوم" (نش ٤ : ١٢).

هى جنة مغلقة لا يدخل إليها سوى الكرام الحقيقى وراعى الخراف الأمين الصالح. لا تفتح قلبها لغيره لأنها لا تعرف سواه ولا تملك عليه أحدا إلا هو .. لأنه هو عريسها وإلهها ونصيبها وميراثها وإكليلها وحياتها ..

وهى عين مقفلة لأنها ان كشفت لغيره تتلوث بجراثيم الشر وميكروبات الدنس، لذلك هى باطنية ومجدها كله من داخل ولا يعرفها ولا يقدّرها إلا كل من وهب له النظر الروحانى والبصيرة المستنيرة .

١١ – روضة النفوس فى رسائل القديس أنطونيوس.

وهى ينبوع مختوم لأن الروح القدس ختم عليه وكرسه للمسيح .. فيه تدفق وحركة وحب وحياة ولكنه مكرس وعليه ختم الحمل الذى كتبه أصبع الله بأحرف من نور لن تتجلى ولن تتمجد إلا يوم مجيئه العظيم ..

هؤلاء البتوليون أسماء قليلة لم ينجسوا ثيابهم وهؤلاء هم الذين سيمشون مع الحمل فى ثياب بيض ولن تمحى أسماؤهم من سفر الحياة (رؤ ٣ : ٤ ، ٥).

تاريخ الكنيسة ملئ بالبطولات التكريسية التى عاشت أمينة للعريس، واحد يربطونه على شجرة ويقدمون له غانية لكى تفسد عفته فلم يجد غير لسانه يقطعه ويلقى به فى وجهها .. فتتوب الساقطة ويخلص البتول .. وأخرى عذراء حرة عفيفة هادئة فى منزلها أحبها شاب ردئ فلما سألته عما يهواه قال لها عيناك فتتنانى، فأسرعت وقلعت أحدى عينيها ورمتها له ولما شرعت فى قلع الأخرى امسك بيدها وحزن وندم وترهب ..

وثالثة عذراء راهبة جميلة وقعت فى أسر أحد الفرسان الذى أراد إفسادها فقالت له : "تمهل قليلا لأن بيدى مهنة تعلمتها من العذراى". قال لها " وكيف اتحقق ذلك ؟ " فأخذت زيتاً ووجهت اليه الكلام قائلاً " ادهن رقبتك واعطنى السيف كى اضربك " فقال لها : "ما هى" قالت له : هى دهن إذا دهن به إنسان فلن يؤثر فيه السيف، فقال لها " لا، بل ادهنى أنت رقبتك أولا وأنا أضرب". فأسرعت ودهنت وضرب بكل قوته لكى تقطع رقبتها وتفلت من الدنس [١٢]. آلاف وآلاف من الشهود الأمناء .. مشاعل مضيئة فى الطريق وأنوار ساطعة فى برية مقفرة وأرض موحشة.

[illegible]

يقول الرسول بولس أن البتوليين يهتمون فيما للرب أى أنهم منقطعون لعمل الله .. وليس من روحى سوى التسبيح وتقدمات المحبة .. إن الرسول يقول أنه كان فى امكانه أن يجول بأخت زوجة كبطرس وباقى الرسل، ولكنه وجد حياة البتولية حياة تفرغ لذلك طلب أن يكون الجميع مثله بلا هم .. من أجمل ما فى البتولية حريتها الكاملة وتحررها من قيود

١٢ – بستان الرهبان جـ٣ ص ٨٥، ٨٦.

وهموم الارتباطات الاجتماعية .. البتول قد تحرر من روابط الأسرة وقيود العائلة والتزامات الزيجة والنسب والقربى الجسدية .. أنه يقول مع يسوع " من هى أمى ومن هم أخوتى .. لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى" (مت ١٢ : ٥٠).

ليس على البتول سلطان من أحد سوى من كرّسه ودعاه .. على أن هذا التفرغ وهذه الحرية ليست مدعاة للراحة بل على العكس أنها تفرغ للجهد والنسك والخدمة العاملة المستمِرة، فهى حياة صعبة وخصبة ولذا فهى تحتاج إلى إرشاد ومشورة وفى هذا يقول القديس اغريغوريوس النيصصى: " هذه الحياة ليس من السهل وضوح جميع جوانبها، إنها لمخاطرة، فكما أن الطب يحتاج إلى طبيب هكذا البتولية تحتاج إلى مرشد حاذق شيخ لئلا ينحرف الشباب عن الطريق المستقيم ويخترعون طرقا من ذواتهم .. من الأفيد جدا بالنسبة للمبتدئين أن يمتنعوا عن تدبير ذواتهم دون مشورة لا سيما فى طريق البتولية .. ".

والقديس نفسه يتحدث عن متاعب التزوج وآلامه ومخاوفه والمشكلات التى تعترضه فى إثناء الحمل والولادة وعند عدم إنجاب نسل والآم الغيرة والفقر والخيانة والترمل وهو يرى فى البتولية هربا من الفساد الذى فى العالم .

يشبه البتول النحلة النشيطة فى الداخل والخارج .. تحمل الرحيق، وتخدم الجميع، إنه لا يكف عن الصلاة ولا يهدأ عن تقديم رسالته خدمة ومحبة .. هو هكذا لا يعطى لصدغه راحة ولا لجفنيه نعاسا حتى يتمم سعيه ورسالة حبه .. يقول أشعياء النبى " لا يقل الخصى ها أنا شجرة يابسة، لأنه هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتى ويختارون ما يسرنى ويتمسكون بعهدى، إنى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى نصبا واسما أفضل من البنين والبنات .. أعطيهم اسما أبديا لا ينقطع" (أش ٥٦ : ٤،٥).

كان الخصب فى العهد القديم يعنى كثرة البنين الذين كانت الأم تشتهى أن يأتى من بينهم المسيا حسب الجسد .. وبعد مجئ الرب صار الخصب ليس فى كثرة البنين ولكن فى المولودين ثانية لا من زرع يفنى بل بكلمة الله الحية الباقية .. لذلك فالبتول الذى يلد بنين

للرب ولادة ثانية هو أكثر الأغصان خصوبة واثمارا .. والخصب الذى نعنيه ليس كثرة الحركة واتساع النشاط ولكن غنى الحياة السرية بالحب والفرح ومسحة القوة ..

" الناس يطلبون أن يروا نتيجة عملهم لأنهم أضاعوا مفهوم المجانية لأنهم لا يؤمنون بغير المنظور .. أما الراهب فيعطى نفسه لله دون قيد ولا شرط .. المسيح عندما مات على الصليب كان موته فى الظاهر فشلا عظيما ولكن من هذا الفشل بزغت القيامة وكان الخلاص .. الله يتطلع ويرى هل من أناس منفتحين له كليا ومستسلمين؟ وعندئذ يستخدمهم لإنقاذ الكنيسة والعالم ..

إن الناس المكرسين لله كليا يشبهون تقدمة القداس التى يفرزها الكاهن من الخبز والخمر ليقدمها لله ذبيحة فتتحول إلى جسد الرب ودمه، والرهبان يفرزون من العالم لكى يحل الروح القدس عليهم ويقدس بواسطتهم العالم كله .. الرهبان مثل باكورة الحصاد وباكورة القطيع المقدمة للرب يبارك الحصاد كله والقطيع كله، ففيهم يتبارك ويتقدس شعب الله كله .. هم مثل الخميرة التى تفرز وتخبأ وبواسطتها تخمر العجينة كلها " ..

البتول إنسان متفرغ لكى يحمل الله فى حياته .. هو مثمر لأن روح الله النارى يخصب كرمه بغنى وافر.

المتزوج يثمر ولكن فى حدود ضيقة، والبتول يثمر ولكن فى حدود أوسع، والراهب ثمره لا حدود له لأن كرمه هو العالم كله ..

المتزوج يتذوق البتولية ويتنسم طهر رائحتها فى الأصوام والأستعدادات الروحية، والبتول يتذوق عمق الرهبنة وصرامتها عندما يتتلمذ بين يدى قديسيها رجال التأمل والعبادة والامتلاء ..

والراهب قد ينزل إلى ميدان الخدمة، وبدعوة من فوق ، ولكن عينه على قلايته .. تماما كالخادم البتول الذى يذهب إلى قلايه الراهب للخلوة والامتلاء والارشاد، ولكن عينه على كرمه وخدمته التى ائتمنه الرب عليها.

المتزوج ، البتول ، الراهب .. هؤلاء جميعا شهود للرب أن عاشوا للمسيح .

وكل ما يميزهم هو عمق التفرغ ومدى اتساع القلب للحب ومن ثم مدى ما تحمل عناقيد أغصانهم من ثمار شهية لقلب الله.

[illegible]

قبل المسيح كنا نولد للموت، نأتى إلى الحياة حاملين دينونة الموت فى طبيعتنا فكان الموت مقيما فى صميم الحياة ثم أبطل يسوع الموت فأصبحنا نولد من أجل الحياة رغم ثقل الموتَ فينا أى صارت الحياة مقيمة فى صميم الموت ولكن البتولية تتجاوز خليط الموت والحياة هذا .. بالبتولية نموت عن العالم واهوائه أى ننفصل عن تيار الموت ومن ينفصل عن تيار الموت محققا نقاوة بقتل الموت فيه ويعتق حياته من أجل المسيح داخلا عالم القيامة (١٣).

حقا أن الموت لا يمكن أن يتوقف عن العمل ما دام الجنس البشرى يعمل أيضا بواسطة الزواج. لقد اجتاز الموت عبر الحياة طوال الأجيال السالفة مصاحبا لكل وليد جديد حتى الموت .. ولكنه وجد فى البتولية سدا منيعا لا يستطيع العبور منه رغم جبروته كما فى أيام القديسة والدة الاله .. عندما اتى الموت لينقض على ثمرة بتوليتها انسحق عندها كمن يضارب الصخر، هكذا فى كل نفس تتكسر قوى الموت عند صخر البتولية لأنه لا يجد النقطة التى يرتكز عليها .. قوة الموت لا تقدر أن تستمر أن لم يمدها الزواج بالمادة والضحايا وفى البتولية يبطل الحكم الذى صدر على حواء لأن أتعاب الأمهات تبطل عندها .. فى البتولية تزول المصائب وتمسح الدموع عن كل الوجوه لأن الولادة لا تكن من دم أو من مشيئة رجل أو من مشيئة جسد ولكن من الله وحده.

ان كانت البتولية حياة غلبت الموت فهى تغلبه بالإماتة والنصرة على الذات والجسد والشهوة .. البتول يحمل صليبه ويسير فى الطريق الأضيق ولكنه يحمل حبا أشد وفرحا أعمق بالخلاص الذى فى المسيح والدعوة التى تلقاها من المخلص ليكون قدسا للرب، وهذا الحب وهذا الفرح يجعله لا يشعر بثقل الصليب ونير البتولية لأن يسوع نفسه يحمل عنه كل

---

١٣ - نشرة دير الحرف : عدد ٤ ص ٥.

متاعب الطريق ويضمن له سلامة العبور طالما هو مخلص فى الهدف والنية أمين فى المسير والجهاد ..

البتول ككائن مجيئي يحرص على أن يحيا فى الفضيلة لأن الله لا يأتى ليسكن مع نفس غضوبة تحمل خبثا أو تخفى أى وضع شاذ يتنافر مع هذه الألفة أن النفس البتولية وديعة طاهرة متضعة لطيفة متسامحة صالحة نقية محبة مترفقة .. وباختصار بلا دنس ولا غصن من أجل عريسها الذى خطبها لنفسه (أف ٥ : ٢٧).

ومبدأ البتول فى حياته " ليس كل ما يحل لى يوافق" أن هناك أشياء كثيرة تحل للمؤمن ولكنه إذ اتخذ لنفسه طريق الكمال يرفضها لأجل نموه الروحي وصون نفسه من الضعف والارتباط بالعالم وثورة الجسد، أنه يرفض كثرة الزيارات العائلية ويمتنع عن الأطعمة الشهية ويبتعد عن المجتمعات الصاخبة والمناقشات والاجتماعات التى تعالج موضوعات لا تبحث قضية الخلاص ..

أنه حريص كل الحرص ان يكون أكثر صفاء فى الذهن وتفرغا للخدمة وأكثر صرامة فى الجهاد والنسك والعبادة ..

البتولية حياة مجيئية تئن مشتاقة لمجيء الرب الأمين وهى فى تطلعها ولهفتها هذه تسحب الملكوت ليغطى حياة البتوليين لتتحقق الطلبة " ليأت ملكوتك ".

صلاة

- يا من جئت لتلقى نارا وطلبت أن تضطرم، الهب قلبى لتكون وحدك عريسى ومخلصى وحبيبى ..
- يا من يا من سبيت قلوب الكثيرين من العذارى والرهبان والبتوليين لما تلامست معهم تركوا كل شئ ليعيشوا فى حبك، أعط أن تكون بتوليتى محرقة مرضية .. واسمح أن أقدمها فى ذبيحة حبك حتى تجد قبولا ورضى أمام أبيك الصالح .
- يا من صرت طعاما للبتولين فرفضوا من أجلك كل طعام أرضى شهى وطووا الأيام والليالى فى صوم ونسك شديد.

- ويا من صرت شبعا حقيقيا للمكرسين فأبوا ان ينشغلوا بآخر غيرك وصرت فـــى قلوبـــهم عريسا يناجى ويحدث فى حب وهيام بلهيب وسعير.
- قم واخطب لك فى هذه الأيام عذارى وبتوليين ..
- قم ادع يا سيدى شبانا وشابات للحياة المخصصة بالتمام لك .
- يا سيد أيرضيك أن يقول العدو أن رحم كنيستك قد صار عاقرا لا يلد خصيانا مـــن أجـــل الملكوت؟!
- اسمع وأكثر من طغمات البتوليين ليكونوا شهودا لك ، وإعلانا مسبقا لمجيئـــك ، ومحـــلا بارزا لسكنى مجدك وملكوتك .

[illegible]

[illegible]

❖ **لماذا نلبس ؟**

❖ **كيف نلبس ؟**

❖ **الحشمة والكلام.**

[illegible]

العرى لم يكن خطيئة لأن الله خلقنا عراة ولم يخجل آدم وحواء من عريهما .. ولكن اكتشاف العرى كان بسبب الخطيئة الأولى .. يقول الكتاب " انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان . فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر .. وفنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت . فقال سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت" (تك ٣ : ٧ ــ ١٠).

وهكذا أثرت الخطيئة الجدية فى الجسد إذ اشتعلت فيه الغرائز وأعطتها الحدة والجموح، كما أثرت فى القلوب والفكر فحرمتهما نقاوتهما الأولى كما سلبت من العينين طهارتهما وبساطتهما .. لذلك لا يمكن أن ندعى أنه يمكننا الآن أن نعيش عراة لأنه لم تعد لنا بساطة آدم وحواء الأولى التى كانت لهما قبل السقوط.

لا يزال العرى يسود القبائل المتأخرة فى أفريقيا وآسيا وأستراليا ولكن ذلك ليس لأنهم أطهار لا يستشعرون الخطيئة أو الحياء، وإنما لأنهم يحيون حياة بهيمية دون أى ضوابط جنسية.

" نحن نتعرى عندما ندخل جرن المعمودية لأننا بالمعمودية ندخل الفردوس ونشترك مع موت المسيح، وإن خرجنا من هذا الجرن نتشح باللباس لأن الخطيئة لم تمت فينا وإن كانت شوكتها قد كسرت وسلطانها قد زال على المولودين من فوق".

والشهداء تعروا عندما صلبوا أو قتلوا أو حرقوا ولكن عريهم الإجبارى هذا سربلهم بثوب النعمة إذ صاروا متوشحين بالمسيح ذاته .. فالمؤمن يرفض العرى لأنه يعرف الجسد العارى معثر وإن اللباس مانع لتسرب هذه العثرة إلى الآخرين .. وهو يرفض العرى لأنه

يرى فيه تحد للخالق الذى ألبس آدم وحواء لباسا من الجلد ستر به عورتهما .. هو يرى فى خلع الثياب اعتراضا على الحالة التى أوجدتنا فيها الخطيئة كما يرى فى الحشمة ولبس الثياب خضوعا واعترافا بما عملته الخطيئة فى الإنسان.

ويلزمنا أن نشير إلى حشمة كاذبة مليئة بالرياء والنفاق، فكما حرصت حواء على تغطية عورتها بأوراق التين ظانة أن هذا يستر خطيئتها ويغطى على أثمها مع أن كل شئ عريان ومكشوف لعينى ذلك الذى معه أمرنا " (عب ٤ : ١٣) ، فأن مثل هذا الاتجاه قد يتكرر عندما تلبس المرأة وتغطى جسدها بالملبس ولكن قلبها يكون مشتعلا بالشهوة وهذا يتضح فى طريقة حديثها أو نوع نظراتها أو نمط مشيها المثير فى الطريق وهكذا يكون الملبس المغطى الجسد كله كورق التين لأن الله لا يسر بالظاهر فقط ولكنه يطلب القلب أولا وقبل كل شئ لهذا يلزمنا ان نشير إلى أن الحشمة اتجاه روحى باطنى قبل أن يكون سلوكا اجتماعيا ظاهريا .

" الحياء إذاً ناتج من شعورنا بالخطيئة وإن عدم انتباهنا للخطيئة ولا مبالاتنا بها يجعلنا عن موضوع الحياء غرباء ..

لذلك نستطيع أن نقول أن كل إنسان يعرى جسده يخالف وصية الكتاب ويحرم نفسه من أن تكون مسكنا للروح .. " [١].

حقيقة أنه توجد نساء محتشمات كثيرات بسبب التقاليد الاجتماعية والضغوط العائلية فحسب، ولكن حشمة مثل هذه ليست تعبيرا عن عفة منيرة فى هيكل مقدس .. ليس المهم أن نلبس فى احتشام ولكن المهم أن نحتشم لأن العفة والنعمة التى فى الداخل تلزمنا بالأحتشام [١].

[illegible]

هناك مبدأن رئيسيان يحكمان عملية ستر الجسد: هما تكريم الجسد كهيكل للروح، وحرص على الزين الداخلى دون الخارجى.

---

١ – الأب جورج خضر : الشخصية المستقلة مجلة النور سنة ١٩٥٧ عدد ٩ ص٢٥٧.

[illegible]

إذا ما رجعنا إلى بداية خلقة الإنسان لوجدنا ان الهيكل مقدس عند خلقته ليس فى إطار النفس فقط بل والجسد أيضا، فكلا النفس والجسد خلقا معا على صورة الله ومثاله ..

والذين يظنون أن تمجيد الجسد هو بتزيينه وتجميله من الخارج يخطئون لأن مثل هذا الجسد يكون كالتمثال بلا روح والهيكل بلا روح لا قيمة له .. "كلما حرص المؤمن على تزيين الداخل بالفضائل الروحية كلما امتلأ كنز قلبه بالصلاح، وكانت الحشمة ستارا يخفى ما فى الهيكل من كنوز، ولكن إذا هتكنا حجب الهيكل وتعرى الجسد انسكبت القيم التى فيه على الأرض وتدهورت، وصار الجسد مشاعا للعيون الراغبة وفقد قيمته كهيكل يحوى كل غال ثمين ..

والهيكل الداخلى لا يستطيع أن يتلامس مع ما فى نفوس الآخرين من فضائل واتجاهات وميول إلا إذا كان محتشما لأن عرى الجسد لا يعطى فرصة إلا لالتحام الأحاسيس بالأحاسيس وأما النفوس فتظل متباعدة .. أن الجسم المتعرى حاجز دون تسرب النفس إلى النفس ومقابلة الوجدان للوجدان [٢].

إن مريم المجدلية التى كانت متهتكة متبذلة تقابلت مع الرب يسوع عملت النعمة فى قلبها عملا عجيبا .. لقد تحولت المرأة المستهترة إلى شخصية باطنية متأملة ولابد انه من الأدلة على تلامس الهيكل الداخلى مع الروح هو سرعة احتشامها .

أن المرأة المؤمنة إذ تعرف أن الجسد معثر لا يهمها فقط أن تستره باللباس، ولكنها حريصة ألا تكون طريقة ارتداء اللباس مؤدية للعثرة مظهرة أعضاء الجسد بشكل مثير .. لأنها إذ تعرف أن كرامة الهيكل إنما فى قداسته وامتلائه الداخلى فقط تحرص كل الحرص على أن تحفظ له كرامته مهما كانت نظرة أهل العالم إلى الموضات ونوع الملابس لأنه ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس وستظل كلمات القديس باسيليوس الكبير موبخة كل امرأة معثرة " امرأة تلبس ذهبا وحليا وتتعطر بطيب حسن وهى ماضية إلى الكنيسة هذه هى هكذا شك كلها وعثرة كلها .."

---

٢ – نفس المرجع السابق .

[illegible]

إن أشعياء النبى ينتقد بروح النبوة جميع البنات اللواتى يتشامخن بجمالهن الجسدى فيقول " من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات فى مشيهن ويخشخشن بأرجلهن يُصلح السيد هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهن " (أش ٣ : ١٦ ، ١٧) .

وأشعياء النبى يتحدث عن الجمال الجسدى فى قوله " كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل . ييبس العشب ، ذبل الزهر لأن نفخة الرب هبت عليه " (أش ٤٠ : ٦ و ٧) ، والحكم يقول " الحسن غش والجمال باطل " (أم ٣١ : ٣٠) .

وإذا كان الوحى ينتقد التزين والتجمل بالحلى وأنواع خاصة فى طريقة السير ، فإن معلمنا بطرس الرسول أفصح عن طرق تزين الهيكل الداخلى فى وضوح .

إذ يقول " لا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب بل إنسان القلب الخفى فى العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادى الذى هو قدام الله كثير الثمن .

فإنه هكذا كانت قديماً النساء القديسات أيضاً المتوكلات على الله يزين أنفسهن خاضعات لرجالهن " (ابط ٣ : ٣ ــ ٦) .

وآباء الكنيسة وعلى الأخص أكليمندس الأسكندرى يجمعون على أن للتزين علاقة بالاتضاع فكلما كان التزين داخلياً كان الاتضاع واضحاً ، وكلما كان الاتضاع مثمراً كلما كان الاهتمام بالداخل وليس بالخارج ، ويؤكدون أيضاً العلاقة بين التزين والمفهوم المسيحى للجمال .. فالذين يفهمون الجمال من منظار مسيحى يدركون أهمية جمال الروح ومنه يستمد الجسد جماله ، أما غير المؤمنين فلا يفهمون للجمال معنى سوى جمال الجسد فحسب .

ويؤكد الآباء أيضاً علاقة التزين بالزواج فالمرأة المسيحية إن تزينت فلأجل زوجها وليس لغيره ، وأما غير المسيحية فهى تتزين للغير وقلما تهتم ببعلها .

ويمكننا أن نفصل هذه الاتجاهات فيما يلى :

١- التزين الخارجى علامة على الفراغ الداخلى

الهيكل إذا كان فارغاً من الداخل فهو يلجأ إلى الزينة الخارجية كطلاء خارجى يسعى نحو تغطية الفساد الداخلى .. شبيه هذا الهيكل بالقبور المبيضة من الخارج ومن الداخل عظام نتنة أو كصنم مطلى بالذهب والفضة ولا روح البتة فى داخله (حبقوق ٢ : ١٩) .

إن داود النبى عندما يتكلم عن الزينة الحقة يقول " كل مجد ابنة الملك من داخل مشتملة بأطراف موشاة بالذهب متزينة بأشكال كثيرة تدخل إلى الملك عذارى فى إثرها جميع قريباتها إليه يقدمن .. يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن إلى هيكل الملك " (مز ٤٥) .

المسيحى إذاً لا يتبرج لأن كيانه هو ذلك الإنسان الداخلى حيث يحيا فى عشرة مع الله. وهو ماض فى اكتساب هذا الجمال وتحقيق كل صلاح فيه ولا هم له سوى النمو اليومى فى الحقيقة الأبدية .

والقديس إكليمندس الأسكندرى يشير إلى خطورة الزينة الخارجية بقوله : أن النسوة اللاتى ينفقن فى الزينة الخارجية فانهن لا يدركن مدى تبدد القوى الداخلية ، لأنه إن نزع أحد عنهن هذه الزينة الزائفة يصاب بخيبة أمل عنيفة إذ لا يجد فى الداخل صورة الله الساكن داخل الإنسان كما يجب بل يجد صورة شهوانى مسكين " (٣) .

إن الكتاب المقدس عندما تكلم عن الزينة لم يمتدح إطلاقاً الزينة الخارجية بل أشار فى كل موضع إلى الزينة الداخلية حيث يلبس مختارو الله القديسون المحبوبون أحشاء رأفات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة .. أنهم يلبسون الرب يسوع المسيح ولا يصنعون تدبيراً للجسد لأجل الشهوات (رو ١٣ : ١٤) ، (كو ٣ : ١٢ ــ ١٤) .

٢- التزين الخارجى علامة على الغرور والطيش والتفاخر

يقول أكليمندس أن الغرور يحدث ثغرة فى النفس تتسلل منه الحية الخادعة فتسلب العقل وتتحول المرأة إلى مخلوق تافه لأن التبرج شيمة الغانيات لا شيمة المرأة العاقلة (٤) .

3- Clement of Alexandria , (The instructor) , A.N. Fathers, Vol. 2, p. 271 – 296 .

٤ــ نفس المرجع .

وفى موضع آخر يقول عن التفاخر بالتزين " المعلوم أن الذين يتفاخرون بمظهرهم لا بما فى قلوبهم يلبسون ويتزينون ليرضوا الناس ولكن الوحى الإلهى ينذر هؤلاء على لسان أرميا بقوله " إذا لبست قرمزاً إذا تزينت بزينة من ذهب إذا كحلت بالأثمد عينيك فباطلاً تحسنين ذاتك .. (ار ٤ : ٣٠) أليس من السخرية إنه بينما تقفز العصافير والخيل وغيرها من المخلوقات فى طلاقة ومرح متهللة بما وهبها الله من جمال تعمد المرأة إلى التزين والالتجاء إلى الوسائل الصناعية للتجمل كأنها أقل جمالاً أو قيمة من البهائم ؟! [٥] .

بستان الرهبان ينصح المؤمن بمحاربة الزينة إذ يقول " إن كنت محباً للتواضع فلا تكن محباً للزينة لأن الإنسان الذى يحب الزينة لا يقدر أن يحتمل الازدراء ولا يسرع إلى ممارسة الأعمال البسيطة ويصعب عليه جداً أن يخضع لمن هو دونه ويخجل من ذلك ، أما المتعبد لله فإنه لا يزين جسده وأعلم أن كل من يحب زينة الجسد فهو ضعيف بفكرته ولا ترى له حسنات .. الاتضاع والعفة يتعاضدان بالمحقرة والذى يحب الزينة والكرامة لا تسأله عن حقيقتهما .. " [٦] .

[illegible] الخارجى علامة على عدم فهم الجمال الحقيقى

يقول القديس أكليمندس الأسكندرى فى حديثه عن الزينة وتلوين الوجه " الحقيقة الأولى هى أن أعظم جمال هو جمال الروح لأنه متى تزينت النفس بالروح القدس واستوحت المفاتن الساطعة المنبعثة من البر والحكمة والاحتمال والاتزان وحب الخير والاحتشام .. متى تزينت بهذه وجدت أن هذه المفاتن تفوق كل جمال وكل لون [٧] .

وفى موضع آخر يناقش موضوع الجمال الحقيقى فيقول " حين ذهب صموئيل بأمر من الله ليمسح أحد أولاد يسى ملكاً ورأى ابنه الأكبر طويلاً حسن المنظر سر به وبادر بإخراج قنينة الدهن ليمسحه ولكن الله قال له " لا تنظر إلى منظره وطول قامته لأنى قد رفضته لأنه ليس كما ينظر الإنسان .. لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فينظر إلى القلب . فإن

---

٥ نفس المرجع السابق .
٦ بستان الرهبان جـ ١ ص ٦٥ .
٧ أكليمندس : المربى جـ ٣ ص ٢٧١ ـ ٢٩٦ .

كان الرب يحسب جمال الجسم أقل قيمة من جمال النفس فما حكمه على الجمال المصطنع الذى تضيع فى سبيله قوى الإنسان ومواهبه وأمواله .. لأننا يجب أن نسلك بالإيمان لا بالعيان " [٨] .

وسليمان الحكيم يقول فى أمثاله " الحسن غش والجمال باطل .. أما المرأة المتقية الرب فهى تُمدح " (أم ٣١ : ٣٠) .

كل الذين يتعمقون إدراك الجمال يعرفون أن كل جسد عشب وكل جماله كزهر الحقل لأن الشمس أشرقت بالحر فيبست العشب فسقط زهره وفنى جمال منظره.

طوبى لأولئك الذين عرفوا الحق وتلامسوا مع من هو أبرع جمالاً من بنى البشر ، وأدركوا أن يسوع قد خطبهم لنفسه عروساً بلا عيب فسعوا وراء البر والتقوى والتعفف ويزينون الداخل عالمين أن النور الداخلى سوف يستعلن يوماً عندما يظهر الرب مجد كنيسته وجمالها الحقيقى فيراها كل أحد جميلة كالقمر طاهرة كالشمس مرهبة كجيش ذى ألوية .

[illegible]

للقديس يوحنا ذهبى الفم كلام جدير بالاعتبار " لماذا تتزينين ؟ قولى لى .. هل لكى ترضى رجلك ؟ افعلى هذا فى منزلك .. فإن كنت ترضين رجلك فما ترضين الغير . وأما إن كنت ترضين الغير فما ترضين رجلك لذلك قد تلبسين الحلى عندما تسيرين فى الشارع وتدخلين الكنيسة .. قولى لى لأى شئ تقف المرأة الزانية التى بجمال جسدها تجذب العشاق ؟ أما أنت فأم ولك أولاد كونى لبنتك نموذجاً للعفة وزينيها بتلك الزينة .. إن العروس تهتم كيف ترضى عريسها أولاً وآخراً وتكشف له وحده عن جمالها الداخلى والخارجى .. فمن ناحية الجمال الداخلى ، كما يغير رب المجد على عروسه فلا يطلب منها أن تتصدق أو تصوم أو تصلى لأجل إرضاء ومدح الآخرين وإنما تصنع هذا كله فى الخفاء لأجله .. هكذا ليت النسوة لا يأخذن صورة التقوى والورع وتتظاهر بمظهر لوداعة ورقة الحديث أمام الآخرين بينما تملأ بيت الزوجية بعبوستها وتبرمها ..

---

٨ نفس المرجع السابق .

أنها بذلك تهتم كيف ترضى الآخرين وتكشف لهم عما يبدو جمالاً لها بينما لا تبالى بزوجها .

أما من جهة الجمال الخارجى فيجب على كل عروس أن تعلن لعريسها أنها تحبه فوق كل إنسان فى المسيح يسوع وإنها تخضع له وتطيعه كما كانت سارة تطيع إبراهيم وتقول له يا سيدى .

وقد يسأل سائل ما وجه الخطأ فى أن لا تتغطى المرأة ؟ يقول ذهبى الفم " أن الغطاء على رأس المرأة علامة الخضوع للرجل فإن الرجل أو المرأة تخطئ إن حاول تبديل ذلك النظام وتعدى الحدود التى وضعها الله للكل .. إن الرجل يسقط فى صغر النفس كما تسقط المرأة فى التشامخ .. الرجل بطبيعته غير مدعو أن يغطى رأسه بينما المرأة لها غطاء هو شعرها . كم يكون الجرم مشيناً إذا حاولت المرأة أن تعرى رأسها وحاول الرجل أن يغطى رأسه .. إن هذا بجانب مخالفته للطبيعة فهو مخالفة للوصية وتحد لأمر الكتاب وإن قال قائل أى قبح فى أن ترتقى المرأة لمنزلة الرجل نجيبه أنها لا ترتقى بل بالحرى تنزل من كرامتها اللائقة .. إن عدم بقائنا فى حدودنا وخروجنا عن إطار وصايا الله ليس زيادة لنا بل نقصان . وكما أن من يشتهى مقتنيات غيره ويأخذ ما ليس له لم يكسب شيئاً زيادة بل نقص إذ خسر أيضاً الذى له (تماماً كما حدث فى الجنة) ، هكذا أيضاً المرأة لا تأخذ كرامة الرجل بل تفقد حتى اللياقة والحشمة التى لها كأمرأة وكما أن الوالى عندما يأتى أمام الملك ينبغى أن يحمل شعار المملكة والزى الرسمى كذلك أنت أيها الرجل لا يمكنك أن تصلى لله وأنت مغطى رأسك لأن هذه إهانة لله الذى كرمك بهذا الشرف ، وهكذا المرأة عار عليها أيضاً ألا تحمل شعار خضوعها وهو غطاء رأسها عندما تقف أمام الله فى الصلاة .

صفوة القول أن الزينة الحقيقية هى الزينة الداخلية ، وأن الزينة الخارجية قاصرة على العلاقة بين الزوج والزوجة لأن جمال الزوجة ليس للغير وإنما للزوج فقط وأن من أهم علامات الخضوع والحشمة عند المرأة قبولها شعار خضوعها وهى تغطية رأسها بينما يبقى رجلها عارى الرأس فى الصلاة أمام الله .

وعندما يشير الكتاب المقدس عن فائدة الحشمة والوداعة والطاعة فى حيـــاة الزوجـــة يؤكد أن النساء يستطعن عن طريق العفاف والطهارة والحشـــمة ربـــح أزواجـــهن الذيـــن لا يطيعون الكلمة إذ يقول الرسول بطرس " وكذلكن انتن أيتها النساء كن خاضعـــات لرجـــالكن حتى وأن كان البعض لا يطيعون الكلمة يُربحون بسيرة النساء بدون كلمة ملاحظين ســيرتكن الطاهرة بخوف .. ولا تكن زينتكن الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبـــس الثياب بل إنسان القلب الخفى فى العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادىء الذى هو قـــدام الله كثير الثمن (ابط ٣ : ١ ــ ٤) . وهكذا يكون للحشمة والوداعة والطاعـــة عنـــد المـــرأة دور تبشيرى كرازى وعمل هام فى ربح النفوس للمسيح .

ثالثا : الحشمة والكلام

إن الحشمة فى المسيحية ليست مجرد ستر الهيكل وعدم التزين بالضفائر والذهب ولكـــن أعماقها تكمن أيضا فى الصمت والخضوع . هذا يتضح من مقابلة الزينة الخارجيـــة بزينـــة الروح الوديع الهادئ .

كما أن بولس الرسول فى حديثه عن قضية الحشمة بعد أن يوصى النساء بعدم الـــتزين الخارجى يوصى الرجال أن يصلوا بدون غضب ولا جدال ، والنساء أن يخضعن ولا يرفعـــن أصواتهن ويؤكد انه ان كان أحد يظهر انه محب للخصام فليس لنا نحن عادة مثـــل هـــذه ولا لكنائس الله (١ تى٢ : ٨ ــ ١١) و (١ كو١١ : ١٦).

فالغضب والثرثرة وحب الجدال تتناغم مع العرى وتشترك وإياه فى قضية الحشـــمة .. أن الرجل المحتشم فى المسيحية ليس هو الحريص على تغطية جسده وستره ولكنـــه أيضـــا الحريص على أن يكون باطنيا يخبئ كلام الله فى قلبه لكى لا يخطئ إليه .

وتبدو الحشمة فى علاقتها بالكلام واضحة عند المرأة أكثر لأن المرأة مـــهيأة للصمـــت أكثر من الرجل وموجهة الى الحياة الداخلية الى ما هو مستتر فى أعماق الكيان أكـــثر مـــن الرجل الذى يعبر فى حياته بالكلام والشرح . ان قوة المرأة فى صمتها ووقارهـــا وهدوئـــها واتضاعها . " وكانت مريم تحفظ كل شئ فى قلبها . هاأنذا أمة الرب ليكن لى كقولك " لذلـــك

لا نعجب إذا كان بولس يعلم بألا ترفع المرأة صوتها فى الكنيسة وان كانت تريـــد أن تتعلـم فتسأل زوجها فى المنزل . ونرى قوانين الكنيسة تؤكد هذا الاتجاه " لا تدع النســاء شـعرها محلولا ولا تلبس ذوائب على الرأس ولا تعطى الأولاد للدايات بل تربيهم وحدها ولا تتوانـى عن خدمة بيتها ولا تجاوب أى لا تجادل بعلها فى شئ وان كانت تعرف أكثر منه بل تذكـر الله فى كل شئ . ولا يكن محبات للذة وللضحك ولا يتكلمن فى الكنيسة لأنه ليـس موضـع كلام بل موضع صلاة بخوف " (قوانين أبو ليدس باب ١٧) .

وفى موضع آخر تنص القوانين هكذا : نحن نأمر ألا تعلم واحدة من النساء فى الكنيسـة بل يصلين لأنفسهن ويستمعن التعليم . إذا كان رأس المرأة هو الرجل فليس من الواجـب أن يترأس الجسد على الرأس (قوانين أبو ليدس باب ١٩) .

هكذا نخلص أن الحشمة النابعة من حياة العفة وصية واجبة وسلوك مسيحى لازم وأنـها تتضح فى عدم التزين الخارجى لأجل الآخرين والاهتمام بالتزين الداخلـى . زينـة الـروح الوديع الهادى . وأنها ليست قضية النساء فحسب ولكنها للرجال أيضا اذ يلزم للجميع اختبـار الصمت والـهدوء والحيـاة الباطنيـة المقدسـة لأن هـذه هـى الصـورة الحقـة للزينـة والجمال والعفة.

ستظل قضية الحشمة محكا من أهم المحكات التى بها يختبر أولاد الله ليظهروا النـور الذى فيهم ويشهدوا للحق الذى عرفوه .

[illegible]

❖ يا الهى يا من خلقتنى عريانا من كل خبث وغش ونفاق وبارادتى اخـترت أن انفصـل عنك فتعريت من نعمتك ولبست ثياب الكبرياء والذاتية والعجب .

❖ يا الهى يا من تدعو شعبك أن يحتشم فى اللباس والحديث والتصرف أشكو إليك بعـض المسيحيات لأنهن شابهن العالم فى الملبس .

لقد سرن عرايا . فلتوبخهن بروحك ليلبسن القداسة والبر . ومشين غامزات متشـلمخات فانتهرهن يا ربى ليعشن فى الاتضاع والطهر .

وعلت أصواتهن وكثرت مجادلاتهن . فعلمهن يا سيدى كيف يصمتن متشابهات بأمك العذراء التى كانت تحفظ كل شئ فى قلبها .

❖ يارب .. يارب .. لا تسمح أن تكون واحدة من بناتك سبب عثرة لأحد كيلا يكون نصيبها البحيرة المتقدة نارا وكبريتا .

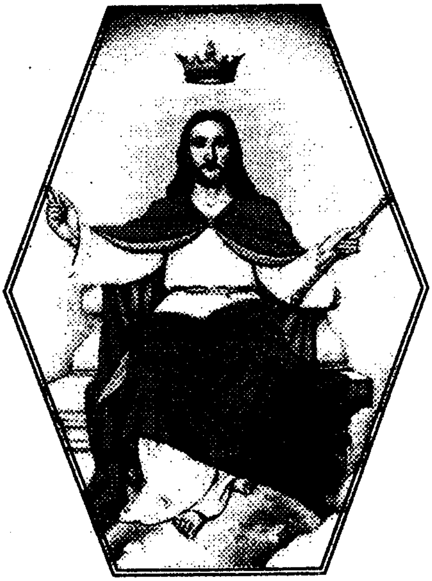

[redacted]

[redacted]

- أسس التربية للعفاف
- اهتمام خاص بالمراهقة
- برنامج مقترح للتربية الجنسية
- برنامج آخر للتربية الجنسية

[redacted]

التربية للعفاف هى تربية الشخصية كلها واعدادها للحب والفضيلة .. وهى عملية مستمرة تستغرق حياة الإنسان كلها . وهى عملية باطنية فيها يتفاعل أعماق كيان الإنسان مع فعل الروح النارى الذى وحده هو ينبوع العفة والقداسة . ولكن العمل السرى هذا يحتاج إلى إعداد الهيكل والإناء ليكون متقبلا لفعل الروح وعمل النعمة . لذلك حرص الآباء والمربون منذ بداية المسيحية على تنشئة الأجيال الصاعدة تنشئة تتمايز عن اتجاهات العالم وقيمه وأنواع سلوكه .

منذ بدء الكنيسة امتازت الأسر المسيحية بالعفة فى السلوك والحديث ، بالنظرة الطاهرة النقية للجنس والجسد ، بالحشمة فى الملبس والكلام ، بالتعفف فى كل كبيرة وصغيرة . ونشأ الأطفال فى هذا الجو المسيحى ليمتصوا هذه الاتجاهات ولتتهيأ حياتهم لطلب النعمة القادرة على ان تجعلهم يحملون ذات المشعل ويسيرون فى نفس الطريق .

وستظل مسئولية التربية للعفاف ملقاة على عاتق الوالدين أولا ثم الأسرة بمعناها الواسع ثم الكنيسة بكافة أبعادها ومفاهيمها .

وليست التربية للعفاف مقصورة على الجوانب الفكرية والوجدانية والسلوكية للأمور الخاصة بالجسد والجنس والزواج ولكنها مرتبطة بالشخصية ككل .

فالعفاف ثمرة من ثمار الحياة الجديدة ، حياة الشركة مع الله لذا يلزم الإنسان أن يكون كله لله حتى ينسكب روح العفة فى داخله وفى مظهره وملبسه . وللعفة تحديات كثيرة بعضها حروب خارجية وبعضها حروب داخلية . الكثير منها إثارات من العالم والعميق والعنيف منها اشتهاءات من الجسد والإنسان العتيق ، والمكير الملتوى منها من حروب إبليس وسهامه الملتهبة . لذلك يلزم التوجيه والقيادة . يلزم وجود مرشدين روحيين عاشوا فى العفة واختبروا حياة القداسة حتى يسلموا للناشئة الاختيارات التى عاشوها والمعاناة التى عانوها فى حروبهم وجهادهم وانتصاراتهم وسقطاتهم .

والتوجيه الفردى فى أمور العفاف أكثر فائدة وأعمق تأثيرا من التوجيه الجمعى لأن كل إنسان يختلف عن الأخر فى نوع التحديات الماثلة أمام حياة العفة ، لذلك فان التعميمات والمبادئ العامة المجردة كثيرا ما لا تفيد فى حل المشكلات وكثير من الفتيان سمعوا فى فصول الدراسة بالمعاهد العلمية عن الجنسية الذاتية فى مرحلة سابقة للنضج فكانت هذه بمثابة تحريض على التجربة والتعرف بها . وقد دأبت الكنيسة فى كافة العصور على أن تجعل سر الاعتراف هو مجال الحديث عن مشكلات العفة وإبداء الحلول لأن الله يحضر بروحه فى هذا السر ويرشد الكاهن الى ما تحتاجه النفس الخاضعة أمام الله ويشعر المؤمن ان ما يأخذه من إرشاد إنما هو من الله وعندما ينتصر يثق أنها كانت معجزة وتنطبق الآية "لا بالقدرة ولا بالقوة وبل بروحى قال رب الجنود " (زك ٤ : ٦) .

وهكذا نستطيع أن نلخص مبادئ وأسس التربية للعفة فيما يلى :

١ ــ أنها عملية مستمرة تستغرق حياة الإنسان كلها .

٢ ــ أنها عملية باطنية سرية يشترك فيها روح الله مع إرادة الإنسان وخضوعه وطلبته المستمرة . وهى تقوم على الحب والعطاء والانفتاح لا على الكبت والتخوف والتشكك والوسوسة .

٣ ــ أنها تحتاج إلى مرشدين روحيين ، قدوة فى السلوك والتصرف ذوى بصيرة متسعة وإفراز سليم وفهم عميق لتحديات العفة المختلفة ، وقدرة على طلب إرشاد الروح وأخذ

التوجيه المناسب من الله مباشرة وهكذا يلزم أن يكون موقفهم متزنا هادئا خاليا من القلق والثورة متحررا من الذاتية والانفعال .

٤ ــ أنها تهدف إلى توجيه فردى أكثر من التوجيه الجمعى ويفضل أن يكون هذا التوجيه أمام كاهن الله فى سر مقدس .

٥ ــ أنها تهدف إلى أن يختبر المؤمن حياة الحب سواء فى إطار الزوجية أو على مستوى البتولية والتكريس الكامل .

وقد جاءت الإجابة على بند ١٩ من الاستفتاء ان الكنيسة والمنزل ومدارس التربية الكنسية مسئولة عن قضية العفة والتربية الجنسية وكانت أهم الاقتراحات لتحقيق هذه المسئولية هى :

١ ــ إيجاد آباء اعتراف مختبرين .

٢ ــ إعداد الخدام الروحيين لفصول المراهقين والشبان .

٣ ــ تعالج اجتماعات الشباب هذه الموضوعات معالجة عميقة .

٤ ــ اهتمام الكنيسة بالمنزل وتوجيهه وجهة سليمة دون تزمت أو إباحية .

٥ ــ توجيه الوالدين الى إفساح صدورهم وكيفية الإجابة عن أسئلة أبنائهم الجنسية .

[illegible]

على أنه إذا كانت عملية التربية مستمرة ألا أن هناك مرحلة بعينها تمثل أهمية خاصة وهى فترة الانتقال ما بين الطفولة والنضج وهى ما تعرف بالمراهقة .

فى هذه المرحلة تتطور النواحى الانفعالية والجسمية والعقلية تطورا سريعا وكثيرا ما تسبب للفتى أو الفتاة متاعب كثيرة ، تحتاج الى إشراف وتوجيه دقيق .

تخطئ الأسرة والكنيسة ومدرسة الأحد فى أن تقمع رغبات التلاميذ الجنسية وتسعى الى كبتهم دون أن تسهل لهم عملية التلامس مع المخلص بروحه القدوس . ان المجتمع فى الخارج يثير المراهقين إثارة عنيفة والأسرة والكنيسة قلما تهتم بالإرشاد والتوجيه ، الأمر

الذى يؤدى إما إلى إزدواج الشخصية أو الى الاستهتار بالقيم ، أو الانسحابية والانطوائية والسلبية .

أن التربية المسيحية تستلزم انتقال المراهق من أناه الى الآخر ومن الوضع الآخذ الى الوضع الباذل . أن الجهد الموجه الذى يبذله المراهق للخروج من ذاتيته والانفصال عنها يتوصل أخيرا ان يكتشف بصورة حية ماهية الحب الحقيقى بين الجنسين ويعرف حقيقة إن ما كان يعتبره حبا قبل تلامسه مع المسيح أنما كان اضطرابا شهوانيا وتخبطا عاطفيا .

وفوق كل شئ لنسهر على أن يعى المراهق الله ينبوعا أولا وغرضا أسمى لكل ما يتوق إليه من الحق والخير والجمال . لنساعده على المضى بعمق وعلى النضوج فى وثبته الروحية التى هى طبيعته فى هذه السن . انه يستطيع أن يكتسب حياة دينية عميقة بقراءة الإنجيل بصورة مستديمة وبالاشتراك المتكرر بالقداس الالهى والأسرار وممارسة التوبة الصادقة وأعمال المحبة والبذل للجميع .

فان تلك الدعوة للحب التى يشعر بها المراهق صاعدة من أعماق كيانه تحتاج منا الى توجيه يسنده حتى يكون لنفسه وعيا واضحا ومستقيما عنها فى الصفاء المشع الالهى . ليعلم المراهق أن الله محبة وأن ليس محبة حقيقية إلا فيه . وإنه ليست محبة أعظم من أن يبذل الانسان حياته من أجل أحبائه . لتظهر له العفة الصعبة كفترة ابتداء للحب الحقيقى ولتدفق قواه العاطفية ، بانتظار ملء نضوجها ، فى بذل يومى للذات فى حياته الدراسية والمهنية فيكون هذا تحضير للنكران الذاتى الذى ستتطلبه العائلة فيما بعد .

لننم فيه الحس بالمسئوليات التى تنتظره ولنجعله يعى إمكانياته وأذواقه . فلنعبر للمراهق عن سرورنا لاشتياقاته التى يعرب فيها عن رغبة فى التكريس للبتولية والرهبنة ولنحثه على الصلاة وعلى أن يكون وفيا فى صغائر الأمور حتى إذا اختبر دعوته وفهم أنها لم تكن حماسا عابرا يستطيع فى اليوم الذى يريده الرب ان يتبعه بحرية وسخاء[1]

[1] ـــ كوستي بندلي : نحن والمراهقون مجلة النور سنة ١٩٥٣ ص ١٢ .

وقد أعرب المجيبون فى الدراسة العملية التى قمنا بها على أن الاختلاط فى سن المرحلة الثانوية ليس حلاً لمشكلة التوتر الجنسى الذى يحس به المراهقون فى هذه الفترة الحرجة .. أن نسبة ٦٤% هم الذين رفضوا الاختلاط بينما ٣٦% هم الذين ترددوا أو وافقوا على عملية الاختلاط ..

والاختلاط فى حد ذاته قضية اجتماعية بحتة يدرسها رجال علم النفس والاجتماع وقد يكون هذا وراء انخفاض نسبة الموافقين على بند ١٢ من الاستفتاء . وقد ينجح الاختلاط فى بعض المدارس وفى بعض البيئات ، ولكن الأمر الذى لاشك فيه أن ضغط الدافع الجنسى شديد فى فترة المراهقة ويخشى من أن تكون عملية الاختلاط مشجعة على السقوط خاصة وإن العقل والضمير قلما يتحكمان فى الجسد ساعة الإغراء الشديد والحرب العنيفة . ولكن الاختلاط ان كان لهدف معين سام فقط كأن يكون للدراسة أو الرياضة ويتدرب عليه الأطفال منذ الصغر مع إشراف دقيق فى المؤسسات الاجتماعية والتعليمية قد لا ينشئ أخطارا واضحة ، ولكن الجو الدينى لا يجب أن يشجع على الاختلاط فى وقت ما زال المجتمع تسوده روح المحافظة لأن العثرات التى تحدث ستتحملها الكنيسة وهذه وجدت للحماية من العثرة لا لإيجادها .

قد يقول قائل أن المؤمنين لهم عيون نقية وأن فى الكنيسة الأولى كانت المريمات يعشن مع التلاميذ فى حياة مشتركة ولكن يلزم أن نعرف أننا نحن المؤمنين نعيش فى أجساد تحاربنا وأننا لسنا نعيش على المستوى الروحى الذى عاشه الرسل والمريمات .

ثانياً : برنامج مقترح للتربية الجنسية

بالرغم من إن العفاف هو هبة من الله وعطية من عطايا الروح إلا أن ذلك لا يمنع المربيين من أن يفيدوا من خبرات رجال الله فى خدمتهم وفى مجال الرعاية والتربية .

وبالرغم من أن العفاف عمل فوق الطبيعة إلا أن ذلك لا يمنع من أن القامات النفسية ومراحل العمر المختلفة تحتاج الى مستويات معينة تتناسب وكل مرحلة من الدراسة مع تأكدنا أن الغارس ليس شيئا ولا الساقى فالأمر متروك لله وحده هو الذى ينمى .

فى مرحلة الطفولة المبكرة تقع مسئولية التربية الجنسية على الوالدين اللذين يجيبان على أسئلة الطفل الجنسية فى هدوء وبساطة حتى لا يشعر الطفل بأن أمور الجنس ترتبط بالقبح والغموض .

وفى مرحلة الطفولة المتأخرة وما قبل المراهقة تشترك المدرسة والكنيسة مع الأسرة فى عملية التربية ، أما فى مرحلة المراهقة والنضج فان المسئولية تقع على من هم خارج البيت تقريبا لأن المراهق يكون – فى أغلب الأحيان – متجها نحو خارج المنزل .

أما مجالات التوجيه فبعضها علمي وبعضها روحي .. العلمى منها هو أن يتعرف الطفل على أسماء الجسم بما فى ذلك الأعضاء التناسلية ويلم بمبادئ مبسطة عن وظائف أعضاء الجسم كما يتعرف على واجبات الأسرة ويلاحظ أن هناك ذكورا وإناثا بين الحيوانات الأليفة وكيف تنمو الصغار فى داخل الأم فى الثدييات.

وتحرص الأسرة على تنظيم العمليات الخاصة بتبوله وتبرزه وممارسة القواعد الصحية البسيطة كما يسود جو الأسرة الصراحة فيما يختص بالجسم والتدريب على ضبط النفس والمساهمة فى الواجبات المنزلية لتنمية روح البذل والعطاء نحو أفراد الأسرة.

أما مجالات التوجية فى التربية الدينية فهى قصص يرويها الوالدان عن بداية الخليقة ووجود آدم وحواء ومقاصد الله من هذا الوجود وهدف وجود حواء مع آدم، وعظمة الخالق فى تكوين أجسادنا هذه من التراب.

وأهمية الروح غير الظاهرة للعين المستقرة فى الهيكل الترابى، والفارق بين المسيحى المعمد بالماء والروح وبين غير المسيحى فى النظرة إلى قيمة الروح والجسد، وحكايات عن عائلات فى العهد القديم والجديد عاش أعضاؤها فى روح الحب والبذل المشترك.

ويكون هدف التربية فى هذه المرحلة تنمية اتجاهات الحب نحو الله الذى خلقنا وأحبنا، وكذا تنمية اتجاهات التقدير نحو الجنس والجسد والتعرف على أنه ليس قبيحا ولا قذرا الأمور المتعلقة بوظائف الاعضاء وكذا تنمية روح الحب نحو افراد الاسرة وتقدير روح الانسجام العائلى كوصية من وصايا الله المجيب ..

[redacted]

تتجه مجالات التوجيه العلمى والاجتماعي إلى فهم أوسع لوظائف الأعضاء الجنسية وتقديم معلومات أولية بسيطة جدا عن قواعد الوراثة وكذا معلومات مبسطة عن الوظائف الاجتماعية للأسرة والعلاقات الاجتماعية خارج البيت ويسود الأسرة اتجاهات الترحيب بمشاركة الغير فى العمل والامتلاك والارتياح والرضا بالجنس الذى ينتمى إليه كل فرد (وهذا له أهمية خاصة فى حالات البنات) والتطلع فى سرور إلى مرحلة المراهقة الآتية باعتبارها دليلا على الاقتراب من النضج الجسمى والنفسى والسرور والاستمتاع بالنشاط والتجديد والإبداع فى كل عمل يعمل ..

أما مجالات التوجيه فى التربية الدينية فهى تقديم نموذجا سليما للحياة الأسرية الناجحة والحب الذى يربط بين الزوج والزوجة، وتوضح التربية الدينية كيف بارك الله هذا الحب عند إبراهيم واسحق ويعقوب وغيرهم من الآباء .. وتعطى توجيهات عن مركز المرأة فى المسيحية وكيف أنابت العذراء مريم عن البشرية فى قبول التجسد المبارك وبها رفعت المذلة التى كانت تشعر بها المرأة، وأن البنت والولد عضوان فى جسد المسيح، وفى مجال القداسة وجد قديسون وقديسات على حد سواء، وتعطى أمثلة على ذلك وتقدم أمثلة حية لفتيان وفتيات عهدت إليهم مسئوليات ضخمة حتى تنمو عند الناشئة اتجاهات الترحيب والتطلع فى سرور إلى مرحلة المراهقة والنضج والسرور بالمسئوليات التى ستلقى عليهم .. كما تعطى توجيهات فى ثنايا دروس الدين عن الكرامة التى أعطيت للأعضاء الجنسية (١كو ١٢) وإنها ليست نجسة شريرة وتشرح دروس الدين شيئا مبسطا عن الحشمة من وصايا الرب المقدسة ..

[redacted]

تتجه مجالات التوجيه العلمى والاجتماعى التى يقوم بها الوالدون والمدرسون وطبيب المدرسة والكاهن وخدام مدارس الأحد إلى تنظيم وتعميق المعلومات السابقة مع فهم مبسط لأثر الهرمونات فى الجسم ومزيد من المعلومات عن الوراثة والأمراض التناسلية وقيمة الحياة العائلية وتسعى الأسرة والمدرسون إلى تنمية عادات ممارسة الرياضة البدنية

والهوايات الابتكارية وألوان النشاط الاجتماعى مع توجيه خاص فى اختيار الأصدقاء ومـــادة القراءة .

وتتسع مجالات التوجيه فى الخدمة الدينية فيدرس الفتيات معنى العفة وأهميتها وفائدتـــها والارتباط بين العفة والحب الحقيقى ومقاصد الله من الزواج والجنـــس والحـــب والتكريـــس وكيفية ضبط النفس والجسد وحفظ الوصية القائلة (لا تشته) ونظرة المســـيحية الســـليمة إزاء الغريزة فى جوانبها الثلاث الإدراك، الوجدان، النزوع فى ثنايا دراسة الموعظة على الجبـــل والعوامل التى تثير الشهوة وكيفية التخلص منها .

والأبعاد الخاصة فى قضية العفة كالبعد الروحى والاجتمـــاعى والبيولوجـــى والنفســـى ونظرة المسيحية إزاء العمل والمهنة والحياة الأسرية فى ثنايا الدروس مثل المسيح فى بيـــت يوسف النجار وعن راعوث ونعمى ودراسة مبسطة لرسائل بولس فى كولوسى وأفسس.

[illegible]

تتجه مجالات التوجيه العلمية والاجتماعية إلى إدراك أعمـــق لقـــوة الدافـــع الجنســـى وضرورة ضبط النفس وعدم إثارة الجنس الآخر، وإدراك اعمق لما تتضمنه الجنسية الذاتيـــة وجدانيا والإلمام بما يساعد على التخلص من هذه العادة مع إبراز أهمية الجانب الروحى فـــى طريقة هذا التخلص.

وتقديم مزيد من المعلومات عن الوراثة وفهم لموضوعات الحـــب وعلاقتـــه بـــالجنس وتعرف على إخطار العلاقة الجنسية خارج إطار الزواج والقيم الاجتماعية والخلقية للـــزواج والعلاقات غير الشرعية وانحرافات الجنس المختلفة.

وتسعى التربية الاجتماعية والعلمية إلى تنمية عادات التعبير عن الذات فـــى الرياضـــة والموسيقى والعلوم والفنون والابتكارات ومجاملة واحترام الجنس الآخر مع عدم المبالغة فـــى ذلك وتحمل المسئولية مع الدقة فى الحياة ونقد الذات والتفكير العلمى السليم فى المشـــكلات، وتقدير الجنس على أنه قوة جلية الشأن، وكراهية الفحش والبذاءة والجبن والرياء والمحابـــاة والعنف والكبرياء والعجب بالذات ..

أما فى مجالات الخدمة الدينية فيقوم آباء الاعتراف وخدام الكنيسة الشبان بتنمية إدراك اعمق لدى المراهقين عن فائدة العفة وأهميتها ونظرة المسيحية إلى الجنس والعفة المكرسة والحب الحقيقى والفارق بينه وبين الشهوة ونظرة الكتاب المقدس والآباء القديسين إلى الحب وخطورة انحرافات الحب وقضية المسيحية والحشمة.

كما عالجها بولس الرسول فى رسائله وقضية النصرة والغلبة على النفس والجسد كما أوضحها الكتاب المقدس وتهدف التربية الدينية فى هذه المرحلة إلى تشجيع الشبان والشابات على ممارسة النصرة والتضحية والبذل واحترام الجنس والحشمة والعفة كاتجاهات مسيحية تستغرق داخل الهيكل وخارجه.

وفى المرحلة ما بين ١٩ - ٢٥ (وهى مرحلة الخطبة والزواج)

تقوم مجالات التوجيه الاجتماعى والعلمى على اعطاء معلومات عن عناصر الحياة الزوجية ومتطلباتها وفهم الخصائص الوجدانية والجنسية لكل من الجنسين وفهم أعمق لخطورة الانحرافات الجنسية وفهم الالتزامات الاقتصادية والاجتماعية للزواج والأبوة وإدراك كيفية إدارة البيت ومعرفة المراجع التى يرجع إليها للاستزادة من المعلومات عن الأسرة والجنس وتنمى هذه التربية اتجاهات تهذيب النفس واحترام الرفيق وعدم الإساءة إلى عفته، وتجنب المواقف المثيرة للجنس وتبادل النظر فى القضايا الخاصة بالزواج واشتغال الزوجة والواجبات المنزلية ..

وتسعى التربية الدينية إلى تنمية إدراك أعمق لفائدة العفة وأهميتها فى الحياة المسيحية وعن العفة كاستعداد للزواج وعن العفة أثناء الزواج وعن كيفية اختيار الزوجة والمعاملات فى الحياة الزوجية من منظار مسيحى وعن الحياة الزوجية وأثرها فى الدافع الجنسى، وعن النسل والصوم وعلاقته بالدافع الجنسى، وعن البتولية كزيجة مقدسة مع المسيح كما أوضحها الكتاب المقدس وشرحها الآباء القديسون، وعن اتجاه المسيحية إزاء الحشمة والزينة.

وتهدف التربية الدينية من خلال العظات وحلقات البحث وجلسات الاعتراف والنشرات والمجلات الدينية والكتب الروحية إلى تخليص الفرد من العقد الجنسية ونموه نموا سليما

وتنمية روح الحب والاستعداد وتنمية روح التعفف والطهارة والنقاء إزاء كافة الموضوعـــات الجنسية.

[illegible]

(ويقوم بهذه التربية كافة الرفيق سواء الزوج أو الزوجة والأطباء والكهنـــة وبعــض المرشدين ذوى الكفاءة الروحية والعلمية).

فتقوم التربية الاجتماعية والعلمية على إدراك أعمق لمسئوليات الأسرة وتعلم خصــائص الأبوة والأمومة وفهم مبسط لسيكولوجية الطفل وأصول المشكلات التى تقابل الأسرة وأهــداف ووسائل تربية الأطفال فى كافة مراحل النمو وتنمية عـــادات واتجاهــات اللطــف والحنــو والعطف والصراحة فى مواجهة مشكلات الحياة الزوجية والاتفاق المشترك فى خطة تربيـــة الأطفال وتقدير ظروف الرفيق وعدم الضغط فى المطالب الجنسية والعزم على التغلب علـــى المشكلات والترحيب بالمسئوليات الناجمة عن إنجاب الأطفال، وتشجيعهم علـــى الاســتقلال وجدانيا واجتماعيا.

وتحرص التربية الدينية عن طريق العظات وجلسات الاعتراف والإرشـــاد الروحـــى والنشرات والكتب واجتماعات الآباء والأمهات على توجيه الوالدين نحو العفة فـــى الــزواج والصبر والاحتمال إزاء المشكلات الضاغطة وتنميـــة الاتجاهــات المســيحية إزاء النســل والطفولة والأبوة والأمومة وعملية تربية الأطفال باعتبارها مهمة مسيحية كـــامتداد لملكــوت السموات.

ونختم حديثنا عن هذا البرنامج المقترح ببعض الملاحظات الهامة الآتية:

١ - أن تقسيم البرنامج المقترح يعتمد على مراحل العمر الزمنى وقـــد افــترض التقســيم أن النمو الروحى يسير مع النمو الزمنى فى اتفاق واطراد كما قيل عن الرب يسوع أنه كــان ينمو فى العفة والحكمة والقامة أمام الله والناس ولكن قد يحدث أن واحدا لا يدخــل إلـــى الكنيسة إلا متأخرا وآخر لا يتلامس مع المسيح إلا فى مراحل متأخرة فتكون النتيجـــة أن المربى والمرشد يقدم فى عجالة كل المعلومات والاتجاهات الخاصة بـــالمراحل الســابقة

وعندما يتأكد من أن المؤمن قد عاشها يتقدم به ويعطيه اتجاهات ومعلومات المرحلة التى تتفق ونموه الزمنى ولعل هذا يبرز أهمية العمل الفردى.

٢ - إن هذا المنهج مرن وليس خطة جامدة إذ قد يوجد واحد من المؤمنين له تطلعات أكثر اتساعا وعمقا من مرحلته فيسأل عن موضوعات كتبت لمرحلة متقدمة وهنا يلزم للمربى والمرشد أن يكون مرنا ويعطى كل واحد حسب أحتياجاته.

٣ - أن موضوعا واحدا كالزواج أو الحشمة أو الجسد يمكن أن يعالج على مستويات مختلفة ففى القامة المبكرة يشرح الزواج فى مستوى يختلف عن القامة التى لجماعة من المؤمنين المعدين للزواج أو الذين تزوجوا فى المسيح وهكذا ..

[illegible]

لقد أوضحت الدراسة التى قمنا بها لمعالجة موضوع العفة أن مسألة صلب الجسد مع الشهوات تعتبر من أهم القضايا التى تتحدى الإيمان ..

وأن عملية تقديم الجسد ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله لا يمكن أن تتم إلا إذا لبس المؤمن الرب يسوع المسيح لأن المولود من الجسد جسد هو والمولود من الروح هو روح ..

أن العالم يموج اليوم بتيارات الانحلال والفساد وتسوده فلسفات تبرر هذا الانحطاط الخلقى والهبوط السلوكى.

وتتحقق الآية أن العالم وضع فى الشرير، والرب الذى دعانا أن نحيا فى العالم لا يريدنا أن نهرب منه ولكنه ان نتحداه بالحياة الجديدة التى تغلب الموت، والنور الذى يبدد الظلمة، والحق الذى يسحق الباطل.

المسألة هنا ليست قضية اجتماعية تناقش أبعادها الخارجية ولكنها فى الحقيقة مسألة إيمانية .. " هذه هى الغلبة التى تغلب العالم إيماننا".

فبدون عطية الإيمان والثقة فى دعوة الله لنا واليقين الشديد والقلب الصادق لا نصرة ولا غلبة وإنما انسياق فى الإثم وتيار الفساد والأغلال.

المسئولية واقعة على الكنيسة أولا وقبل كل شئ أن تبحث موقفها جديا ..

هل هى طاهرة كالشمس؟!.

الكنيسة من أهم علاماتها أنها مقدسة وكل من يدخل فيها يتقدس بعريسها. ولكنها عندما تهبط إلى روح العالم .

وتسعى إلى مجاملة الناس فى مشاربهم وتجرى وراءهم فى متاهاتهم تفقد الحق وتستقيل شخصيتها ويبطل تأثيرها وتصبح بلا وجود أو معنى.

الراعى الذى لا يعيش بروح العفة مع زوجته لا ينتظر إطلاقا أن يربى الناشئة على التعفف والبر والتقوى؟!

والكاهن الذى لا يضبط نفسه فى كل شئ لا يتوقع أن تكون لكنيسته فاعلية فى المجال التى تحيا فيه.

والمعلم والمربى الذى لا تنبعث من حياته الداخلية رائحة المسيح الذكية فى تقوى وعفة وحشمة ونسك لا يمكن أن يلد للمسيح نفوسا تحيا حسب الروح وتغلب العالم .

والمسئولية واقعة على الأسرة أيضا .. الأب الذى يبدأ حياته الزوجية يلزمه أن يكون قد اختبر حياة العفة سنين طويلة حتى يقود زوجته وأولاده فى الحياة التى أثمر فيها وأفلح.

والزوجة التى تتحدى الوسط الاجتماعي وتحيا فى العفة والحشمة والتزين الداخلى فحسب هى وحدها القادرة أن تقدم نموذجا صالحا فى وسط جيل شرير ملتو معوج.

ومدارس الأحد مسئولية لا أن تعطى دروسا فى التربية الجنسية ولكن أن تقدم خداما مثالا فى العفة والطهارة الجسدية .

هى مسئولة أن تقدم التعليم المسيحى المسوق بالروح والممسوح بالقوة حتى يتغير الجسدانى ليكون روحانيا وينتفض الشهوانى ليكون ابنا لله للملكوت وكنيسة الأبكار .

[illegible]

❖ " لا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله " (رو ٦ : ١٣) .

❖ " أميتوا أعضاءكم التى على الأرض الزنا - النجاسة - الهوى - الشهوة الردية - الطمع الذى هو عبادة الأوثان" (كو ٣ : ٥) .

❖ فإنكم تعلمون هذا أن كل زان أو نجس أو طماع الذى هو عابد للأوثان ليس له ميراث فى ملكوت المسيح والله " (أف ٥ : ٥) .

ليس لنا يا ربى إلا أن نسجد أمام عرش نعمتك ونقدم لك الشكر لأنك اخترتنا من بين الأمم لنكون لك شعبا وتكون لنا إلها .. أعطنا يا سيد أن نسلك كما يليق بالدعوة التى دعينا إليها وأن نسلك كما يحق لإنجيل المسيح حتى عند مجيئك المخوف المملوء مجدا نكون بلا خزى ولا اضطراب ولا سقوط فى الدينونة.

المراجع

مرتبة حسب الاقتباسات الواردة فى الكتاب

١ – مختار الصحاح طبعة ١٩٣٩.

٢ – N.& P.N. Father 1st Series Vol. 5, St. Augustine, On Marriage and Concupience.

٣ – كوستى بندلى – العفة والحب من منظار مسيحى مجلة النور سنة ١٩٦٣.

٤ – بستان الرهبان جـ٢.

٥ – روضة النفوس فى رسائل القديس أنطونيوس.

٦ – Ellis, sex in relations to society, London, 1945

٧ – نيقولاى برديائف – العزلة والمجتمع سنة ١٩٦٠ مكتبة النهضة.

٨ – زكريا إبراهيم – برجسون دار المعارف .

٩ – صموئيل مغاريوس – المراهق المصرى صفحة ٣١.

١٠ – منشورات النور ودير الحرف – مدخل إلى الكتاب المقدس ومجلات النور سنة ٥٣، ٥٧ نشرة دير الحرف عدد ٤.

١١ – كوستى بندلى – نحن والمراهقون مجلة النور سنة ١٩٥٣.

١٢ – منشورات بيت التكريس – العمل الروحى (مقال قدسوا صوما).

١٣ – منشورات دير السريان – نسكيات باسليوس صفحة ١٦٦.

١٤ – مارسيل مرقس – الجسد هيكل الروح القدس مجلة النور ١٩٥٧.

١٥ – الأب جورج خضر – السر العظيم مترجمة من مقال بمجلة St. Vladimir's Seminary Quarterly, 1964 Vol. 8.

١٦ – القس تادرس يعقوب – الحب المقدس جـ١.

١٧ – زكريا إبراهيم – سيكولوجية المرأة مكتبة مصر.

١٨ – جاك لكلبير – دعوة المسيحى مطبوعات المعهد الكاثوليكى.

١٩ – يوسف مراد – سيكولوجية الجنس صفحة ١٣٣ (سلسلة اقرأ).

٢٠ - زكريا إبراهيم - مشكلة الحب دار العلم بيروت.

٢١ - صلوات الإكليل الطقسية للكنيسة القبطية الأرثوذكسية.

٢٢ - القمص صليب سوريال - دراسات فى الأحوال الشخصية.

٢٣ - أقوال القديس كبريانوس عن البتولية فى مجموعة الأباء .

٢٤ - الشيخ الروحانى - الحب الالهى (مخطوط).

٢٥ - جورج خضر - الشخصية المستقلة مجلة الثورة ١٩٥٧.

٢٦ - أكليمندس الأسكندرى (المربى).

٢٧ - ثيوفان الناسك - المحاربات الروحية (ترجمة كنيسة مارجرجس أسبورتنج).

سر الحب المقدس

لعل كلمة الحب هى أكثر الكلمات غموضا فى قاموس الشباب ، فـالبعض يعنـى بـها الانفعال الغريزى ، والبعض يتصورها الانسجام العاطفى ، والبعـض يراهـا الأفلاطونيـة والميول الرومانسية فى حياة المراهقة . وهناك من يراها السر الذى لا يستطيع الإنسـان أن يشرح جوهره وإنما قد يتمكن من تصوير فاعليته .

هذا عن مدلول الكلمة المحير ومقوماتها المختلفة، أما عن ارتباطها بالغير فـهو أكـثر حيرة ، فهل هناك حب بين الشاب والفتاة ؟ ومتى يكون حباً ومتى يكـون عشـقاً؟ وإذا كـان هناك من لم يعرف الحب كما يتصوره أهل العالم حتى إن وصل سن الزواج فهل هذا يصلـح للزواج أم لا ؟

ثم ما علاقة الجنسية عند الإنسان بالحب؟ هل هى الحب كلـه ؟ أم هـى مقـوم مـن مقوماته ؟ أم هى جرثومة تحطيمه ؟ أم هى وقود لهيبه ؟.

وما العلاقة بين السر الإلهي فى الزيجة المقدسة وبين الحب عند الزوجين ؟ وإن كـان الحب حقيقة قائمة لا يمكن إغفالها فى حياة المحبين فهل للحب ديمومته ؟ وهل هو نور ينبثـق فجأة أم هو لهيب يخضع فى اشتعاله وانطفاء سعيره لعوامل الزمن وتحدياته المختلفة .

ثم بعد هذا كله ما مسئولية الكنيسة والأسرة إزاء التربية للعفة والحب ؟ .. هـذه هـى بعض القضايا التى يطرحها هذا الكتيب ليجيب عنها من خـلال روح الإنجيـل والدراسـات النفسية الحديثة .

الموضوع الأول

معنى الحب الجنسي

- ❖ ما هو الحـــب
- ❖ بين الحب والعشـــق
- ❖ بين الحب والصداقة الجنســـية
- ❖ بين الحب والشـــفقة
- ❖ مقومات الحب الحقيقـــى
  - * النضج والبـــذل
  - * الحريـــة
  - * الجاذبية والإلـــهام
  - * الالتزام الزوجـــى

معنى الحب الجنسي

١- ما هو الحب ؟

" إذا نظر الشعراء إلى هذا المفهوم فهم يربطونه بمعنى الجمال . وإذا نظر رجال علـــم الأخلاق إلى الحب فهم يربطونه بالخطيئة، وإذا بحث علماء البيولوجى هذا الموضـــوع فـــهم ينظرون إلى هذه الوظيفة على أنها مجموعة من الغدد والإفرازات ويطبعون مفـــهوم الحـــب بطابع بيولوجى حيوى بحت . وإذا درس علماء الاجتماع هذا الموضوع فهم يبحثونه كسـلوك اجتماعي للإنسان الذى هو حيوان مدنى فى نظرهم .

وإذا عالجه المتصوفون فهم يرون فيه الاتحاد بالله والتحرر من الذات وعبوديتها [١] .

ولكن الحقيقة أن الحب فيه الجمال، وفيه الحلال، وفيه الجاذبية الجنسية، وفيـــه الحـــب الإلهى الخلاق ..

الحب الجنسى فيه شئ من الروح، وشئ من العقل، وشئ مـــن القلب ، وشـــئ مـــن الجسد ..

الحب الجنسى عند الإنسان هو أشبه ما يكون بـالنور ولا يستطيع أحد أن يقطع بالعناصر التى يتكون منها .

" يراه بلزاك توافقاً بين الحاجات الحيوية والمشاعر الوجدانية ، ويراه آخر مركز الحيلة والمعنى ومنبع السعادة والقيمة ، ويراه ثالث العلاقة الحميمة التى يسقط معها كل تكلف وافتعال ومجاملة ".

ويراه الباحثون فى هذا المجال تصميماً وحكماً وعهداً ..

ترى !!.

لو كان الحب عاطفة أو شعوراً أو وجداناً بحتاً هل يستطيع أن يدوم ، وعواطف الإنسان متقلبة ومشاعره متأثرة بعوامل عدة تظهر اليوم وتختفى غداً ؟

لقد أتفق جميع الرواد الموثوق فى دراساتهم إلى أن الحب الحقيقى هو ذاك الذى يرى فى الآخر شخصاً يحب لذاته دون أن يتخذ منه مجرد أداة أو وسيلة لإشباع الأنانية أو إرضاء الميول الذاتية، ومن هنا فإن كلمة الحب لا تكاد تنفصل فى معناها عن كلمة الإيثار ..

ولهذا يقولون إن كل من يحب شخصاً لجماله أو ماله أو جاهه أو مركزه فإنه لم يعرف بعد معنى الحب ، لأن هذه كلها ليست سوى صفات ليست بالشخص نفسه وأما الحب الحقيقى فإنه لا يحب الآخر لصفاته أو مميزاته بل هو يحبه لذاته.

لهذا نسأل أنفسنا

- ❖ هل الحب يختلف عن العشق ؟
- ❖ هل هو الزمالة أو التعاطف ؟
- ❖ هل هو مشاعر النمو والشفقة والرحمة ؟
- ❖ أم هو شئ آخر غير هذا كله؟

٢- بين الحب والعشق Eros

إن كلمة إيروس تستعمل عادة للإشارة إلى الحب الجسدى وهى تشير فى المضمار الجنسى إلى معانى العشق الحى العنيف ؟ والتمركز الذاتى ، والأنانية ، والتهور والاندفاع

والتلهى ، والرغبة فى الهروب من المسئولية والالتزام ، وهى تحدى لقصد الله من الإنسان إذ يصبح الإنسان فى العشق شيئا يمتلك أو يسعى إلى امتلاكه وليس شخصاً علـــى صــورة الله ومثاله يحترم ويقدر ويحب لكيانه دون النظر إلى ما يملكه ..

- ❖ لنبحث الآن هل حب الذات وعشقها أمر غير سليم ؟
- ❖ ثم ما معنى أن العشق يتسم بالأنانية وعدم المحبة ؟
- ❖ وهل العشق قادر أن يشبع الإنسان ويزيل منه العزلة والفراغ العاطفى الداخلى أم لا ؟

[illegible]

إن أول صورة يعرفها الإنسان من صور الحب هى حبه لنفسه وإذا تصورنا إنسان لـــم يستطيع فى طفولته بأن يشبع نفسيا حتى تتكون ذاته تكويناً سليماً.

وإذا تصورنا شخصاً لظروف أو آخر يحقد على نفسه ويكرهها ويود لو تخلـــص مــن حياته انتقاماً من نفسه، مثل هذا الإنسان لا يستطيع أن يحب الآخرين لأن الكتاب أوصانـــا أن " تحب قريبك كنفسك" .

والذى لا يستطيع أن يحب نفسه كيف يمكنه أن يحب الآخرين، وفاقد الشئ لا يســتطيع أن يعطيه لغيره ..

ومعنى هذا أننا لا نتوقع أن نجد إنسانا محباً بمعنى الغيرية إلا إذا كان قد تملـــك ذاتــه أولا تماما وبكل حريته وفرحه وبملء إرادته يقدمها على مذبح التضحية والبذل ليتحرر مـــن عبوديتها وأسرها .. وهذا هو معنى " من أراد أن يخلص نفسه يهلكها " .

فالإنسان الناضج نفسيا وروحيا لا يطيق أن يعيش مشدوداً إلى وثاق نفسه فحسب إنـــه يراها قوقعة لابد أن يخرج منها .. إنه يرى ضرورة أن يتجاوز نفسه حتى يستطيع أن يندمــج مع العالم الخارجى ويخرج إلى عالم الغير المتسع الأبعاد المملوء بذلا وحباً وخدمة ..

يقول الرسول بولس " فانـــه لــم يبغــض احــد جســده بــل يقوتـــه ويربيــه بـــه " (أفسس ٥ : ٢٩) والجسد هنا عند الرسول هو الشخص وليس الجانب البيولوجى من الكيـــان فحسب .. وفى هذا يقول أحد الفلاسفة:

" إننى عين جسدى ؟ وإن ذاتى هى جماع أحاسيسي وانفعالاتى وعواطفى ومسراتى وخيراتى .. وإن لم أستطيع أن أتعهد نفسى حيدا فكيف أستطيع أن أتعهد الآخرين ؟! " (٣) .

" وإن لم تكن لدى قدرة على الثقة بالنفس فلن يكون فى وسعى أن أثق بأى شئ آخر! " .. ولكن الإنسان إذا عاش فى عبودية حبه فأنه يسجنها يفقدها معنى الحب وفاعليته .. لأن الإنسان بطبيعته متجه نحو الآخر، فهو إنسان لأنه يأنس إلى الآخر وهو على صورة الله إذ خلق لكى يحقق الوحدة بالاتحاد مع الآخر .. وهو لا يجد لنفسه راحة أو شبعاً إلا فى المحبة لأن الله محبة . وراحة الإنسان هى فى الله تماماً (ارجعي يا نفسي إلى موضع راحتك) .

وإذا كنا قد اعتبرنا حب الذات صورة ناقصة من صور الحب، وأنه دائرة مغلقة ، كل من يحبس نفسه فيها يصير سجينا ، يتوهم أنه قادر على الانطلاق ولكنه حبيس لا يرى النور ولا الحرية لأنه فى قبر الذات يعيش ..

فهناك سؤال هام وهو هل يستطيع الإنسان أن يجد فى الموجودات مجالا للخروج من هذا الحبس والقضاء على العزلة القاتلة ؟

عشق الموجودات

إن الموجودات لا تستطيع أن تحول حب الذات إلى حب حقيقى ، لأن الحب الحقيقى لا يكتمل إلا فى الآخر، والآخر هو الذى يقضى على العزلة وينزع النفس من الأنانية المرة .. أما الموجودات مثل الطبيعة والأشياء فهذه لا تكفى بل وكثيرا ما تكون مجالا للهروب من مواجهة النفس لحقيقتها والمتطلبات منها ..

إن أنا أحببتك أنت لا لشئ آخر سواك فإنى أحبك ، ولا أكون بعد فى سجن النرجسية، ولكن إن أنا أحببتك لشئ ما معك أو فيك فإنى لا أحبك. ولكنى أتلامس مع الأشياء تزيدنى عزلة وتعمق لدى الإحساس بالفراغ والوحشة ، لأن الآخر لم يدخل إلا ليحقق الوحدة المنشودة وهى أن " واحد + واحد " لا يكونان أثنين وإنما وحدة واحدة تملأ الفراغ وتلغى العزلة وتفجر ينابيع الحب فى قلب المحبين حقيقة .

فعالم الأشياء لا يشبع النفس ، ولا يحقق لها ما تنشده ، لأن النفس لا تنشد شيئاً بل شخصا آخر تتلاقى معه وترتبط به ، أما إذا بقيت متعلقة بمجموعة من الأشياء والموضوعات فإنها لن تستطيع أن تتخطى مرحلة التمركز الذاتى .. لأن التعلق بهذه الأشياء إنما هو صورة من تعلق الإنسان الشديد بصميم نفسه دون سواه وأفضل مثل يصور لنا هذه الحقيقة هو تعلق الطفل بالألعاب والحلوى ، إنه يرى نفسه فيها ويوحد بين ذاته وبين هذه الأشياء فمن يأخذ منها شيئاً رغم إرادته كأنه ينتزع وجوده وكيانه ..

" وأخطر ما تعمله الحضارة المادية التى نعيش فى كنفها هو تحويل الإنسان إلى شئ، وجعل الأفراد مجرد موضوعات أو أشياء أو أرقام ، لقد أفرغت الحضارة المادية الإنسان من سره الداخلى، من ملئه الروحى والنفسى ، واكتفت باحتسابه رقماً بين ملايين الأرقام وترساً بين ملايين التروس فى آلة المجتمع الكبرى .

لأجل هذا فقد الإنسان كيانه، عندما تصور نفسه ، وبدأ ينظر للآخر على أنه شئ أيضاً ".

أما الله فى الجنة فقد خلق آدم شخصاً يصنع معه حواراً وجبل منه حواء شخصاً معيناً نظيره .. فالعلاقة الحية التى تقوم على التبادل والتجاوب ، والتى بها الأخذ والعطاء، والتى فيها أحيا أنا بحياة الآخر ويحيا الآخر أيضا بحياتى .. مثل هذه العلاقة الإنسانية هى أساس قيام الحب الإنسانى ، وباختفائها يختفى الحب الحقيقى ليوجد حب الذات فى صوره المختلفة ..

العشق أنانية

لا شك أن العشق نمط أنانى لأن العاشق لا يحب الآخر ولكنه يحب نفسه .. هو يتصور وجود ذاته فى المعشوق، وطالما كانت هذه الصورة قائمة بقى العشق ، وعندما تتحطم هذه الصورة يتحطم معها كل ما فى العشق من اندفاع ومشاعر فاترة وانفعال عنيف.

إن العشق تمركز ذاتى جاذب ، فالعاشق يتصور نفسه مركز الدائرة ويريد أن يدور المعشوق فى فلكه .. هذا كله من طبيعة الجسد فى نظر المسيحية ..

فالإنسان الجسدى لا يحب إلا نفسه ، وإذا ما تصور أحياناً أنه يحب فهو يعشق ولا يحب فهو يعشق ولا يحب ، وهو يشتهى ولا يبذل، وهو يتلذذ ولا يلتقى على صعيد المسئولية الحقة ، وهو يتلهى الطفل بالفاكهة والحلوى .

أن أحسن مثل للايروس أو العشق الجسدى الذاتى شخصية دليلة فى الكتاب المقدس .. هذه التى خدعت شمشون ، إنها لم تكن تحبه بل كانت تعشقه وتعجب ببطولته وتذهل لقواه الجسيمة الجبارة، ولكنها لم تكن يوماً تحبه ما لشخصه ، ولو أحبته ما أسلمته للعار والذل الذى لاقاه فى حياته .

وشمشون أيضاً لم يكن محباً لأنه لو كان محباً لكان ناضجاً عاقلا متروياً متبصراً ، ولكانت شفافيته قادرة على أن تكشف سطحية نظرته إلى دليلة وخبث الأنانية القائم الذى يملأ جنباتها وخلجاتها ..

العشق إذن هو التلامس مع الآخر على مستوى الجسد .. والانفعال الجسدى لا يشبع الإنسان ولا يروى قلبه ، بل كثيراً ما يكون الاتصال الجسدى بين أثنين دون انفعال روحى وحب صادق سبباً فى مزيد من العزلة وقيام كراهية شديدة وعداوة فظيعة ..

الحب ليس هو الشهوة الجسدية ، لأن الالتحام الجسدى ليس هو مصدر الوحدة، فإن جسمى المحب والمحبوب يظلان منفصلين بعد الاتصال لكى يواجه أحدهما الآخر دون أن يمتلك أحدهما الآخر. وهكذا يتحقق المحبان من الحب الجسدى لم ينجح فى التوحيد بينهما ما دام كل واحد منهما قد وجد نفسه بعد الاتصال الجنسى مرتداً إلى وحدته، إن لم يحدث فى أغلب الأحيان أن يبغض أحدهما الآخر بسبب هذا الاتحاد الجسمى .. إن ما يمزج بين الأبدان فقط إنما هو بعينه ما يفصل بين النفوس والأجساد .." .

ولدينا فى الكتاب المقدس نموذج على هذا النمط .. فإن أمنون اشتهى ثامار أخت أبشالوم شهوة جسدية عارمة .. وبعد أن سقط معها يقول الكتاب " ثم ابغضها أمنون بغضة شديدة جداً حتى أن البغضة التى ابغضها إياها كانت أشد من المحبة (العشق) التى أحبها إياها " ؟ (٢صم ١٣ : ١٥) .

وهذا يفسر لنا الفارق بين الزانى والمتزوج .. فالزانى يلتقى مع الزانية على مستوى العشق الجسدى ، وأما المتزوج فإن اتصاله الجسدى مع زوجته إنما هو تعبير عن شركة حب عميقة ، ووشائج اتحاد فيه الحب والبذل ، وفيه الإخلاص والصدق، وفيه الالتزام والمسئولية، وفيه الوفاء وحفظ العهد .

والعشق أو الايروس يقوم على التهور والاندفاع والانفعال العنيف وهذا ما نلمسه فى سلوك المراهقين فى المرحلة الثانوية عندما يتصورون أن مثل هذا النمط حبا. الحب ليس اندفاعا أو انفعالا أو تهوراً وإنما هو بذل فيه الوقار كما فيه الحماس. فيه الاتزان كما فيه السرور والابتهاج .. فيه التعقل والاستقرار كما فيه الوفاء المتبادل .. لذلك لا نتوقع من نفسية ثائرة مندفعة غير مستقرة لم تنضج بعد ، أن تحب حباً بالمعنى الروحى والنفسى السليم .. ومن اجل هذا تنصح الكنيسة المراهقين ألا يدخلوا فى مجالات العلاقات العاطفية لأن ميعادها لم يأت بعد ، إذ أن الإنسان لا يستطيع أن يحب إلا إذا كان انتهى من قضية أنانيته وتخلص من كل انحراف أو تهور أو ضعف شديد يمنع فعل البذل والتلاقى على مستوى المسئولية والوفاء ..

فالحب فى نظر المسيحية ، ليس هو الهوى العنيف الذى يتخذ من الآخر واسطة أو مناسبة لزيادة إحساسه بالحياة أو تحقيق أمله فى السعادة ، وإنما هو اتجاه غيرى ينحو نحو الآخر لكى يعمل على خدمته ويسهم فى تحقيق سعادته ويشترك معه فى تثبيت دعائم ملكوت الله على الأرض ..

" العشق هو إسقاط الأنا على المحبوب كأن الشخص عندما يعشق يبحث عن نفسه فى صورة المحبوب .. والمحبوب عنده صورة للذات لذا قيل إن العشق (الحب) أعمى .. إنه لا يرى فى المحبوب إلا ذاته والذى يحيا فى أسر ذاته هو أعمى قصير النظر نسى تطهير خطاياه السالفة، وأما الحب الحقيقى فهو غير هذا تماماً .. إنه انفتاح للآخر وقبوله وتعهد بتحمل شخصه بكل ما فيه .. إنه هبة تتجدد كل لحظة لأنها لا تقوم على نزوة متقلبة أو رغبة عابرة أو غرض رخيص وإنما تقوم على وعد أبدى ؟.

[redacted]

ويدخـــل ضـــمن مفهـــوم العشـــق الايروسى ذلك النوع من الحب الخيالى الأفلاطوني الرومانســـى الذى فيه يخلع المحب على المحبوب صفات مثالية ، ويتصور نموذجاً لا يقترب مـــنه الـــزلل، ويعيش فى هذه الصورة الكاذبة التى رسمها لنفسه ، ويسعى أولا يسعى إلى أن يقترب من المحبوب الذى رآه لا كما هو بل كما يريده ان يراه [1] .

ورجال علم النفس يعتبرون هذا النمط من الحب نوعاً من التخلف فى النمو الجنسي، إذ لابد للمراهق أن يتجاوز هذه الرومانسية ليحيا فى الواقع ويتعامل مع الآخرين كما هم ويحب الآخرين كما هم لا كما يتصورهم إن العاشق الأفلاطوني هذا إنسان أناني، لأنه صور الآخر إلهاً لكى يمتلكه ويتأله هو بهذا الامتلاك ...

إنـــه لا يقبل المعاناة التى فى الحب، ولا يطيق التعرف على العيوب والنقائص التى فى المحـــبوب، لأنـــه غـــير ناضج وغير قادر أن يحمل عيوب الآخر إذ هو يريد من الآخر أن يحمله ويزيده ثراء بالمثالية التى تصورها فيه ..

مـــثل هـــؤلاء العاشـــقون المثاليون يصطدمون عندما يتزوجون ويصيبهم الفشل عندما يحـــتكون بالمحـــب احتكاكا مباشراً، لأنه يتكشف عن صورة مخالفة تماماً لما تصوره سابقاً، فمـــن الممكن أن يكون (الدون جوان) أفلاطونياً بطريقته الخاصة فهو لا يحب امرأة معينة ولكـــنه يبحث عن الأنوثة التى لا تكون أية امرأة سوى انعكاس ناقص لها، وفى النهاية يفرغ هو نفسه من ان يكون شخصاً معيناً ويصبح رجلاً من غير أسم ولا جوهر.

أمـــا الحـــب الذى أوصى به الرسول بولس " فليحب كل واحد امرأته "(أف ٥ : ٢٣) فهـــو حـــب مـــن نـــوع آخر .. إنه نوع يحتمل النقائص بل يراها علامة من علامات الحياة

---

١ – ذكرت أحدى الدراسات المتعمقة للمراهقة ان غالبية المراهقين يلجاون إلى الحب والجنس كي يروون ظمأ عاطفيا ليس إلا .. أنهم أرادوا إن تكون لهم شخص الحبيبة مادة يغذون بها عاطفتهم وشعورهم .
وإن تحلـــيل الحب المذرى الأفلاطوني الرومانسى لا يزيد عن كونه تأثيرات جنسية تخلص بعد آثار العلاقات العاطفية فى الأسرة وتمتزج هذه التأثيرات كذلك بالتأثيرات الدينية والتحريم الجنسى فى المجتمع. فإذا بهالة من التقديس والالهام تغلف شعور الفرد نحو الجنس الآخر.
ويشـــتد هذا النوع من الحب عند المراهقين الذين تربوا تربية دينية تؤكد الفصل بين الروح والجسد وتمام الخصومة بينهما فـــإذا بالمـــراهق يحـــاول أن يجـــرد تفكيره فى من يحب من النظرة الجنسية البيولوجية، ويحاول أن يتسامى بعاطفته عن الاشتهاء الجنسى ولذة الجسد ..
على أنه عندما ينضج تستقر عواطفه ويختار شريكة حياته على أصول وأسس كلها نضج ورشد واكتمال .

الإنسانية ولا ينزعج للضعفات بل يراها مجالا من اخصب المجالات للنمو فى المحبة وازدهار المودة وتعميق ربط الحب الحقيقى .. لهذا تكون المحبة الزوجية قوية كالموت بل هى أقوى من الموت لأنه إذا انسكب الحب فى قلبهما بالروح القدس فإنهما يدخلان أعتاب الأبدية والخلود، إذ يكون فيهما الحب الذى أحب الآب به أبنه يسوع المسيح، وحيثما يكون يسوع تكون هناك الأبدية والسماوات .

[illegible]

وهل يستطيع العشق أن يشبع الإنسان ويروى حياته الداخلية ويزيل منه العزلة والفراغ ؟

لقد كانت المرأة السامرية عاشقة وكان لها خمسة أزواج ولم تستطيع أن تشبع واحتاجت إلى ما يرويها ، وعندما رفعها الرب يسوع من مستوى العشق والحياة الجسدية إلى الحياة حسب الروح تغيرت تماماً وسادها فرح أبدى حتى أنها لم تستطيع أن تحبس هذا الفرح فى جنباتها فطفقت تبشر الآخرين وتدعوهم أن يشاركوها فرحتها وبهجة قلبها وامتلائها بالسلام الداخلى ..

ولقد يعترض أحد الشباب المنغمس فى العشق الجسدى ويقول ولكنى سعيد بما أنا فيه ، وحالتى أحسن من زميل لى يثابر على الاجتماعات الروحية وممارسة وسائط النعمة .. قد يبدو هذا صوابا ولكن فى المظهر فقط فأنت تضحك يا عزيزى وهو يبكى ، وأنت تهزل وتملأ الدنيا ضجيجاً وهو صامت مشغول بالصلاة من أجل خلاص نفسه ..

ولكنك أيها العاشق الساعى وراء اللذة والمتعة، ماذا سيكون حالك لو أنك جلست مع نفسك جلسة هادئة وطويلة حتى تتمكن من اكتشاف أعماقك وداخل كيانك ؟!

أراك لا تطيق مثل هذه الجلسة لأنك لاه عابث لا تعرف للعمق معنى ، تعيش على السطح والقشرة وتكتفى بالمحسوسات واللذة والخيالية ولا تريد أن تدخل إلى العمق والملء والثراء فى الكيان الداخلى الحقيقى ..

أمـــا ذاك الـــذى ترى الدموع فى عينيه أحياناً ، ويرفض الجرى وراء اللذات، ويضبط شهوات جسده ويخضعها لمتطلبات الروح، ويدرب جسده بأصوام وصلوات ومطانيات ونسك حـــتى تسـمو غرائزه وتتهيأ شخصيته كى تكون مجالا للحب والنضج والاحتمال .. مثل هذا ينطـبق علـيه قول الرسول بولس " مكتئبين فى كل شئ لكن غير متضايقين " (٢كو ٤ : ٨) " كحزانى ونحن دائما فرحين ... كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ " (٢كو ٦ : ١٠) ..

لقد وعد الرب هؤلاء الطوباويين الحريصين على عفتهم وطهارة أجسادهم ونفوسهم أن حـــزنهم ســيتحول إلى فرح وسيمسح الرب كل دمعة من عيونهم ، وسيلبسهم الثياب البيض لأنهم بيضوا ثيابهم فى دم الخروف ولم يحبوا حياتهم حتى الموت ..

[illegible]

يقــول أحد المفكرين المسيحيين رداً على هذا السؤال " إن الجنس من الأسباب الرئيسية للعـــزلة الإنســـانية، إنه يحدث انقساما عميقا فى الأنا التى هى بطبيعتها ثنائية الجنس .. فهى ذكـــر أو أنثى ، ووجود الجنس يقتضى الانفصال والحاجة والشوق والرغبة فى أن يجد المرء نفسه فى الأخر .. بيد أن الاتحاد الجسدى للجنسين وهو الذى ينهى الشهوة ، ليس فى حد ذاته كافـــياً للقضاء على العزلة بل إنه على العكس من ذلك قد يزيد من شدة شعور الإنسان بعزلته .. ذلك لأن الجنس باعتباره ظاهرة بيولوجية واجتماعية له طابع موضوعى ، ومن ثم ، فهو عاجـــز عن الانتصار على العزلة انتصاراً كاملاً .. أما المحاولة الحقيقية للتغلب على العزلة فلا تكون إلا بالاتحاد الروحى .. فالحب هو أمل الإنسان الوحيد فى الانتصار على العزلة .. والحـــب حقـــا هـــو أفضـــل الوسائل لبلوغ هذه النهاية لأنه هو وحده الذى يستطيع أن يحقق الاندماج الكامل مع كائن آخر!! .

ولمـــا كـــان العشق والحب الجسدى هو التقابل مع الآخر على المستوى الجسدى دون الانفعـــال الروحى ، فإن مثل هذا النوع من الحب لا يشبع الإنسان لأنه لا يقضى على العزلة والفـــراغ الداخلـــى .. والكائـــن البشـــرى ليس جسداً فقط وأنما هو روح وجسد، والاتصال الـــروحى هـــو الذى يحقق الصلة الحميمة . وفى هذا يقول القديس يوحنا ذهبى الفم فى عظة

٣٣ شـــرح كورنـــثوس الأولـــى (الحـــب الحقيقى فقط الذى يستطيع أن يجعل كائنين كائنا واحداً) .. وأما الانفعال الجسدى فهو إن انفصل عن الاتصال الروحى الحقيقى فأنه لا يحقق الوحـــدة ولا يشبع النفس .. إن الحب يفرح بالتلاقى فى الانفعال الجسدى ولكنه لا يتحقق إلا بالانفعال الروحى ..

لهـــذا كـــل من يشرب من ماء العشق الجسدى يعطش ، أما الذى يشرب من ماء الحب الحقيقى لن يعطش إلى الأبد ..

صـــلاة

يـــارب ! إن العالم اليوم تسوده جنسية معيبة وتسيطر عليه انحرافات خطيرة . إن سر الآثم هو العامل فيه ..

فليـــتك يا سيدى تحمى أولادك وبناتك من الفساد والانحلال السائد .. كما حرست لوط البار فى مدينة العار والهلاك.

ليـــتك يا إلهى تسند كل محبيك الذين يجاهدون ضد حركات الجسد وأهوائه وميوله .. انـــزل يا سيد بنفسك وكن معهم فى وسط الأتون كى تحميهم من لهب الشهوة الحارقة واحفظ أثوابهم طاهرة حتى لا تمسها رائحة دخان الخطيئة .

حسبما فعلت سابقاً مع عبيدك الفتية الأمناء الثلاث .

[illegible]

الزمالة

هـــناك صـــداقة الدراســـة أو العمـــل وهى التى يطلق عليها الزمالة وهذه تختلف عن الصداقة الجنسية التى تتميز بالتخصص، وانشغال الفكر والوجدان بموضوع الصداقة.

أمـــا الـــزمالة الظاهرة فهى التى ترفض التخصص ، وتبادل العواطف بطريق أو آخر أمر يمارسه المسيحى فى حياته الدراسية والمهنية دون أن يكون هناك خطر ما ! بل هو دليل صفاء شخصيته وعدم انحرافه وخلوه من العقد الجنسية الداخلية ..

وهكـــذا بدلا من أن ينظر الشبان إلى الفتيات نظرة سطحية تقوم على الأغراء الجسدى والـــتفاهة العقلية والجمود الروحى، فأنهم ينظرون إليهن على أنهن زميلات وصديقات ، بينما تســـتجيب الشـــابات اللاتـــى أحسنت تربيتهن لهذا ويستطيعن أن يعرفن الشبان معرفة تتسم بالأمانة والطهارة...

والمســـيحى المخلـــص لعفته يحرص على أن تبقى علاقات الزمالة فى إطار العمومية وطهـــارة الفكـــر ونقاوة القلب وبساطة العين ، وفى إطار العمل المشترك الهادف دون أدنى ممارسة لعمل من أعمال الظلمة، حتى لا يدان من جهة الضمير أو ينزلق إلى مهاوى العشق وصداقة اللذة ..

صداقة اللذة

وهـــناك صـــداقة أســـمها اللـــذة، وهى صداقة أنانية، هوائية ، سريعة التحول ، سهلة الانقلاب .. هذه يسميها بعض الشباب الحب .. ولكنها فى الحقيقة مجرد اندفاع عاطفى يستند إلى الرغبة فى التمتع والبحث عن الملذات دون أن تكون له أية صفة دائمة أو أى مظهر من مظاهر الاستقرار ..

وهـــناك بعـــض الشـــباب ينادون فى هذه الأيام تأثراً بالروح الغريبة بالحرية فى إقامة الصداقات الجنسية قبل الزواج .. وهم يستندون فى وجهة نظرهم هذه إلى أن صداقاتهم بريئة وليس فيها أدنى انحراف جنسي وأن مثل هذه الصداقات تشبع الميول الداخلية وتسمو بالدوافع الجنسية ، وأن العلاقات البعيدة عن الانحراف الحسى ضرورة حتى يكتشف كل واحد الآخر، لعله يجده متكافئاً معه نفسياً وروحياً، فيقبل على أن يكون شريكا للآخر فى الحياة الزوجية .

لنناقش هذه الآراء باختصار

عـــندما تبحـــث شروط الحب الحقيقى وهذا ما سنعالجه فى الصفحات المقبلة سنرى أنه يشـــترط تحقيق الإلهام والحرية والنضج والالتزام الزوجى .. وإذا ما طبقنا هذه الشروط على العلاقـــات العاطفية بين الشاب والفتاة قبل الزواج نجدها غير متحققة ، فالشاب الذى يصادق فـــتاة لأجـــل أن يختبرها ويعيش معها فترة ثم يتركها ليكتشف غيرها ، إنما هو عابث يتلهى

بالصـــداقات كمـــا يتلهى الطفل بالحلوى والفاكهة .. وهو لن يشبع لأن الشبع الحقيقى هو فى القضـــاء علـــى العــزلة، وهذا لا يكون إلا بالحب الذى يتجه أولا بالذات نحو القرار الباطنى العميق لذلك الآخر الذى نبغى النفاذ إليه ..

والشـــاب فى مرحلة التلمذة ، سواء الثانوية أو الجامعية لا يكون قد أكتمل نضجه نفسياً وبدنياً وفكرياً ، وهذا يجعله فى أغلب الأحيان متذبذباً فى أفكاره ، غير مستقر فى مشروعاته هوائى إلى حد كبير فى علاقاته ، تحركه العواطف والمشاعر والانسجامات النفسية أكثر مما يقوده الفكر الرصين والالتزام الأمين والتعهد الواعى والوفاء الحقيقى ..

والشـــاب الذى لم يصل بعد إلى مرحلة الزواج غير متمتع بحريته الكاملة .. فهو ليس حـــراً اجتماعـــياً لأنـــه مرتبط بارتباطات عائلية واجتماعية كثيرة ، وهو ليس حراً مادياً لأنه مرتبط بالتزامات مادية كثيرة تحول بينه وبين التنفيذ العملى للزيجة ..

هكذا نرى أن شروط النضج والحرية والالتزام غير متوفرة تماما فى علاقات الصداقة الجنسية التى تقوم بين الشبان والفتيات قبل الأقدام الفعلى على الزواج ..

أمـــا عن الإلهام فهو اكتشاف روحى يحدث للمؤمن عندما يتأكد أن الله قد أعلن له عن شـــريكة حياته بإعلان باطنى واضح ، وأن هذه الفتاة لا ينجذب إليها عاطفيا فقط، وإنما على مستوى الحب الحقيقى ..

مـــن أجـــل هذا نشجب أى علاقة شخصية بين الشاب والفتاة قبل الوصول إلى مرحلة الخطوبة والإعداد للحياة الزوجية ..

الشـــاب المســـيحى لا يتعجل ولا يطلب أن يستولى على قلب الفتاة بطرق بشرية ، إنما هـــو يـــريد أن يستلمها من يد الله وليس من يد إنسان. إن المحبة تلزم الشاب ألا يؤذى عفاف الفتاة وحشمتها ووقارها؛ ولهذا فهو يرفض أى مسلك يخرج به عن هذه الحشمة وهذا الوقار.

والشـــاب المســـيحى لا يحزن إذا وجد أن الفتاة التى فكر فيها يوماً قد تزوجت بغيره ، فهو كمحب يفرح لراحة الآخر، وكمؤمن يثق أنها لم تكن مختارة له شخصيا ..

والشـــاب المسيحى لا يجرى وراء العلاقات العاطفية ظناً منه أنها تكسبه خبرة ودراية بالعلاقـــة الـــتى تلـــزم أن تكون بين الزوج والزوجة .. لأنه حريص على أن يبقى انفعالاته النفســـية مرتـــبطة بانفعاله الروحى ، وهذا يجعل شخصيته متكاملة نامية قادرة على أن تعبر عـــن إخلاص الحب وصدق العفة التى فى حياته وهكذا تكون العلاقات الجسدية فيما بعد بينه وبين زوجته تعبيراً عن الحب والإخلاص الذى ينمو فى قلبه لها بتوالى الأيام ..

هــناك فــارق جــذرى بيــن عواطــف العاشــقين وبين حب المتزوجين المخلصين الملتزمين بمسئولية الشركة وإنجاب البنين والبذل المشترك للآخرين ..

[illegible]

المســيحية هـــى ديانـــة الشــفقة والــرحمة ، والــرب يســوع ضرب لنا مثالا عملياً عندما رحمنا وأشفق علينا، وبذل نفسه لأجلنا ونحن أموات بالخطايا والذنوب ..

ثــم قــدم لــنا مــثل الابــن الضــال ومــثل الســامرى الصــالح كى نكون شفوقين عطوفيــن. وفــى هــذا يطالبــنا الرســول بولــس أن نكون لطفاء شفوقين متسامحين كما سامحنا الله فى المسيح يسوع ..

[illegible]

هــناك شــفقة قــد تكــون فى بعض الأحيان مظهراً من مظاهر الأنانية عندما يشفق الإنســان علــى أخــيه كــى يتعزى بهذا عن آلامه الخاصة فتكون الشفقة هنا مجرد صدى إشــفاق الإنســان علــى نفســه، كــأن لســان حالــه يقــول إنى أخاف أن أقع فى مثل هذا المصــير، فيســرع إلــى عمــل الشــفقة فــزعاً مــن موقف يخشى يوما أن يكون هو أحد أطرافه ..

وهــناك شــفقة قــد تكــون فــى بعض الأحيان مظهراً من مظاهر الإذلال للشخص الــذى نشــفق علــيه ، ذلــك عــندما تحمــل الشــفقة معــانى الاستعلاء ، وعندما يجرح المحسن كرامة الشخص الذى يعطف عليه ..

وهــذا مــا يحــدث عــندما يعطــى إنســان غنى متكبر أحد الفقراء لكى يمتع نفسه بإذلال الشخص الواقف على بابه فترة طويلة ينتظر إحسانه .

فالشــفقة لا تكــون محــتملة إلا إذا كانــت مــنطوية علــى حــب ، والشفقة تكون بــدون حــب عــندما لا نــنفعل لآلام الآخريــن ، وعندما لا نشعر نحوهم بأية محبة حقيقة أو أى تعاطف صادق ..

من أجل هذا تحرص المسيحية على ان تكون أعمال الرحمة والشفقة فى الخفاء ، وفى أتضاع ، وفى حب شديد، وفى شخص المسيح يسوع مع إخفاء الجانب البشرى خلف الصليب ..

وبالنسبة للجنس الآخر فقد تكون أعمال الشفقة نوعاً من الخداع الجنسى الذى تحدث عنه فرويد كثيراً ، فالشاب المراهق الذى يذهب ليساعد قريبته الطالبة فى مادة الرياضة أو اللغة الإنجليزية على سبيل المثال ، وهو هادف إلى التلذذ بالنظر، إنما يحمل عمل الشفقة عنده خداعاً جنسياً يلزم مواجهته ..

والطبيب الذى يشفق على ممرضته اليتيمة ليس لأجل يتمها فحسب ولكن لأجل جمال جسدها أو رقة شخصيتها ورغبة منه فى إيجاد علاقات تعاطف بينهما . إنما يخفى وراء عمل الشفقة بداية عشق جنسى يحتاج إلى مصارحة وكشف أمام الضمير وأمام أب الاعتراف.

والحب الجنسى أحيانا يأتى على أعقاب شعور حاد بالشفقة، ولهذا يلزم أن يمتحن الإنسان نفسه فى علاقات الشفقة مع الجنس الآخر سواء كان متكافئاً أو غير متكافئ فى السن أو المركز الاجتماعي حتى لا ينزلق إلى مهاوى العشق .. وإذا أحس الإنسان بانجذاب عاطفى فليفحص نفسه لئلا يكون مسوقا بالغرائز، الانفعالات أما إذا وجد الحب عنده متوفر الشروط من إلهام وعفة وطهارة ونضج وحربة والتزام، هنا تكون عمليات الشفقة قد مهدت إلى زيجة ناجحة خالية من عبث العاشقين واستهتارهم ..

صلاة

يا رب إن الحية القديمة لا تزال تتلون بأشكال لئيمة وطرق مكيرة خبيثة لكى تخدع أولادك، وتسقطهم فى حبائل الدنس وشباك العشق والهوى الجنسى ..

فأسمح يا سيدى أن تعطى عبيدك بصيرة روحية نفاذه تحميهم من الفخاخ وتكشف لهم كل خداع إبليس .. واسمح لروحك القدوس أن يطهرنا جميعاً من دنس

الجسد والروح وينقلنا إلى سيرة روحانية لكى نسعى بالروح ولا نكمل شهوة الجسد كى نحيا فى النور، ونلبس أسلحة النور، ونكون أبناء قيامة ونور.

[illegible]

[illegible]

بالرغم من أن عملية النضج نسبية ، وأن الإنسان كلما تقدم فى حياته يرى نفسه فى احتياج إلى نضج أكثر وأعمق ، إلا أننا نعنى بالنضج هنا تكامل الشخصية فى نموها الجسمى والنفسى والروحى ..

[illegible]

وهذا يتطلب عناية بالبدن منذ الطفولة ، واهتماماً واضحاً من الأم بعمليات التغذية والصحة والنظافة وكافة العمليات البيولوجية الأخرى. فالإنسان الهزيل فى صحته والمريض دائماً فى بدنه ، والذى يحمل عاهات مستديمة واضحة قد يتعطل استعداده للحب الحقيقى ، لأن الجسم يشارك الروح جميع عمليات الشركة بين الزوجين ..

هذا بالإضافة إلى أن الوحدة القائمة بين البدن والنفس فى الشخصية إذ تؤثر الأمراض الجسمية على حياة الإنسان النفسية تأثيراً سيئاً ..

والشاب أو الفتاة التى تعتنى بنظافة وصحة بدنها وتحمى جسمها من العادات الجنسية الرديئة، وترفض أن تجرح عفة جسدها حرصاً على الحياة الزوجية المرتقبة إنما نموذجاً طيباً لمن يفهم حياة العفة ويقدر قيمة النضج الجسمى فى الحب الحقيقى .. •

[illegible]

وهذا يعنى الفطام والانفكاك من جميع الأربطة النفسية التى تعطل انطلاق النفسية نحو النضج الحقيقى، فالطفل النامى هو الذى تخلص من النرجسية (التعلق الشديد بذاته وجسمه) والأوديبية وعقدة إلكترا (الارتباط النفسى غير السليم بالأم أو

الأب) .. إنـه مـا أن يصـل إلـى المـرحلة الابتدائـية حـتى يكـون قد أصبح مستعداً للاسـتقلال الشخصـى ، حـتى إذا جـاءت مـرحلة المراهقة فإنه يعبرها فى أتزان وهدوء ووعـى وبصـيرة رافضـاً العلاقـات العاطفـية السـطحية حريصا على أن يحفظ طاقاته النفسية كذخيرة لازمة للحياة الزوجية المرتقبة .

هكـذا يكـون الاتـزان والقـدرة علـى الاستقرار فى الشخصية ونمو الدافع الجنسى إلـى مـرحلة الغـيرية والأحاديـة الزوجـية والاسـتعداد المسـتمر للبذل وعدم التمركز حـول الـذات علامـات أكـيدة ودلالات واضـحة علـى النضـج النفسى والتأهل للحياة الزوجية والحب .

- ففى الطفولة يقول الطفل إنى أحب لأننى محبوب ..
- وفى المراهقة يقول المراهق إنى محبوب لأننى أحب ..
- وفى النضج يقول الشاب إنى أحب لأننى لا أستطيع إلا أن أحب ..

إن العجـز عـن الحـب ينـبع مـن فقـر الشخصـية .. أما الشخصية الممتلئة فى الداخـل، ولهـا سـر كـيانها الداخلـى، الغنية بالتفاؤل والإيجابية فهذه هى القادرة على أن تحب وتبذل بذلا حقيقياً.

ب - النمو الروحى

ونقصـد بالـنمو الـروحى هـنا أن يكـون الشـاب قـد تذوق محبة الله وعذوبته ، وصـارت له شـركة مـع الـرب فـى عشـرة يومية وألفة مستمرة وعلاقة تزداد رسوخاً بتوالى الأيام ..

وعلامـات الـنمو أن يكـون الشـاب واقفـاً ضد ذاته وأنانيته مستعداً دائماً للتضحية والـبذل ، وأن يكـون عفـيفا جنسـياً قـد تغلـب على شهوات الجسد وأهوائه وصارت له الحواس الطاهرة والعين البسيطة والقلب النقى .

وأن يكـون قـادراً بـنعمة الله علـى القـيام بعد السقوط والعثرة مستفيداً من العثرة كى لا يسقط ثانية .

وهذا النمو الروحى لازم للحب الجنسى لأنه الشرط الأول لقيامة وضمان نقاوته وطهارته ونظافة جوهره ..

ما الذى يطمئن الشاب أن النداء الداخلى والإلهام والانجذاب نحو الآخر هو حب وليس عشقا ؟! إلا إذا كانت شخصية المحب لها حياة روحية صادقة ، وعندها برهان داخلى أن روح الله يعمل بوضوح ، وأن الضمير صادق ومخلص لله وغير منقسم .

فى هذا يقول أحد الآباء إن الحب ينبع من الحب الإلهى بين الرجل والمرأة ، وهو يتفتح ويتجه نحو الله ..

فالحب الذى ينسكب بالروح القدس فى قلب الشاب وحده القادر أن يقدس مشاعره وأفكاره وحواسه ويؤهله لمذبح الزيجة المقدسة ومضجعها الطاهر.

[illegible]

ويرتبط بالنضج النفسى والجسمى والروحى عامل الحرية أيضاً لأنها أهم علامة للرجولة والنضج ..

ونقصد بالحرية هنا التحرر الداخلى والخارجى . أما التحرر الداخلى فهو ما ذكرناه سابقاً أن يكون الإنسان قد تخلص من مركزية الأنا وعقد النرجسية والأوديبية والرومانسية، والتحرر الداخلى على الصعيد الروحى مع الالتقاء مع ابن الله كى يصير الإنسان حراً غير مستعبد لخطاياه ، صالباً الإنسان العتيق والأهواء والشهوات ..

والتحرر الداخلى على الصعيد النفسى هو النضج والنمو النفسى السليم . " قد يبحث المحب لا عن قرين أو رفيق بل عن بديل للأب والأم وذلك فى حالة تعلق البنت بأبيها تعلقاً جنسياً لا شعورياً، أو تعلق الشاب بأمه .. والحب الشعورى ينمو فى الغفلة والآلام وكثيراً ما يكون مآله الخيبة واليأس . أما الحب الذى يريد أن يكون رباطاً قوياً وثيقاً بين اثنين جسماً وقلباً وروحاً، وأن يكون درعاً قوياً لوقاية

الزوجين من أحداث الدهر فيجب عليه أن يكون يقظا من حين إلى آخر ، وأن يقوم على دعامة الوجدان النقى والعقل المستنير.. إن الإلحاح الذى يبديه احد الزوجين فى أن يكون الآخر شبيهاً به كل المشابهة لا يرجع إلى قوة الحب وكماله بل إلى ضعفه ونقصه .. إن الشخص هنا لم يتحرر من عبوديته لنفسه " (١٠).

يلزم للمحبين أن ينظر كل منهما للآخر على أنه يواجه كائناً حياً وشخصا واقعيا بأخطائه ومواهبه، بحسناته وزلاته، لا مخلوقاً خيالياً يتصوره حسب رغباته أو مخاوفه .. يلزم إذن التحرر من آثار الماضى وبصمات التربية الأولى وتراث التاريخ القديم فى حياتنا والعوامل اللاشعورية التى كثيراً ما تلوث العلاقات الصافية الطاهرة بين الشريكين .."الحب والحرية يطرحان الخوف والقلق إلى خارج .. ".

وإذا كان كل من المحبين يشعر بأنه يهب نفسه للآخر فى جو من الحرية والتقدير المتبادل فلا شك أن هذا الشعور بالحرية أقوى عامل من عوامل إسعاد الحياة الزوجية وتدعيم أواصر الحب والاتحاد .

أما الحرية الخارجية فنعنى بها ألا تكون هناك ظروف خارجية ضاغطة يعيبها الفرد عند تحديد شريكة حياته كأن يكون ملزماً بأن يتزوج من فتاة يكون لها أخ يتزوج أخته كما تعمل بعض العائلات أحياناً لا مانع من أن يحصل هذا الترابط الوثيق ولكن على شريطة ألا يكون تضحية إجبارية من الطرفين تنغص على الجميع حياتهم إن وجود شرط يمنع حرية الإنسان فى إختيار من يحبها، هذا يهدد الأسرة منذ بداية نشأتها ..

وما نقوله على خطورة عامل حتمية تبادل الزواج نقوله أيضا على وجود عامل حتمية الإلتزامات المادية فى العلاقات الزوجية التى إن دلت على فقدان شرط الحرية الخارجية فهى تدل أيضا على فقدان الحرية الداخلية . ومعنى ما نقوله أن المال والأثاث وما يتعلق بهما لا يلزم أن يكون عاملا متحكماً فى علاقات الإنسان بمن يحبه ويختاره شريكاً لحياته ..

" يقــول باســكال إنــنا لا نســتطيع أن نحــب حــبا كافــيا إلا إذا أحببنا حبا زائدا ، وربمــا الحــب هــو الشــئ الوحــيد الذى لا يكون جميلا إلا إذا اقترن بالإفراط والسرف ، أســتغفر الله .. بــل أن الســرف نفســه لهــو الحب فإن المعيار الأوحد للحب هو أنه ليس له أى معيار .."

هكــذا تكــون الحــرية الداخلــية والخارجــية والقدرة على البذل ، والتناهى فى هذا البذل إحدى المقومات الأساسية لحياة الحب .

[illegible]

عــندما يكــون الإنســان جســدياً ، فــإن ما يجذبه إلى الآخر هى الأمور الجسدية .. وعــندما يكــون الإنســان نفســانيا ، فــأن مــا يجذبــه نحــو الآخر هى الأمور النفسية . وعــندما يكــون الإنســان روحانــيا ، فــإن مــا يجذبه تجاه الآخر هى الأمور الروحية .. وفى إطار الجنس فإن الجاذبية هذه لها مستويات عدة ..

المســتوى الأول : الجاذبــية الجســدية البحــتة ، وهــذه تكــون عند المراهقين غير المتدينيــن عــندما يكونــوا مســوقين بشــهوات أجســادهم فــإنهم ينجذبون إلى كل فتاة لا لشخصــها وإنمــا عشــقا فــى جســدها . وهــذا العشــق الجســدى هو أحط أنواع الحب الجنســى كمــا ســبق الذكــر لأنــه متغــير ، أنــانى ، ترابى لا يحقق الوحدة ، ولا يشبع النفس الإنسانية ..

المســتوى الــثانى : الجاذبــية النفسُــية ، وهــذه تكون عند الذين أنتهوا من مرحلة المــراهقة ولا يــزالون يعيشــون حســب الجســد . فنجد هنا الطالب الجامعى ينجذب نحو الفتاة لا لأجل جمالها وإنما لأجل قوة شخصيتها وغزارة علمها ورزانة طبائعها ..

وهــذا الانجــذاب ، وإن كــان أرقــى مــن ســابقه ، إلا أنه مسيحيا ينظر إليه على أنــه تــرابى المصــدر لأن الجســدانية والنفســانية هــى خصــائص المولوديــن من الدم ومشــيئة الجســد كمــا يعــبر القديــس يوحنا . وحينما تكون الجاذبية الجنسية لا شخصية تكون ينبوعا لأشبع الأنحطاطات وأذل العبوديات للنفس الإنسانية ..

المستوى الثالث : وهو الجاذبية الروحية ، وهذه تكون لدى الناضجين الذين تخلصوا من الربط النفسية التى تشدهم نحو التخلف وعدم التقدم ، والذين صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات ، والذين عرفوا كيف يعيشون حسب الروح وليس حسب الجسد ..

هؤلاء فى نضجهم يحدث عندهم إلهام ونداء وجاذبية لا يكون مصدرها الجسد ولا النفس، ولكن الروح أولا وقبل كل شئ ..

وفى هذا المضمار تتحول الغريزة وجاذبية الدافع الجنسى إلى ضرب من السرية، ويصير الحب فيها نداء ، أو دعوة صافية شفافة نقية ..

ليس معنى هذا أن الشاب الروحى المتقدم إلى الزواج تخلو الجاذبية الروحية عنده من القبول الجسمى والنفسى، ولكن عناصر الجسد والنفس خاضعة عنده للنظرة الروحية والإلهام الإلهى والاتجاه الروحى المسيحى الحقيقى .

وكما حدث لتلميذى عمواس إلهاما عن طريق كسر الخبز. فإن هذه اللحظة المباركة موجودة أيضاً فى الحب إنها لحظة طاهرة جداً فيها يتذوق الأحباء طعام الملائكة، ويتعارفون فى إستعلان مباشر فجائى ، وكما يشق البرق الظلام يرى الأحباء بعضهم بعضاً .. فالمحب يرى نفسه فى المحبوب كما فى مرآة ، كما

يستجيب الوجه للوجه فى الماء هكذا قلب الإنسان يستجيب ل
(أمثال سليمان ٢٧ : ١٩).

وإننا لا نقصد بهذا الإلهام ما يقوله أهل العالم عن الحب من أول نظرة ، ذلك الحب السطحى الشهوانى الذى تحركه شهوة العين والجسد وإنما نقصد به الإعلان الداخلى الطاهر المتحرر من كل دون جوانية تماماً .. فيه يكون الآخر ذا جاذبية خاصة لا يمكن استبداله ..

وهذا التخصص الشخصى مع التسامى بالغريزة الجنسية هو ما يميز الحب الإنسانى عن العشق الجسدانى ..

والــذى يضــمن للشــاب الــروحى القــدرة علـــى تحمــل متاعــب الحياة الزوجية والــتحديات الكثــيرة أمامهـــا أنـــه إذا ذبلـــت النضارة الجسدية وتعرضت للأمراض والعلل المــتوقعة ، وإذا أصـــابت الشخصـــية المحـــبوبة بعـــض المتاعـــب النفســـية والضـــيقات الداخلــية غــير المســتغربة ، فــإن رابطـــاً قوياً لا ينفصم عراه يبقى بين الزوجين المحبين ألا وهـــو الاتحـــاد الـــروحى والانســـجام القلـــبى الـــروحى الحقـــيقى القـــائم على النظرة الســليمة المشــتركة ، والهـــدف الواحـــد ، والحـــب الواحـــد ، والإيمان الواحد ، والرجاء الواحـــد ، والـــثقة واليقيـــن الشـــديد فـــى إختـــيار الله ودعوته لكل واحد منهما وتدخل الله الواضح فى حياتهم .

[illegible]

لا حـــب جنســـى إلا مـــن خـــلال الـــزواج ، ولا زواج إلا من خلال الحب " لأن كل حـــب خـــارج يحمـــل جـــرثومة تحطـــيم نفسه إذ يكون فاقداً القدرة على تكوين الشركة .. فالـــنفس البشـــرية لا تســـتطيع أن تجـــرد الحـــب الجنســـى من تعبيره الطبيعى الجسدى ، فالجســـد فـــيه لابـــد أن يكـــون له نصـــيب ، وهـــى لا تســـتطيع أن تقـــاوم بصفة مستمرة فرصـــة حمـــل الـــثمار إذ أن الحـــب الجنســـى الحقـــيقى لا معـــنى لـــه بـــدون العائلـــة والطفل .. " .

وهـــنا نخـــالف كـــيركجارد الـــذى يـــرى أن الـــزواج يقضـــى على الحب ، ووجهة نظـــر كـــيركجارد أن عاطفـــة المشـــاركة الـــتى تنشـــأ بيـــن الـــرجل والمراة لابد من ان تضـــعف تحـــت تأثـــير الحـــياة العاديـــة الرتيـــبة ، وأن هـــناك إستحالة تحقيق التوافق بين حياتين روحيتين غير متكافئتين .

كمـــا يـــرى عـــدم تســـاوى الطرفيـــن المشتركين بحيث لا يستوعب أحدهما الآخر ، وتمـــتد أخطـــاء كـــيركجارد إلـــى حـــد أنـــه يتهم المرأة بالأنانية فى الزواج عندما يقول إن المـــرأة تلـــتهم الـــرجل بمجـــرد أن يصـــبح زوجـــاً لهـــا (إرجـــع إلى كتاب مشكلة الحب لزكريا إبراهيم . ص٢٩٠).

نحـن نخـالف هـذا الفيلسـوف لأن الـزواج لـيس هكذا عند المسيحين فالمرأة لا تلـتهم الـرجل ولا الـرجل يجـرى وراء شـهوته الجامحـة فى الزواج ، لأن المسيح فى سـر الـزيجة يلغـى عقـدة الـنقص التى عند المرأة ، وعقدة التسلط عند الرجل . فالمرأة لا تعـود تصـبح أبـنة لحـواء تسـعى إلـى إمـتلاك الـرجل لشعور دفين ينقصها عند الـرجل ، ولا الـرجل يسـعى إلـى إذلال المـرأة والسيطرة عليها لشعور عميق بالتعالى علـيها .. ففـى المسـيح يسـوع لـيس ذكر ولا أنثى ، بل الزوجة تهب وتحترم زوجها ، والـزوج يحـب زوجـته كنفسـه ، وهكـذا فـى إطار سر الزيجة تختفى العلاقات الناجمة عن العصيان وتظهر العلاقات الناجمة عن الحياة الجديدة التى فى المسيح يسوع .

مناجاة

يـا سـيد .. لقـد علمتـنا أن الحـب الجنسـى الحقـيقى هـو الحب الملتزم بشركة الـزيجة فأسـمح يـا إلهـى أن يعـرف كـل من يريد أن يتزوج أن الحياة الزوجية ليست مـتعة الشـهوة أو لـذة الجسـد ، وإنمـا هـى شـركة حب وبذل وصون للقداسة والعفة انتظارا ليوم مجيئك المبارك المملوء مجداً حين تأخذ مختاريك لمدينة الأبكار ..

اسـمح لـروحك القـدوس أن يعـد أولادك وبـناتك للـبذل الحقـيقى إمـا فى حياة زوجية صالحة أو فى بتولية نقية طاهرة .

الموضوع الثانى

الحب الزوجى

- ❖ مركز الحب الجنسى فى الحياة الزوجية
- ❖ سمات الحب الطاهر فى الزوجية
- ❖ عمل السر المقدس فى الحب الزوجى
- ❖ دور الجنسية فى الحب الزوجى
- ❖ التحديات أمام الحب الزوجى

أ- مركز الحب الجنسى فى الحياة الزوجية

- ❖ هو أساس للحياة الزوجية.
- ❖ له سمات تختلف عن الحب عند أهل العالم .
- ❖ هو على مثال حب المسيح للكنيسة.

[illegible]

مـــنذ البداية كان الكائن الإنسانى كائناً زوجياً [1] ، وفى اليوم الذى خلقوا فيه دعاهم الله رجـــلا (تك ٥ : ٢) ، ويلاحـــظ ذهبى الفم بأن الله يتكلم عن الاثنين بوصفهما واحداً ، والله يخاطبهما دائماً كشخص واحد ..

وهـــذا يعنى أن الله كان يقصد من وجود الرجل والمرأة أن يتحدا ولا يكونان أثنين بل وحدة واحدة .

لقد قال القديس ثيئوفليس الانطاكى " لقد خلق الله آدم وحواء ليحققا الحب العظيم بينهما ليعكس سر الوحدة الإلهية ".

وقال القديس يوحنا ذهبى الفم ، " حينما يتحد الزوج والزوجة فى سر الزيجة لا يبدوان بعد ذلك كأنهما شئ أرضى بل يظهران صورة الله نفسه .." .

١ – تبين دراسات علم الأجنة أن الجنين يبدأ ذكراً وأنثى معا ، ثم بعد ذلك تتحدد السمات الجنسية وتنفصل العوامل الذكرية عن الأنثوية ..

والقديس أكلمينضس الأسكندرى يدعو الحياة الزوجية الطاهرة مسكنا لله وبيتاً له إذ يقول " من هم الاثنان أو الثلاثة المجتمعون باسم المسيح الذى يكون هو فى وسطهم (مت ١٨ : ٢٠) أليسوا هم الرجل والمرأة اللذين وحدهما الله ..

وهناك صلاة قديمة من أجل الأزواج تقول " يا الله إنك بأخذك المرأة من الرجل عند خلقك إياهما قد شئت بهذه الأعجوبة عينها تكون بينهما وحدة زوجية وتربط بينهما بسر الحب ".

وفى صلوات الإكليل المقدس فى كنيستنا القبطية يقول الكاهن "أيها الآب إلهنا جابل كل الطبائع الذى جبل الإنسان من الأرض وأصلحت له معينة من الضلع الذى أخذتها منه ، ووفقتهما لشركة الزواج بالحياة والنمو الدائم .. " .

فالزواج فى وجهة نظر المسيحية ، شركة حب وبذل ، وهذا نسك عميق ، والإكليل الذى يوضع على رأس كل من العروسين إنما هو رمز لإكليل الشهادة .. فالبعض ينال إكليل الشهادة فى لحظة سعيدة بينما يعرف غيرهم استشهاد الحب الذى يكللهم فى الداخل ، وهو أمر غير مرئى من العالم لأن العالم لا يقدره إذ أن المعرفة الحقة للحياة الزوجية تختفى فيها البطولة خلف ستار الحياة العادية .

كم من زوجات أو أزواج احتملوا الآلام والأمراض والأتعاب فى حياتهم الزوجية !! واستمر العذاب سنين طويلة وكان الحب الذى فيهم قادراً أن يعطيهم الغلبة وتجاوز الضيقة بصبر وشكر وتعزية مشتركة ..

أن كأس الحب المشترك يبين خلال شفافيته محور الحياة الزوجية التى تدور حولها أفلاك السماء ..

الحياة الزوجية حياة حب وفيض للنعمة .. إنها حياة بذل وخدمة مشتركة ، وما كانت يوما محالا للسيطرة أو التسلط أو المنفعة ..

فجبل طابور له منحدران أحدهما مسلك الرهبان والنساك والآخر طريق الباذلين فى الزواج ، وكلاهما يصعد فى صبر وجهاد وحمل للصليب ، وعند القمة هناك اقتناء الروح

القــدس للفريقيــن .. والذين يصلون إلى القمة من الناحيتين سواء كانوا رهباناً أو متزوجين فإنهم يدخلون راحة الله ويعيشون فى فرح الرب الذى لا ينطق به ومجيد ..

[illegible]

إنـــه حب لا يتمركز حول الذات بل يستند إلى التضحية بالذات ويرتكز على العطاء ، ويقــوم علـــى الــتعقل والاستقرار والوفاء المتبادل . ففى الحب الزوجى يفقد الإنسان الذاتية المستقلة والأنا المنفلقة منفتحا نحو عطاء النفس للآخر دون انتظار للمنفعة ..

ثــم هو حب غير مسبب وغير محدد ببواعث ، ولكنه يبرر وجود نفسه ، فهو لا يقوم على دوافع وبواعث ومثيرات خارجية ولكنه يستمد كيانه وجوهره من سر الحب الداخلى فهو حــب مــبدع خلاق .. وهو يقبل المحبوب (على علاته) كما هو .. إنه يقبله كشخص وليس كموجودات .. إنه يتعامل معه على مستوى الكينونة وليس على مستوى الملكية ..

ثــم هو حب يقدس الغريزة الجنسية ويفتديها .. فالعلاقة الجسدية بين الزوجين لا تكون كــريهة أمام الله الذى هو سبب الحب الروحى الذى يملأ قلبى الزوجين ويوحدهما فى شركة واتحاد روحى عجيب .

إن حــركة المحبة الباذلة هى التى تفتدى الشهوة وتخضعها لنعمة الله الفائقة الغنى. ثم هــو حــب رزيــن غــير مــتهور أو مــندفع أو طائش ولكنه يعى التزامات الحياة الزوجية ومسئولياتها ، ويقدر كل متاعبها ، وعنده إمكانية احتمال المعاناة مهما كانت ثقيلة ..

هــو حب واقعى وليس خيالى كما فى أحلام المراهقين ، وهو حب ملتزم بالشخص ، وليس نوعا من التلهى وراء اللذة الحسية ..

فهو حب باذل غير نفعى ، يتأنى ويرفق ، لا يطلب ما لنفسه ، ولا يحسد ولا يتفاخر ، ولا يغار ولا يخاف .. لأنه لا خوف فى المحبة (١يو ٤ : ١٨) .

هــو حــب قــوى " المحــبة قوية كالموت." (نش ٨ : ٦) لأنه يستمد كيانه من الحب الإلهــى.. " ليكون فيهم الحب الذى أحببتني به ." (يــو ١٧ : ٢٦) ، ولأنه بلا رياء فهو مبنى على الصخر لا تزعزعه رياح وعواصف الحياة .

يقـول القديـس يوحنا ذهبى الفم إن الحب الزوجى هو أقوى حب لأنه يعرف كل شئ كالإيمان ، ويرى ما هو مختفى عن أعين الآخرين إنه يملأ الأعماق الخفية نوراً وبهاءً ..

وهـو حـب يعـنى المعرفة الشاملة العميقة " عرف آدم حواء" الحب قوة شفافية نبوية كاشفة ، فالمحب يرى نفس المحبوب بوصفه نوراً فيبلغ من المعرفة الدرجة التى لا يبلغها إلا المحبون .

وآيـة هـذا الحب أنها تمحو كل تباعد المسافة بين الاثنين ليكونا وحدة نموذجا مباركا ومثالا حيا وشهادة واضحة فى العالم ..

وهـو حب مثمر وفياض لا ينحبس فى جنبات الزوجين كما لا ينحبس النور فى أصابع الأيـدى .. إن خصوبة الحب تتجلى بوضوح فى كونه يغير من نفوس أولئك الذين يحبون ، ولعـل هـذا هو السر فيما نلاحظه عادة من أن الحب دائماً صبغة خلاقة أو طابعاً إبداعياً .. وتـبعاً لذلك فإن الحب عملية خلق متبادل لموجودين مترابطين يشعر كل منهما بأنه فى حاجة إلى الآخر لأنه يحبه وإذا كان جوهر هذا الخلق أو الإبداع هو التبادل فذلك لأن الحب قوة من شـأنها دائمـا أن تولد الحب ، ثم أن هذا الحب يتدفق ليثمر ثمرة مباركة هى الطفل .. وهكذا يمتد الحب الزوجى ليصبح الحب الأموى والحب الأبوى أيضاً ..

وهـو حـب له قـدرة الانتصار على الموت .. يحول الزمنى إلى خلود ، والزائل إلى بـاقى .. فالفرح الذى ينسكب من قلبى المتزوجين بالروح القدس ، هذا يجدد الجسد ويضمن ديمومة الوحدة إلى الأبد ..

وفى هذا الصدد يقول ذهبى الفم " أولئك الذين معاً حقاً يصيرون فى الدهر الآتى وحدة فى المسيح ووحدة مع بعضهم البعض فى فرح أبدى" .

وإذا قلـنا إن الحـب الـزوجى يـدوم إلى الأبد فما معنى قول الرب فى جوابه على الصـدوقيين " إنهـم فى ملكوت الله لا يزوجون ولا يتزوجون" هل يعنى هذا ان الزواج بكل وجوهـه سيختفى؟ الحقيقة أن ما له علاقة بالعالم المادى سيختفى مثل الاتصال الجنسى . هذا لـن يستمر لأنه يصبح غير ذى موضوع إذ أن عدد المختارين يكون قد كمل وبهذا لا يكون

هـــناك معـــنى للتناســـل .. ولكن الذى يبقى فى الدهر الآتى الحب والشركة الباطنية .. إذ أن جمـــيع أسرار الكنيسة ستختفى منها علاماتها الخارجية ، ولكن تدوم فاعليتها الباطنية .. ففى الزواج يختفى الشكل ويبقى المضمون.

يقـــول جبرييل مارسييل " متى قلت إنى أحبك فمعناه أنك لن تموت" . ويرتبط بديمومة الحـــب وبقائـــه واســـتقراره الوفاء الزوجى الحقيقى . وهو نوع من الحياة ، فيه يخلص كل شـــريك للآخر على أساس من الوئام والتفاهم والنية الصادقة القوية والمحافظة على الرابطة المقدســـة جسمياً وروحياً .. هذه التى تجعل الزواج وحدة متماسكة متضامنة الأطراف .. ولا نقصـــد بالوفـــاء ذلك النوع المزيف أو السلبى الذى فقد روح الإخلاص اكتفى بالحياة الشكلية والـــرابطة المظهرية التى تبدو أمام الناس طيبة وهى تحمل فى طياتها نوعاً من النكد والتبرم والكراهية وعدم التقدير والأغلال والموت!.

فالشـــعور الـــذى يربط الزوج هو الشعور بأن كلا منهما للآخر لا بأن الواحد هو ملك الآخـــر ، الشـــعور بـــأن الاثنين مكملان لبعضهما بعضا ، وتنمو شخصية كل منهما فى جو الحب والألفة والمودة والحياة الزوجية . هذه الوحدة التى نسميها بحق وحدة الحب الزوجى .

الحـــب الـــزوجى أســـمى مـــن كل الفنون والعلوم فى اشباع النفس البشرية .. فالفنون والعلـــوم وإن أرضت تطلمات خاصة للنفس البشرية ، وسدت فراغ الحاجات المؤقتة إلا أنه من الواضح أنها لا تضفى مضمونا مطلقا له اكتفاء ذاتى على الشخصية ، وبالتالى لا تتطلب خلودها . الحب وحده هو الذى يتطلب هذا الخلود وهو وحده الذى يستطيع بلوغه .

[illegible]

فـــالوحى الالهى يقدم لنا الزواج على أنه سر اتحاد بين رجل وامرأة يتعهدان بأن يعيش دون أن يفصـــلهما المـــوت ، فـــى علاقة حب متبادل واضعين نصب أعينهما التقديس الذاتى الشخصـــى وتقديـــس أطفـــالهم .. وعـــن طريق هذا التعهد الواعى ومن خلال سريان الحب المتـــبادل فـــأن طبيعة الزوجين الجسدية الساقطة تتجدد لتؤهل إلى السكنى فى السماء الجديدة والأرض الجديدة .. فالحب الزوجى علامة للملكوت وشاهد له ..

ويرتبط الحب الزوجي بالفرح الزوجي فالمرأة تأتي لزوجها بفيض وعزاء لا ينقطع لكي يفرحا معا " أفرحي أيتها الزوجة وليكمل فرحك في زوجك ..

" والقديس أكليمنضس الإسكندري يشير إلى النعمة الفردوسية حين يدعو الحب على التسامي فوق الأرضيات والاتجاه نحو الجمال السماوي في الحياة الزوجية ..

" ففي قانا الجليل يرأس الرب يسوع مع روحه القدوس الغرس حيث يشربون الخمر الجديدة العجيبة التي تملأ النفس فرحا سماويا ..

إنه السكر العاقل الذي تحدث عنه أغريغوريوس النيسي والذي أتهم به الرسل يوم الخمسين .. وهكذا فأن البنديكوستي الزواجي يجعل كل شئ جديداً " (١٩).

ليس صدفة إذن حديث الرسول عن الحب الزوجي في مجال حديثه عن حب المسيح والكنيسة .. " أيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها . لكي يقدسها .. كذلك يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم . من يحب إمرأته يحب نفسه .

فأنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويربيه كما الرب أيضا للكنيسة . لأننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه .. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا ..

هذا السر عظيم ولكنني أنا أقول من نحو المسيح والكنيسة "(أفسس ٥ : ٢٥ - ٣٣) ، فمن قول الرسول هذا يتضح جليا أن رباط الزيجة يصور اتحاد المسيح بالكنيسة ، وعلى هذا المستوى يكون الزواج سراً عظيماً ويكون رباط الحب الزوجي مقدسا ..

إن الزواج توقع للملكوت وتكوين لملكوت مصغر هنا على الأرض .. إن اول اعجوبة صنعها الرب كما حدثنا يوحنا البشير أجراها في عرس قانا الجليل . ومن أول الأمر تتكشف الجلجثة خلال هذه الأعجوبة - الماء المتحول خمرا - فيعلن بهذه الوسيلة ولادة الكنيسة على الصليب إذ انه من الجنب المطعون جرى دم وماء .. فالرمز إقتراب وتوضيح لمكان الأعجوبة . العرس بجوار الأفخارستيا الكنيسة ..

وحضـــور المســـيح يضــفى على العروسين هبة قدسية ، وعنها يتحدث القديس بولس حيـــنما يقول "هذه كلها يعملها الروح الواحد قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء" وبتأثير فاعلية الروح يتحول ماء الشهوات الطبيعية إلى ذلك النتاج من عصير الكرمة ..

الكـــرمة النبيلة التى تعنى التحول نحو حب جديد ، حب من فيض النعمة يدخل أعتاب الملكوت والأبدية ..

ولهـــذا السبب تتحنى أم الله كالملاك الحارس فوق العالم فى أزمته قائلة "ليس لهم خمر" والمعـــنى الخفـــى لقول السيدة العذراء هو أن الطهارة الأولى بوصفها تكامل الشخصية قد تلفت والاجران المهيأة (للتطهير عن اليهود) فارغة وغير كافية لأن الأشياء العتيقة قد مضت فتـــتحول التطهـــيرات إلـــى المعمودية لتفتح الطريق إلى العرس الأفخارستى للعريس الأوحد يسوع المسيح رب المجد ".

صلاة

يـــا رب يـــا من باركت فى عرس قانا الجليل الآن أيضاً بارك .. بارك كل المتزوجين لأجـــل مجدك ، واجعل بيوتهم بيوت طهارة ، بيوت بركة ، بيوت صلاة أنعم بها علينا وعلى الآتين من بعدنا ..

يـــا مـــن حولت الماء خمر .. حول كل غرائزنا الجسدية إلى طاقة حب تسكرنا سكراً عاقلا .. كفاك الذى سكر به تلاميذك يوم الخمسين ..

ويـــا مـــن قدست العرس بدخولك فيه وحلول روحك القدوس الآن يا سيد أدخل بيوتنا وحولها إلى كنائس مقدسة حتى يصبح الزواج أيقونة سرية للكنيسة ..

[illegible]

- ❖ يحفظه فى المسيح يسوع.
- ❖ تقديس العلاقات الجسدية.
- ❖ يعطيه إمكانية النماء.
- ❖ لا تكون السقطات جراحات مميتة ..

يلزمنا ان نقرر بادئ ذى بدء أن المسيح هو أساس الحب الزوجى ، وحجر الزاوية فى العفة الزوجية وينبوعها الدفوق ..

إلـيه يحـتاج الزوجان كى يتطهر حبهما الجنسى .. وكل علاقاتهما ككل نشاط بشرى يحـتاج إلـى فداء المسيح وتطهير الروح القدس .. لذلك نجد فى صلوات الكنيسة سواء فى الخطوبـة أو عقد الأملاك أو الأكليل طلبات كثيرة كى يطهر العريسين ويربطهما برباط العفة والقداسة .

ففـى عقد الأملاك لحن يردده المرتلون عند وضع الحلل .. " الحلة الروحية التحف بها ميخائيل ، والمنطقة الجوهرية تمنطق بها ميخائيل .

حلـة العفـاف أعطيت لهذا العريس ، وإكليل البهجة وضع على رأسه كالذى قاله داود المرتل مجداً وكرامة جعلتهما تاجاً عليه ..".

وفى صلاة الإكليل طلبات كثيرة إلى الرب يسوع أن يربط العريسين برباط القداسة .. " لكى يكونا بكل تقوى وعفاف متصلين بجسدهما وروحهما ويستحقا البركة التى من قبلك ".

" ثبـت اتصالهما ، احرس مضجعهما نقياً ، استرهما مع بيتهما بيمينك الغير مغلوبة .. نجهـا مـن كـل حسـد ومن كل مكيدة ، احفظهما بامتزاج واحد وسلامة .. هب لهما فرحاً وسروراً ليظهر لك يا الله الحى ثمرة الحياة من البطن .. "

وفـى صلاة مسح العريسين بالزيت المقدس " وهنا مسحة العروسين إشارة إلى مسحة الميرون الذى هو انسكاب موهبة الروح القدس " :

" ليكـن زيـتا لـتقديس عبديك آمين ، سلاح البر والعدل آمين ، مسحة الطهارة وعدم الفسـاد آميـن ، نوراً وجمالاً لا يذبل آمين ، فرحا وزينة وعزاء حقيقيا آمين ، قوة وخلاصا وغلـبة قبالة كل أفعال المضاد آمين ، تجديداً وخلاصاً لنفسيهما وجسدهما وروحهما آمين .. غنى وإعطاء وثمرة الأفعال الحسنة آمين .. ".

ونسـتطيع أن نلمـح قصـد الكنيسة من هذه المسحة وهو إعادة مجد وجلال هذا السر عندما تصلى صلاة وضع الأكاليل.

" لتكـــن لهمـــا أكالـــيل مجد وكرامة آمين .. أكاليل بركة وخلاص آمين ، أكاليل فرح ومسرة آمين ، أكاليل تهليل وبهجة آمين ، أكاليل فضيلة وعدل آمين ، أكاليل حكمة وفهم قلب آمين ، أكاليل عزاء وثبات آمين .. ".

فهـــي تـــريد أن يكونوا ملوكا وكهنة وأنبياء .. وهذا المجد الذى أضفاه السيد الرب فى عـــرس قانـــا الجلـــيل ، وبالتالى على عرس كل مسيحى أرجع للحب الزوجى ولسر الزيجة الصفة الأصلية ذاتها والكرامة التى كانت له قبل العصيان ..

والكنيسة تقصد أيضا من وضع الأكاليل عليهما وهما متحدان سويا أنهما قد توجا سويا وأصـــبحا متحديـــن وعلـــيهما أن يحققا هذه الوحدة فى المعاناة الطويلة اليومية متى تستغرق زمـــان شـــركتهما معـــاً حيـــنما يقع ظل الإكليل (الصليب) عليهما ويمارسان حياة الاستشهاد اليومى ..

هـــذا بالإضـــافة إلـــى صلاة وطلبة حلول الروح القدس على العروسين فيوحدهما فى المحبة ويكونا جسداً واحداً وروحاً واحداً وقلباً واحداً وفكراً واحداً ..

هكـــذا يكـــون لعمل الروح القدس السرى فى الزيجة أثره الفعال فى الحب الذى يربط العروسين .. فأحد الآباء يشبه الحب الجنسى بين الزوجين بمادة السر تماما كالقربان والخمر فـــى ســـر الأفخارستيا ، فكما يحل الروح القدس فى القربان والخمر ويحولهما إلى جسد ودم عمانوئـــيل هكـــذا يحـــل الـــروح القدس فى الحب الزوجى الذى يربط الاثنين جسداً وروحاً ليجعلهما واحداً وليس أثنين ..

وفى هذا تصلى الكنيسة فى صلاة عقد الأملاك "أعطهما علامة إشارة اتصالهما ليكونا بألفة واحدة برباط المحبة . إذ نقول لهما سلامى أعطيه لكما .."

وفى قراءة الإنجيل فى عقد الأملاك تنشد الكنيسة " ويكونان كلاهما جسداً واحداً وليس هما اثنان لكن جسداً واحداً . وما أزوجه الله فلا يفرقه الإنسان ".

ويقـــول أحـــد الآبـــاء " إنه فى المخدع الزوجى يكون الزوج شبيهاً بشجرة الحياة فى الكنيســـة . ثمارهـــا مغذيـــة وأوراقها تهب الشفاء . وتكون الزوجة شبيهه بكأس ذهبية دقيقة

تفــيض لبــنا وعسلا وتتخللها نقاط دماء البذل .. هكذا ليبق الثالوث الأقدس إلى الأبد فى هذا المخدع الزوجى ..".

[illegible]

مــا أجمــل أن ينشد المرتلون لحنا يعبر عن الوحدة التى صارت بين العريسين بالحب والألفــة التى بينهما إذ يقولون " هؤلاء الذين ألفهم معا الروح القدس مثل قيثارة يسبحون الله كل حين بمزامير وتسابيح وتماجيد روحية ، النهار والليل بقلب لا يسكت "

فالســر المقدس يعمل على تدعيم هذه الوحدة وإبقائها وعدم انفكاكها .. إنه يضع أختاماً مقدسة عليها حتى لا ينفصم عراها ..

وهكذا فى الظاهر يسعى الزوجان إلى حفظ وحدتهما بالأمانة والعفة والبذل المشترك ، وفــى الباطــن يعمل الروح القدس على تدعيم هذه الوحدة وتعميقها وأعطائها الغلبة على كل تحديات الزمان . فبنعمة سر الزواج ينال الزوجان المسيحيان شيئا من الحالة الزوجية السابقة على السقوط فى الجنة .

وعــن هــذه الوحــدة المقدسة يقول ذهبى الفم " لو ألقيت بالعطر على الزيت لأصبح المــزيج واحــدا ، هكذا فى الزواج يمكنهما أن يعيشا فى سلام خلف السور المنيع ، ومنهما تفوح رائحة المسيح الزكية ..

مــن أجــل هذا يصير طقس البخور فى سر الزيجة إشارة إلى طرد الأرواح الشريرة (كمــا كان فى أيام طوبيا) ، وطلب انتشار رائحة المسيح الزكية فى الحياة الزوجية ، وجعل كيان الزيجة طاهرا بحماية الصليب ذى السلطان الحامى .

كمــا يصــير طقس إضاءة الأنوار والشموع إشارة إلى أن المسيح أعاد للزواج ما كان عليه فى البدء عندما خلق الله النور ..

عــندما أسس الخليقة قبل السقوط ووضع سر الوحدة الزوجية فى الفردوس ، كما يشير الــنور إلى ألسنة النار التى استقرت على التلاميذ يوم الخمسين ، وهكذا يعيش العروسان فى نعمة السر الإلهى فى طلب ملء الروح القدس على بنديكوستيهما الزواجى ..

[illegible]

ويعمـــل السر المقدس على تقديس العلاقات الجسدية والجنسية بينهما ، إذ من خلاله لا تصير الجنسية عمليات بيولوجية أرضية وإنما تقدمة وذبيحة ذات طابع روحى .. وفى جميع صـــلوات الكنيسة الطقسية لا نلحظ آية إشارة للتخوف من الجنس ولا إلى أى أثر لسوء الظن أو الاحتقار ..

هـــناك طلبة فى الإكليل من أجل هذا الصدد تقول فيها الكنيسة " يا من نقل الماء خمراً حقيقـــياً بســـلطان لاهوته ، بارك عبديك وطهرهم بمحبتك للبشر .. يا من حل فى عرس قانا الجلـــيل وبـــارك ذاك العـــرس ونقل الماء إلى خمر حقيقى بسلطان لاهوته بارك وأستر هذا العـــرس الـــذى لعـــبديك ، بســـلامة وألفـــة ومحـــبة واحرسهما .. نسألك يا رب أن تسمعنا وترحمنا .." ثم تصلى قائلة .

" نســـألك يـــا ســـيد أن تصـــل عبديك بعضهما بعضا بجسد واحد وليدخلا إلى ناموس الفرح ".

وهكذا تعبر الكنيسة عن عملية الاتصال الجسدى بين الزوج والزوجة أنه مقدس بالسر الإلهـــى كمـــا تقدس ماء قانا الجليل وصار خمراً مبهجاً .. وهكذا تتحول الشهوة الجنسية إلى نشوة وبهجة ومحبة زوجية تدخلان إلى ناموس الفرح ..

ويقـــول القديـــس أكليمنضـــس الاسكندرى " إن المسيح فى قانا الجليل أيد ما أنشأه فى الجـــنة ، وأعاد إلى الزواج جلاله القديم .. وهكذا الأبن دعم ما عمله الآب عندما علم عن وحـــدة الـــرجل والمـــرأة إذ قـــال "أمـــا قرأتم ان الذى خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى . " (مت ١٩ : ٤) .

[illegible]

والســـر الإلهي يعطى أيضاً للحب الزوجى إمكانية النماء والامتداد فى الطول والعرض والعمـــق والعلـــو .. ففـــى الظاهر يتفانى الزوجان فى محبة بعضهما ، ثم فى إنكار نفسيهما لخدمة الطفل الوليد ، وفى الباطن يعمل الروح القدس على أن يحول هذا البذل إلى تقدمة حب وذبيحة حية مقبولة أمام الله ..

إن الحـــب الـــزوجي يمتد إلى الحب الأبوى والأموى بوجود الطفل فى الأسرة .. فالأم تعطى نفسها لطفلها ، وتموت جزئياً فى سبيل نموه وكأن لسان حالها ينبغى أن هذا يزيد وأنى أنـــا أنقـــص . إن تضحية الأم تتضمن ذلك السيف الذى تحدث عنه سمعان الشيخ ، وفى هذه التضحية تنحنى كل أم فوق يسوع المصلوب ..

أن الله أعطى للإنسان من خلال الطفل أن يتذوق الحب الأبوى ، وإن كانت الأبوة هى نوع الحياة الإلهية ، فالأمومة هى النوع الدينى للحياة الإنسانية .

وأمومة السيدة العذراء موضوعة أمامنا كشكل إنسانى للأبوة الإلهية ، وكنموذج مبارك للبذل اللانهائى ..

[illegible]

١ - ارتـــباط الجنسية بالحب فى الحياة الزوجية إذ أن العمل الجنسى معبر عن الاهتمام الكلى بالآخر وتعبير عن الشركة وواسطة لحفظها وتغذيتها وأنمائها وتقويتها .

٢ - خضـــوع الجنســية للضبط والتسامى والوقار المسيحى إذ أن المضجع طاهر فى الحياة الزوجية .

٣ - خصوبة شخصية كل من الزوجين وتجاوز الفردية .

٤ - تعـــبر عـــن الفـــرح الداخلى والحب القلبى وواسطة لمزيد من المعرفة كل للآخر وغير مرتبطة بالنسل فقط .

[illegible]

إذا كانـــت الجنسية عند الإنسان الطبيعى ذات مكانة هامة ، والأنحراف فيها أمر خطير للغاية ، فهى عند المسيحى الحقيقى قربان مقدس لله لأنها مع جسده كله ذبيحة إذ صار الجَسد هـــيكلا للـــروح القـــدس . فالمؤمن يتزوج كأى إنسان لأجل الحب والعطاء ، ولكنه كمسيحى يحـــب ويعطـــى ويـــبذل لا لكى يجد ذاته فى الآخر وإنما بذله وحبه يكونان فى المسيح ومن خلال المسيح ، ذاك الذى جعل الاثنين واحدا .. فالمسيح هو أساس العفة الزوجية وينبوعها ، وبـــه يـــتطهر الحـــب الجنســـى مـــن كل أنانية ويتجلى بأنوار القيامة ويتقدس ليدخل أعتاب الأبدية ..

الـــزواج يـــتدنس إذا أصـــبح مجرد إشباع غريزى حيوانى لحاجة بيولوجية بحتة وإذا أصبح السعى وراء اللذة هدف الزوجين الوحيد فى جماعهما .

فعدم الطهارة هنا أن نستعمل الوسيلة كى تكون غاية فى حد ذاتها .

إن حـــركة المحبة العطائية هى التى تفتدى الشهوة وتخضعها لنعمة الله الفائقة الغنى – كما سبق الذكر – وهناك طريقان للقضاء على عنصر الموت فى الغريزة الجنسية .

وهمـــا إمـــا أن يصير الإنسان خصيا من أجل ملكوت الله (بتولا) أو أن يصير مرتبطا بالزواج على أن يجعله مضاء بأنوار وأفراح المحبة الصادقة .

والقديـــس بولس يشرح عمل المحبة المتبادل بين الزوجين عندما بين أن جسد كل واحد منهما ليس ملكاً لنفسه بل للآخر.

ومعـــنى هـــذا كلا من الزوجين يحسب إسعاد الآخر أهم من سعادته الشخصية وينسى نفسه فى محبة الآخر .

وعـــند القديس مكسيموس المعترف المبدأ أن الجسدى والروحى يتحدان فى الإنسان . المبدأ الجسدى لا يبتلع الروحى ، ولا الروحى يبتلع ويذيب الجسدى بل يروضه .

مـــثل هذه العلاقة تعيد النظام الطبيعى للكون الذى ارتبك بالسقوط انها تظهر من جديد شيئا مما كان فى الفردوس وقبسا مما سوف يكون فى ملكوت الله حيث :

- ينساب الروحى فى الجسدى ليؤثر فيه .
- وينفتح لجسدى لتقبل النعمة والفرح الأبدى .

الحـــب الـــزوجى إذن يفتدى الشهوة ويطهرها وينقبها ويجعل الجنسية مادة طاهرة لسر مقـــدس عظـــيم .. ففى ظل نعمة السر تعاش الحياة الجنسية دون انحدار أو هبوط ، وخلال الحب الزوجى يتفجر ينبوع من الفرح الإلهى لا يدركه إلا المختبرون .

هـــذا الحـــب ، وهذا الفرح هو ما سيحمله المتزوجون معهم فى الجسد الممجد لملاقاة الرب على السحاب فى مجيئه الثانى المملوء مجدا ..

[illegible]

المسيحى الحقيقى يحيا حسب الروح وليس حسب الجسد . وهو يوقن أن غرائز الجسد قد نالها جموح بسبب الخطية الموروثة ، وأن الإنسان العتيق كائن فى أعماقه يريد أن يسبيه إلى الموت وهو يعلم جيدا أن الغريزة الجنسية هى إحدى المجالات الهامة التى يحارب فيها وتبرز فيها ثنائية الإرادة أيضا .

من أجل هذا يحرص حرصاً شديداً على أن يتملك المسيح غرائزه وأن يلهب الروح القدس داخله حباً للرب ، لأن شخص المسيح وحده هو حجر الزاوية فى حياة العفة الجنسية ، وهو وحده الذى يجذب الجسد ويهدئ الأعضاء ويلهم البذل ويهون الاحتمال . فبدون الطبيعة الجديدة المعاشة بالمعمودية والتوبة والجهاد الروحى يسهل على الإنسان الهبوط إلى الانحطاط الجنسى .

وإذا كان المجتمع الخارجى قد سيطرت عليه جنسية معيبة قاتمة ، فإن المسيحى الحقيقى يترفع عن كل إثارات شهوانية ويرفض أن تتدنس حواسه بمثيرات تسيئ إلى كيانه الداخلى .. إنه يحفظ غريزته فى سر وفى وقار وإحتشام ليجد عند زواجه ذخيرة حية من الحب الطاهر الحقيقى القادر أن يقيم مع الشريك الآخر زواجا مباركا سعيداً .

فهو يدرك أن التضحيات التى يبذلها لكى لا يستسلم لنداء اللذة الأنانية ، هى بمثابة تكريم واستعداد للعفة الزوجية المستقبلة .

وهو فى جهاده لضبط غريزته يستجيب لنداء الرسول أن يقدم جسده ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله ، وأن لا يشاكل هذا الدهر ، وهو يطيع الأمر الموجه إلى تيموثاوس " أما الشهوات الشبابية فأهرب منها واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقى " (٢تى ٢ : ٢٢).

ويكمن وراء الجهاد الروحى العنيف لضبط الغريزة والتسامى بها إحساس وإيمان واضح أن أعضاء الجسد ليست ملكاً له ولكنها قد صارت ملكا للرب فهل يأخذ أعضاء المسيح ويجعلها أعضاء زانية ؟! إنه يسمع قول الرسول " لانكم قد أشتريتم بثمن فمجدوا الله

فى أجسادكم وفى ارواحكم التى هى لله .. إن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله "(١كو ٦ : ٢٠ ، ١٩).

وفـــى مجال الضبط الجنسى يتحدث يوحنا ذهبى الفم مساوياً الرهبان بالمتزوجين فى الالـــتزام بالسير فى الطريق الضيق وصلب الجسد فيقول "حينما يأمر السيد المسيح بالسير فى الطريق الضيق فهو لا يوجه الحديث إلى الرهبان فقط بل أنه يوجهه إلى جميع الناس ، وعلى هـذا القـياس يأمـر العـالم كله بأن يبغض حياته على هذه الأرض ، ومن هذا يتحتم على المتزوج كما على الراهب أن يصل إلى نفس الذرى (القمم).

ويقول أيضا "تخطئون تماما لو أنكم ظننتم أن هناك أمورا مطلوبة من المتزوج وأخرى مـن الراهب .. استعملوا الزواج بعفة وأنتم تسبقون غيركم فى ملكوت الله .. الحالة الزوجية كالرهبنة كلاهما شكلان للعفة التى تطبق فى كل من الحالتين تبعاً للمعيشة المختارة " [٢٢].

ويقدم أحد الآباء نموذجين للإتضاع والجهاد القانونى والنسك المسيحى الحقيقى .. وأحد يمـثل الرهـبان ، وآخر يمثل الحياة العائلية .. الأول هو صديق العريس والثانى أمة الرب . الأول هو يوحنا المعمدان والثانى مريم العذراء أم الله .

ويقـول بعـض الآبـاء إنـه ليس مصادفة أن يلتقى الرب مع موسى وإيليا على جبل التجلى ، ذلك لأن واحداً منهما يمثل الحياة الزوجية الطاهرة والآخر يمثل الحياة البتولية النقية ، ولكل منهما عند الرب مكان على قمة جبل التجلى ..

ولقـد طـبق بعـض الآباء فى كتاباتهم العهود الرهبانية (الطاعة - العفة - الفقر) على الحياة الزوجية المسيحية.

فالعفة تحتم التفانى والإخلاص غير المنقسم لله ولنعمته ولحقيقته ولهذا يصبح الشخص زوجاً أو زوجة كى لا يكون فى الحب الزوجى إلا الله .

- ***والطاعة :*** ألا ينقادا إلا بروح الله .
- ***والفقر :*** ألا يرتكنا إلا على ذراع الله وحده.

وقد أعتبر التقليد القديم فترة الخطوبة كفترة الاختبار السابقة على الرهبنة ، كما يفضل بعض المتزوجين بعد إتمام الشعائر الدينية مباشرة خلوة فى دير فترة معينة تستهدف الاستعداد النفسى للقدسية الزوجية. فالجو الرهبانى بما له من عمق روحى يكسو الزواج بفرح صاف .

ولكن هذا الضبط والتعفف لا يعنى الكبت والوسوسة ، لأن المسيحى العفيف قد اخضع الجنسية بفرح ورضا للمثل الأعلى . وتعهدها بالتسامى فلا يشعر تجاهها بالخوف أو الاشمئزاز .

إنه يجد قبل زواجه مجالات للتسامى بغريزته فى الفن الراقى والإبداع الفكرى والخدمة الباذلة والنشاط الدينى ، وبعد أن يتزوج يمارس الدافع هدفه فى تقديم الجسد حباً للآخر ، ولكن فى وقار يليق بأولاد الله .. " إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله ، لأن هيكل الله مقدس الذى أنتم هو".

ويرتبط بالضبط والسمو الحشمة والوقار . فالمسيحى يرى فى حشمة الملبس خضوعاً واعترافا بما عملته الخطيئة فى الإنسان ، وطاعة لإرادة الله فى أن يتوشح الإنسان باللباس .. وحشمته تمتد من وقار الملبس إلى وقار الكلام والتصرف والسلوك حيث هو حريص على ألا يعثر أو يعثر آخر بكلمة أو تصرف يسيئ إلى العفة الجنسية ..

وإذا كان المجتمع الخارجى يتهكم ويقاوم مثل هذه الاتجاهات المسيحية فإنه كمؤمن يحتمل تعييرات الآخرين فى شكر مهتماً فقط أن يرضى سيده .

[illegible]

سر الشخصية ومضمونها الفريد يوضح أبلغ وضوح فى الحب الذى بدونه لا يمكن تحقيق الكيان ، إذ أن الحب هو الوسيلة لتحرير الشخصية من أسر الذات والسماح لها بأن تتوحد مع الآخر .

وعند بيردياف - أحد الفلاسفة - أن هناك ثمة فارقا كبيراً بين الشخصية والفردية .. فالفردية هى الكيان المتمركز حول الذات المتجه نحو التقوقع فى الأنا . أما الشخص فهو نوع

روحــى يتضــمن الكــل ولــيس جزءاً منفرداً .. الفردية هى الإنسان الطبيعى أما الشخصية بمعناها العميق فهى تتضمن تسامى الطبيعة الداخلية نحو الاستجابة الخلاقة للنداء الإلهى ..

والجــنس عامل هام فى إخصاب الشخصية وأعطائها القدرة أن تتجاوز الفردية لتكون كياناً معطياً باذلاً محبا ..

ولا يســتطيع أن يحب من عاش عبداً للشهوة ذليلا للعادات المنحرفة أسيرا للأنفعالات الجنسية .. إن المسيحى يحفظ نفسه ويجاهد بشدة فى ضبط غريزته ويتعفف عن أى تصرف جنسي غير لائق ، ويأخذ من النسك ما يحفظ جسمه شفافا خاضعاً لحركات الروح .. إن مثل هــذا الكيان لخصب ثرى .. إنه الشخصية الإنسانية القادرة أن تبذل الذات ، وهى التى يريدها الله أن تكون كياناً ممتلئا فى الداخل متجهاً نحو الآخر ، حبا وبذلا وانفتاحاً .

[illegible]

يــنظر المجــتمع إلى الزواج كوعاء بيولوجى إجتماعى .. إنه لا يلتفت إلى الحب فيه كثيراً .. ونحن أن أفرغنا من الزواج سر الحب الذى فيه يضحى زواجا مدنيا محصنا وتبعده فى النهاية عن الكنيسة ..

والتعليم المنتشر بين الناس عن الزواج لا يشجع إطلاقاً على النظرة الروحية للزواج إذ يسمه بسمة اجتماعية ولا يتحدث عنه إلا بكلمات ضحلة عن الإنجاب .

وليس من المستطاع أدراك المعنى الفريد للمحتاجين إلا بالارتفاع فوق الفلسفة المنفعية. فــتحديد الهــدف مــن الزواج بإيجاد النسل قد يفيد النوع الإنسانى ، ولكنه ينزل بالحب إلى الجنســية النفعية ، أما فهم الزواج على أنه موضوع شخصى داخلى لذاته فإنه يرفع من قدرة ويجعله كريماً .. •

ففــى الزواج المسيحى ما يسمى بالحب المقدس وهو العنصر الخفى الطاهر الذى تحل علــيه بــركة السر الإلهى ، إذ أنه بين الأثنين المتحابين فى سر الزيجة ليس ثالث غير الله ، وهــذا هــو المعنى الحقيقى للزواج حين نعتبره صلة مواجهة للأب فى يسوع المسيح المتحد بالزوجين.

ولقد أوصى الله فى الجنة آدم وحواء أن يثمرا ويكثرا وينسلا ويملأ الأرض ، وأضحى الإنجــاب هدفــا مــن أهــداف الاتحــاد الزوجى وصلوات الكنيسة لإتمام سر الزيجة مليئة بالإرشادات عن إنجاب النسل والدعاء بالبركة لهذا الغرض مثل :

"فعلى هذا الرسم وهذه السنة هكذا أتخذ سائر الآباء المؤمنين امرأة واحدة بطهر ونقاوة لطلــب الذرية وإيجاد الخلف فيجب عليكما أن يعرف بعضكما حق البعض ويخضع كل منكما لصاحبه".

" وفى موضع آخر ، لينميا ويكثرا من قبل رأفاتك الكثيرة أعطهما ثمرة البركة".

" مــثل العــريس الخــارج من خدره ، يتهلل مثل الجبار المسرع فى طريقه . امرأتك تكون كالكرمة التى تزهر فى جوانب بيتك ، وبنوك مثل غروس الزيتون محيطين بمائدتك".

" هــب لهمــا ثمــرة محيــية مــن البطن ليمتلئا بولادة البنين الحسنة والأزمنة الهادئة السالمة".

" أكــثرهما كمــا أكثرت يعقوب وزرعه ".. أكثرهما كمثل القانة وحنة اللذين باركتهما وأنعمــت علــيهما بصموئيل النبى الأمين . اجعلهما أهلا لبشارة رئيس الملائكة الطاهر كمثل زكريا واليصابات اللذين أنعمت عليهما بولادة العظيم فى مواليد النساء يوحنا ..".

" اجعلهمــا يفــرحان بــنظر البنين والبنات الذين يلدانهم ، أنت بهم نافعين فى واحدتك المقدسة الجامعة الرسولية ..".

" ومــتى مــا قبلت ما أوصيت به (الحديث موجه للعريس) أخذ الرب بيدك وأوسع فى رزقك ويرزقك أولاداً مباركين يقر الله بهم عينيك ويرزقك العمر الطويل والعيش الرغد .."

" وأنــت أيــتها الأخــت المــباركة (الحديث موجه للعروس) قد سمعتى ما أوصى به رجلــك .. إذا أنــت ســمعتى ما أوصيتى به وأتبعتى ما أمرت به أخذ الرب بيدك ووسع فى رزقك وحلت البركات فى منزلك ويرزقك أولادا مباركين يقر الله بهم عينيك".

ومــن استعراض هذه القطع كلها يتبين أن ولادة البنين والبنات بركة ، تصلى الكنيسة لأجل أن يعطيها الرب للمتزوجين.

ولا شك أن الحب الحقيقى لا معنى له بدون العائلة والطفل . إن الطفل يكمل الزواج ، ومع أن الزواج ربما لا يعرف على أساس الطفل ولكن لا يمكن التفكير فى الزواج مجرداً عن الطفل .. إن الزوج والزوجة يرغبان بشدة فى التلاقى فى أطفالهما .

وإذا كان العهد القديم يعتبر النسل الكثير بركة من الله إذ دعا يعقوب لأبنه يوسف ببركات الثديين والرحم (تك ٤٩ : ٢٥) كما طلب إرميا من العبرانيين أن يأخذوا لبنيهم نساء ويعطوا لبناتهم رجالا فيلدن بنين وبنات ويكثرون ولا يقلوا (إرميا ٢٩ : ٦).

إلا أن العهد الجديد لم يهتم إلا بالميلاد الثانى .. الميلاد الذى فوق بالماء والروح . فبولس يتكلم كثيراً عن أولاده الذين يتمخض بهم حتى يتصور المسيح فيهم (غلا ٤ : ١٩) وعن الذين ولدهم فى قيوده (فل ١ : ١٠) والرب نفسه كرم الولادة الروحية عن الأنساب الجسدية عندما صرخت المرأة بفرح قائلة "طوبى للبطن الذى حملك والثديين اللذين أرضعتهما " (لو ١١ : ٢٧) فكانت إجابة الرب "بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه" *والرسول عندما يتكلم عن ولادة الأم للبنين يقول "ولكنها ستخلص بولادة الأولاد إن ثبتن فى* الإيمان والمجد والقداسة مع التعقل (اتى ٢ : ١٥) والقديس أوغسطينوس يقول " ليكن من بركات الزواج النسل المولود بل المولود ثانية لأنه يولد جسديا للعقاب والدينونة إن لم يولد ثانية للحياة الأبدية ".

وهكذا أصبح مركز الاهتمام فى العهد الجديد خلق الإنسان الجديد المسيحى المؤمن المولود من فوق . فإذا كانت الأسرة المسيحية معتبرة كنيسة فيلزم أن الذين ينضمون إليها يكونون مؤمنين بالحق .. كما تضم كنيسة الله الجامعة الرسولية نفوس الذين يخلصون.

ويمكننا أن نلخص أهم المبادئ التى تحكم نظرة المسيحية إلى الحب الزوجى والشركة الزوجية وعلاقتهما بالإنجاب فيما يلى :

١ - إن النسل هدف من أهداف الزواج المسيحى على شريطة أن يكون الوالدان حريصين على أن تكون عملية التربية فى مخافة الرب وحبه كى يولد الأبناء من فوق ويثبتوا فى الإيمان والمحبة والقداسة .

٢ - الخلود فى مفهوم المسيحى ليس بإيجاد نسل أرضى وإنما بقوة القيامة العاملة فى حياته ، فالإنجـيل يؤكد أن الخلود ليس فى حفظ النوع بل فى المسيح يسوع ، وفى خلع القديم والتجدد على صورة الخالق .

٣ - الوحـدة الزوجية بين الرجل والمرأة كاملة فى حد ذاتها ومع ذلك تكتسب صفات جديدة بالـتزايد كالأبوة والأمومة ، والطفل هنا ثمرة المجتمع الزوجى وبرهان وتأكيد للوحدة العاملة التى كانت من قبل .

٤ - إذا كـان هدف الزواج إنجاب النسل فقط فالإنسان يقع هنا فى مجال مملكة الحيوان على حد تعبير أوريجانوس . ولكن المسيحيين يفرحون بولادة الطفل ولا يذكرون الشدة لأنه ظهر وجه جديد مدعو لأن يصبح أيقونة الله .

٥ - فى العهد القديم كان النسل مطلوباً للاحتفاظ بالنوع وتزايد عدد الشعب المختار لكى يبلغ إلـى ميلاد المسيا أما فى عهد النعمة فميلاد المختارين بالكلمة والمعمودية وليس بالدم واللحم فقط .

٦ - الإنجـاب يجـزئ الشخص فى حين أن المحبة تكمله ، ففى المخلوقات الدنيا توجد قوة عظمـى للتناسل مع انعدام تام للجاذبية الجنسية ، ولكن كلما علت المخلوقات فى سلمها تضـاءلت قـوة الإنسان بنسبة تزايد الجاذبية الجنسية ، وفى القمة يشتد الحب الجنسى عـند الإنسان ليعلو حتى أنه يتحاوز إنعدام القدرة الإيجابية ، والقديس ذهبى الفم يقول " حينما لا يكون هناك طفل أفلا يظل أثنان واحدا " ؟!

إنه لمن امتلاء الحب الفائض يمكن أن يأتى الطفل كثمرة ولكن الإنجاب وحده لا يحدد هدف الزواج وقيمته ..

[illegible]

هـناك تحديـات كثيرة أمام الحب الزوجى ، أمثال الخبرات السلوكية القديمة وبصمات التربـية الخاطـئة الأولـى ، والخوف ، وضعف التوافق العاطفى ، وعدم الاعتراف بحرية الآخر والتقوقع الذاتى.

ولكننا هنا سنكتفى بمعالجة ثلاثة تحديات نراها أكثرها أهمية:

- ❖الصدمة الانفعالية وثورات الجسد المتمرد.
- ❖الوسوسة والغيرة المرة .
- ❖السأم والملل والضجر وسلطان الرقابة .

[illegible]

يحدث أحيانا أن تكون العفة التى لأحد الشريكين قبل الزواج على مستوى الكبت وليس على مستوى الإعلاء والتسامى ويظهر هذا الكبت عند بداية العلاقة الجسدية إذ لا يهتم الزوج بمشاعر زوجته ولا يحرص على أن يكسو العلاقة الجسدية دفئاً من الحب والحنو والرقة والمشاعر السامية وإنما يهبط إلى الانغماس فى الجانب الحسى البيولوجى البحت ، وهذا يسبب جرحا عميقا وصدمة انفعالية عندما تحس أنها أمامه بدن فقط وليست شخصاً يعاشر .

" إن الصدمة الانفعالية كثيرا ما توقف الفرح وتغلق الإنسان على نفسه وتحفر هوة مدوخة مباشرة فتأتى العزلة فى أعقاب التوبة الأولى ويحل التراجع محل الانطلاق" (٢٣) . لذلك يلزم أن توضح أن الحب وإن كان يفرح بالتلاقى فى الانفعال الجسدى ولكنه لا يتحقق إلا بالانفعال الروحى .

إن العفة فى الزواج امتداد للعفة السليمة قبله فذاك الذى تعهد نفسه بالضبط والتسامى وبذل الذات والاهتمام العميق بالآخر يستطيع أن يتلاقى مع زوجته على مستوى الفهم السليم والحب الصحيح والوفاء الحقيقى.

فى توارث الجسد المتمرد يصير المحبوب موضوعاً وليس شخصاً فيفقد المحب حريته ولا يكون له القدرة على التضحية ولا يكون قادرا على أن يحب لأنه لم يعد يحب الحب .

وقد يثور الجسد عند الزوجة لا على المستوى البيولوجى وإنما على الصعيد النفسى مظهرا عدم الطاعة للزوج ، مع أن الكنيسة حريصة فى توجيهاتها وصلواتها أن تؤكد للعروس أن تخضع لزوجها حسب أمر الرسول بولس ، ومعطية لها مثالا طاعة سارة لإبراهيم ، ورفقة لأسحق ، ورحيل ليعقوب .

والقديـــس ذهـــبى الفم يقول " أنه إذا كانت المحبة وصية موجهة للرجال ، والخضوع وصـــية موجهة للنساء فإذا قدم كل إنسان ما يلتزم به تثبت كل الأمور ، فالرجل بحبه للمرأة تصير هى محبة له وخاضعة .

والمـــرأة بطاعتها للرجل يصير هو وديعاً نحوها . ثم يوجه الحديث للزوجة فيقول " لا تنـــتفخى لأن الـــرجل يحبك . لقد جعله الله يحبك لتطيعيه فى خضوع وبسهولة لأن الخضوع للمحب ليس فيه أدنى صعوبة.

وفـــى مجتمعنا اتجاهات تربوية معيبة تريد أن تثير المرأة نحو الجموح والتمرد مظهرة أن الخضـــوع ضعف وجبن ، وإن المرأة - وخاصة الموظفة - لا تقل عن الرجل فى شئ . ومن ثم فيلزم المعاملة بالند ..

والرسول بولس عندما يوصى المرأة بالخضوع للرجل يعطى الأدلة الآتية:

١ - إن آدم جبل أولا.

- أن حواء أغويت أولا.

- أن الـــرجل مجـــد المســـيح والمرأة هى مجد الرجل بمعنى أن الرجل ياخذ من المسيح مجـــده . والمرأة تأخذ من المسيح مجده . من خلال رجلها لأنها أخذت منه وإليه تتجه ، وكيانها متكامل فيه " (٢٢) .

[illegible]

لا شـــك أنـــه بسبب سوء التربية الدينية أو الجنسية قد ينشأ عند أحد الشريكين نوع من " الحنبلة " ونقصد به التدقيق الضيق على تصرفات الآخر ومحاسبته على كل كبيرة وصغيرة والتوســـوس من التصرفات .. الأمر الذى يعكر صفاء العلاقات وينبئ بتلبد الغيوم وانسحاب الربيع لمجئ شتاء قارس البرد ..

إن المحب يحتمل ويصفح ويقبل الآخر كما هو . لا كما يريده ويصلى من أجل شريكه كـــى يعمـــل الله تغييرا فى حياته ويصلح ما يراه من اعوجاج أو انحراف ، وذلك فى الوقت المناسب الذى يريده الله ..

أمــا عــن الغــيرة فهى تتكون أحيانا فى الظلام وتنمو ببطء ولا تكاد تظهر فى مجال الشــعور حتى تجد صاحبها فى حالة حور وإعياء عاجزاً عن إبداء أى مقاومة فتعمل الغيرة عملهــا الخبيــث الدفين فى هدم الأمل وتحطيم الصحة النفسية والجسمية معاً ، وأحياناً تنفجر الغيرة كالصاعقة فتهز بنيان الحياة الزوجية هزاً عنيفاً ، تاركة وراءها الخراب والدمار .

" وإذا حللــنا الغــيرة نفسيا لوجدناها أنانية دفينة وإحساساً مزعجاً مؤلماً ناشئاً عن كره الغــيران مشــاركة شــخص آخر فى حقه بالشخص المحبوب .. وكثيراً ما يحس الغير بأن كرامــته قد جرحت وحقه فى تملك المحبوب قد سلب كما يمكن ان نرجع هذا المرض الدفين إلى شراهة وجدانية ونزعة إلى التملك المطلق ".

وقــد يكــون سبب الغيرة عاملا من عوامل الانحراف أو المرض النفسى أو ما يسميه علمــاء الــنفس بالإســقاط ، أو لعقــدة من العقد النفسية ومثل هذه الحالات تحتاج إلى علاج نفســى ..

إن الحــب الــذى يوحد بين قلبين ويجعل منهما قلباً واحداً يتنافى مع الغيرة ، وبقدر ما يكون الحب حبا تمليكاً وليس حباً حقيقياً صافياً تكون الغيرة أشد درجة وأكثر إيلاماً وتعذيباً .

[redacted]

كــثرة الســأم والضــجر والحزن الردئ علامة على الهبوط فى الزواج إلى المستوى الفسيولوجى .

والكنيســة تصــلى فى صلاة الشكر دائماً طالبة "كل حزن ردئ ووجع قلب إنزعه عنا وعن سائر شعبك".

وكمــا يحــارب الراهب فى قلايته بالضجر يحارب أيضاً المتزوج بالرتابة والروتينية والملل .. كلا الاثنين هنا واقع تحت سلطان الزمان ..

وهــذا المــرض يســميه رجال علم النفس مرض الأمراض وسم السموم .. حين يقع الإنســان تحت سيطرة السأم ولا تنفع معه حيلة أو تسلية ، ويشعر بالخلاء والخواء والضجر والتبرم وضيق الصدر وعدم الاكتراث ..

وكثيراً ما يشعر الزوجان بالوحشة والفراغ بعد تقدم السن واستقلال الأولاد بالمعيشة .. فبعض الأمهات المتقدمات فى السن ينزلقن إلى عادات ردئية كالحرص على منع الإبن من الزواج ليبقى مرتبطاً بها مهما كان الثمن ، وبعض الرجال يدمن الخمر أو القمار ، وكثيراً ما يشتعلون بأفكار جنسية حادة يسميها علماء النفس بالمراهقة الثانية .. إن الحب الصادق هو الذى يحاول أن ينسج لنفسه من خيوط السأم والألم والزمن والحياة المشتركة نسيجاً متيناً قوياً تكون له روعة ما فى الطبيعة من جمال .

إن الإيقاع المتصل الذى سارت عليه عملية الزمن فى نظر المحبين اللذين تقاسما حلو الحياة ومرها بمثابة تعبير عن تلك المشاركة الطويلة التى جمعت بينهما فى علاقة شخصية موحدة ، هى علاقة الشركة بين الزوجين .

إن المحبين قلما يستطيعان أن يبقيا طويلا فوق قمة الحب الشامخة ، لأن البقاء فوق الذرى العالية يصيب بالدوار أحياناً . وهذا هو السبب فى أن معجزة الحب الكبرى تخيب أحياناً لكى يستيقظ المحب على الحقيقة الأليمة المرة وهى أخطاء المحبوب ، ولكن النعمة التى بدأت عملها فى الحب منذ البداية هى القادرة أن تكمل وتستر كثرة من الخطايا وتعبر بالمحبين فوق أحداث الزمان وهموم المكان وضعفات الكيان ..

إن المحب يضع محبوبة فوق شتى الأحداث والأعراض والتقلبات والتغيرات .. والحب الحقيقى يفلت من أسر الصيرورة ويخرج على قيود الزمان . فإننى عندما أحب شخصاً فهذا يعنى أنى سأحبه مهما كان من أمر أفعاله أو تصرفاته ، لأن فى الحب سر كفيل بحماية الرابطة بين المحبين يكمن هذا السر فى موضوع الحب حيث هو كذلك ..

يقول أرسطو " إن حباً أمكن يوماً ان ينتهى لم يكن فى يوم من الأيام حباً حقيقياً ".. إن الكائن المحبوب لا يمكن أن يكون غائباً . إنه حاضر دائماً أبداً بالنسبة إلى تلك الذات المحبة التى ارتبطت به ..

وهذا يفسر لنا الوفاء العجيب الذى يتم به الزوجان المسيحيان طيلة حياتهما ، وحتى بعد انتقال ووفاة أحدهما ..

دعاء

أيهــا النور الدائم الفائق جميع الأنوار المخلوقة أبرق من علوك شعاعا لينفذ إلى صميم قلوبنا . طهرنا ، فرحنا ، أضئ خلجاتنا وأرواحنا وأجسادنا لكى نتحد بك بانجذابات مبهجة .. وأســمح لجمــيع المحبيــن الذين ارتبطوا بك ألا يسقطوا تحت سلطان الزمان وهموم الحياة وغرور الغنى . أحفظهم على جبل تجليك كى يقول كل واحد منهم عندما يرى مجدك .

" يا رب جيد أن نكون هاهنا "

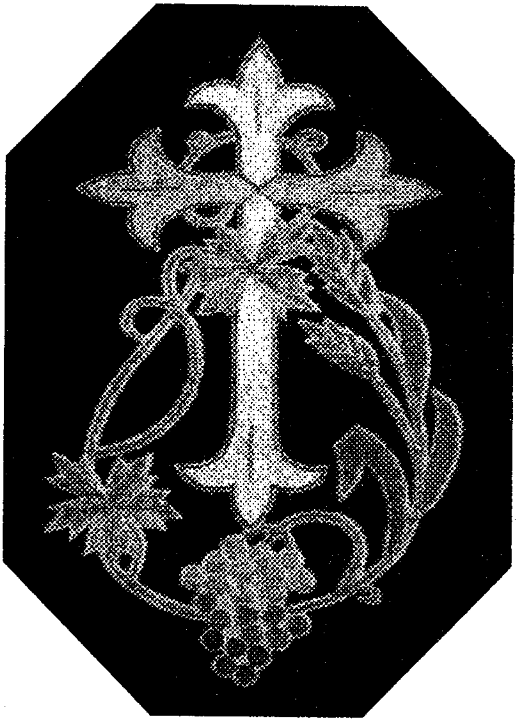

[redacted]

١ - يلزم أن يشبع الطفل بطفولته ، يستكمل كل بناء لنفسه ، يعيش فى جو ملئ بدفء الحب، يشعر أنه محبوب من جميع أعضاء الأسرة ..

لأن هـذه الذخيرة التى تمتلئ بها نفسه هى التى ستجعله قادراً يوماً من الأيام أن يعطى ويبذل دون أحساس بجوع أو حرمان عاطفى ..

٢ - يلـزم أن يجد من الوالدين قدوة فى علاقات الحب بين بعضهما بعضا . لأن الحب يقتدى ويمـتص ويحتذى ، وليس موضوعاً للوعظ أو التلقين .. فالوالدان اللذان يحبان بعضهما ويحبان أولادهما حباً صادقاً هم أكثر الناس قدوة على تسليم حياة الحب الصادق للأجيال الآتية من نسلهم .

٣ - يلـزم عدم تخويف الطفل من الأمور الجنسية ، وخاصة فى مراحله الأولى من العمر ، حيـث أن عقـدة الاشمئزاز والتقزز من الجنس تهدد نمو الإنسان عندما تنشأ فى السنين الخمـس الأولى من العمر . لهذا فإن مسئولية الأم - خاصة - مسئولية كبيرة إزاء تنمية اتجاه البساطة والنقاوة والوقار إزاء كل ما هو جنسى وتناسلى .

٤ - يلزم أيضاً عدم التفريق بين الذكر والأنثى فى مراحل الطفولة حتى لا يتربى عند أحدهم عقـدة الاسـتعلاء والـتدلل ، وعند الآخر عقدة النقص والكراهية .. إن المعاملة الثابتة المتزنة من أهم الأسس التى تقوم عليها التربية النفسية الجنسية السليمة .

٥ - ويلـزم أيضـاً إبعاد الطفل فى سنيه الأولى وخاصة ابتداء من السنة الثانية أو الثالثة عن مضـجع الزوجـية حيـث أن كثيراً من الخوف اللاشعورى عند بعض الشباب وجد أنه مترسـب من مشاهدة العملية الجنسية فى الطفولة الأولى واعتبرت عندهم عملا عدوانيا كريها وكبت فى اللاشعور وأثمرت كراهية لكل ما هو جنسى .

٦ - ويلزم أيضاً الإجابة عن الأسئلة التى يبديها الطفل فى مراحله الأولى عن الأمور الجنسية والعلاقة بين الرجل والمرأة بأسلوب هادئ طاهر يتسم بالصراحة العاقلة وعدم الكذب أو اللف مع استخدام الألفاظ الشبه علمية حتى لا ترتبط الأمور الجنسية عنده بالقبح والقذارة إن المنزل قادر ان يمسح كل تأثيرات الانطباعات السيئة التى يحملها الطفل من المدرسة والبيئة المحلية .

٧ - وكذلــك يحسن بالمنزل ومدارس التربية الكنسية أن تحكى للطفل قصصا كثيرة ومتنوعة عن الحب والوفاء الذى ربط أزواجاً مع زوجاتهم سنين طويلة حتى ترتبط خبرة الزواج والعلاقــات الزوجــية بالوفــاء والحــب الطاهر والأمانة والمودة . وليس من النطق أن نــتهاون مع الطفل أو مع المراهق إذا لجأ فى بعض تصرفاته إلى أساليب الغش والخداع والكــذب سواء فى ألعابه أو فى تأدية واجباته المدرسية ثم نطالبه فيما بعد أن يكون وفياً مخلصــاً فى عمله أو فى حياته الزوجية ، فإن الاتجاه نحو الوفاء أو نحو الغدر والخيانة من الاتجاهات العامة التى تصبغ الشخصية بصبغتها الشاملة .

فإذا كان أسلوب الشخص فى حياته هو الوفاء بالوعد والإخلاص فى العمل فمن المحتمل جــداً أن يكــون وفــياً مخلصــاً فى جميع أمور حياته وأن يبدى هذا الاتجاه الذى يميز الشخصية المتكاملة ..

والحياة الزوجية عمل جدى متصل الحلقات لا يمكن الشروع فيه ومواصلة السعى بنجاح مــا لم تكن الشخصية متسقة تصرفاتها ، متكاملة فى دوافعها وأهدافها ، متصفة بالوفاء والإخلاص .. فالزواج هو امتداد طبيعى لحياة سابقة واختبار لنوع تربية عاشها الإنسان فى بيته قبل أن يغادره إلى منزل الزوجية ..

[illegible]

وبالــرغم من أن عملية التربية مستمرة إلا أن مرحلة المراهقة والبلوغ الجنسى بالذات تحتاج إلى عناية وإشراف وتوجيه من المربين والمرشدين ..

ويمكننا أن نلخص مسئولية الأسرة والكنيسة لهذه المرحلة فيما يلى :

١ - أن نساعد المراهق على النضوج في وثبته الروحية التى هى طبيعته فى هذا السن . نشجعه على أن يتلامس مع الرب يسوع تلامساً اختبارياً حقيقياً ، ونساعده على أن يكتسب حياة دينية عميقة بقراءة الإنجيل والصلاة والاعتراف والتناول وممارسة أعمال المحبة والبذل .

٢ - أن نساعده على التخلص من التركيز حول الذات إلى الوضع الباذل حتى إذا ما تخلص من النرجسية تمكن أن يعرف الفارق الجذرى بين الحب الحقيقى والعشق الكاذب والاضطراب الشهواني والتخبط العاطفى .

٣ - أن نساعده على أن ترتكز حياته على المحبة ، ومن خلال فضيلة المحبة تتبع الطهارة والعفة ونقاوة القلب وصفاء الذهن وقداسة الأعضاء والهيكل الجسمى .. يلزمه أن يعى الفارق الشديد بين العفة المستنيرة وبين الكبت المضر أو الفريسية المريضة التى تحمل بين طياتها اهتماماً شديداً مريضاً بالجنس .

٤ - أن نهيئ له فرص الجلسات الفردية والتوجيه الشخصى وخاصة أمام الأب الكاهن فى الاعتراف حيث تستطيع الكنيسة خلال سر الاعتراف تقديم التوجيه الصحيح والارشاد المناسب والأجابة السليمة لكل سؤال وحيرة وموقف يريد أن يعرف له حلا أو إجابة أو تبياناً .

٥ - ألا يتحول الوالدان إلى جهاز سرى يراقب كل تصرفاته أو أوراقه فى مكتبه .. لأن مثل هذا التصرف يفقد الشاب ثقته فى نفسه أو يجعله ثائراً على السلطة المنزلية .. إن العطف الوالدى مع شئ من الحزم إذا لزم الأمر أفضل بكثير من الطرق البوليسية المنفرة .. إذا استطاع الوالد أو إذا استطاعت الأم أو إذا استطاع خادم التربية الكنسية أن يكون مرشداً عطوفاً نصوحاً للشاب فإنه سيلجأ إليه عند أى أزمة وسيطيع توجيهاته الهادئة المقنعة المليئة بإحساس العطف والمشاركة والحنو وتقدير الموقف ..

٦ - ولكن فى نفس الوقت يلزم للوالدين أن يكونا صاحيين فليس من المعقول أن توجد فى المنزل خادمة شابة فى بيت به شبان أو مراهقون ، أو خادماً بالغاً مع شابات أو مراهقات ..

إن حرباً شديدة مثل هذه يلزم ان نجنب المنزل تجاربها مهما كان الجو متديناً .

٧ - وإذا شعر الوالدان أن أبنهما أو أبنتهما قد بدأ ينجذب إلى أحد الأقارب أو الأصدقاء من الجنس الآخر فلا يسرعان إلى أسلوب المقاطعة والتهديد ، كما لا يهملان هذا الموضوع نهائيا وإنما يلزم معالجته بهدوء وصبر واقناع . إن توضيح معنى الحب للمراهقين وشروطه كما أوضحها هذا الكتاب وأبرز خطورة الأرتباط العاطفى قبل استكمال النضج النفسى والجسمى والروحى وشغل أوقات المراهق بما هو مفيد ومسر ، سواء من ناحية الهوايات أو الرياضة أو الخدمة مع ضرورة الصلاة من أجله حتى يعبر به الرب أزمة المراهقة بسلام .. كل هذه الوسائط لازمة للتربية فى هذه المرحلة .

٨ - وعندما يصل الشاب أو الفتاة إلى مرحلة الجامعة يستقبله الجو الجامعى المختلط وهو مجال جديد بخبراته والتزاماته .. لهذا يلزم التوجيه وخاصة من الكنيسة ومدارس التربية الكنسية عن كيفية التعامل والتفاعل وحدود وأبعاد الاتصالات وخاصة مع الجنس الآخر وعندما يبلغنا الشاب المجابه بواحدة من زميلاته نشرح له أن هذا الموضوع سابق لأوانه لأنها هى لا تستطيع أن تلتزم به قبل استكمال مرحلتها الجامعية ، وهو أيضا لا يستطيع أن يلتزم بها إلا بعد التأكد من تمام نضجه العاطفى ، كما أن الإعجاب الخارجى هذا كثيراً ما يحمل نوعاً من الرومانسية والخيالية ، وعلى الكنيسة أن تسحبه من هذه التجربة بهدوء منتظراً فى عفة وصبر مجئ الساعة المناسبة للتقدم إلى شريكة حياته فى حرية ونضج ووعى وبذل والتزام مسيحى سليم .

٩ - ويحسن بنا أن نشير أيضا إلى أن مجالات أسر الشباب الجامعى الدينية التى انتشرت كثيراً فى هذه الأيام تحتاج إلى اشراف روحى ومراقبة وتوجيه دقيق حتى لا تتحول إلى مجالات للتعارف والصداقات التى تتحول بمرور الأيام إلى صداقات عاطفية تجرح عفة الطرفين وتسئ إلى الجو الدينى الذى يلزم أن يتصف بالصفاء الكامل . ونحن ننصح الشبان والشبات المتدينات ألا ينزلقن فى تيار القلة المستهترة بالقيم الروحية المعجبة بغرور هذا العالم والدونجوانية الكاذبة . وليحافظ كل واحد

منهم على سره الروحى والعاطفى ، وعفته ، وملئه الداخلى ، وحتى لا ينكشف هذا كلـــه إلا لمـــن فأعطـــاه الرب له شريك حياة ورفيق جهاد فى حياة زوجية مقدسة مباركة .

الموضوع الرابع

أسئلة منتقاة من ندوات عن العفة والحب

رابعـــاً : أســـئلة منـــتقاه من ندوات كثيرة عن العفة والحب عقدت فى كنائس واجتماعات لأسر الشباب الجامعى

السؤال الأول

يقـــول لـــى زملائى فى الكلية إن علاقات الصداقة الجنسية فى المرحلة الجامعية هى بمثابة أختبار كل واحد الآخر تمهيداً للزواج إذا اقتنع الاثنان ببعضهما بعضاً ـ فما رأيكم ؟

يلزمـــنا أن نعـــرف أن علاقـــات الحياة الزوجية تختلف تماماً عن أى حب خارج هذا الإطـــار . لقد ذكرنا فى هذا الكتاب أن أى حب خارج الزواج يحمل جرثومة تحطيمه ، لأن الـــزواج وحده هو القادر أن يحفظ الحب ويعطيه المعنى والديمومة والصقل والاشتعال . أما كل حب خارجى فهو عشق وانسجامات عاطفية .

إن اختـــيار الشـــريك الآخر فى الحياة الزوجية يلزم أن يكون بإرشاد من الروح القدس وبتوجـــيه خـــاص مـــن الرب يسوع فى القلب . وهذا لا يتأتى إلا إذا كان الإنسان جاداً فى طـــريقه الروحانى ، مخلصاً فى جهاده الداخلى ، محباً بإخلاص للرب يسوع ، مستشيراً إياه دائماً مطيعاً لوصاياه .

إن الشـــاب الذى يختار شريكة حياته بدون إرشاد الرب كثيراً ما يقع فى متاعب كثيرة لأنه مكتوب " بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً".

ولا تصلح العلاقات العاطفية أن تكون تمهيداً للزواج لأن الكنيسة تصنع فترة الخطوبة الرســمية فـــترة اكتشاف كل واحد للآخر والتعرف على نوع شخصيته ومدى ملائمتها له ، وكلمـــا كـــان الشاب طاهرا وتقدم للخطيبة بكراً لا يعرف أى خبرة جنسية زواجية كلما كان أكـــثر صلاحية للزواج لأن الخطيبة ترى فيه عفة نادرة ووفاء وإخلاصاً وحباً أعطاه إمكانية

صـــون نفسه طيلة فترة مراهقته وشبابه حتى وصل إلى مرحلة الزيجة الطاهرة . إن الشاب الطاهــر الذى لم يدخل مجالات الصداقات الجنسية يحمل فى جسمه وفكره وقلبه شهادة عفة وأمانة ومحبة وطهارة لخطيبته كأنه يقول لها من أجلك وقبل أن أعرفك حفظت نفسى طاهراً لأتلاقى معك على صعيد المسئولية الجادة والبذل الطاهر .

السؤال الثاني

عــندما تعرفت على زميلة لى فى الكلية تخلصت من عادة جنسية رديئة وبدأت أقبل على المذاكرة . فكيف تعارضون الصداقات الجنسية قبل الزواج ؟

لا شك أن الإنسان عندما يخرج من دائرة ذاته لينفتح للأخر يتخلص من العادة الجنسية الــتى هــى نــوع من التمركز الذاتى والنرجسية الجنسية ، كما أنه يحس بدافع يشجعه على الأستذكار حتى يزهو أمام الاخر بما حصله من علم وتقديرات وشهادات . ولكننا مع هذا كله نــرى ان الشـــاب الذى يقبل على الصداقات الجنسية خاصة وأنه غير مقبل على الزواج للتو يكشــف عــن نفســية عندها فراغ داخلى وعزلة وعطش نحو الآخر كى يشبع فيه عواطفه ونــزواته وميوله وغرائزه . أما الإنسان المؤمن لا يحتاج إلى الآخر على هذا المستوى ، إنه يحتاج إليه على مستوى التكليف والمسئولية والبذل فإذ يشعر أن الله ألقى عليه مسئولية تكوين أســرة تكــون كنيسة صغيرة لله يتحمل هذه المسئولية بالقوة التى يعطيها الله له ، ويتشدد عند حمــل صليبها ، ويجاهد كى يصلب ذاته وأنانيته فى كل شئ حتى يكون الزواج عملا روحيا مباركا وليس عملا سيكولوجياً اجتماعياً بحتاً . والأفضل لك يا أخى أن تتقدم إلى الرب يسوع للــتعارف علــيه فيملأ حياتك بالتمام ويعطيك أقدس الدوافع وأقوى الإلهامات وأعمق الشبع ، ويســندك فـــى جهادك العلمي والروحى . وعندما تصل إلى وقت الزواج سيختار لك شريكة حياتك لا على مستوى الانسجام العاطفى فقط بل على مستوى الحب الحقيقى والبذل الطاهر .

السؤال الثالث

شــعرت بحــب شديد نحو شاب ليس من دينى وقد وعدنى بالزواج عندما نتخرج فى الجامعة على أن أبقى متمسكة بديانتى المسيحية . فما رأيكم فى هذا ؟

نود أن نقول للأخت أن هناك غلطة حصلت فى حياتها وهو توجيه عواطفها نحو شاب وهى لا تزال طالبة ، ثم إن تركيز المشاعر نحو شخص أمر يجعل التجربة صعبة وتحتاج لجهاد كبير للخروج منها .

أما عن الزواج فهو فى المسيحية سر مقدس يشترط أن يكون كلا الشريكين مسيحياً أرثوذكسياً حتى يحل الروح القدس على محبة وإيمان الطرفين لجعلهما واحداً .

وعلى ذلك فإن الزواج المسيحى لا يمكن أن يتم إلا إذا ترك الطرف الآخر دينه وقد يكون هذا صعباً بالنسبة إليه ، كما أنه ليس من المفضل أن يترك الإنسان دينه لأجل علاقة عاطفية .

وما ننصح به هو أن تكونى صارمة مع نفسك وتغلبى عواطفك ، وتبعدى عنه تماماً ، وتسترشدى بأب اعتراف حاذق وتستعينى بالصلاة والصوم والتناول من الأسرار الإلهية حتى ينقذك الرب من هذه التجربة ويعطيك نعمة أن تكون عواطفك محفوظة كذخيرة ليوم أن يأتى الشاب المؤمن الطاهر الذى يرسله الرب لك ليكون شريك حياتك على مستوى الإيمان والحب الحقيقى غير الطائش أو السطحى أو الهوائى .. الرب قادر أن يسندك ويحميك من هذه التجربة ..

[illegible]

لقد تخرجت فى الجامعة وأنا شاب متدين مواظب على ممارسة الإسرار الإلهية ، وقد شعرت بارتياح لزميلة تخرجت معى ، وصارحت والداى بالموضوع ولكنهما رفضا لا لحجة سوى أن شكلها غير جميل فى نظرهما ومستواها المادى والاجتماعي أقل من مستوانا رغم أنها متدينة بصدق . فما رأيكم؟

لا شك أن التكافؤ بين الشريكين فى الزيجة أمر يساعد على الحياة السعيدة ، وقد يكون رأى الوالدين أنها غير جميلة ومستواها المادى لا يتناسب معكم فبعدما تتزوجها تشعر بأنه كان فى إمكانك أن تأخذ أفضل منها وعندئذ تصاب بضيق يمنع الفرح الزوجى .

ولكــن إذا كنــت حقــيقة كرمت تدينها وتجاوزت عن الجمال الجسدى والفقر المادى باقتــناع ووعى وبصيرة روحية صادقة فأنك على حق فى موقفك . وكل ما تعمله أن تصبر وتصــلى وتجعــل أب اعترافك يتدخل بحكمة وهدوء . وهناك حالات كثيرة انتهت بسلام لما أقتــنع الوالدان بإصرار الابن على موقفه ليس عن عناد ولكن عن تدين صادق ، ووجدوا فيه إكــراما لهــم واحــتراما لهــم بأنه اكتفى بالصمت مع الاحتمال دون تبرم أو تزمر فى الجو المــنزلى ، وبــدأ روح الله يعمل ، وأكتشف الوالدان صدق وسلامة نظرة أبنهما فأسرعا إلى الفتاة يخطبونها لأبنهما .

قــد تكون معارضة الوالدين علامة على أن الوقت لم يحن فلننتظر . ونحب أن نشجع الســباب فــى هذه الأيام على احترام وجهات نظر الوالدين بحكمة وخاصة إذا كانا متدينين ، لأن جيلنا هذا يتسم بالتمرد وعدم الاكتراث فى كثير من الأحيان .

[illegible]

كثــيراً ما أشعر بانجذاب نحو أخت صديق زميل لى فى الكلية أذهب إليه فى منزله ، فما التصرف إزاء هذه المشاعر؟

لا شــك أنك فى فترة شبابك هذا ملئ بالمشاعر والأحاسيس العاطفية ولكن من الخطر ان تخــرج هــذه الــثروة لتبعثرها هنا وهناك إنها علامة نضج ورجولة ولكن يلزم ضبطها وحفظها بوعى فى الداخل إلى ساعة التقدم للخطوبة .

ننصحك بما يلى:

١ - صــل كثيراً من أجل هذا الموضوع حتى يبعد الرب عنك حرب الأفكار ، وقل له يا رب إن كنت تريد أن تكون هذه الأخت شريكة حياة لى فأحفظها طاهرة واحفظني أنا أيضا، وقدســنى لأجلهــا وعــند هذا الحد ينتهى كل شئ ليحفظ فى السماء هذا الموضوع ، والزمان كفيل إما بتحقيقه أو رفضه لأن الله يكون قد أصدر الأمر فيه وما عليك إلا أن تقــبل هذا الأمر بشكر . وكثيراً ما تكون هذه الانجذابات مشاعر طائشة سطحية تنتهى بنضج الشخص ونموه فى الحياة الروحية والنفسية والاجتماعية .

٢ - يحسن عدم الذهاب إلى منزل صديقك فترة من الزمان حتى تنتهى حرب الأفكار .

٣ - إكشف هـذا الموضوع لأب اعترافك حتى يصلى لأجلك ، والرب نفسه إذ يرى امانتك يبعد الحرب عنك بصلاته عنك ، وصلاتك من أجل خلاصك .

٤ - احترس من الخداع الجنسى تحت إسم الصداقة النبيلة والمودة الأخوية لأن الغريزة قادرة أن تتخذ صورا كريمة لممارسة سلوك منحط .

السؤال السادس

كثيراً ما أحاول التقرب إلى الزميلات فى الكلية بقصد تكوين صداقة بريئة ولكنى أقابل بالرفض منهم ، فما هو التصرف الصحيح ؟

إن هذا السؤال يحمل إحساسا بأنك لست واثقا من نفسك ، ولأجل هذا الضعف أو الشعور بالنقص تسعى وراء الفتيات تطلب صداقتهن . إن الشاب العفيف الممتلئ داخلياً لا يحس بنقص أو تعطش أو احتياج لمثل هذه العلاقات . إنه ينظر إلى كل الفتيات نظرة طاهرة كأخوات له ، ومن ثم لا يقلق ولا يضطرب لأنه ليس على علاقة معهن لأن العلاقة الروحية الباطنية الصادقة تملأ جنباته ولذلك فهو مستعد أن يخدم كل واحد وكل واحدة إذا طلب منه ذلك ، ومن ثم لا يجرى وراء الصداقة لأنه يحيا فى الحب والصداقة الأمينة ، وليست الصداقة الحقة بعيدة عنه .

وننصحك أن تلتفت لحياتك الروحية الحقة وتجعل الرب يسوع هو الذى يملأ حياتك وفراغك العاطفى لتشبع منه ويصير عريساً حقيقياً لنفسك ، ومن ثم تكون علاقاتك مع الآخرين متسمة بالوقار والاتزان والمودة الصادقة الطاهرة الصافية الشفافة .

كما ننصحك بالالتفات إلى حياتك العلمية لأن الشاب عندما يكون أميناً فى روحياته يكون أميناً فى تحصيله الغلمى ، ومن ثم فإن الملء الروحى والعالمى كفيل ألا يشعرك بالفراغ إطلاقا .. وقد يكون سبب سعيك وراء هذه العلاقات الرغبة فى تقليد الزملاء غير المؤمنين بينما يقول الرسول " لا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانهم".

[illegible]

كــيف أعرف أنى مؤهل للزواج ؟ وكيف أتأكد إن التى اختارها هى من الله وليس من اختيار بشرى؟

ســبق أن أوضــحنا فــى هذا الكتاب شروط الحب الزوجى الحقيقى وهى نفس شروط التأهل للزواج ونلخصها فى :

١ - النمو الروحى والتخلص نت الأنانية والتمركز الذاتى .

٢ - النضج الجسمى والنفسى والاجتماعى .

٣ - القــدرة علــى تحمــل المســئولية المشتركة بفرح وصبر ، واحتمال عيوب الآخر دون تضجر.

٤ - الــتحرر من كافة الضغوط المادية والنفسية ، الداخلية والخارجية التى تمنع الحرية الحقة فى الاختيار.

٥ - الــتعفف الجنســى والقدرة على الحياة الطاهرة حتى تكون اللقيا مع الآخر على مستوى العفة المعاشة قبل الزواج.

أمــا عن كيف تتأكد من أنها مختارة من الله وليس من اختيار بشرى فيمكننا أن نشير إلى :

١ - أهمــية الصــلاة بلجاجة من أجل هذا الموضوع حتى يظهر الرب رأيه بوضوح ويعلن مشيئة فى قلبك وقلوب الذين معك .

٢ - استشارة الأب الروحى الحاذق المملوء نعمة ، وطاعة مشورته.

٣ - الانــتظار فــترة وعدم الاندفاع حتى نترك لروح الله فرصة كى يكشف ويوضح مقاصد الرب يسوع .

٤ - الثقة فى أن ما يُعمل يُعمل للخير ، فإذا ما طرقت الباب فى هدوء وفتح وظهرت دلالات ظاهرة عن وضوح مشيئة الله فلنتقدم أكثر ، وإن أغلق فلا تجاهد فى فتحه بشدة وإلحاح لأنه هو وحده الذى يفتح ولا أحد يغلق ، ويغلق ولا أحد يفتح ..

كـيف أحدد طريق تكريس حياتى لله . أفى الزواج المسيحى المتعفف أم فى التبتل ، علماً بأنى فى السنوات النهائية من المرحلة الجامعية ؟

هـذا السـؤال يكشـف عن قلب محب للمسيح يريد أن يعيش مكرساً للرب سواء فى الزوجـية أم فـى التبتل . وقد سبق أن أشرنا فى هذا الكتاب أن كلا الطريقين يوصلان إلى ملكـوت السموات ، وقد عبر عنهما أحد القديسين بأنهما الجانبان اللذان لجبل طابور وكلاهما مسـلكان يؤديـان إلى اقتناء الروح القدس والفرح بالعريس السماوى .. إلا أن الإنسان يشعر بأفضلية الحياة البتولية عندما يتحقق مما يلى:

١ - أنـه لا يعـانى كبـتاً جنسياً أو انحرافاً ، وأنه قادر على التزوج وتكوين الحياة العائلية وتحمل كل مسئولياتها المختلفة .

٢ - أنه يعيش فى طهارة داخلية فى الفكر والجسد والحواس .

٣ - أنـه رغـم صلاحية حياة الزيجة له إلا أنه يفضل حياة التبتل لما فيها من تكريس أعمق وتفـريغ أكـثر والـتزام كامل بالعريس السماوى وحده والحرية المتسعة فى تحقيق كل المشتهيات الروحية اعتكاف وصلاة وأصوام وخدمة للكلمة .

٤ - أنـه عـندما يقابل متزوجين ناجحين فى زيجاتهم نجاحاً مسيحياً وعندما يقابل رهباناً أو بتولييـن يعيشـون فى حياة التكريس الكامل لله فإنه يفضل الحياة الثانية عن الأولى بلا مـنازع ، لا رغبة فى شهرة دينية أو طمعاً فى فضيلة معينة ، ولكن حباً ملتهباً لشخص الرب يسوع وحده .

والآن : نسأل ونطلب من صلاحك يا محب البشر.

- ❖ أن تعطى للشباب الحائر استقراراً وراحة وسلاماً .
- ❖ وأن تعطى للشباب العاثر توبة وعودة إلى أحضانك ، ورجوعاً دائماً.
- ❖ وأن تعطى للشباب الثائر هدوءاً وطاعة وخضوعاً ..
- ❖ وأن تعطى للشباب الطاهر نمواً وفرحاً ، ولحبك التهاباً ..

ولتجعلهم بالبركة ألوفاً ألوفاً ربوات ربوات يسبحون أسمك العظيم القدوس أمين ..

[illegible]

(تـــــك ١ : ٢٧): فخلــق الله الإنسان على صورته . على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى خلقهم .

(تك ٢ : ٢١ ـ ٢٢): فـــأوقع الرب الاله سباتاً على آدم فنام فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانهـــا لحمـــاً وبـــنى الـــرب الاله الضلع التى أخذها من آدم امرأة أحضرها إلى آدم.

(تـــــك ٢ : ٢٤): لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً.

(١كو٧: ٣،٥: ١٠): ليوف الرجل المرأة حقها الواجب ، وكذلك المرأة أيضا الرجل ، ليس للمرأة تسلط على جسدها بل للرجل.

كذلـــك الـــرجل أيضا ليس له تسلط على جسده بل للمرأة . لا يسلب أحدكم الآخر إلا أن يكون على موافقة إلى حين ..

(١بـــــط ٣ : ٦): كمـــا كانت سارة تطيع إبراهيم داعية إياه سيدها التى صرتن أولادها صانعات خيراً وغير خائفات خوفاً البتة.

(أف ٥ : ٣٣): وأمـــا أنـــتم الأفـــراد فليحب كل واحد امرأته هكذا كنفسه وأما المرأة فلتهب زوجها .

(تـــــى ٢ : ٤): لكي ينصحن الحدثات أن يكن محبات لرجالهن ويحببن أولادهن.

(١بـــــط ٣ : ٧): كذالكـــم أيهـــا الرجال كونوا ساكنين بحسب الفطنة مع الإناء النسائى كالأضـــعف معطين إياهن كرامة كالوارثات معكم نعمة الحياة لكى لا تعاق صلواتكم.

(كـــــو ٣ : ١٩): أيها الرجال أحبوا نساءكم ولا تكونوا قساة عليهن .

(أم ١٩ : ١٤): البيـــت والـــثروة مـــيراث من الآباء . أما الزوجة المتعقلة فمن عند الرب.

(١كـــــو ٧ : ٣٩): المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا ولكن إن مات رجلها فهى

حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط .

(١بــــط ٣ : ١): كذلكــن أيتها النساء كن خاضعات لرجالكن حتى وإن كان البعض لا يطــيعون الكلمة يربحون بسيرة النساء بدون كلمة ملاحظين سيرتكن الطاهرة بخوف .

(١كــــو ١١: ٣): ولكــن أريــد أن تعلمــوا أن رأس كل رجل هو المسيح ، وأما رأس المرأة فهو الرجل ، ورأس المسيح هو الله ..

(٢تــــى ٢ : ٢٢): أمــا الشــهوات الشــبابية فأهــرب منها وأتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقى .

(كــــو ٣ : ٥): فأميــتوا أعضــاءكم الــتى على الأرض الزنا النجاسة الهوى الشهوة الرديئة الطمع الذى هو عبادة الأوثان.

(أف ٥ : ٣): وأما الزنا وكل نجاسة أو طمع فلا يسم بينكم كما يليق بقديسين.

(رو ٦ : ٦ - ١٣): أطلــب إلــيكم أيهــا الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكن ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية .

(غــــل ٥ : ٢٤): ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات.

(١كــــو ٦ : ١٩): أم لســتم تعلمــون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم ..

[redacted]

1 – Paul Evdakimov; Sacrement delamour “le myst`ere Cogal ygol `a la lumi`ere de la tradition orthodoxe.

وقد قامت الأخت العزيزة الأستاذة إيزيس حبيب المصرى مشكورة بترجمة أجزاء كثيرة منه لنا)(مقتطفات رقم ١٢ ،١٥، ١٩،٢٠ – ٢٣) .

٢ – د.زكريا إبراهيم : مشكلة الحب (مقتطفات أرقام ١ ، ٢، ٣ ، ٤ ، ١٦ ، ١١، ١٧) .

3 – N.& PN. Fathers Ist Series Vo5. St. Augustine on Marriage & Concupience.

٤ – كتاب صلوات الاكليل الطقسية القبطية الأرثوذكسية (١٦) .

٥ – د. يوسف مراد : سيكولوجية الجنس (٩ ، ١٨ ، ٢٥) .

٦ – كوستى بندلى : مقالات العفة والحب من منظار مسيحى مجلة النور سنة ١٩٦٣ (٥) ، (١٠). مقال "نحن والمراهقون" مجلة النور سنة ١٩٥٣.

٧ – الأب جورج خضر : السر العظيم . مترجم من مقال بمجلة St. Vladimdirs Seminary Quarterly, 1964 Vol 8.13

٨ – نيقولا برديائف : العزلة والمجتمع سنة ١٩٦٠ (٨) .

٩ – اكليمندس الاسكندرى : المربى .

١٠ – د. منيرة حلمى : المراهقة المصرية وحاجاتها الارشادية (٧) .

١١ – د. صموئيل مقاريوس : المراهق المصرى .

١٢ – حبيب جرجس : أسرار الكنيسة السبعة .

المسيحية والجسد

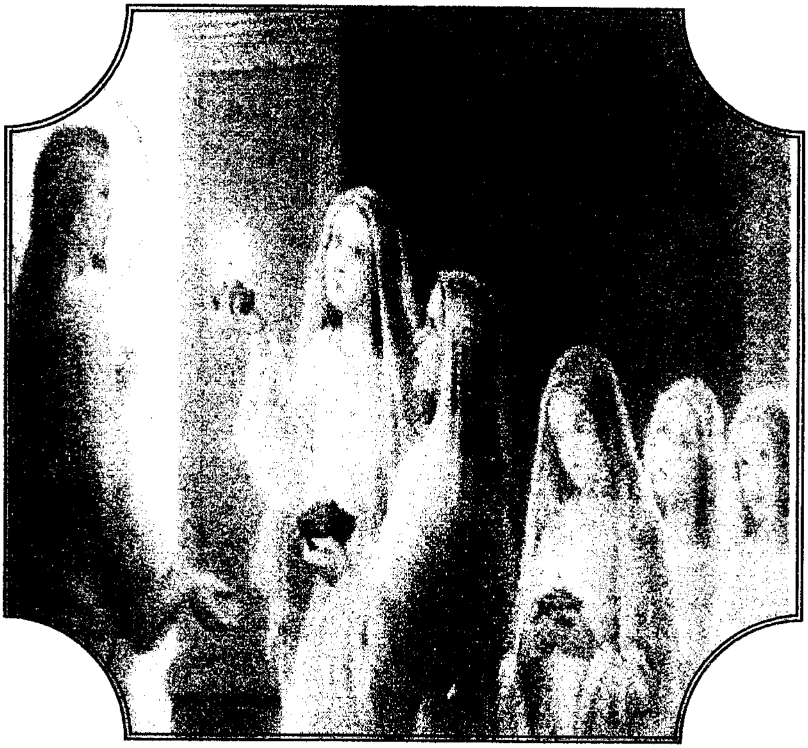

المسيحية والجسد

تصدير

تهدف هذه الدراسة إلى إيضاح مفهوم الجسد من خلال الإنجيل وكتابات الآباء ، وقد ركز البحث على المعنيين الأساسيين لهذه الكلمة . المعنى الأول : الجسد كهيكل للنفخة الإلهية وللروح القدس فى حياة المؤمنين . والثانى : يقصد به الإنسان العتيق الفاسد أو جسد الخطية الذى هو عداوة لله ، وأعماله هى الأعمال السلبية التى تنتقص من وجود الإنسان وتشتته . وقد أبرزت الدراسة أن مصدر الخطية ليس فى الجسد بل فى الروح ، وأن موضوع جهاد المؤمنين هو أن يجعل الجسد روحانياً ، وأن يتقدس بالرب يسوع حتى يتأهل للمجد العتيد المنتظر فى يوم مجىء الرب الأمين .

وقد عالج الباب الأول موضوع كرامة الجسد . هذا الجسد الذى خلقه الله لآدم الأول ، وكان من أهم الخطوط التى سارت فيها الدراسة إبراز الوحدة القائمة بين النفس والجسد والتفاعل الحادث بين الشقين ، وأن الإنسان بوصفه صورة الله هو نقطة التلاقى بين ما هو مادى وما هو روحى ، وأن رسالته هى أن يكون وسيطاً ومصالحاً يجتذب إلى واحد مدائح وتسابيح كل الخليقة لكى يستطيع الكل أن يرتفعوا فى إنسجام إلى الخالق ، وهو أيضا نقطة التلاقى بين العالم الخارجى والعالم الداخلى . فهو الوسيلة التى بها نرى ما هو فى الداخل وما هو حولنا من أشياء . وعندما امتدت الدراسة إلى معالجة موضوع الجسد فى حياة المسيح شرحت أسباب التجسد وأهميته لاهوتياً وروحياً وبينت أن الله صار إنساناً لكى يكون الإنسان بنعمته إلهاً . وأن الله صار جسداً حتى من خلال المادة تنساب نعمة الله على الكنيسة ، وأن الرب احتفظ بجسده بعد أن مجده بنور القيامة ليكون شفيعاً ووسيطاً وحيداً لجنس البشرية أمام الأب السماوى .

وعلى ذلك فقد أصبح الله حاضراً فى العالم وليس مشاركاً لتاريخه فقط بل لجوهره أيضا. وأصبح الإنسان المختوم بالروح القدس حاملاً للمسيح ، وصار جسد المعمد هيكلاً للروح القدس وعضو فى جسد المسيح أى الكنيسة . وإذا كان هذا هو مركز الجسد فى نظر الله

والكنيســة ، فلابــد أن تكون نظرة المؤمن إلى جسده وأعضائه وإفرازاته نظرة نيرة طاهرة شفافة كما تصبح مسئولية المؤمن إزاء كرامة الهيكل أن يبذل جسده ويقدمه ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله كما قدم المسيح حياته محرقة مرضية أمام الآب السماوى . وأن يحرص كل مؤمــن على أن يلبس الرب يسوع ويتوشح بثوب العرس ورداء النعمة لكى يحيا فى العفاف الــذى إليه دُعى كل مؤمن وأن لا يشاكل هذا الدهر ولا يشترك فى أعمال الظلمة بل بالحرى يوبخَها .

وأما الموضوع الثانى فى هذه الدراسة فهو معالجة الجسد من خلال المعنى الثانى زيادة . الذى سبق أن أوضحته مقدمة البحث وقد أبرز هذا الفصل خطورة ثنائية الإرادة عند الإنسان وأهمية صلب الجسد عند المسيحى وكيف أنه لا يستطيع المؤمن أن يصل إلى الكمال المسيحى إن لــم يحــارب ضد الأوجاع الكبرى والأهواء والميول الصغيرة أيضاً . على أنه ليست كل حرب تكلل بالنجاح فلابد للحرب الروحية أن تكون نعمة الله هى حجر الزاوية والأساس الأول فــى بنــيانها وقــيامها سواء كان ذلك فى الأوجاع الجسدية أو النفسية أو الفكرية أو الإرادية فعملية صلب الجسد تبدأ بالمسيح وتستمر مع المسيح وتنتهى إلى المسيح .

وإذا كانــت مجــالات حــروب الجسد هى الشهوة الحسية والطمع والتمرد فإن الفضائل الــثلاث الــتى يحــرص عليها المؤمن للنصرة فى هذه الحروب هى العفة والفقر الإختيارى والطاعة .

وأمــا الموضــوع الثالث فهو تدبير الجسد لكى نجوز كل أيام حياتنا ببر وطهارة وتدبير حســن لــنكمل بقية أيام حياتنا بلا عثرة . وقد أوضح هذا الموضوع أثر التدبير الجسدى فى التدبــير الــروحى وأبعاد النسك فى هذا التدبير ، وخطورة الانحراف التى تهدد المسيحى فى تدبــيره الجســدى ، إذ قــد يتجه إلى إضعاف الجسد وإهماله إلى حد إعياءه وفشله فى تأدية رسالته أو إلى تدليله والتلذذ وإهمال النسك إلى حد الانحلال .

واذا كانــت النعمة تسرى فى أرواحنا فإنها تمتد أيضا إلى نفوسنا ثم إلى أجسادنا حتى أن الجســد بالنسك المسيحى المستنير يتروحن ويتهيأ إلى الحياة الممجدة التى تنتظره عندما يقوم

من بين الأموات ليقابل الرب على السحاب . وقد طبق الاتجاه المستنير فى تدبير الجسد على كـل مـن الأكـل والعمل والراحة والملبس والزينة والكلام والحواس وخاصة العين والدافع الجنسـى . وفى كل من هذه المجالات حرصت الدراسة على ابراز أهمية صلب الأهواء مع وضع المبادىء والقواعد والمناهج المسيحية الاصيلة التى تحكم عملية الممارسة والأداء لكل من هذه الأنشطة .

أمـا الموضـوع الأخير فهو قيامة الجسد والأدلة على حقيقة القيامة وايضاح معنى الآية القائلـة أننا متوقعون التبنى فداء أجسادنا ، وشرح كل ما يتعلق بفداء الجسد وتمجيده وتجليه وتجلى الكون كله عند مجىء الرب يسوع المسيح فى مجده ومجد أبيه .

هـذه الدراسة المتواضعة التى لم تتعمق كثيرا لاتساع الموضوع وللحرص على اعطاء صورة عامة وخطوط عامة أنما تقدم مجالات وإشارات لكل من يريد أن يمتد فى أى موضوع من هذه الموضوعات إلى أبعاد أكثر عمقا وشمولا .

نسأل إلهنا الحبيب الذى لبس جسدنا ليعطينا كرامة أولاد الله ووهبنا التبنى وصار لنا بكرا بيـن أخـوة كثيرين . نسأله أن يقدس أجسادنا ونفوسنا وأرواحنا لكى بقلب طاهر ووجه غير مخزى نقف أمامه مهللين ومسبحين اسمه العظيم القدوس آمين .

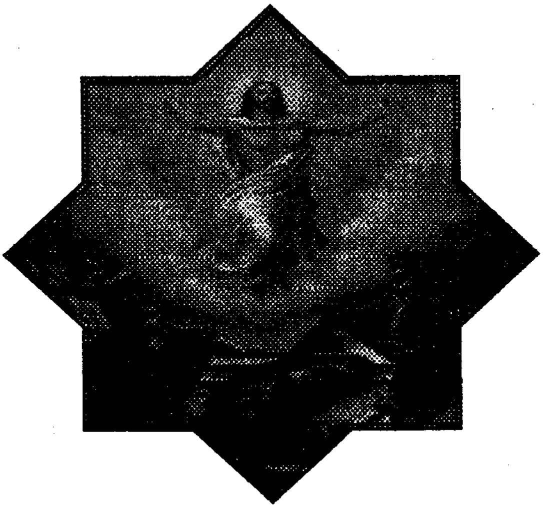

مقدمة

معنى كلمة الجسد

إن أول مـــرة يذكر فيها كلمة الجسد هو فى الإصحاح الثانى من سفر التكوين حين "جبل الـــرب الالـــه آدم ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة . فصار آدم نفسا حية ... فأخذ واحـــدة مـــن أضلاعه وملأ مكانها لحما ، وبنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضـــرها إلـــى آدم فقال آدم هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى . هذه تدعى امرأة لانهـــا من امرء أخذت . لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسدا واحدا " (تك ٢ : ٢٢ ــ ٢٤) .

فالجســـد هـــو مـــا أعد لكى ينال النفخة الالهية ليحيا بها ، وهذه النفخة المحيية لها طابع شخصى ما دامت تحيى الجسد ، إذ أنها علاوة على كونها نفخة الله هى أيضا النفخة الشخصية التى لكل واحد على حدة ، والوحدة بين النفس والجسد كانت منذ بداية خلقة الإنسان، لأن الله عـــندما خلـــق الإنســـان على صورته ومثاله لم تكن عملية الخلق للنفس وحدها وإنما للنفس والجسد معا .

فالنموذج الإلهى الذى وضع فى جنة عدن كان يتضمن أن يكون الإنسان جسدا ونفسا فى كل واحد متكامل يعمل فى انسجام تام مستغلا جميع ما لديه من قوى روحية ونفسية وجسدية كـــى يتمـــتع بحياة الشركة الإلهية وفرح اللقيا المقدس وسعادة الوجود تحت كنف الله ورعاية الثالوث القدوس .

فكلمة الجسد هنا وإن كانت تعبر عن الهيكل المادى الذى يحتوى النفخة الإلهية ، إلا أنه لا يمكـــن فصـــله فـــى المفهوم والمعنى عن وحدة الكيان الإنسانى حتى أننا نجد كلمة الجسد تقترب من مفهوم الشخص أو الكيان أو الوجود الإنسانى .

وعندما دخلت الخطيئة إلى العالم بحسد أبليس أفسدت هذا النموذج الرائع وشوهت جمال الخطة الإلهية فى الإنسان . لقد مزعت الوحدة التى كانت بين الإنسان والله ، ومزعت الوحدة الـــتى كانـــت بيـــن الإنسان ونفسه ، ومزعت الوحدة بين الإنسان والآخرين وهذا أمر سوف

نعالجه بالتفصيل فى فصل قادم . ولكن ما نعنيه هنا أن تيار الإثم الذى دخل إلى العالم ولوث الإنســان فى روحه ونفسه وجسده أعطى للجسد مفهوما آخر تحدث عنه بولس الرسول بكثرة وإســهاب فــى رسائله العديدة وهو ما يسمى بالإنسان العتيق ، والإنسان الفاسد حسب غرور الحياة ، وسر الإثم .

ويلخــص هــذه المعانى كلها فى كلمة (الجسد) فكلمة جسد هنا تعنى ما هو ضد الروح وكلمــة جســدانى تعــنى الحياة الساقطة المشوشة الناتجة عن العصيان ، والتى لم تفتدى بعد بالنعمة ولم تعمل فيها الحياة الإلهية عملها لتستقيم وتحيا حسب الحق والقداسة والبر.

[redacted]

الجسد كهيكل للنفخة الالهية وهذا قد صار فى المسيحية هيكلا للروح القدس وعضوا فى جسد المسيح .

[redacted]

الإنسان العتيق الفاسد . أو جسد الخطية الذى هو عداوة لله وأعماله زنا ونجاسة ودعارة وبدع .

وباختصار فان كل ما هو من العالم وليس من الآب هو الجسد فى معناه الثانى .. وكثيرا مــا يختلط على البعض المعنيان ، فيتصورون أن أجسادنا التى هى أعضاء المسيح والتى هى هــياكل للروح القدس ، والتى قد اشتريت بثمن غال كى نمجد الله فيها ، والتى دعيت إلى أن تكون ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله .

كثــيرا ما نظر إليها البعض على أنها هى الأهواء والشهوات والعداوة الموجهة لله الأمر الــذى أوجد فى الكنيسة أحيانا النسك الخاطىء والدعوة إلى إماته الجسد والابتعاد عن الزواج ورفــض تناول كثير من الأطعمة وهى بدع ظهرت فى الكنيسة منذ عصرها الأول وحاربها آباؤنا الرسل ، وخاصة رسول الجهاد ، حربا شعواء .

وسـوف نعـالج هذيـن المعنيين فى كتابنا هذا . فعندما نتكلم عن الجسد ككيان انسانى وكهيكل لروح الله لابد لنا أن نذكر شيئا عن كرامة الجسد وتدبير الجسد وعفة الجسد وتمجيد الجسد .

وعـندما نعالج المعنى الثانى سوف نضمنه الفصل الخاص بصلب الجسد .. وسنحرص فـى ثنايا معالجة كل فصل من هذه الفصول أن نؤكد الفارق بين المعنى الأول والمعنى الثانى بغـية تنقـية التربية الدينية من كل نسك خاطئ غير سليمة واتجاهات روحية غير متفقة مع الحق فى الإنجيل .

الموضوع الأول

كرامة الجسد

- ❖ **الجسد فى حياة آدم .**
- ❖ **الجسد فى حياة السيد المسيح .**
- ❖ **الجسد فى حياة المسيحى الحقيقى**

الجسد فى حياة آدم

عندما خلق الله آدم فى الجنة خلقه جسدا ونفسا ، ونفخ فيه نفخة الحياة ، ويبين لنا الكتاب المقــدس أن الله خلق الإنسان على صورته كشبهه ، وأن ما عمله الله اذ هو حسن جدا ، وأن الإنسان دعى ليكون صاحب سلطان على الخليقة المادية كلها اذ جبل الرب الاله من الارض كل حيوانات البرية وكل طيور السماء ، وأحضرها إلى آدم ليرى ماذا يدعوها ، وكل ما دعا بــه آدم ذات نفــس حــية فهــو اسمها . فدعا آدم بأسماء جميع البهائم وطيوم السماء وجميع حيوانات البرية .

والــذى يؤكد أن الحيوانات والخليقة المادية كلها ليست نظير الإنسان ، أن هذه الخلائق كلهــا وان كانت من الأرض مثل جسد آدم إلا أنها لم تعط نفخة الحياة من الله القدوس ، وان الله لمــا أراد أن يكــون لآدم شــريكا نظيره بنى الرب الإله الضلع التى أخذها من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم ورسم سر الزيجة بأن يكون الرجل والمرأة جسدا واحدا .

وكــان الجســد فــى الجنة بسيطا روحانيا شفافا ، والعين فيه نقية طاهرة إلى درجة أن كلاهما كانا عريانين وهما لا يخجلان .

ويلزمــنا أن نشــير إلى أن هدف خلقة آدم وحواء فى الجنة كان منحصرا فى ايجاد حياة شــركة وصلة حميمة مع الله ، وايجاد شركة بين آدم وحواء ولنسلهما من بعدهما حتى تكون ألفــة الحــب التى تجمع الكثيرين فى واحد مثالا وظلا للوحدة المقدسة التى يتمتع بها الثالوث القدوس منذ الأزل .

والجسد مدعو مع النفس أن يشترك فى حياة آدم فى عمل هذه الشركة مع الله وتلك الوحدة مع الآخرين .

فالنفس وحدها ليست إنسانا والجسد وحده ليس إنسانا وكل منهما على حدة ليس إنسانا ولكن الإنسان هو الترابط القائم بينهما على حد تعبير القديس ايريناوس " إن الجسد هو علامة الشخص وظهوره" .

وفى هذا يقول القديس اغريغوريوس بالاماس "بأنه حين قيل أن الله خلق الإنسان حسب صورته فإن كلمة الإنسان لا تعنى النفس وحدها ولا الجسد وحده بل كليهما معا" .

وليس الإنسان نفسا مسجونة فى جسم بل هو نفس وجسم فى وحدة سيكوفسيولوجية . والإنسان كوحدة مؤلفة من النفس والجسد يستطيع أن يعلن تماما شخصيته المخلوقة على صورة الله . وهذا التكوين الخاص لطبيعة الإنسان الذى يوحد بين عناصر المخلوقات المختلفة هو الذى جعل الآباء يتحدثون عنه بوصفه عالما مصغرا " (ميكروكوزمس) .

وتؤكد الدراسات الطبية الحديثة الوحدة القائمة بين الجسد والنفس ، ففى كل منهما رنين الآخر . والطبيب البشرى اليوم لابد له أن يدرس الأمراض النفسية مع الأمراض البدنية لما للبدن والنفس من أثر مشترك متبادل فى حياة الإنسان الذى هو كل مترابط .

ومن المعروف أن كل حدث انفعالى وكل نشاط ذهنى يؤدى إلى تغييرات فى الغدد والعضلات وأن كل اضطراب فى الغدد والهرمونات يؤدى إلى تأثيرات كبيرة على مزاج الإنسان وحالته النفسية .

هذا على الصعيد الجسمى والنفسى وأما على الصعيد الروحى فان الحياة الروحية تؤثر على الجسد كما أن ضبط الجسد وتهذيبه وتربيته تهيىء مجالا عظيما للروحانية .

والملاحظ فى الحياة العملية أن وجه القديس شيء ووجه الفاسق شيء آخر . فكل من الاثنين يعكس عالما داخليا مختلفا تماما . فالجسد هو التعبير عن النفس تماما ، كالكلام الذى يعبر عن الفكر ، فالابتسامة الرقيقة تعبر عن الترحيب النفسى الداخلى ، والقبلة المطبوعة على جبين الآخر تعبر عن الحب أو الشوق أو مشاعر الحنان الإنسانية الراقية ، والدموع فى

مآقى العينين تعبير عن الأسى والحزن العميق أو عن التوبة الصادقة ورغبة النفس فى العودة إلى الله . والصوت الخفيض مع الركب المنحنية وقرع الصدر دلالة على انسحاق الروح ، إن كانت النفس خالية من النفاق والرياء .

والإنسان عن طريق جسده يستطيع أن يتقابل مع الآخرين . أنه الواسطة التى يتحقق بها حضور نفس لنفس أخرى .

فأنـــا عـــندما أشتاق إلى أخ عزيز أسرع إلى لقائه وأجلس بجواره ، وهنا جسدى يهيىء المجال للقيا والانعطاف والتعبير عما فى الداخل من مودة وحب صاف .

وأنا عندما أريد أن أخدم الآخرين فلن أخدمهم فقط بالنية والأفكار ، بل يسرع جسدى إلى أداء دوره الهام عندما يلتقط النوايا والأفكار ويترجمها إلى سلوك وتعبيرات وخدمات وأعمال. فالجسد مجال لتحقيق الرابطة والألفة بين الإنسان والآخرين .

والزوج مع زوجته لا يكتفى بالنية المملوءة إخلاصا ولا بالحب الدفين فى القلب ، ولكن الجسد يعبر عن هذه المشاعر المخلصة ويزيدها اتحادا وعمقا عندما تكتمل وحدة الأجسام مع وحدة القلوب فى سر الزواج .

وللقديـــس أوغســطينوس قـــول مأثور فى وحدة التفاعل بين الجسد والروح : "من ليس روحانيا حتى فى جسده يصير جسدانيا حتى فى روحه " .

على أن هناك الكثير من الكتاب المسيحيين بدلا من توكيد الناحية الجسمية المتضمنة فى الصورة الإلهية قد انحرفوا نحو نوع من الملائكية **(Angelism)** فاذ بهم يتغاضون عن الجسد بوصـــفه عائقـــا ومعطـــلا ، أو هـــو شـــئ لا صلة له بالحياة الروحية ، ودخيل على طبيعة الإنســـان، فكـــأنهم يـــزعمون بـــأن هدفنا كمخلوقات بشرية هو أن نجعل أنفسنا ملائكة قدر المستطاع ، ولكن هذا الاتجاه على قدر أنه براق إلا أنه لا يتفق مع قصد الله من الإنسان فالله أعطى الإنسان جسدا ماديا كما أعطاه نفسا ، وهاتان العطيتان متحدتان فى وحدة أساسية ومن المســتحيل أن يحاول الإنسان أن يتجرد من جسده ليحول نفسه ملاكا . يجب على الإنسان الا

يسعى إلى تناسى جسده والتعالى عليه ، بل عليه أن يعتز بجسده ويستعمله كهبة إلهية داخلة فى خطة خلاصه .

والكثيرون يظنون أن الإنسان أقل مرتبة من الملائكة لأن له جسدا بينما هم أرواح مجردة ، ولكن القديس اغريغوريوس بالاماس يذهب إلى أن الإنسان أعلى مرتبة من الملائكة لأن الإنسان يجمع بين العالمين المادى واللامادى . هو وسط يؤلف جسرا بين الأرضى والسمائى . هو نقطة التقاء لكل خليقة الله . ومن خلاله يمكن للكون كله أن يتراءى أمام الله .

" فالإنسان يستطيع أن يحول الأمور المادية إلى قربان مقدس وتقدمة إلهية . وهذا لا تستطيع أن تعمله الملائكة ولا يمكن للوحوش والحيوانات أن تصنعه . فالإنسان هو كاهن الخليقة الوحيد لأنه هو المجال الوحيد بين الكون المخلوق والنعمة الخالقة حاملا فى نفسه كليهما . هو ملتقى الحياة الداخلية الباطنية والحياة الخارجية الاجتماعية . هو ملتقى المادة والروح " .

لقد أصبح وسيطا ومجالا يجمع إلى واحد تسبيح كل الخليقة رسالته هى أن يكون وسيطا ومصالحا يجتذب إلى واحد مدائح وتسابيح كل الخليقة لكى يستطيع الكل أن يرتفعوا فى انسجام إلى الخالق .

ولقد أصبح المسئول أن يسبح على الدوام عن الخليقة كلها كنائب ومسئول عنها . لذلك رأينا الفتية الثلاث فى تسبيحهم الله وسط الآتون يهتفون " سبحى الرب أيتها السموات ، أيتها الأرض ، الجبال ، والآكام ، السهول ، المياة ، الأنهار ، الأشجار . الخ ".

ومن خلال هذه النظرة نستطيع أن نفهم السبب الذى من أجله تحرص الكنيسة على أن تصلى فى أواشيها عن الاهوية والمياه والعشب ونبات الحقل ، وأن يعطى الله مزاجا حسنا للهواء .

أن الإنسان ، فى خلقته ، يحمل فى جسده خصائص الطبيعة غير العاقلة (المادة) ومن هنا صار نائبا عنها أمام الله ، وهو وحده فى الخلائق المادية الذى يحمل صورة الله ، يحمل النطق والحرية والعقل ، وهذا ما لا تتمتع به أية كائنات أخرى أرضية .

والمــتأمل فى العقل والنطق والحرية يمجد الله على ما وهبه للإنسان ، فالعقل تاج وضع لكى يكلل الخلقة الآدمية ويعطيها الشخصية الفريدة فى الكائنات كلها .

والــنطق هــو التعبير الفريد لما يصنعه العقل من صور ذهنية وأفكار ومفاهيم ورغبات ومدركات .

والحرية هى أعظم ما يتمتع به الإنسان ككائن ومخلوق . انه يحمل شبها لله الذى يحيا فى الحرية الحقيقية . وحرية الإنسان تمكنه أن يختار ما يريد وأن يعمل ما يشاء .

هــذه الإمكانية غير متوفرة لأية كائن آخر من الكائنات التى تعيش تحت سلطان نواميس وحتميات جبرية .

انــى كلمــا أطــالع المراجع القيمة ودوائر المعارف الثمينة ، وكلما أشاهد أو أسمع عن المنجزات العلمية المذهلة أسجد أمام الله مكرما نعمة العقل التى أعطانى إياها الله .

وكلمــا أقــرأ كتب الفلاسفة ، المؤمنين منهم أو الملحدين ، أمجد إلهى على الحرية التى مــنحها الله للإنســان حتى أنه يستطيع أن ينكر وجود من خلقه ويتصرف وينزع وفق تفكيره الحر وهواه الشخصى .

وكلمــا أبحــث فــى التراث الإنسانى أدرك عظمة خلقة الإنسان الذى ينمو فى المعرفة ويتعمق فى التعرف على أسرار الكون ويتحكم ويسيطر على الطبيعة كلها محققا ومنفذا الأمر الإلهى أن يكون آدم وبنيه سادة على الخليقة المادية كلها .

وكلما أبحث فى العلاقات الإنسانية وأتلامس مع الأبوة والأمومة والأخوة والبنوة وشركة الزوجــية أمجــد الله علــى مــا استودعه الخالق فى حياة الإنسان من مشاعر رقيقه مرهفه وأحاسيس راقية سامية لن تجد مثيلا لها فى الخليقة كلها .

ويكفــى أن الله عندما أراد أن يعبر عن علاقته بالإنسان استعار الأبوة والأمومة والأخوة ومشاعر الإنسان وعلاقاته ليصور بها حنوه ولطفه ورقته وتأديبه وحزمه .

وكلما سبحت بخاطرى فى علاقات الإنسان الاجتماعية وما وصل إليها من روح عالمية حتى صارت أية مشكلة ما فى بلد نائية تقض مضجع الإنسان وهو على بعد آلاف الأميال من

هذا البلد ، وكلما تطلعت إلى المؤسسات العالمية والخدمات الإنسانية العالمية أرى صورة الله في الإنسان الذى سقط ، ولكنه رغم سقوطه يحمل عبر الرداء الممزق أبهى الصور وأروعها.

بـل وتجدنـــى كلمـــا أتفرس فى النظام العجيب الذى يحكم وظائف أعضاء الجسد وذلك الانســجام والاتســاق المدهش بين مختلف العمليات الفسيولوجية والبيولوجيه والسيكولوجية ، وكلمـــا أتـــأمل فى روعة الدقة المذهلة التى تحكم الغدد الداخلية مثلا أو الجهاز الهضمى أو التنفســـى أو التناســـلى أقـــدم للرب الخضوع والسجود والشكر على ما وهبنا فى الجسد من عجائب تسمو وتعلو عما فى الخليقة كلها من عظمة مدهشة .

" أنـــنا نستطيع أن نلمح قدرة الله فى جسد الإنسان وفيه نشاهد معظم النظريات والآلات التى ظهرت فى عالم الصناعة والفن والتكنولوجيا ، فالأسنان كالمطاحن الهائلة والقلب عبارة عـــن مضخة ماصة كابسة ، والجهاز العصبى يشبه آلات التليفون وأسلاك الكهرباء التى تنقل التيارات والإشارات ، والأذن تشبه سماعة الطبيب أو الميكرفون والحنجرة تشبه بعض الآلات الموســيقية ، والعين جهاز عجيب لا تضارعه أدق آلات التصوير والعظام فى متانتها وقوتها علـــى مـــا هى عليه من الدقة والمرونة تفوق أقسى الأعمدة التى تصب لتشيد عليها القصور والعمارات "

أيهـــا الـــرب ربنا ما أعجب اسمك فى الأرض كلها . ما أعظم أعمالك .. كلها بحكمة صنعت (مز ٨ : او ١٠٤ : ٢٤) .

وإذا كان الإنسان رغم سقوطه فى الجنة ، ونزول اللعنة عليه ، فيه هذا الجمال كله وهذه النعم العظيمة . كم كان إذاً أبونا آدم فى الجنة قبل السقوط !! وكيف كان مجده ؟! حقا لقد كان آدم جنته كما كان يعيش فى جنة .

كـــان أبونا الأول متمتعا بكل قواه الروحية ، والنفسية والجسمية والعقلية . وكان متمتعا بشركته مع الثالوث القدوس ، وبشركة الحب مع حواء .

ولكـــن الخطيئة التى دخلت إلى العالم بحسد إبليس أسقطت آدم وأدت به إلى الموت ونال جسده مثلما نالت نفسه من أثار العصيان الشيئ الكثير .

- ❖ لقد أصبح جسده جسدا ضعيفا تؤثر عليه الظروف الطبيعية تأثيرا سيئا فيسقط تحت الأمراض الجسمية المختلفة . وصار عليه أن يتقى هذه الأمراض ويعالجها . وهذه معاناة كبيرة .
- ❖ ولقد أصبح معرضا للصراع بين قواه الداخلية بسبب الجموح والتمرد الداخلى وهذا يسقطه تحت الأمراض النفسية كما يصيبه بالتعصبات والتحيزات والاتجاهات النفسية المنحرفة . وصار عليه أن يتقى كل هذه الانحرافات ويعالجها . وهذه معاناة أخرى كبيرة .
- ❖ ولقد أصبح متجها نحو الاختلاف مع الآخرين الأمر الذى يعجل بالانقسامات المختلفة وألوان الشقاق والحروب والمنازعات على مستوى الأفراد والجماعات والأمم . وصار عليه أن يجاهد ضد هذه الأمراض ويعالجها وهذه معاناة ثالثة خطيرة .
- ❖ وأكثر من هذا كله . وأخطر من هذا كله ، أن جسده الذى كان مدعوا لخدمة روحه أصبح محلا للتمرد والجموح ، واختلت الغرائز وظهرت نتائج هذا فى الاشتعال الشهوانى والانحرافات الجنسية والفكرية ، الأمر الذى أغضب الله ولا يزال يغضبه كثيرا . وما طوفان نوح وإبادة سادوم وعاموره وفتح الأرض فاهها لتبلع قورح وداثان وأبيرام ، وخروج الحيات لتقتل الآلاف من شعب الله فى البرية ولانحطاطهم الشهوانى وتطلعهم الملح نحو نهم البطن وشهوات الجسد .

إلا أمثلة لما أصاب الجسد من انحراف ، وما أدى به من نتائج محزنة أفسدت النموذج المبارك والخطة الإلهية التى وضعت فى الجنة .

وإذا كان الإنسان بطبيعته الادميه حريصا على إشباع جسده فيلزمه أن يعرف أن نفسه أيضا تجوع وتعطش . لقد خلقت النفس على صورة الله ومثاله وهى لا تشبع إلا إذا كانت فى شركة مع الله تأكل من دسم النعمة وتشرب من ماء الحياة ، إنها تحتاج إلى أن تغتذى بالفضيلة وترتوى بالنعمة وتستقى من نبع كلمة الله . ولكن هيهات للإنسان الجسدى أن يلتفت إلى متطلبات روحه التواقة إلى الحق والبر والتقوى والفضيلة والحب .

ولما وجد ا لله أن الإنسان قد انحط وفسد ولم توجد طريقة ما لاصلاح ما أفسدته الخطيئة احتمل الله مسئولية هذا الإصلاح والتزم بقضية الإنسان وألقى بنفسه فى طبيعة البشر الساقطة ونزل من سماء المجد لكى يعيد إليها بهاءها ومجدها ومكانتها الإلهية .

الجسد في حياة السيد المسيح

لقـــد سقطت الطبيعة البشرية فى جنة عدن ، وتلوثت الخليقة المادية كلها بسقوط تاجها وكاهنها فى المعصية .

وإذا كـــان ابعـــض ، من غير المسيحيين ، يرى أن التوبة كانت كافيه لإعادة آدم إلى مركـــزه الأول فان أثناسيوس الرسولى يرى أن التوبة لا تستطيع أن توفى مطالب الله العادلة لأنه ان لم يظل الإنسان فى قبضة الموت يكون الله غير صادق .

هذا بالإضافة إلى أن التوبة تعجز عن أن تغير طبيعة الإنسان لأن كل ما تفعله هو أنها نقف حائلا بينه وبين ارتكاب الخطيئة .

وهكـــذا لـــو كـــان ما ارتكبه الإنسان لم يتبعه الفساد لكانت التوبة كافية ، أما الآن وقد أصبح الفساد هو طبيعة آدم فقد حرم من تلك النعمة التى سبق أن أعطيت له ، لم يبق غير أن يتقدم كلمة الله الذى خلق كل شىء من العدم ليرد إلى آدم نعمته السليبة .

مـــن أجـــل هذا صار الكلمة جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحيد من الآب .. وفى هذا الصدد يقول حامى الإيمان " واذ رأى الكلمة أن ناموس فساد البشرية لا يمكن إبطالة إلا بالموت ، وأنه مستحيل أن يتحمل الكلمة الموت لأنه خالد باق غير خاضع لناموس الموت أخـــذ لنفسه جسدا قابلا للموت حتى باتحاده بالكلمة يكون جديرا بأن يموت نيابة عن الجميع ، وهـــذا عيـــن مـــا قالهُ الرسول بولس "لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع" (اكو ١٥ : ٢٢) وفى موضع آخر يقول " فاذ قد تشارك الأولاد فى اللحم والدم اشترك هو أيضـــا فيهما لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى إبليس ويعتق أولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية " (عب ٢ : ١٤ و ١٥) .

إن المـــوت لم يكن خارج جسد آدم حتى تأتيه الحياة من خارجة ، أما وقد صار الموت ممتزجا أيضا وسائدا عليه فكان مطلوبا أن تمتزج الحياة بالجسد حتى إذا ما لبس الجسد الحياة نزع منه الموت .

وإذ انحط فكر البشر نهائيا إلى الأمور الحسيه فقد استتر الكلمة بظهوره فى الجسد لكى يستطيع كانسان أن ينقل البشر إلى ذاته ويركز احساساتهم فى شخصه .

أليس هذا هو ما عناه بولس الرسول بقوله " وأنتم متأصلون ومتأسسون فى المحبة حتى تستطيعوا أن تدركوا مع جميع القديسين ما هو العرض والطول والعمق والعلو وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة لكى تمتلئوا إلى كل ملء الله " (اف ٣ : ١٨ ــ ١٩) .

أن المسيح بتجسده أوجد الإنسان كما كان يقصده الآب السماوى .. وأعاد النموذج الذى كان فى تدبيره وأوجد التصالح بين الجسد والروح وأعطى لنفسه أن تتغذى على الحق وتقتات بطعام هو صنع مشيئة الآب (يو ٤ : ٣٤) .

وأكد لنا أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله .

لقــد نطــق بيلاطس فى محاكمته للرب يسوع وقال عنه : (هوذا الانسان) . نعم ! هو الإنسان الكامل وفيه كل ملء الله . إن المسيح الذى أعيدت الصورة منه إلى بهائها الأول هو عينه السر الأعظم الذى يستعلن فيه سر القصد الإلهى للفداء .

والكنيســـة مدعـــوة عـــن طريق قداسة جميع أعضائها واتحادهم بالرأس أن يحققوا فى وحدتهم النموذج الذى قصده الآب السماوى فيكونوا جسدا سريا للمسيح .

ويكـــون المســـيح رأسا وتاجا لهذا الجسد المقدس . إلى أن ننتهى جميعنا إلى وحدانية الايمان ومعرفة ابن الله ، إلى إنسان كامل ، إلى قياس ملء المسيح " (افسس ٤ : ١٣ ــ ١٦) .

وفى هذا يقول الرسول بولس "بل صادقين فى المحبة ننمو فى كل شىء إلى ذاك الذى هـــو الـــرأس المسيح الذى منه كل الجسد مركبا معا ومقترنا بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه فى المحبة .

وجديـــر بالذكر أن تجسد ابن الله ومشاركته لطبيعة الإنسان هذه المشاركة الصميمية لم يكـــن لأجل غفران خطيئة آدم وبنيه فقط وإنما كان استعلانا لمحبة الله الآب الراغبة فى أن تفتدى الكون كله وتمكنه من التجلى .

لقد صار الله إنسانا لكى بنعمته يجعل الإنسان الها . وهذا هو لب الإنجيل كما تفهمه آباء الكنيسة . ففى التجسد اتخذ الله جسدا لكى يستعلن مجد الله خلال الأشياء المادية : " الذى كان مـــن البدء الذى سمعناه الذى رأيناه بعيوننا الذى شاهدناه ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة " (ايو ١: ١).

فالجســـد الـــذى سيدخل الحياة الأبدية من القيامة له نصيب فى حياة الله . حتى فى هذه الحياة الأرضية وهذا هو السر الأعظم المقدس الذى ترتكز عليه كل أسرار الحياة المسيحية . فنعمة المسيح الإلهية تنساب خلال الجسد وهى سر المسيح فى الكنيسة . وبالتأكيد أن الكنيسة الأرثوذكســـية علـــى حق حين ترى فى التجسد لا حدثا فريدا منفصلا بذاته بل تراه استعلانا لمحبة الله الراغبة فى أن تفتدى الكون كله وتمكنه من التجلى . وشخص يسوع الناصرى الذى حـــل فـــيه ملء اللاهوت جسديا هو نقطة الارتكاز الذى تشع منه الحضرة الإلهية إلى العالم وتأتى بالكنيسة إلى الحياة . فحضرة الله موجودة خلال حياة الكنيسة بأسرها.

ولقد صار لكل مؤمن الحق فى التأمل فيما صنعته أعضاء جسد المسيح لأجل خلاصنا فـــيداه الطاهـــرتان لمســـتا المرضـــى ، وقدماه سعتا فى طريق الخلاص ، وعيناه نظرتا إلى ضـــعفاتنا برفق وحنو وشاع ، وأذناه سمعت صراخ المستغيثين به وحنت أحشائه لكل خاطئ وضـــعيف ومسكين ومعوز . أننا يا سيدنا لا نستطيع أن ننسى كم تحملت أعضاؤك وحواسك مـــن متاعـــب فى سبيل خلاصنا رأسك كللت بالشوك لتهبنى اتضاع الفكر ، ويداك ورجلاك ســـمرت بالمســـامير لتمزق صك خطاياى وتبطل فعل الشهوة وتمرد فى جسدى وجنبك طعن بالحـــربة لتهبـــنى مكانا مفتوحا معدا لدخولى أحضانك . وفمك ذاق المر لكى استعذب مرارة الجهاد واحسبها شركة حب وألم وظهرك جلد بالسياط لاحتمل كل ثقل من أثقال الأخوة بفرح دون أنين . نعم يا رب مستحق أن تأخذ حياتنا كلها لأنك أعطيتنا حياتك وحبك .

❖ مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى باركنا بكل بركة روحية فى السماويات ، والذى أحبـنا وأعطانـا ابـنه الوحيد لكى يكون لنا برا وفداء وقداسة ومنحنا من خلاله البنوة فصرنا للاب أبناء بالتبنى .

وصرنا لابنه المبارك الممجد المعبود يسوع المسيح اخوة ، وصار هو بكرا بين اخوة كثيرين .

❖ مبارك الرب يسوع فادينا ومخلصنا الصالح الذى استهان بالخزى والعار ولبس طبيعتنا المائتة وشابهنا فى كل شيء فيما عدا الخطية وحدها .

وأخـذ ما لنا وأعطانا ما له وصرنا شركاء الطبيعة الالهية من خلال الايمان به والاتحاد بجسده ودمه الأقدسين ، ومبارك وأمين فى وعده السماوى أنه سيأتى سريعا ليأخذنا ونكون معـه وأما طبيعتنا الساقطة هذه وجسدنا الفاسد هذا فسوف يلبسه مجدا ونورا وبهاء ليكون على شبه جسد قيامته .

❖ " لـك المجـد يا ربى فى كل ما أعطيتنا ووهبتنا أعطنا أن نحيا كما يليق للدعوة التى دعوتنا اياها " .

❖ ومـبارك روح الله القـدوس الـذى ختمنا بروح الموعد القدوس عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده . مسبح وممجد أيها الثالوث القدوس فى كل حين وإلى سائر الدهور آمين .

[illegible]

لقد قدس الرب الطبيعة الإنسانية عندما اتحد بها واحتضنها وصار مسئولا عنها وراعيا لها ومدبرا لخلاصها .

وعـندما صـعد إلـى السماء وجلس عن يمين أبيه احتفظ بجسده الذى أخذ من الروح القدس والعذراء القديسة مريم بعد أن لبس قوة ومجد ونور وبهاء القيامة .

وهكـذا أصبحت البشرية ممثلة فى شفيعها ووسيطها أمام الآب السماوى يسوع المسيح رب المجد .

ودخلت الطبيعة الإنسانية فى أعماق اللاهوت كما أصبح الله فى أعماق الإنسان. لقد حمل الرب مأساة الإنسان وصار مسئولا عنه إلى الأبد .

" نعم لقد أخذ الرب إلى السماء مادة عالمنا بأكملها إلى أعمق أعماق الحقيقية الإلهية . لقد أصبح الله حاضرا فى العالم وليس مشاركا لتاريخه فقط بل لجوهره أيضا" .

لقد أخذ ابن الله الجسم الإنسانى إلى الأبد ، والطبيعة البشرية لا يمكن فصلها عن شخص المسيح . ومن أجل هذا حرمت الكنيسة نسطور الهرطوقى لأنه فصل الطبيعية الإلهية عن الطبيعة الناسوتيه كما قطعت وشجبت أوطاخيا المبتدع الذى نادى بذوبان الإنسانى فى الإلهى عند المسيح .

لقد أصبح الإنسان المختوم بالروح القدس حاملا للمسيح (خريستفوروس) ، ومن أجل هذا نجد لقب المتوشح بالله وحامل الله من الألقاب التى أعطتها الكنيسة لبعض القديسين ، لأن الرب وعد أنه أن حفظ أحد وصاياه يحبه ويأتى إليه هو والأب وعنده يصنع منزلا . ويخيل إلى أيضا أن الكنيسة الأرثوذكسية على حق عميق فى إقرارها بأنه إلى جانب العناصر التى تقدست فى سر الافخارستيا توجب تبجيل رفات القديسين وشخصيات الكهنة وجميع الأيقونات المكرسة لأنهم جميعا بطرق مختلفة ودرجات متفاوتة رموز للمسيح وفيهم جميعا يعلن الله حضرته .

حقيقة أنه لم يتغير جسد الإنسان المؤمن فى شكله الخارجى وفى وظائف أعضائه وفى كافة عملياته البيولوجية . فجسد آدم الأول هو الذى نولد به من آبائنا وأمهاتنا لأنه مكتوب " المولود من الجسد جسد هو " . ولكن الذى عملته النعمة باستحقاقات دم المسيح على الصليب هو خلق إنسان جديد فينا وزرع طبيعة جديدة ليست من مشيئة دم ولا جسد ولا رجل ولكن من الله . هذا الجديد الذى يولد فينا بالماء والروح وينمو من خلال أسرار الكنيسة المقدسة ويرتوى بكلمة الله ويغتذى بالجسد والدم الاقدسين ويحفظ بمتاريس وختوم سر الميرون ، ويتجدد بسر التوبة ويكثر أعضاء الكنيسة من خلال سر الزيجة ، ويمارس الخدمة التكريسية من خلال سر الكهنوت . هذا الجديد وان كان مختبئا فى الداخل سر الكهنوت . هذا الجديد

وان كـــان مختبئا فى الداخل إلا أنه كيان حقيقى يعيشه المؤمن ويحيا حريصا على نموه أكثر من حرصه على النمو الجسدى والنفسى والعقلى والاجتماعى .

ان هذا الجديد هو ملكوت الله فينا . هو الحياة الجديدة التى ستنطلق يوماً إلى المجد الذى تعيشه كنيسة الأبكار .

ومـــا دمـــنا قد تكلمنا عن الإنسان العتيق والإنسان الجديد يلزمنا أن نعرف انه ليس فى المسيحية ثنائية كيانية بين الروح والجسد أى أننا لسنا أمام عنصريين متنافرين ومختلفين تمام الاختلاف بل الثنائية الموجودة هى ثنائية أخلاقية ، ثنائية فى الإرادة فقط بمعنى أن ما ندعوه بأعمال الجسد هى الأعمال السلبية التى تنتقص من وجود الإنسان وتشتته ، هى الخطيئة .

وان مـــا ندعوه بأعمال الروح هى الأعمال الإيجابية التى تبنى وجوده بالمحبة وتوحده برباط السلام .

ان مصـــدر الخطيئة ليس فى الجسد بل فى الروح . وموضوع جهاد المؤمن أن يجعل الجســد روحانـــيا . فغايـــة الجسد فى المسيحية هى أن يتقدس بالرب يسوع لأن أجسادنا هى أعضاء المسيح والجسد الروحانى يتخلى عن مطامع العالم وينكر ذاته ليصبح بالجهد الأخلاقى والرياضة الروحية هيكلا حقيقيا للروح القدس .

وباختصـــار فان جسد الإنسان المؤمن المعمد قد صار هيكلا للروح القدس وعضوا فى جسد المسيح .

وفى هذا يقول الرسول بولس :

"ام لســتم تعلمـــون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم ، الذى لكم من الله ، وأنكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتريتم بثمن . فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله " (١كو ٦ : ١٩ ــ ٢٠) .

وفى موضع آخر يقول :

" ألســتم تعلمـــون أن أجســـادكم هى أعضاء المسيح ، أفآخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية " (١كو ٦ : ١٥) .

ولا يفهـم مـن قول الرسول هذا أنه يعتبر أجسادنا أعضاء مجازية وأن العضوية هنا عضـوية معنوية ، وإنما الحقيقة التى يؤكدها الكتاب المقدس هو أننا أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه (افسس ٥ : ٣٠) .

وكـيف لا نكـون أعضاء حقيقيين فى جسده المقدس ونحن نتناول على المذبح جسده الطاهـر ودمـه الكـريم كى نتحد به ونتقدس به لنكون شركاء الطبيعة الإلهية ، ولنتغير إلى الصوَرة عينها لكى نؤهل إلى حياة المجد التى دعينا إليها حيث يسوع دخل كسابق لأجلنا .

وأما الذى يعمل خطية من الخطايا فهو لا يهين جسده فقط بل يهين عماده باسم الثالوث القدوس ومسحه بالميرون الطاهر ويزدرى بجسد المسيح ودمه الذى يسكن داخله .

لقد أصبح جسد الإنسان فى المسيح يسوع وعاء يتقبل الفرح الروحى والملكوت الأبدى تمهيدا لتجليه وتمجيده فى السماء .

[redacted]

النظرة المسيحية السليمة هى أن جميع أعضاء الجسم ذات كرامة لأنها كلها تشترك فى تكويـن هـيكل الـروح القدس ، فليس هناك فى المسيحية أعضاء طاهرة وأعضاء نجسة أو قبيحة.

وهل يمكن أن يخلق الله هيكلا يكون فيه جزء دنس أو نجس؟! .

لقـد أفـاض بولس الرسول فى شرح كرامة أعضاء الجسد فى رسالته الأولى إلى أهل كورنـثوس وأعطى أهمية خاصة إلى الأعضاء التى ننظر إليها على أنها أعضاء قبيحة . إذ يقـول "بـل بالأولى أعضاء الجسد التى تظهر أضعف هى ضرورية ، وأعضاء الجسد التى نحسـب أنها بلا كرامة نعطيها كرامة أفضل ، والأعضاء القبيحة فينا لها جمال أفضل ، وأما الجمـيلة فيـنا فلـيس لهـا احتـياج لكـن الله مـزج الجسد معطيا الناقص كرامة أفضل" (١كو١٢ :٢٢ ـ ٢٤) .

وتعليقا على هذه الأقوال المقدسة نقول أننا نهتم بشعر الرأس مثلا لأنه عضو جميل فى الجسد ، ولكنه لا يساوى شيئا فى القيمة الحقيقية للجسد إذا قورن بالأعضاء التناسلية مثلا التى

وهبها الله قوة الحياة والإنسان وإيجاد الخلف واستمرار الوجود . فان كانت هناك أعضاء تستحق التقدير والكرامة فهى الأعضاء المختبئة التى يظن غير العارفين أنها تخبأ لقبحها والحقيقة أنها تستتر لأجل كرامتها وقيمتها الغالية وحتى لا تصير نهبا لكل الناظرين .

فيلزمنا اذاً عندما نقترب من هذه الأعضاء أن نشعر أننا نتقدم إلى قدس أقداس الهيكل الجسمى . فليكن فكرنا طاهرا وليكن لنا الوقار اللائق . ولتكن الأبواب مغلقة والنفس خاشعة . وعند الحديث عن الجنس والأعضاء التناسلية يلزمنا أن نحيط هذه الأمور بالتقديس لا رعبا ولا خشية ولا فزعا وإنما تقديرا لأعضاء أعطاها الله هذه القيمة والكرامة .

يقول القديس اكليمنضس الاسكندرى " لا يجب أن نخزى من الأعضاء التى لم يخز الله من خلقتها " .

يرتبط بالاحترام والتوقير لهذه الأعضاء عدم إثارتها الا فى تأدية وظيفتها بعد أن تكون قد تباركت بسر الزيجة وأخذت الأمر الإلهى بالسماح بالعمل ، فإن الانفعال الجسدى هنا يكون تعبيرا عن انفعال روحى مقدس ينمو فى شركة الزوجية ، وفيه يفتدى الحب كل ما فى الشهوة الجنسية من ضعف .

وليست الغريزة الجنسية فى الإنسان كمثيلتها فى الحيوان حتى يمكننا أن نعبر عنها فى الإنسان أنها غريزة حيوانية بهيمية لأن الدافع الحيوانى مثير واستجابة لا أكثر ولا أقل أما فى الإنسان فان الجنسية مشحونة بأرقى العواطف وأنبل المشاعر ، أنه ليس حقا ولا عدلا أن نعد عمل الأعضاء الجنسية سواء فى الرجل أو المرأة ضمن الجزء الأدنى من طبيعتنا متساوية بمستوى الحيوان العادى بل انه من الحق والإنصاف أن نعد نشاط هذه الأعضاء من أرقى وأسمى نواحى نشاطنا الحيوى وأكفأ انفعالاتنا التى تؤهلنا لكى نكون أسمى مخلوقات على وجه الأرض .

ويرتبط بهذا الاتجاه النظرة السليمة إزاء إفرازات الجسد . فان البعض ، متأثر بشريعة النجاسة فى العهد القديم ، يتصور أن المرأة فى أوقات الحيض تكون نجسة ، وأنها أثناء الولادة لا تكون طاهرة . والحقيقية أننا لا نكاد نجد أفضل مما كتبه القديس أثناسيوس الرسولى

إلى أمون الراهب عن اتجاهات المسيحى إزاء الإفرازات الطبيعية فى جسم الإنسان اذ يتساءل القديس " ما هى الخطية ؟ وما هى النجاسة التى توجد فى أى إفراز طبيعى ؟

كمـــا لو كان فكر الإنسان مهتما بأن يجعل إفرازات الأنف وبصاق الفم موضوع ذنب وإدانة !! يلزم أن نصف إفرازات البطن كضرورة طبيعية لحياة الكائن الحى!! .

وفوق ذلك ان كنا نؤمن ، كما تقول الكتب الإلهية ، أن الإنسان هو من عمل يدى الله ، فكيف يمكن أن ينتج عمل دنس من قوة نقية ؟!

وإذا كنا نحن ذرية الله حسبما جاء فى أعمال الرسل الإلهية فليس فى أنفسنا شىء نجس اذاً بحسب خلقتنا .

ولكن حينما نرتكب الخطية فعندئذ فقط نعرض أنفسنا للدنس ، وعندما يحدث أى إفراز جسدى بدون تدخل الإرادة فإننا نعرف هذا ، كما فى أشياء أخرى ، أنه بضرورة الطبيعة ولن يقدمنا أن إفراز طبيعى للعقاب والدينونة .

ويســتطرد أثناســيوس الرســولى فــى الدفاع عن طهارة إفرازات الجسد أمام جماعة الأشـــرار المبتدعين الذين انتشروا آنذاك قائلين أن إفرازات أعضاء معينة فى الجسم وخاصة للمرأة تسبب للإنسان نجاسة . وقد خصص لهذا الموضوع رسالة خاصة .

لذلـــك يجـــب ألا نـــنظر إلى المرأة الوالدة والحائض أنها نجسة ولا نظن أن منعها من التـــناول من الأسرار فترة معينة إلا نوعا من المحافظة على صحتها واراحة لضميرها عندما تكون فى فترة معينة غير قادرة على الوقوف ساعات طويلة للعبادة .

فبدلا من أن تجعل الكنيسة راحتها نصيحة جعلتها أمرا واجب الخضوع .

والـــرب يسوع نفسه أكد لنا أنه ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان ، ولكن ما يخرج من القلـــب وحـــده هـــو الـــذى ينجس ، ومن ثم صارت نظرة المؤمنين الحقيقيين إلى أجسادهم وإفرازاتها وأنشطتها نظرة طاهرة وقورة .

وطالما قد أصبح المسيح حاضرا فى القلب مقدسا الهيكل كله فلن يبقى فيه شىء نجس . هوذا الكل قد صار جديدا .

[redacted]

يناشـــد الرســـول أهـــل رومـــية قائلا : " فأطلب اليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية . ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عـــن شـــكلكم بـــتجديد أذهـــانكم لتختـــبروا مـــا هـــى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة " (رو ١٢ : ١ ــ ٢) .

وفى نفس الرسالة يوضح الرسول مسئولية المؤمن إزاء كرامة جسده فيقول "قد تناهى الليل وتقارب النهار فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور ، لنسلك بلياقة كما من النهار لا بالـــبطر والســـكر بالمضاجع والعهر لا بالخصام والحسد بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيرا للجسد لأجل الشهوات " (رو ١٣ : ١٢ ــ ١٤) .

وفى موضع آخر من نفس الرسالة يقول : " إذا لا تملكن الخطية فى جسدكم المائت لكى تطيعوها فى شهواتها ، ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله ... لأنه كما قدمتم أعضاءكم عبيدا للنجاسة والإثم للإثم هكذا الآن قدموا أعضاءكم عبيدا للبر للقداسة " (رو ٦ : ١٢ ــ ١٩) .

ويمكنـــنا من خلال هذه المقتطفات الثلاث من أقوال الرسول بولس ومن خلال ما سبق ذكره عن كرامة الجسد عند المسيحى المؤمن ، أن نحدد مسئوليته إزاء هذا الهيكل المكرم فيما يلى :

[redacted]

" قدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله " .. فالجسد لم يعط للتلذذ وممارسة الأعمـــال المتسمة بالأنانية ، ولكنه وهب لكى يبذل وينفق لأجل الآخرين . ان الذى يمتنع عن اســـتخدام جسده فى أعمال تمجد الله كمثل ذلك الذى أخذ الوزنة وطمرها فى الرمال وعندما جاء صاحبها لم يقدم مع الوزنة أرباحا .

يقـــول أحد القديسين فى مجال بذل الذات " يا يسوع انى أقرّب نفسى معك ذبيحة ، أنى اضحى بنفسى تضحية تامة كاملة بدون أن أستبقى لذاتى أدنى شيء . هأنذا ملقى على المذبح فاذبح يارب . اذبح . تمم الذبيحة . لاش وأفن كل ما تجده فى من الإنسان الفاسد . افن جميع

هـذه الشـهوات الأرضية والعواطف الجسدية والرغائب البشرية وهذه الحواس التى ترهقنى وهـذا الجسـد جسد الخطية . اعطنى أن أصلب للعالم والعالم يصلب لى كى أقول قد تم كل شىء " .

ويلزمـنا أن نوضـح أن الـبذل هنا لا يعنى إهلاك الهيكل وإفساده وتدميره كأن يعمل المسيحى حتى تنهار صحته وتخور قواه فمن صميم مسئولية البذل العناية الضرورية والتدبير الحسـن لجمـيع قوى الجسد حتى يستطيع الإنسان من خلال جسمه السوى الصحيح ان يقدم أعمال بذل وخدمات محبة . وإنما المقصود بالبذل هو إظهار حياة الله فينا لأننا رائحة المسيح الذكية (٢كو ٢ : ١٥) فالمسيح يود أن يجعلنا من خلال بذل ذواتنا صورة مقدسة له لكى كل من يـنظر إلينا يشاهد فينا رسما صالحا لذلك الذى خلقنا وفدانا ولكى كلما أشتم أحد رائحتنا يتنسم رائحـة الطهارة وعبير القداسة التى له " انتم رسالتنا مكتوبة فى قلوبنا معروفة ومقروءه من جميع الناس ظاهرين انكم رسالة المسيح مخدومة منا .." (٢ كو ٣ : ٢ ، ٣) .

ومجـالات الـبذل أمـام الإنسان واسعة للغاية ، فهو يستطيع أن يقدم من خلال أعمال جسده . رحمة ومودة وخدمات وتضحيات ولطفا ورقة وعذوبة وأعمالا مباركة تمجد اسم الله العظيم القدوس .

وميادين بـذل الجسد لا تقف عند حد القريب والأب والأم والأخ والزوجة وغيرهم ولكن بذل الجسد يلزم أن يمتد إلى خدمة الآخرين والبعيدين . ان علامة وجود الحب المسيحى فـى الهيكل الإنسانى أن الشخص يكون تواقا لأداء أعمال المحبة دون تعصب أو تحيز ما . وإن كـان لابد له أن ينعطف أكثر ويتحيز أكثر ويتعصب أكثر فانه ينحاز ويتعصب للمسكين والفقير والضعيف والمعوز والمحتاج والمرفوض .

إن المحـبة يجـب أن تحتمل لأجل المحبوب ، ولا معنى للمحبة التى لا تعرف العمل والتضـحية ، فحمـاة سـمعان لمـا أبـرأها المسيح من الحمى قامت للوقت وأخذت تخدمه (لو٤ : ٣٩) ، ومرثا كانت تخدمه بجد وغيرة ، ونساء كثيرات كن يخدمنه بأموالهن وعواطفهن (لو ٨ : ٣) وهكذا يجب على كل نفس متعلقة بحبه أن تخدمه خدمة صادقة بالروح والجسد .

ولا يظن أحد أن أعمال البذل هى الخدمات الروحية المعروفة فقط وإنما يلزم أن نوضح أن الأعمـــال الإنســـانية والخدمات الوطنية والمهام الوظيفية اليومية إذا قدمت بروح مسيحية فإنها كثيرا ما تكون شهادة مباركة أمام الذين هم من خارج .

ونستطيع أن نرى فى البذل الإنسانى فى المجالات العلمية والطبية والمخترعات الحديثة وتطويـــر وسائل التكنولوجيا ان قدم بروح مسيحية باذلة أنه يحقق وينفذ الأمر الالهى المعطى للإنسان أن يسيطر على الخليقة المادية كلها ويكون لها تاجا وكاهنا ومسئولا .

العالم المسيحى الذى يجهد عقله ويضنى صحته لاكتشاف وسائل علاج صحية أو توفير وسائل الراحة والشفاء للإنسان ، ليضع على مذبح التضحية قربانا مقبولا طالما هو يهدف إلى مجد الله وخدمة اسمه العظيم القدوس من خلال إراحة البشرية المعذبة .

والأخـــت الزوجة التى لم تنجب أولادا وتشترك مع زوجها فى احتضان ابناء ملجأ من الملاجـــئ أو الإشـــراف علـــى أعمـــال وطنية وخدمات إسعاف وتمريض وعلاج للجرحى والمرضى . مثل هذه الأخت مع زوجها يقدمان للرب بخورا طاهرا مقبولا طالما يهدفان إلى مجد الله من خلال هذه الأعمال الإنسانية المجيدة .

والشاب المسيحى التقى العفيف الذى يحتفظ بأكسير شبابه ويمتنع عن الشهوات الشبابية ويبذل صحته وطاقته فى العبادة والتسبيح ثم يتكرس لهذا العمل الملائكى فيتفرغ لخدمة الملك العظـــيم وحده . هذا يبذل جسده على مستوى مريم ، كما يبذل السابقون فى الذكر ، أجسادهم علـــى مستوى مرثا . وكلا النوعين له مجالاته وخدماته المقبولة أمام الله ، وإن كان الرب قد فضل خدمة مريم عن مرثا ، لأن الأولى اختارت النصيب الأصلح .

[illegible]

ولا يستطيع الإنسان أن يؤدى الشهادة المطلوبة والمسئولية الموضوعة من ناحية بذل الجســـد إلا إذا لبس الرب يسوع ، لأن أعمال الذات ميتة وخدماتها وأنشطتها غير مقبولة أمام الآب السماوى . وكل بذل يعمل إن لم يكن الرب يسوع بدايته ونهايته ، وما بين الألف والياء فيه ، يكون نشاطا اجتماعيا مجردا غير محسوب لصالح الإنسان فى الحياة الأبدية .

من أجل هذا يعلمنا الرسول بولس أن نلبس الرب يسوع ونتشح بالنعمة كل حين حتى لا تظهر نتانة الذات الكفيلة أن تحول كل تقدمة إلى عمل لمجدها وانتفاختها وليس لمجد الله وحده.

ونحن حين نتشح بالمسيح من خلال الصلاة والإنجيل وممارسة وسائط النعمة نستطيع أن نعطى للجسد كرامته الحقيقية لأن كل ما فى الجسد يتروحن ويتقدس ويتطهر . وأما العتيق الفاسد فانه يُصلب ويُخضعه المسيحى إذ ذاك لإرادة الروح ومشيئة النعمة وتوجيه الله وحده .

وهذا العمل هو الذى يعطى للجسد حياة العفاف المسيحى لأنه مستحيل للإنسان مهما بلغ من قوة الإرادة الصلبة أن يواجه دوافعه الأولية وميوله الجسدانية ويصمد أمامها وحده ، وإنما الحب الالهى وحده هو الذى يقدس الجسد ، ويهوّن المعاناة ، ويعطى الصبر ، ويمنح الفرح والسلام .

إن مخلصنا الصالح لما أراد أن يأكل الفصح أعدوا له علية مفروشة مزينة ، ولما دخل أورشليم فرشوا له أغصان الزيتون والثياب . والرسول يصف المؤمن بأنه عروس المسيح " لأنى خطبتكم لرجل واحد لأقدم عذراء عفيفة للمسيح " (٢كو١١ : ٢) والعروس يلزمها أن تتشح بثوب العرس حتى تتأهل لاستقبال العريس والسكنى معه فى دياره المقدسة .

يقول أحد الآباء فى صدد أهمية الاستعداد المستمر لسكنى المسيح فى داخل الهيكل "هوذا نوح الرجل البار قد كدّ مدة مائة سنة فى بناء سفينة ليخلص بها نفر قليل وأنا كيف يمكننى أن أستعد فى ساعة واحدة لكى أقبل باحترام صانع العالم . إن موسى عبدك العظيم وخليلك الخاص قد صنع تابوتاً من خشب لا يعتريه فساد وغشاه بالذهب الخالص ليضع فيه لوحى الشريعة ، وأنا الخليقة الفاسدة أجسر غير مبال على أن أتناولك أنتم واضع الشريعة وواهب الحياة !! ان سليمان الأحكم من جميع ملوك إسرائيل قد بنى فى سبع سنين هيكلا بديعا لاجل مديح اسمك وأقام عيدا لتدشينه ثمانية أيام وقرّب ألف ذبيحة سلامه ونصب باحتفال عظيم تابوت العهد فى المكان المعد له فيما بين أصوات البوق والتهليل وأنا الشقى الأفقر من

جميع الناس كيف أدخلك بيتى وأنا لا أكاد أصرف نصف ساعة فى عبادة ؟! وكيف أتشح بك وألبس ثوب برك وأنا لا أعطيك اهتمام القلب وإخلاص النية ؟! .

[illegible]

ويرتـــبط بالمســـئولية الثانـــية هذه المسئولية أيضا ، فمن الطبيعى أن الذى يتوشح بالله ويتسربل بثوب النعمة أن يكون حريصا على عدم تقديم أعضاءه آلات إثم للخطية ، وأن يكون حريصـــا أيضـــا على أن يخلع أعمال الظلمة ويلبس أسلحة النور ، وأن يسلك بلياقة كما فى النهار ويرفض أعمال الظلمة من بطر وسكر ومضاجع وعهر وخصام وحسد .

والمسيحى الذى أدرك قيمة كرامة جسده يحرص دائما على أن يتجدد ذهنه دائما ليختبر إرادة الله الصـــالحة المرضـــية الكاملـــة . وتجديد الذهن عنده يكون دائما بالتوبة والاعتراف الصـــادق ، وبمراجعة النفس ومحاسبتها بأمانة ، وبالخلوة فترات متقاربة لاكتشاف ما إذا كان قد تسرب إلى الداخل شيئا من أعمال الظلمة .

وكلمـــا تجـــدد الذهن كلما استنار وزادت حساسيته وإشراقه ، وكلما استطاع أن يعرف مقاصـــد الله وإرادتـــه الصالحة فى كل عمل يتقدم اليه الإنسان . وهو يحرص أيضا على أن تكـــون طـــرقه لإرضاء إرادة الله الصالحة طرقا مرضية ، فهو لا يتفق مع مكيافللى فى أن الوسيلة تبرر الغاية ، وإنما تكون طرقه كأهدافه تماما ذات الطابع الروحى المسيحى الحقيقيى، وهـــو يحرص أيضا على أن تنفذ إرادة الله الصالحة المرضية على مستوى كامل ولن يكون العمـــل كـــاملا إلا إذا كان روح الله القدوس هو العامل فينا لأنه به وحده نستطيع أن نرضى الكامل الحقيقيى .

لأجـــل هذا ينادينا صوت الرسول فى هذه الأيام هل نحن نشابه أهل العالم فى أهدافهم وطرائقهم أم أننا قد صرنا خليقة جديدة بالحقيقة فى الداخل والخارج أيضا ؟! .

ولابـــد مـــن الإشارة الى أن كثيرا من المسيحيين فى هذه الأيام يهينون أجسادهم عندما يعرضـــونها للابـــتذال ، وعندما يلبسون الملابس غير المحتشمة ، وعندما يظهرون بمظاهر مخجلة لا تتفق وكرامة هيكل يسكنه روح الله القدوس .

وكمـــا دخـــل المسيح له المجد الهيكل وطرد الباعة والصيارف الذين استهانوا بكرامته كذلك هو يظهر غضبه على كل من يهين جسده ويجعله عرضه للنجاسة وأعمال الشيطان لأنه مكتوب " أية موافقة لهيكل الله مع الأوثان" (٢ كو ٦ : ١٦) .

الموضوع الثانى

صلب الجسد

- ❖ أهمية صلب الجسد
- ❖ دور النعمة الإلهية فى الجهاد ضد الجسد
- ❖ مجالات صلب الجسد فى حياة المؤمن
  - + الأوجاع الجسدية الحسية
  - + الأوجاع النفسية والعاطفية
  - + الأوجاع الفكرية والمعرفية
  - + أوجاع الارادة والذات

[redacted]

سبق أن أوضحنا أن الجسد هنا يعنى الإنسان العتيق ، الانسان الفاسد بحسب شرور وشهوات وغرور هذا العالم، وفى هذا المعنى تقترب كلمة الجسد من كلمة الذات فيكون صلب الجسد قريبا فى المعنى من كلمة صلب الذات .

فما هى أهمية صلب الجسد ؟ وما دور النعمة الإلهية فى هذا الجهاد ؟ وما هى المجالات التى يجاهد فيها المؤمن لصلب الانسان العتيق ؟

[redacted]

يصور الرسول بولس طبيعة البشر الجسدية فى رسالته إلى رومية بقوله : "مملوئين من كل إثم وزنا وشر وطمع وخبث مشحونين حسدا وقتلا وخصاما ومكرا وسوءا . نمامين مفترين مبغضين لله ثالبين متعظمين مدعين مبتدعين شرورا غير طائعين لوالديهم بلا فهم ولا عهد ولا حنو ولا رضى ولا رحمة .." (رو ١ : ٢٩ ـ ٣١) .

فالجميع بدون المسيح تحت سلطان الخطية ، كما هو مكتوب أنه ليس بار ولا واحد "الجميع زاغوا وفسدوا معا . ليس من يعمل صلاحا ليس ولا واحد " (رو ٣ : ١٢) .

وذلك أمر طبيعى لأن الإنسان ورث الفساد مع السمات الجسمية والنفسية التى يرثها من الوالديـــن ، وفـــى هـــذا يعـــبر داود النبى بقوله " بالأثام حبل بى وبالخطايا اشتهتنى أمى" (مزمور ٥١) .

ويوضـــح هـــذا الاتجاه الرسول بولس فى قوله " كأنما بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم وبالخطية الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس اذ أخطأ الجميع " (رو ٥ : ١٢).

وقـــد أوضح الرسول بولس عمل الإنسان العتيق فى الإنسان وشرح ثنائية الإرادة التى تملـــك كل شخص لم يتبرر ويتقدس بالمسيح وفى المسيح ، شرح هذه الثنائية فى قوله "لأنى لســـت أعرف ما أنا أفعله إذ لست أفعل ما أريده بل ما أبغضه فإياه أفعل . فان كنت أفعل ما لست أريده فإنى أصادق الناموس أنه حسن . فالآن لست بعد أفعل ذلك أنا بل الخطية الساكنة فـــى ، فإنى أعلم انه ليس ساكن فىّ أى فى جسدى شىء صالح . لأن الإرادة حاضرة عندى وأمـــا أن أفعل الحسنى فلست أجد . لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده بل الشر الذى لست أريده فاياه أفعل ... ولكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى إلى نـــاموس الخطـــية الكائـــن فى أعضائي . ويحى أنا الإنسان الشقى من ينقذنى من جسد هذا الموت!! " (رو ٧ : ١٥ ــ ٢٥) .

ويعـــبر الرسول أيضا عن خطورة الجسد " الإنسان العتيق " فى حياة الإنسان بقوله فى الإصحاح الثامن من رومية :

- ❖ الذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله .
- ❖ إن عشتم حسب الجسد فستموتون .
- ❖ اهتمام الجسد هو عداوة لله .
- ❖ اهتمام الجسد هو مْوت .

وفى رسالة غلاطية يؤكد الرسول ما ذكر فى رومية بقولة : " وإنما أقول اسلكوا بالروح فـــلا تكملـــوا شـــهوة الجسد لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد وهذان يقاوم أحدهمـــا الآخـــر حتى تفعلون ما لا تريدون ... وأعمال الجسد ظاهرة التى هى زنى عهارة

نجاســة دعــارة عبادة الأوثان سحر عداوة خصام غيرة سخط تحزب شقاق بدعة حسد قتل سكر بطر وأمثال هذه التى أسبق فأقول لكم عنها كما سبقت فقلت أيضا ان الذين يفعلون مثل هذه لا يرثون ملكوت الله " (غلا ٥ : ١٦ ــ ٢١) .

فالجهــاد ضــد الجسد أمر لازم لكل مسيحى . والذى يميز المؤمنين الحقيقيين عن غير المؤمنين هو جهادهم ضد شهواتهم وأهوائهم وميولهم الرديئة . فالمؤمنون المسيحيون كأولاد للطاعــة لا يشاكلون شهواتهم السابقة فى جهالتهم بل نظير القدوس الذى دعاهم يعيشون فى القداسة فى كل سيرة "لأننا كنا نحن ايضاً قبلا أغبياء غير طائعين ضالين مستعبدين لشهوات ولذات مختلفة عائشين فى الخبث والحسد ممقوتين مبغضين بعضنا لبعض . ولكن حين ظهر لطــف مخلصنا الله وإحسانه لا بأعمال فى بر عملناها هل نحن بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس" (تيطس ٣ : ٣ــ ٥) .

شــكرا لله الــذى وهبــنا بالمعمودية الإنسان الجديد والذى أعطانا بالنعمة والتوبة غلبة الإنسان الفاسد الساكن فى أعضائنا الذى يريد أن يسببنا إلى الموت .

ويشــرح القديــس ثيوفان الناسك أهمية صلب الأهواء فى قوله "أنك إن انتصرت وأمت أهــواءك الدنسة وشهواتك ورغباتك الرديئة فان الله يسر بك كثيرا . إذ تعمل لأجله بصورة أكــثر جمــالا مما لو أدميت جسدك بالجلد وأتعبت نفسك بالأصوام أكثر من سواح البرية ، وحتى لو خلصت مئات من العبيد المسيحيين من كفرهم وأطلقتهم إلى الحرية فهذا لا يخلصك أنــت أن بقيت عبدا لأهوائك الرديئة وأى عمل مهما كان مجيدا ومهما كانت تضحيتك فيه لا يوصلك إلى هدفك المنشود إن تركت أوجاعك ولم تلتفت إليها تاركا لها حرية العمل فيك" .

ويؤكــد هذا القديس عينه ضرورة الجهاد ضد الأهواء الصغرى كما يجاهد الإنسان ضد الأوجاع الكبرى بقوله " إن السبب فى أن أناسا لا يصلون إلى ملء الكمال المسيحى هو عدم اهــتمامهم إشــفاقا على ذواتهم . فانهم بعد أن يتغلبوا على ميول الأوجاع الكبرى لا يعبأون بالصــغرى الــتى تبدو قليلة الأهمية ، ومن حيث أن هذه الميول الصغيرة هى رد فعل وليدة

هــذه الكبــيرة فبالتغاضـــى عنها لابد أن تنمو وتكبر وهكذا تستمر موجودة تعمل فى القلب بالرغم من أنها فى الواقع لا تظهر نفسها على نطاق واسع" .

وهكـــذا تصير مسئولية الإنسان المسيحى أن يجاهد ضد كل ما هو من العالم سواء كان شهوة الجسد أو شهوة العيون أو تعظم المعيشة .

والرسول بطرس يبين لنا أهمية صلب الجسد واحتمال الآلام وفائدة هذه الآلام فى إبطال الأوجـــاع الجســدية والشهوات الحسية بقوله " فإذ قد تألم المسيح لأجلنا بالجسد تسلحوا أنتم أيضـــا بهذه النية ، فإن من تألم فى الجسد كُف عن الخطية لكى لا يعيش أيضا الزمان الباقى فى الجسد لشهوات الناس بل لإرادة الله " (١بط ٤ : ١ ـ ٢) .

وكلما ارتقى المؤمن فى جهاده الروحى ضد شهوات الجسد كلما استنارت نفسه وروحه وفكــره وصـــارت لديه الشفافية والحساسية التى تجعله ينفر من كل شائبة أو هفوة أو عمل يغضب صلاح الله فيه .

لأجـل هــذا لا نعجــب إذا ســمعنا عن قديسين ظلوا سنين طويلة يبكون بدموع على خطايــاهم. ذلك لان نموهم الروحى أعطاهم الحساسية المرهفة التى تذر الدمع على فكر أو عمل نستهين به نحن فى جهادنا .

وكنيســتنا تعلم بأن الجهاد الروحى ضد الأهواء والشهوات عملية مستمرة حتى الموت تحقيقا لقول الرسول "تمموا خلاصكم بخوف ورعدة . من يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص" . لأجل هذا تنهض همة كل مؤمن أن يصحو ويسهر ويصلى لأنه لا يعرف الوقت ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الإنسان .

" فـــإن مصارعتنا ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين مع ولاة العالم على ظلمـــة هــذا الدهر مع أجناد الشر الروحية فى السماويات" (أف ٦ : ١٢) ، فعدونا إبليس كأسد زائــر يجــول ملتمســا مـــن يبتلعه منتظرا من يتكاسل ويتهاون فى الجهاد ويلقى بالأسلحة الروحية حتى يهاجمه ويبدد تعبه ويجرح عفته محاولا إدخال روح اليأس أو الملل والضجر أو أى تجربة تسقطه وتنهى جهاده .

على أنه ليس كل جهاد كفيل أن يوصل الإنسان إلى الجعالة فهناك جهاد قانونى . وهناك جهـــاد غـــير قـــانونى . والجهـــاد القـــانونى هو الجهاد الذى لا يعتمد على بر الذات أو بر الناموس ، ولكنه يعتمد كلية على بر المسيح .

فالجهـــاد الذى يعتمد على الذراع البشرى جهاد غير مقبول . والجهاد الذى يرتكن كلية على تصميم الإرادة البشرية وحدها جهاد مرفوض .

والجهـــاد الذى لا يهدف إلى تمليك نعمة الله وبره على حياة الإنسان كلها جهاد لا يدخل فى دائرة الخلاص المسيحى .

وفى هذا يقول القديس ثيوفان الناسك :

" ان عـــدم توقع أى صلاح من أنفسنا وعدم الاتكال على ذواتنا شئ تعمله النعمة فينا . إلا أنه علينا من جانبنا أن نبذل كل الجهد ونفعل كل ما بوسعنا كى نصل إلى هذا الاستعداد . تحقـــق أنـــك لا شـــئ وضع فى ذهنك دائما أنك لا تستطيع من نفسك أن تصنع أى صلاح يستحق ملكوت السموات وأن أساس كل فضيلة هو معرفة الإنسان ضعفه . أطلب معونة الله باستمرار بصلوات حارة مرتفعة لأن معرفة الإنسان ضعفه هى نعمة من الله . وعود نفسك أن تكون حذرا وخائفا من أعدائك العديدين ، وإذا سقطت فى تعد ما أرجع بسرعة إلى معرفة ضعفك وكن على حذر منه لأن الله لا يسمح بسقوطك كى يجعلك أكثر حرصا ضد ضعفك" .

والرب يسوع بنفسه قال لنا "بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئا" .. والرسول بولس عندما أحس بضعفه عزاه الرب بقوله " تكفيك نعمتى لأن قوتى فى الضعف تكمل " .

وهكـــذا يلزم أن تكون محاربتنا الروحية مستمرة وبلا توقف ومدعمة باليقظة وشجاعة النفس ، وهذه يمكن الوصول اليها بسهولة إن طلبها الانسان من نعمة الله .

والمسيح هو الألف والياء ، البداية والنهاية فى حياة الانسان المؤمن .

- ❖ فهو يبدأ جهاده بالمسيح .
- ❖ وهو يستمر فى جهاده مع المسيح .
- ❖ وهو ينتهى فى جهاده إلى المسيح .

وفـــى البداية يلزم أن تكون التوبة صادقة والنية خالصة والعزم أكيد على رفض العالم وشهواته وابتغاء وجه الله وحده .

وفى المسير يلزم الحرص والسهر على طلب المعونة الإلهية كل حين قائلا "اللهم التفت إلى معونتى يارب أسرع وأعنى" .

وفى الهدف النهائى يلزم أن يكون المسيح وحده هو الجعالة العظمى لجهاد كل مؤمن .

[redacted]

نستطيع أن نقسم هذه المجالات إلى :

- ❖ الأوجاع الجسدية الحسية .
- ❖ الأوجاع النفسية والعاطفية .
- ❖ الأوجاع الفكرية والمعرفية .
- ❖ أوجاع الإرادة والذات .

وبالـــرغم مـــن أن هذه كلها متداخلة بعضها بعضا إلا أن كل مجال له حروبه الخاصة وأسلحته الخاصة أيضا .

[redacted]

هـــذه الأوجـــاع هـــى أقدم وأعمق أوجاع الإنسان .. ويلزمنا بادىء ذى بدء أن نعرف المقصـــود بالشهوة هنا أنها الانحراف عن المجرى الطبيعى المخصص لكل دافع من الدوافع البيولوجية فعلى سبيل المثال نجد أن الله وضع فى الإنسان شهية للأكل وبدونها يموت الجسد ولكـــن هذه الشهية إذا صارت غاية فى حد ذاتها ولم تعد وسيلة لقوت الجسد وقيامة بالمهام المطلوبة منه أضحت شهوة رديئة .

وإننا نقرأ فى الإصحاح التاسع عشر من سفر التكوين عن الانحرافات الجنسية والشذوذ المريع الذى وصلت إليه الشهوات الحسية (تك ١٩ : ٤) .

ونقرأ عن شهوة البطن وكيف أن أكلة عدس تكون مفضلة عند واحد على البكورية التى احتقرها .

ونقرأ عن المرأة التى رفعت عينها إلى شاب عفيف وألحت عليه أن يضطجع معها ولما فشلت فى هذا سجنته .

وسفر الخروج يحدثنا عن الشعب الذى جلس للأكل والشرب ثم قاموا للعب (حز ٣٢ : ٦) وفى يوم واحد سقط من شعب الله أربع وعشرين ألفا فى الوبأ بسبب خطية الزنا (عدد ٢٥ : ٩).

ومـا حدث لهذا الشعب من انحدار فى هاوية الزنا وبالوعة شهوة الأطعمة (عدد ١١ : ٥) إنما هذه كلها دلالات على خطورة الأوجاع الحسية عند الإنسان الطبيعى . لأجل هذا ينصحنا الرسـول بطـرس بقولـه "أيها الأحباء أطلب إليكم كغرباء ونزلاء أن تمتنعوا عن الشهوات الجسدية التى تحارب النفس " (١بط ٢ : ١١) .

ويقـول القديـس فليكسـينوس أن ألم شره البطن اردأ جميع الشرور لأنه يحط بالبشر فيسـاويهم بالحيوان لأنه يبعد عنهم المعرفة والتعقل اللتان تليقان بالناطقين . ان ثقل المآكل يؤدى إلى ظلامة الضمير ولذلك فهو باب جميع الشرور ومبطل الفضيلة ومعوق البر كله . ومـن الشره تتفرع كل الآلام الشهوانية ويظلم الضمير من الهذيذ وذكر الله ويقتم الذهن من تذكـار المسيح ان ثقل الأطعمة تقهر الأعضاء بالشهوات . وشهوة البطن ضد شهوة الروح فلا يمكن حضور الواحدة مع الأخرى . شهوة الروح هى مدخل جميع الفضائل وشهوة الجسد هى مدخل لجميع الشرور .

ان حـواء حينما أكلت من ثمرة الشجرة لم تأت بالموت نتيجة للثمرة ذاتها ولكن شهوة الثمرة هى التى ولدت الموت ، فأصل الموت هو الشهوة .

وإذا كانـت الخطية الأولى قد مورست من خلال الأكل ، فان الرب يسوع له المجد جاء ليسقط سطوة هذه الشهوة عندما جاع فى البرية وانتصر فى تجربة الخبز ، وإذا كان الفم قد صـار مـنفذا للمعصية والسقوط فان الرب استخدمه كوسيلة للخلاص والحياة الأبدية عندما صـنع العشـاء السرى ليلة آلامه العظيمة وأخذ خبزا وبارك وكسر وأعطى التلاميذ قائلا : "خذوا كلوا هذا هو جسدى" (مت ٢٦ : ٢٦) . وصارت شهوة الأكل التى تسقط الإنسان فى نهم البطـن ونهم الحنجرة ، وفى الزنا وفى أوجاع كثيرة صارت فى المسيح يسوع شهوة سامية

عـندما رفعهـا الـرب يسوع عن المستوى الحسى فلم تعد شهوة تناول أطعمه تمضى إلى الجوف ومن الجوف إلى المخرج وإنما شهوة تناول خبز الحياة . الخبز الحى الذى نزل من السماء ، الذى كل من يأكل منه يحيا إلى الأبد . وهذا هو الوعد من الرب أن من يأكل جسده ويشرب دمه له حياة أبدية وهو يقيمه فى اليوم الأخير (يو ٦ : ٥٤) .

وهكـذا من خلال تقديس أنسجة الجسد ودمويته وتطعيمه وتدعيمه فى الشركة مع جسد ابن الله ودمه تتلاشى أوجاع الجسد الخطيرة كالزنا ونهم البطن .

وكلمـا امتلأ القلب من محبة الله كلما كانت الأطعمة كلها أمامه طاهرة وصار حرا من شـهوة النهم وشهوة الحنجرة واستطاع أن يأكل لا بشهوة العبيد بل كأبن حر يعيش فى بيت أبيه.

وفـى هـذا يقول القديس فيلكسينوس " وأعلم ان شهوة الجسد لا يمكن أن تتيقظ فيك ما دامت شهوة الروح مضطرمة فيك .

إنمـا تظـل منـتظرة إطفاء شهوة الروح حتى اذا نظرت إهمالا قليلا ورأت أنه ليس للإنسان ذوق الحس الالهى فأنها تستيقظ سريعا " .

ففـى الـتحرر مـن خطية الزنا يقول الرسول بولس " ألستم تعلمون أن أجسادكم هى أعضاء المسبح أفأخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية!! " (١كو ٦: ١٥) .

وفـى التحرر من العبودية للطعام يقول " الذى يأكل فللرب يأكل .. الذى ومن لا يأكل فللرب لا يأكل. لا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب " (رو ١٤ : ١٦ ، كو ٢ : ١٦) .

فالـنعمة تعطى للمؤمن سمواً ورفعة وقوة تغلب الشراهة وألم الزنا وأوجاع الحواس . إنها تهب عفة للحواس وضبطا داخليا وتدبيرا حسنا لاستعمال ما فى الجسد من أجهزة .

ولكـن ليس معنى هذا أن المؤمن يتراخى ويهمل جهاده ضد الأهواء الحسيه . فالقديس ثـيوفان الناسك يقول : مهما اقتنعت أنك الآن متحرر من هجمات الجسد ، ومهما تأكدت هذا فى نفسك فاحرص كل الحرص ان تحفظ عقلك وانتباهك بعيدا عن الأمور والأشخاص الذين كانوا سبب فى إثارة التجربة .

ويـنقل إلينا كلام الحكيم ابن سيراخ " لا تصدق عدوك " (س ١٢ : ١٠) لا تثق فى جسدك لأنه كما أن الحديد يصدأ من ذاته هكذا طبيعة الجسد الفاسدة تنتج إثارات شريرة للشهوة لأنه كمـا أن الحديـد يصـدأ هكذا يكون خبث الجسد (س ١٢ : ١٠٩) وأعلم أنه بمقدار ما يتظاهر الجسـد بأنـه صديقك ولا يعطى أى علامة تشكك بقدر عظم الضرر الذى يعكسه فيما بعد وغالبا ما يضرب ضربته القاضية .

اهرب من النار لأنك بارود ولا تجرؤ أن تفكر فى خيالك بأنك بارود رطب مبتل بمياه الإرادة الصالحة الحازمة . لا . أفضل لك أن تفكر أنك جاف كالجفاف وسوف تشتعل بالنار بمجرد ملامستك للهب . لا تعتمد على ثبات عزمك واستعدادك للموت .

ويقدم لنا النصائح القيمة فى مقاومة الإرادة الحسية البهيميه .

١ ـــ لا تسمح لإرادتك الخاصة أن تميل إلى الحسيات قيد أنمله .

٢ ـــ اسرع بأن تضرم فيه اشمئزازا من كل القلب لهذه الضغطات .

٣ ـــ لا تنسى أن تستغيث بربنا يسوع المسيح معيننا فى جهادنا سائلا مساعدته وحمايته .

٤ ـــ اعمل عملا ايجابيا مضادا للإرادة الحسيه (٢١) .

ويُحكـى عـن القديس يوحنا ذهبى الفم بطريرك القسطنطينية أنه طيلة مدة إقامته فى البطريركـية كان غذاؤه ماء الشعير والدشيشه يوميا ، كما كان يأخذ طعامه بوزن ومقدار . وهذا ما جعله أن ينسى الشهوة .

وينصـحنا القديس أنبا يوحنا القصير بقوله " إذا أراد ملك أن يأخذ مدينة ملك آخر فانه يحاصره أولا حتى لا يجد سبيلا لجلب الطعام أو الشراب وبذلك يذل ويخضع راغما . وهكذا أهـواء الجسـد إذا ضـيق علـيها إنسان بالجوع والعطش فإنها تذل وتتغلب عليها الميول الصالحة".

والحكـيم ينصـحنا بقوله " مثل الشره فى الطعام كمثل النار التى لا تشبع مهما زودتها وقـودا . كثيرون هلكوا من الشره أما القنوع فيزداد حياة (س ٣٧ : ٣٢) ويقول معلمنا بولس " إن أكلنا لا نزيد وان لم نأكل لا ننقص " (١ كو ٨ : ٨) .

بهـذا الحـرص عـاش آباؤنا القديسون ولم يتهاونوا فى الوقوف ضد الأهواء الحسية واسـتخدموا فضـيلة الصوم كمدخل رئيسى للجهاد ضد الأوجاع الحسية واستخدموا فضيلة الصـمت كضـرورة لمقاومة الثرثرة والمجد الباطل فى الكلام . واستخدموا العفة والطهارة وضبط الحواس لمقاومة أى انحراف فى الغريزة الجنسية .

علـى أن الجهاد ضد الأوجاع الحسيه لم ينحرف بآبائنا القديسين إلى التطرف وإضعاف الهـيكل الجسدى وإيقاعه تحت الأمراض ـ وهذا ما سنعالجه فى فصل تال ـ ولكن الآباء عـرفوا أن الجسد جسد ، وهو يخضع لنواميس هذا العالم وأنه بحاجة الى حياة جسدية وهذا طبيعى وليس خطيئة وأن العفة هى عفة الروح والقلب وحفظ نقاوة الداخل ، وأن الجسد يتبع الروح ويطيعها إن هى قادته ولم تتركه يستعبد للأهواء والنزوات والانحرافات . يكفى للجسد ألا نعطـيه عادات سيئة وهو يطيع فى صبر توجيهات الروح . وهنا نلمس المعنى الايجابى للنسك المسيحى .

وفى هذا المجال يطوب الرب يسوع فى موعظته على الجبل أولئك الذين غلبوا الأوجاع الحسية واقتنوا العفة ونقاوة القلب والشهية الروحية لحياة البر بقوله :

- طوبى للجياع والعطاش الى البر لأنهم يشبعون .
- طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله .

[redacted]

يقـول القديس فليكسينوس هناك آلام نفسانيه ، وهناك آلام جسدانية ، النفسانيه ناشئة من النفس ، والجسدانية نابتة من الجسد . والآلام الجسدانية تساعد بعضها البعض ، فشهوة البطن تسـاعد الـزنا ، ومحبة الفضة واقفة فى الوسط ، ففى بعض الأوقات تساعد شهوة الجسد ، وفـى وقـت آخـر تعاضد آلام النفس ، فهى تقود الى الرياء ومحبة الرئاسة والمجد الباطل والمديـح والحسد وما يشبه ذلك من الآلام النفسانية . وكما أن الصلاح يساعد الصلاح كذلك أيضا الشر يساعد الشر وينشئ فى كل حين اغراءات الشهوة التى تنجس أفكار النفس وتظلم إفرازها .

وهكذا يوضح لنا هذا القديس أن هناك أوجاعا نفسانيه تحتاج الى قتال وهذه هى : الرياء والنفاق ـ محبة الرئاسة والمجد الباطل والكبرياء ـ الحسد والحقد ـ الخبث والمذمة ـ الطمع ، الأنانية ، والطعن فى الآخرين او احتقارهم .

وهذه الأوجاع توضح أن النفس ان لم تحيا فى النقاوة والبساطة فإنها تتعرض لهذه الأمراض الكفيلة أن تنزع عنها طهارتها وشفافيتها .

ومنذ سقوط آدم والأوجاع النفسية تلازم الإنسان الطبيعى ، ففى العائلة الأولى بدأ الوجع الأول كثمرة للعصيان عندما كشف الرب عن العلاقات العاطفية والنفسية التى تنشأ بين الرجل والمرأة فى ظل العصيان.

فالرجل يحاربه التسلط والمرأة تحاربها الشهوة " إلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك " (تك ٣ : ١٦) .

وأثمرت الخطية قتلا ، فقد قام قايين على أخيه هابيل وقتله ، لأنه اغتاظ جدا اذ نظر الله الى قربان هابيل والى قربانه لم ينظر . (تك ٤ : ٥) .

ونفس هذا الحقد نجده فى قلوب إخوة يوسف أولاد يعقوب وهو بعينه الذى ملأ قلب مريم أخت موسى ، وشاول الملك مع داود ، وهامان إزاء مردخاى ، ولا يزال يملأ قلوب الكثيرين الذين لم تتطهر نفسياتهم بدم المسيح وحبه وعمل نعمه .

ومن أخطر الأوجاع النفسية : الرياء والخبث الذى حذرنا الرب يسوع منه عندما قال : " تحرزوا من خمير الفريسين والصدوقيين " (مت ١٦ : ١١) .

ووجع الرياء والنفاق من أخطر الأوجاع النفسية لأن النفس تختبئ متحصنة ضد الحق بأغلفة وأغطية دينية .

والذى يتأمل فى الإصحاح الثالث والعشرين من إنجيل معلمنا متى يدرك خطورة الرياء والنفاق والخبث الذى يستتر وراء الدين والمذبح والهيكل .

والرسول بولس يحكم على أهل كنيسة كورنثوس أنهم جسديون فى قوله " فانه اذ فيكم حسد وخصام وانشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر " (١ كو ٣ : ٣) .

فــلأن هذه الكنيسة دخلها روح الانقسام . البعض منها لبولس والبعض لأبلوس ، يتعذر عليها النمو الروحى ، ويظلون أطفالا يحتاجون إلى اللبن ويخاطبهم الرسول كجسديين وليس كروحيين .

والرســول بطرس يحذرنا من تلوث الإيمان بهذه الأوجاع والأهواء فى قوله " فاطرحوا كــل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة وكأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العديم الغش لكى تتموا به " (١بط ٢ : ١) .

ومــن أبرز الأوجاع النفسية الطموح الزائد والطمع والرغبة الشديدة فى الصيت الزائع والسمعة العظيمة والكرامة واحتلال المتكئات الأولى .

ان صــورة آخــاب الملــك وايزابــيل زوجته التى لم يقف طمعها عند حد بل امتد إلى الاستيلاء على بستان نابوت اليزرعيلى المسكين واغتالته حتى ترضى شهواتها النفسية الغير مشبعة لتقدم لنا نموذجا بشعا لطمع النفس البشرية.

ولقــد تعــرض الــرب يسوع إلى هذه التجربة عندما أراه الشيطان جميع ممالك العالم ومجدهــا وقــال له أعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لى حينئذ قال له يسوع اذهب يا شيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد " (مت ٤ : ٨ ـ ١٠) .

وإذا كانــت الكــبرياء والدونيه (صغر النفس) هما جماع الآلام التى تتعرض لها النفس البشرية .

فــان الاتضــاع والمحــبة وأعمال الرحمة هى الفضائل التى تحمى النفس فى مسيرها الروحى وجهادها المستمر .

وفــى هذا يطوب الرب يسوع فى الموعظة على الجبل أولئك الذين غلبوا أوجاع النفس بقوله :

- طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض .
- طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون .
- طوبى للرحماء لأنهم يرحمون .

[redacted]

منذ بداية العائلة الأولى وخطيئة التمرد الفكرى هى الجذر العميق للعصيان والابتعاد عن الله . والجمـوح الجسدى والانحراف النفسى انما هما صورة للجموح الفكرى . فلقد أراد آدم وأرادت حـواء أن يكون لهم الفكر المستقل عن الله وهذا هو الثالة وهذه هى الخطيئة فى حد ذاتها .

ولقـد بـدأ التعالى الفكرى عند أصحاب برج بابل يوم أن قالوا " هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء ونصنع لأنفسنا اسما لئلا نتبدد على وجه كل الأرض " (تك ١١ : ٤) .

ولقـد كـان هذا التشامخ والتعالى والتمرد الذهنى مدعاة أن ينزل الله من السماء ويبلبل أذهانهم ويفرقهم ألسنة ولغات متباينة .

ولقـد ظل الإنسان معتزا بفكره الشخصى المستقل حتى جاء الرب يسوع وأعطى مثالا لإخضـاع الفكر لمشيئة الله مع أن مشيئته ومشيئة الآب واحد . ووضع الصليب عثرة للذين يـريدون حكمـة أو آية . وطالب كل من يريد أن ياتى وراءه أن ينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعه (مت ١٦ : ٢٤) .

والرسـول بولـس الذى كان معتزا بعقليته وتراثه اليهودى الفريسى لما تقابل مع الرب يسوع وعاش فى المسيح يسوع ألقى بكل ما على رأسه من تيجان فكرية ، وحسب كل شيء نفايـة لأجـل معرفة الرب يسوع ، وفضل جهالة الله عن حكمة الناس وأما حكمة هذا العالم فهـى فـى نظره جهالة عند الله (اكو ٣ : ١٩) وجال يخدم لا بحكمة بشرية وانما بيسوع واياه مصـلوبا ولكنه كان له حكمة . حكمة ليست من هذا الدهر . الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا (اكو ٢ : ٦ ــ ٨) .

وعلى ذلك فانه ليس من وسيلة لغلبة الأوجاع الفكرية من جهة التعالى الفكرى والتشامخ والتمرد ومرض المعرفة الزائدة ومرض الجهالة ووجع الثرثرة وليس من وسيلة لغلبة العالم الذى هو التشتت الفكرى سوى اخضاع الفكر للمسيح : " أما نحن فلنا فكر المسيح ، هادمين ظـنونا وكـل علـو يـرتفع ضـد معـرفة الله ومستأسـرين كل فكر إلى طاعة المسيح " (اكو٢ : ١٦) ، (٢كو١٠ : ٥).

ويقول القديس ثيوفان الناسك "كما أنه من الضرورى حماية الفكر من الجهل هكذا أيضا من الضرورى حمايته بنفس المقدار من العكس ، أعنى المعرفة الزائدة عن الحاجة وحب الاستطلاع . لأننا ان حشونا الذهن بالمعلومات والآراء والأفكار التى لا تخرج عن كونها باطلة وغير مناسبة وضارة فنحن نشتت قوته حتى أنه لا يقدر أن يفهم فيما بعد ما هو مفيد لأجل تقويم الذات ولأجل الكمال".

اجمع عقلك دائما إلى داخل نفسك بكل تركيز ممكن واحفظه حرا من التفكر فى الأمور العالمية . استمع إلى ما يقوله القديس باسيليوس " ليكن الاستماع إلى الأخبار العالمية كطعام الحنظل بالنسبة لك ، ولتكن كلمات القديسين كالاقراص الممتلئة شهدا " . أيضا لكلمات داود " تكلم معى مخالفو الناموس بكلام هذيان ولكن ليس كناموسك يارب " (مز ١١٨ : ٨٥) .

أمل بسمعك فقط إلى الأمور السمائية الروحانية وادرس فيها ولا تشتهى أن تعرف شيئا فى عالمنا سوى يسوع المسيح وإياه مصلوبا (اكو ٢ : ٢) .

لذلك لا تتوانى فى استئصال داء كبرياء الذهن الوبيل ، قبل أن ينفذ إلى نخاع عظامك . قاومه وبسرعة الجم عقلك ، واخضع رأيك لأراء الآخرين باتضاع ، وكن جاهلا من أجل الله كى تكون حكيما أكثر من سليمان " إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلا لكى يصير حكيما " (اكو ٣ : ١٨) .

[redacted]

تتجمع أوجاع الحواس وأوجاع الانفعالات والعواطف وأوجاع الأفكار فى أوجاع الاراده والمشيئة التى نعبر عنها بالذات المنفصلة عن الله .

ومنذ القديم ورغبة الإنسان الشريرة تتركز فى استقلال الإرادة والمشيئة . وليس من شىء تقاومه طبيعتنا القديمة مثلما مقاومة طاعتنا لإرادة الله . فهى تبذل كل ما بوسعها لتخالف وتتجنب طاعة الإيمان .

وفى مسيرة شعب الله فى البرية نجد أن جميع الذين عبروا البحر بمعجزة ، وأكلوا المن بمعجزة ، وشربوا من الصخرة بمعجزة ، لم يدخلوا أرض الموعد فيما عدا يشوع وكالب

لأنهم تمردوا على الرب . لأجل هذا ألقى الرب بجثثهم فى القفر (عدد ١٤ : ٩ ـ ٢٩) وعندما قدم شاول الذبيحة غير خاضع لمشيئة الله وهى لا تقدم إلا على يد الكاهن والنبى . علمه صموئيل النبى بقوله "هوذا الاستماع عند الله أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش . لأن التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم . لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك" (١صم ١٥ : ٢٢) وأما الذين أخضعوا مشيئتهم لمشيئة الله فهؤلاء هم أبناء الله نذكر نوحا الذى كرر الكتاب عنه القول " وفعل نوح حسب كل ما أمره به الله " (تك ٦ : ٢٢ و ٧ : ٥) ونذكر إبراهيم الذى قال عنه الكتاب ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض " من أجل انك سمعت لقولى أباركك " (تك ٢٢ : ١٨) .

وقد تعرض الرب يسوع لتجربة تمرد المشيئة عندما قال له الشيطان إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل لأنه مكتوب أنه يوصى ملائكته بك : فعلى أياديهم يحملونك لكى لا تصدم بحجر رجلك . قال له يسوع " مكتوب أيضا لا تجرب الرب الهك " (مت ٤ : ٦ ، ٧) .

وهكذا رفض الرب يسوع من الشيطان العرض الذى يجعله يصنع شيئا أو عملا لم يأخذه من الاب السماوى . وقد أخضع الرب يسوع مشيئته بالتمام لمشيئة الآب ليعلمنا أنه يصير لنا دخول بسعة إلى ملكوت الله عندما تتحد مشيئتنا بمشيئة الرب يسوع .

وفى هذا يقول القديس ثيوفان الناسك "يلزم تدريب الإرادة ضد الأهواء الشخصية ، انه لا يكفى مجرد أن ترغب وتطلب أن ترضى الله دائما ، وفى كل شىء ، بل ينبغى أن تكون رغباتك كما لو كانت متحركة من الله ذاته ، لأجل هدف واحد هو أن ترضيه بقلب نقى ! ولكى ندرب أنفسنا على السير دائما نحو هذا الهدف علينا أن نتحمل جهادا أعظم ضد طبيعتنا أكثر من أى شىء لأن طبيعتنا قد تعودت إرضاء نفسها لدرجة أنها تطلب راحتها ولذتها فى كل أعمالها حتى ولو كانت أعمالا روحانية وصالحة جدا ، وهى تتغذى عليها سرا لصالح شهواتها ، كما لو كانت طعاما تريد أن تقتات به والرسول يعلمنا أن نختبر مشيئة الله ليس من حيث صلاحها فقط بل أيضا من جهة ما إذا كانت مرضيه عنده وكاملة من جميع النواحى . فعلينا أن نضع فى قلوبنا بثبات أننا نمارس جميع الأعمال إرضاء لله فقط ، وهذا

ليس في البداية فقط بل علينا أن نراجع أنفسنا بين الحين والحين . لنحذر من نوايا إرادتنا لئلا تميل إلى النفع الذاتي .

وإذا كان طريق الخطيئة الأصلية والموت هو تمرد المشيئة وعصيان الإرادة وإذا كانت لا تزال الخطيئة طريق تمرد وعدم طاعة فيمكن القول باختصار أن طريق القداسة والحياة هي الطاعة . فالطاعة بالنتيجة هي العودة إلى طريق الله ، إلى نظام الله وحياته الذى كان رغبته اثبات أنفسنا فيما قد أخرجنا منه . لا يمكن أن نتصور حياة مسيحية حقه بدون الطاعة . وطريق الطاعة هو طريق التمجيد البنوى . تمجيد الابن للآب والآب للابن . من يطيع هو كالابن الوحيد للآب ولتصير علاقته بالآب كعلاقة الابن الوحيد .

وإذا كان الإنسان يريد ضمانا لخلاصه فليتبع هذه الآية " أنه صار للذين يطيعونه سبب خلاص أبدى " .

ولنذكر قول القديس باسيليوس الكبير : " درب جسدك على طاعة نفسك ودرب نفسك على طاعة الله " .

وأما القديس باخوميوس فينصحنا بقوله : " اسمع يا ولدى وكن أديبا واقبل التعليم . أحب الذى يؤدبك بخوف الله وكن مطيعا مثل اسحق الذى يسمع لأبيه ويطيعه كخروف ساذج القلب " .

وإذا كانت مجالات حروب الجسد هي الشهوة الحسية والطمع والتمرد ، فان الفضائل الثلاث التى يحرص المؤمن على اقتناءها للنصرة فى هذه الحروب هي العفة والفقر الاختياري والطاعة .

الموضوع الثالث

تدبير الجسد

- ❖ مفهوم النسك مسيحيا .
- ❖ تدبير الاكل .
- ❖ تدبير العمل والراحة .
- ❖ تدبير الملبس والزينة والنظافة والهندام .
- ❖ تدبير الكلام والمقابلات .
- ❖ تدبير الحواس وخاصة النظر .
- ❖ تدبير الدافع الجنسى قبل الزواج وبعده .

[redacted]

تطلب الكنيسة فى تحليل صلاة باكر قائلة " اجعلنا يا سيدنا أن نكون بنى النور وبنى النهار لكى نجوز هذا اليوم ببر وطهارة وتدبير حسن لنكمل بقية أيام حياتنا بلا عثرة " .

والتدبير الحسن له شقان : تدبير روحى ، وتدبير جسدى . ونعالج فى هذا الفصل التدبير الجسدى .

ونقصد به حسن العناية بالجسد من حيث الأكل والملبس والنوم والراحة والعمل والنظافة والهندام والتطلع للآخرين ومحادثة الناس ومقابلاتهم .

وهذا التدبير له أهمية كبيرة بالنسبة لحياة الإنسان عامة كما أن له أعمق الأثر على التدبير الروحى بصفة خاصة .

وقد علمنا الآباء أن طالب الرهبنة عندما يدخل حديثا إلى الدير يتسلم من مرشده الروحى وأب اعترافه التدبير الجسدى أولا وقبل التدبير الروحى . فيتعلم ويستلم كيف ومتى يأكل ، وكيف يلبس ، وكيف ينظف قلايته وجسده ، ودوره فى خدمة المجمع " أكل الرهبان " وكيف يحافظ على نظافته العامة وصحته وخلوه من الأمراض .

والملاحظ دائما أن الإنسان المسيحى ذا التدبير الجسدى الحسن إنما هو إنسان ذو تدبير روحـــى حسن أيضا . فالذى يعرف أن ينظم حياته المادية يستطيع أن ينظم صلواته وعبادته وتأملاتـــه ، والـــذى يقـــدر أن يتصـــرف حسنا فيما يتعلق بالأكل والنوم والصحة يمكنه أن يتصـــرف حســـنا فـــى التلذذ بكلمة الله والسهر الروحى . ولا عجب فى هذا فالإنسان وحدة مـــتكاملة ويؤثر كل عامل من عوامل الشخصية فى الجوانب الأخرى تأثيرا كبيرا وكثيرا ما يكـــون سوء التدبير الجسدى عند الإنسان معطلا خطيرا من معطلات الحياة الروحية . ذلك لأن ضعف الصحة وكثرة الإصابة بالأمراض وهزال الجسم وهبوطه وعدم النظام فى تناول وجبات الطعام وسوء الهضم والتغذية والنظافة أمور تؤثر تأثيرات عميقة على صحة الإنسان النفسية وعلى قدرته فى الوقوف للصلاة وضرب المطانيات وأداء كافة الواجبات الروحية .

وقد علمنا الرب أن الجسد يلزمه التدبير الحسن عندما خلقه وأبدعه بتدبير حسن جدا . فـــالذى يتأمل فى الدقة البالغة التى تحكم إفرازات الهرمونات فى جسم الإنسان ، وما يصيبه مـــن أمراض خطيرة إذا اختل هذا التوازن العجيب وهذا الضبط المدهش المحكم ، ليدرك أن ما يحدث فى داخل الإنسان يلزمه أيضا ما يشابهه فى خارجه من تدبير حسن أيضا .

والـــذى يتأمل فى تعاون الأعضاء من أداء وظائفها فى انسجام تام يدرك أيضا أهمية العلاقـــة بيـــن الأكل والملبس والنظافة والنوم والراحة والعمل والاجتهاد والصحة العامة فى حياة الإنسان على وجه العموم وفى حياته الروحية الباطنية بصفة خاصة .

[redacted]

لا يهـــدف النسك المسيحى " والمقصود بالنسك هنا الصوم والتعفف والتقشف والسجود والصمت والاعتكاف والصلوات الطويلة" لا يهدف إلى ملاشاة الجسم وإنما يهدف إلى إعطاء الـــروح (البـــنفما) مكانَ القيادة فى الشخصية حتى تصير أعمال الإنسان الجسدية ذات طابع روحانى .

وقـــد أورد لـــنا كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية الخطوط العامة التى يلزم التحرك فى إطارها عندما قال إننا لا ينبغى أن ننظر إلى وسائل التقشف أو أعمال النسك كهدف أو غاية نفـــرح ونســـر بتتميمها ، فتلهينا عن متابعة السير نحو الله للاتصال به بالحب الكامل . وأن

أنــواع النســك لا تخرج عن كونها وسائل نميت بها الإنسان العتيق ونصلب بها إرادتنا مع أهوائنا وشهواتنا التى تعمل فينا للخطية ، ونظهر بها عواطفنا وحبنا لله .

وانــه لا تستطيع أقسى أنواع النسك أن تغفر لنا خطية واحدة أو تكفر عن ذنب بسيط اقترفناه إذا كانت خاليه من الحب نحو الله .

وأنــه يجب أن لا ننحرف بهذا النسك ونقسو على أجسادنا إلى الدرجة التى فيها نعاق عــن تأدية واجبات الحياة بنشاط وأن التركيز كله ينبغى أن يكون داخليا موجها إلى الإرادة الــتى تسوقنا إلى الشهوة والخطية ، وأن النسك لا يجب أن يكون أنواعا من الضغط والكبت الجســدى الذى عندما يزول مؤثرة يكون له رد فعل أقوى ، فيعود الإنسان إلى حالته الأولى أكــثر انحلالا . وأن حدوده يجب أن توضع بترتيب وإرشاد أب حكيم حتى لا تتجاوز حدود اســتطاعة الإنسان فتنعدم الثمرة المرجوة منها بل يجب أن تبتدىء بسيطة أقل من استطاعة الإنســان ثم تنمو وتزداد طبيعيا إلى ان تتحول إلى صفات طبيعية ، للشخص وتدخل كجزء هام فى أسلوب حياته .

ويُذكر عن القديس العظيم الأنبا انطونيوس أنه خرج بعد اعتكافه مدة عشرين عاما فى مغارتــه ، ووجــد معتدلا تماما فى الجسد كما بدأ جهاده . لم يوجد بدينا مترهلا من الكسل والتراخى ــ ولا هزيلا من شدة النسك وعدم الاستنارة فى الجهاد .

وهــذه الاســتنارة الــتى تقود الإنسان فى تدبيره الروحى والجسدى تعتبر من أعظم الفضــائل الروحــية الــتى يهــبها الروح القدس للمؤمن على حد تعبير القديس العظيم أنبا أنطونيوس .

وقــد يحــتاج المؤمــن والراهب فى بداية الأمر إلى إرشاد من مرشد نصوح ، ولكن الإنســان بعــد ما يتسلم المنهج ويتعرف على أبعاده تتأصل فيه العادات والاتجاهات السليمة الــتى تجعله يمارس نسكه وعبادته دون إفراط أو تفريط فى اعتدال قائم على إرشاد مستمر من الروح القدس الساكن فى حياة الإنسان الداخلية .

وقــد شــرحنا فى الفصلين السابقين المعنى الأول والثانى لكلمة الجسد . فعندما يقول الرســول بولــس " أقمع جسدى وأستعبده " (١كــو ٩ : ٢٧) صار واضحا عندنا الآن أنه يقمع

الشهوة المنحرفة ويستعبد الإنسان العتيق الفاسد ولكنه لا يقصد أن يحطم الهيكل والإناء الذى يسكن فيه الروح القدس والذى شاء الله أن يعطيه المجد والتجلي فى مجيئه الثانى الآتى .

والـــذى أدخل إلى التصوف المسيحى مفهوم النسك الخاطىء القائم على منهج الثنائية بيـــن الجســـد والروح هى العقيدة الأفلاطونية التى تسربت إلى المسيحية وكانت تنادى بأن العالم المادى ليس من أعمال الله وأن كل ما هو مادى إنما هو حقير ، ولكن كل ما هو مجرد فهـــو راقى . هذا الاتجاه لا يوافق مقاصد الله من الإنسان ولكن الأفلاطونية ألقت بظلها على بعض المناهج النسكية المنغلقة ، ونظرت إلى الإنسان على أنه عقل محبوس فى جسم مادى يتطلع إلى التحرر منه وأن الجسد مقبرة للروح .

ولكـــن الـــثالوث القدوس عندما خلق الإنسان خلقه جسما ونفسا معا ، وحين نزل الله الكلمة الابن الأزلي إلى أرضنا ليفتدى الإنسان لم يأخذ نفسا فقط بل أخذ جسدا أيضا لأنه شاء أن يفتدى الإنسان بأكمله جسما ونفسا .

والكتاب المقدس دائما أبدا يرفض نظرية الثنائية تماما ويؤكد نظرية الوحدانية ، وحدة السيكوفسيولوجى ، وقد ألمحنا إلى هذا فى بداية هذا البحث .

وقد حرم مجمع غنغرة المكانى فى القرن الرابع كل الذين يدينون الزواج أو يحرضون علـــى التعفف بسبب الخوف من الزواج لا بسبب جمال البتولية . وقوانين الرسل تحكم على الاكليروس والعلمانيين الذين يمتنعون عن الزواج وأكل اللحم وشرب الخمر باعتبارها نجسة وتسميهم مجدفين على عمل الخليقة .

ولا يزعجـــنا مـــا نقـــرأه فـــى بســـتان الرهبان من قصص هدفت إلى تعذيب الهيكل الجســـدى ، فهذه الخبرات إنما هى شخصية أولا وقبل كل شيء ، كما يلزمنا أن نفهمها على أنهـــا محـــاولات للوصـــول إلى الاستنارة والمعرفة الكاملة للخسائر التى سببها الشر داخل الـــنفس . فكـــان النسك عند الآباء اذاً هو ذلك الرداء الذى يلبسه الغطاس لينزل إلى الأعماق ويجوس خلال لجج مليئة بالمخاطر والأسماك المفترسة .

ولكن يلزمنا أن نحترس من اتجاه مضاد بدأ ينتشر فى هذه الأيام وهو النظرة المستخفة بالنسك وعدم توقير أعمال التقشف والتنسك فى منهج الحياة الروحانية . فالبعض يتصور أن

النسك والتقشف أمور تختص بالرهبان ، ولكن القديس يوحنا ذهبى الفم يساوى الرهبان بالمتزوجين فى التزام السير بالطريق الضيق والجهاد الروحى وصلب الذات وإماتة الأهواء والشهوات عندما يقول : " حينما يأمرنا السيد المسيح بالسير فى الطريق الضيق فهو لا يوجه الحديث إلى الرهبان فقط بل انه يوجهه إلى جميع الناس ، وعلى هذا المقياس يأمر العالم كله بأن يبغض حياته على هذه الأرض ، ومن هنا يتحتم على المتزوج كما على الراهب أن يصل إلى نفس القمم " .

ويقول أيضا : " تخطئون تماما لو أنكم ظننتم أن هناك أمورا مطلوبة من المتزوج وأخرى من الراهب . استعملوا الزواج بعفة وأنتم تسبقون غيركم إلى ملكوت الله ، الحالة الزوجية كالرهبنة كلاهما شكلان للعفة التى تطبق فى كل من الحالتين تبعا للمعيشة المختارة " .

ويطبق بعض الآباء العهود والنذور الرهبانية ، العفة والطاعة والفقر الاختيارى على الحياة الزوجية المسيحية .

فالعفة تحتم التفانى والإخلاص غير المنقسم لله ولنعمته ، والشخص يصبح زوجا أو زوجة على ألا يكون فى الحب الزوجى سوى الله .

وعهد الطاعة يتقرر بين المتزوجين عندما يتعهدون ألا ينقادوا إلا لروح الله ولا يسيروا إلا وفقا لإنجيل ربنا يسوع المسيح .

وعهد الفقر والتجرد يتقرر عندما لا يرتكنوا إلا على الله ولا يتكلوا على الغنى بل على الله وحده الذى يعولهم .

وقد شرح لنا الآباء أهمية النسك بالنسبة للجسد عندما قالوا أن النعمة تسرى فى الإنسان على ثلاث موجات :

الأولى فى الصلاة والتأمل . إلى غير ذلك من أنشطة قمة كياننا ، وتتشرب أرواحنا هذه النعمة كأول عمل من أعمال النعمة ثم تسرى النعمة بعد ذلك إلى ما نسميه المجال السيكولوجى ، الوعى واللاوعى . فتسرى النعمة فى طبائعنا وميولنا وحاجاتنا واهتماماتنا واتجاهاتنا النفسية وعواطفنا . ومن هناك تمتد إلى أبعد فتبلغ أجسادنا . فنحن نستطيع أن

نرى القديسين يختلفون عنا لا فى أرواحهم فحسب ولا فى نفسياتهم وحدها بل وفى أجسادهم أيضـــا. أن الجسد بالنسك المسيحى المستنير يتروحن ويتهيأ إلى الحياة الممجدة التى تنتظره عندما يقوم من بين الأموات ليقابل الرب على السحاب فى مجيئه الثانى المملوء مجدا .

ولنطــبق هــذا الاتجاه النسكى المسيحى على كل من الأكل والملبس والكلام والنظر وكافــة الحـــواس والغريزة الجنسية فى تركيز مكتفين بايجاز ما يتعلق بالاتجاه السليم إزاء تدبير كل مجال من مجالات الأنشطة الجسدية المذكورة .

[redacted]

ذكـــرنا سابقا فى معالجة الأوجاع الجسدية والشهوات الحسية الانحراف الذى يحدث فى تدبير الأكل ويمكننا هنا أن نوجز أهم المبادىء التى تحكم هذا التدبير .

١ ــ أن الأكـــل أمر إلهى ولهذا لا يصح أن يخجل الإنسان من أمر أعطاه الرب لأبوينا فى الجـــنة . والأكـــل كان مصحوبا بالمتعة لأن كل ما فى الجنة كان ممتعا لأن الحياة فيها كانـــت خاضعة لوصايا الله . والإنسان الذى يستمتع بالنعمة يستمتع بكل شئ فى الكون " كـــل شــــىء طاهر للطاهرين وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شىء طاهرا بل قد تنجس ذهنهم أيضا وضميرهم " (تي ١ : ١٥) .

٢ ــ " الذى يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله ، والذى لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله ... لأنـــنا ان عشـــنا فللـــرب نعيش وإن متنا فللرب نموت فان عشنا وإن متنا فللرب نحن (رو ١٤ : ٦ و ٨) .

وعلـــى هذا فإن ارتباط الشكر بعملية الأكل أمر هام للغاية ، وكلما تقدم لنا طعام وكنا فـــى احتياج لتناوله وأقمنا صلاة عليه شاكرين نعمة الله التى وهبتنا إياه فان الصلاة بالروح تقدس الطعام وتحيله إلى لقمة ممزوجة بالفرح والشكر والنسك .

" لأن كـــل خلـــيقة الله جيدة ولا يرفض شىء إذا أخذ مع الشكر لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة " (اتى ٤ : ٤ و ٥) .

ويرتـــبط بالشـــكر طلـــب البركة على الطعام فقد تبارك بيت فوطيفار بسبب يوسف ، وأرملة صرفة صيدا لم يفرغ عندها كوز الزيت ولم ينقص كوار الدقيق طيلة المجاعة بسبب

دخول إيليا لها (١مل ١٧) وأليشع أيضا لما صلى إلى الله بارك الرب القليل من الزيت (٢ مل ٤) ، والسيد الرب أشبع خمسة آلاف من خمسة أرغفة وسمكتين . ونحن أيضا أولاد الله كلما نطلب بركة الرب على موائدنا فان نعمة وبركة إلهية تحل على الطعام وعلى المتناولين منه أيضا . والذى بارك فى ذاك الزمان يبارك أيضا .

٣ ـ ليس فى الأكل شئ نجس وشئ طاهر . فالمسيحية تجاوزت فكرة الحرام والحلال والنجس والطاهر فى اللحوم والأطعمة لأن هذه كانت ظلالا للحقيقة ، وكانت رمزا للنجاسة والطهارة السليمة . والرب علمنا أن كل ما يدخل الفم لا ينجس الإنسان ، ولكن الذى ينجسه هو ما يخرج منه ، كالشتيمة والبغضاء والحقد والكراهية لأن هذه كلها تخرج من القلب .

فالمسيحى متحرر من القيود التى كانت على اليهودى فى نظام الأطعمة ، وفى هذا يقول الرسول بولس : " فلا يحكم عليكم أحد فى أكل وشرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التى هى ظل الأمور العتيدة وأما الجسد فللمسيح " (كو ٢ : ١٦) .

وان كنا فى الصوم نمتنع عن بعض الأطعمة واللحوم فأننا نأكلها فى فترات أخرى فهى ليست نجسة وإنما الهدف من الامتناع عنها إعطاء فرصة للروح أن تسيطر على شهوة الجسد .

٤ ـ وهناك مبدأ الاعتدال فى الطعام . بمعنى أننا لا نصوم إلى حد الهزال والانهيار خاصة إذا كنا نبذل مجهودا جسمياً وعقليا ولا نترك للجسد العنان يأكل ويشرب ما يريد ، وكلما عود الإنسان جسده أن يأكل على مستوى الاحتياج فقط كلما كان آمنا من الأوجاع الجسدية .

والقديس يوحنا سابا " الشيخ الروحانى " ينصح الرهبان المبتدئين بقوله " على الراهب أن يستعمل القوت لقوام الجسد لا لتنعيمه أو يأكل من جميع ما يتقدم له من الأطعمة بالنقص ، ولا يرذل شيئا ، ولا يملأ بطنه مما يختاره هواه ، لأن الإفراز أفضل من كل الفضائل . أيها الشره محب البطنة ، أخير لك أن تجعل فى بطنك ـ لو كان هذا مستطاعا ـ جمر النار ولا أطبخة الرؤساء " .

٥ - أن المسيحى الحقيقى لا تسيطر على حياته لقمة العيش حقيقة انه يعمل ليأكل حسب الأمر الإلهى ولكنه لا يعيش تحت هم لقمة العيش . انه يعلم قول الرب يسوع " ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان ولكن بكل كلمة تخرج من فم الله " بهذا تجده أمينا فى عمله لأجل الطاعة للوصية ، ولكنه يعلم أنه يأكل هو وأولاده من يد الله متذكرا أن الذى يعول غربان الوادى وعصافير السماء ويلبس زنابق الحقل أعظم مما لسليمان فى مجده . وهو وحده الذى يعوله ويتكفل بمسئوليات حياته الجسدية والروحية ايضا ، لاجل هذا هو بطلب ملكوت الله وبره اما الامور الجسدية من أكل وشرب هذه التى تطلبها الأمم فهى تزاد له " فلا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ولا تقلقوا فان هذه كلها تطلبها أمم العالم . وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون الى هذه . بل أطلبوا ملكوت الله وهذه كلها تزاد لكم " (لو ١٢ : ٢٩ ـ ٣١) . وهو حريص دائما أن يتحفظ من الطمع فانه متى كان لأحد كثير فليست حياته من أمواله " . (لو ١٢ : ١٥)

٦ - ان المسيحى المؤمن محتاج الى أن يمتنع فترات معينة عن اللحم ومشتقاته ـ ليس لأنه نجس كما ذكرنا ـ ولكن لأن هذا الاتجاه هو عود حميد الى عصر ما قبل الطوفان وترقب لعهد المسيا الذى تنبأ عنه أشعياء الذى يربض فيه الذئب مع الحمل ، ويزول الخوف والذعر من الدنيا ، فالصوم عودة الى حياة الفردوسية ، فيه نحقق الشكل الذى كان آدم عائشا فيه فى الفردوس أى شكل الحياة النباتية الشكل الذى يمسك الإنسان فيه نفسه عن الحيوان . ويذكر المطران جورج خضر فى مقال له عن الصوم أن المسيح جرد الصوم من فكرة الحزن والنحيب وقصاص الذات واحتفظ بالشكل الخارجى للصيام وأعطاه معنى داخليا ، أعطاه معنى آخر ذا مضمون جديد عبر عنه أنه ليس حزنا على فقدان العريس بل استدعاء للعريس والتماسا منا للعريس الالهى الذى يأتينا بالطبع دائما عن طريق الروح القدس .

فالصوم المسيحى لا يتعلق لا بتفكير ولا قصاص ولا نحيب وإنما هو فى جوهره وسيلة لاستدعاء الروح وحنين الى الفردوس ومنطلق من قيامة المسيح ومرتقب لهذه القيامة .

وفــى إيضاحه لجوهر الصوم أبرز أهمية المحبة والعطاء فى مضمون الصيام " أليس هــو أن تكســر للجــائع خبزك وأن تدخل المساكين التائهين الى بيتك وإذا رأيت عرياناً أن تكســوه وأن لا تتغاضـــى عن لحمك ؟ (اشعياء ٥٨ : ٢ – ٧) فليست القصة إذا امتناعا عن أكل اللحم فقط ولكنها تقشف حتى نستطيع أن نعطى للفقراء والمحتاجين وكل من له عوز فالصوم فترة تطهر وتقرب الى الله لأن فى ذلك يكتشف الإنسان الآخر ، أى كلما اقترب الإنسان الى الله والـــى فكـــرة القيامة والى فكرة نصرة المسيح على الموت وكلما استدعى الروح القدس وجاءه الروح المعزى انطلق الى الآخرين وانفتح بالحب والعطاء لهم .

وعلى هذا فان من أهم معالم تدبير الأكل فى الحياة المسيحية أن نكسر اللقمة للآخرين وأن يكــون مـــن صميم تدبير أطعمتنا ما نقدمه للكنيسة وللمحتاجين الأصاغر الذين أعطاهم الرب مركز أخوته .

وفـــى الكـــتاب المقـــدس تطويب لمن يعطى المسكين ويكسر لقمته للجائع " تعالوا يا مـــباركى أبـــى رثوا الملك المعد لكم منذ تأسيس العالم . لأنى جعت فأطعمتمونى ، عطشت فســقيتمونى ، كنت غريبا فآويتمونى ، عريانا فكسوتمونى . مريضا فزرتمونى ... بما إنكم فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم " (مت ٢٥ : ٣٤ ــ ٤٠) .

[redacted]

[redacted]

" ان العمـــل البشرى فى المسيحية ، اشتراك عمل الله نفسه ، فالرب يسوع علمنا قائلا فـــى إنجيله " أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل " فالله إذا لا يزال يعمل فى هذا الكون الذى به نحيا ونتحرك ونوجد والخليقة لا تزال مستمرة إذ أن الله لا ينقطع عن تدبير خلائقه وإدارتها والعناية بها بموجب نواميسه الإلهية الكلية الحكمة . بهذا المقدار حتى أنه جعله مساهما معه فـــى عمل الخلق فطلب منه " أن يملأ الأرض ويتسلط عليها " وهذا لا يتم الا بالعمل اليدوى والعقلـــى . اشـــغل آدم فى الفردوس (وهذا عمل يدوى) وكان يدعو الحيوانات بأسمائها ..

(وهـــذا عمل عقلى) . فكان الإنسان بعمله يكمل عمل الخالق بتلك القدرة عينها التى وهبه الخالق إياها عندما جعله على صورته ومثاله .

ولكن هذا العمل الذى كان فى الأصل مصدر فرح قد أصبح بسبب سقوط الإنسان فى الخطـــية وابتعاده عن خالقه مصدر شقاءه ملعونة الأرض بسببك ، حسكا وشوكا تنبت لك ، بعـــرق جبينك تأكل خبزك " ومن هنا نشأ هذا التعب المضنى الذى يرهق الأعصاب وينهك العضّلات ويدخل السأم واليأس الى القلوب .

[redacted]

لقـــد كان العمل والجهاد شعار السيد المسيح : " ينبغى أن أعمل " (يو ٩ : ٤) . ان ابن الإنسان لم يأت ليُخدم بل ليخدم وليبذل نفسه فدية عن كثيرين " (مت ٢٠ : ٢٨) .

ان الرب يسوع شاء أن يكون عاملا مثلنا حتى يكون خلاص العمال الوحيد ، كما أنه مخلص العالم الوحيد .

ان الـــرب يســـوع تـــألم علـــى الصـــليب ليغير معنى الألم جاعلا إياه أداة للتطهير والخـــلاص . لذلك لم يعد ألم الشغل وتعبه المضنى ، عند المسيحى المؤمن ، عقابا ولعنة بل أصبحا اشتراكا فى صليب يسوع وواسطة للفداء . فالذى يحتمل تعب شغله اليدوى أو العقلى بصبر ومحبة إنما يشترك فى ذبيحة يسوع على الصليب .

لقـــد قـــام الـــرب مدة عشرين سنة أو أكثر بعمل النجارين فى مدينة الناصرة خاضعا ليوســـف متعلما منه المهنة بالضبط كما يتعلم اخوتنا العمال الصغار مهنة النجارة أو السباكة أو غـــير ذلك. تصوروا العرق يتصبب من جبينه الالهى ، وتأملوا كيف رفع وقد قشت جلدة كفـــيهما مـــن كـــثرة الاحتكاك المستمر بالأدوات . وتأملوا كيف رفع يسوع شأن ذاك العمل اليدوى الذى كان الأقدمون يحتقرونه معتبرين أنه عمل يليق بالعبيد وحدهم .

ويصـــلى الأب لـــيف جيلله . قائلا "علمنا يا معلم أن نفحص بتدقيق ونكتشف المعنى الالهى لكل واحد منا . غير شكل عملنا ليصير خدمة ، ليصير مسحة" .

البناء ، السباك ، الميكانيكى قد لا يعرفون كيف يحسون بالسمات الروحية المخفاة فى أعمال البناء والإصلاح وصهر المعادن . أنهم يعرفون جيدا أنهم حينما يؤدون هذه الأعمال

للآخرين فهم يخدمونهم ولكنهم لا يعرفون أنهم بخدمتهم للناس يشاركون المعلم الذى قال : " أنـــا بيـــنكم كالذى يخدم " (لو ٢٢ : ٢٧) لا يعرفون أن الذى نطق هذه العبارة كان نفسه نجارا Tektou هـــذا الإصطلاح اليونانى الذى استعمله الإنجيل عنك تجاوز المعنى الضيق لكلمة نجـــار ليشـــمل أيضا عمل الحداد والبناء ، لقد كنت حقا يا سيدى عاملا على أعلى مستوى وكنت الخادم الأعظم .

ومـــا زلـــنا ، نعـــرف كل هذا . فواجبنا نحن العارفين أن نضع ذواتنا محل الذين لا يعرفون. عينا أن نشرح كل مهنة بالنسبة إلى شخصك .

انه واجبنا أن نفكر فيه ونصلى من أجل عمل كل إنسان حتى تكون حضرتك جلية فى هـــذا العمـــل يا معلم . لقد رغبت فى أن تستخدم أدوات عمل تلاميذك اليومى لتجعلها آلات لملكوت الله .

فـــيوما حيـــنما خرجت من البيت وجلست عند البحر فاجتمع حولك الجموع الكثيرة ، دخلت إحدى السفن ومن هناك علمت الجمع الواقف على الشاطىء (مت ١٣ : ٢) وهكذا حولت ســـفينة الصـــيد إلـــى منبر للحق يارب .. ان كنت أمارس لأجلك ومعك العمل اليدوى أو الذهنى الذى ائتمنتنى عليه فأنت الذى ستبدأ باستعمال عملى هذا .

فمـــن خلاله ستلمس النفوس . ربما دون أن يلحظ أحد الا أن عملى سيصير وسيلة بها يصل حبك لمن اخترتهم . سيدى أجعل من سفينتى موضعا تتكلم منه .

[redacted]

[redacted]

العمل ضروره نفسية حتى أن إهماله يفقد النفس راحة كبرى لا يحققها أى شىء آخر، يقول سليمان " نوم المشتغل حلو سواء أكل قليلا أو كثيرا " (جا ٥ : ١٢) .

وكمـــا أن الصـــلاة احتياج أساسى لحياة الإنسان الروحية كذلك العمل أيضا ضرورة تحفـــظ اتزان كيانه وتناغمه مع الحياة . والإثنان ، العمل والصلاة لا يمكن أن يغنى أحدهما عن الآخر .

وأطباء علم النفس الآن يعالجون أغلب متاعب مرضاهم بالعمل . فالكسل والبطالة أكبر عدو لروح الإنسان ونفسه وجسده أيضا . أما إذا رجعنا إلى الوحى الالهى فنجد كلمات عديدة تؤكد هذه المعانى وتشجع على العمل باجتهاد .

- " الإنسان يخرج إلى عمله وإلى شغله إلى المساء. ما أعظم أعمالك يارب كلها بحكمة صنعت "(مز ١٠٤ : ٢٣ ، ٢٤) .
- البطالة تعلم خباثة كثيرة (حك يش ٣٦ : ٢٧) .
- لا تكره الأعمال المتعبة (حك يش ٧ : ١٥) .
- أيها العبد الشرير والكسلان (مت ٢٥ : ٢٦) .

ونحن نعمل باجتهاد لأن الذى يكسل فى أعماله الجسدية يكسل فى نشاطه الروحى . نخطئ إذ نفصل اهتماماتنا الروحية عن عملنا والرسول يوحنا يقول لتلميذه غايس "فى كل شىء أروم أن تكون ناجحا وصحيحاً كما أن نفسك ناجحة " (٣ يو ٢) . وإذا استولى علينا الكسل فلا يمكن أن ننجح حتى فى أمور العبادة الروحية وفى اقتناء الفضائل ، فالاجتهاد يساعد ويشجع فضائل عديدة فى النفس " الحلم يأتى من كثرة الشغل " (جا ٥ : ٣) " فى كل تعب منفعة " (أم ١٤ : ٢٣) .

ونحن نعمل باجتهاد حتى نكون أمناء أمام الله والناس . والأمانة صفة أما أن يأخذها المؤمن فى كل حياته وفى كل أموره . من وقفة الصلاة حتى أبسط تصرفاته اليومية العادية . والا فهو غير أمين "الأمين فى القليل أمين أيضا فى الكثير" .

[redacted]

إتقان الأعمال الصغيرة أفضل وأعظم من القيام بالأعمال التى تبدو مهمة فى نظر الناس. أننا نحب أن نؤدى واجبات الحياة الصغيرة بأمانة ومواظبة وتفكير وتوقير لا أملا فى كسب مديح الناس ولكن حبا فى إرضاء الله . ان الله يهمه كيف نعمل وليس نوع العمل أو كميته أو شهرته . ان المسيحى يشعر أنه يشتغل عند الله نفسه فهو يرفع نظره إلى الله أبيه فيعمل أعماله بروح العبادة وبذلك يصير أفضل مواطن وأصلح خادم لمجتمعه وان كان لا يهمه دائما أن يجد شكرا أو مجازاة لدى هؤلاء .

" لا بخدمـــة العين كمن يرضى الناس بل ببساطة القلب خائفين الرب . وكل ما فعلتم فاعملوا من القلب كما للرب ليس للناس عالمين أنكم من الرب ستأخذون جزاء الميراث لأنكم تخدمون الرب المسيح " (كو ٣ : ٢٢ ــ ٢٤ ، اف ٦ : ٥ ــ ٩) .

[redacted]

الـــذى يعمـــل لأجل المسيح والذى يعمل بروح الإخلاص والأمانة يتحول العمل عنده هواية، لهذا لا يصيبه الملل أو السأم كثيرا وهو إذ يشكر الله كل حين لا ينتقد أحدا ولا يتذمر من أحد ولكنه يقبل على عمله بروح بناءة إيجابية شاكرة .

[redacted]

انـــه يوجد فى العالم ولا شك أنظمة اجتماعية ، واقتصادية ظالمة وشرائع جائرة ينوء تحـــتها مســـاكين الأرض الذين شاء يسوع أن يكون أحدهم . لذلك لا يسع المؤمن العامل أن يـــبقى مكتوف الأيدى بل يتوجب عليه أن يعمل لبناء العالم المنشود . انه يسعى إلى أن يقدم حياته أولا ذبيحة لخدمة الآخرين ويسعى أيضا إلى أن يهب روح المسيح على قلوب العاملين كتلك الريح العاصفة التى كانت يوم العنصرة لتقتلع منها الأنانية وحب السيطرة والاستغلال . وهـــو يجـــاهد ضـــد الظلم والاستغلال دون أن يدخل قلبه العداوة والحقد لأحد . هو يسعى لتحطيم أصنام الظلم والاستعباد ولكنه حريص أيضا الا يقيم عوضا عنها فى قلبه صنما آخرا رهيـــبا وهـــو صنم الحقد الشنيع . لذلك يلزمنا فى أعمالنا أن نبغض الظلم ولكن نحب جميع الناس . ان العامل المسيحى المؤمن يرحب بكل الحركات التحررية والتقدمية ويسهم فيها بكل مـــا أوتـــى من قوة لأنه يعلم أنها مسئوليته أمام الله والناس والضمير أن يكون أداة ووسيلة للخـــير والعدالة الاجتماعية وهو لا يقف سلبيا من الانشطة السياسية والوطنية لأن الايجابية فى هذه الانشطة تعبر عن انسانيته واكتمال كيانه . فالشخص السلبى أو المتقوقع أو الطائفى أو المتعصب لا يستطيع أن ينفتح أو يحب أو يذوب كملح للعالم أو يضيىء كنور مبهج لجيله وأهـــل زمانه على أن المسيحى فى خلال نشاطه السياسى والاجتماعى والوطنى التقدمى لا ينسى أن ملكوته الحقيقى هو فى السماء وأن الكنز الحقيقى ليس على الأرض حتى لا تجرفه أحـــداث الزمان وتبتلعه دوامة السياسة والأخبار . لذلك يلزم للمؤمن إلا يقع فى عبادة العمل

والأنشطة المختلفة فى حد ذاتها لأن الله يطلب أن نعطيه أعماق كيان القلب والرب قد امتدح مريم أكثر من مرثا رغم ان الأخيرة كانت هى التى تكد وتتعب وذلك لأنها غرقت فى دوامة العمـل وفقدت هدوءها وسلامها واتهمت أختها بالتكاسل . لأجل هذا يلزمنا أن نعمل باتزان دون وقوع فى الطموح ومحبة المال وعبادة العمل والصيت والشهرة لأن هذه كفيلة أن تكون لنا أصناما تبعدنا عن الاله الحى .

[redacted]

مـنذ بدايـة الخلـيقة وموضوع الراحة أمر واضح فى قصد الله . وفى الوصايا العشر خصصـت وصية لأجل الراحة والعبادة والهدوء ، والراحة لا يقصد بها الكسل والتراخى ، ولكـن الراحة هنا عربون الراحة الروحية والنفسية التى سيحيا فيها المختارون فى أورشليم السـمائية "اذا بقيـت راحة لشعب الله" . واذا كان الله قد استراح من عملية الخلق الا أنه لا يزال يعمل ولكن راحته هى فى ايجاد الخليقة التى تمجده وتسبحه وتمدح نعمته ، انها راحة الحـب التى يشبعها وجود المحبوب . وعلى هذا يلزم للمؤمن أن يكرم ويخصص فترات فى كل أسبوع وفى كل يوم للهدوء والسكينة والابتعاد عن المشغوليات والمسئوليات لكى تستريح أعصابه وتهدأ نفسيته وتستقر روحه وتسمو وتقدر أن ترتفع بالصلاة إلى الذى أحبها وفداها ومات لأجلها .

انـه أمـر خطـير مشاهد فى هذا الجيل وهو الانغماس فى دوامة العمل إلى حد التوتر الشديد والإرهاق العصبى . وإذا كان البعض يتصور أن لقمة العيش تحتاج إلى هذا الانغماس الشديد فى العمل ، فانه يخفى أحيانا علينا أن ما نحصله من مال على حساب الراحة ينفق فى الأدوية لعلاج الأمراض الناجمة عن سوء التدبير الجسدى المستتير .

كـم هو مفيد للمؤمن أن يأخذ أسرته أو أصدقاءه إلى حديقة هادئة ويجلس معهم متمتعا بجمـال الطبيعة ممجدا الله على حسن صنيعه معطيا لنفسه فترة استرخاء وتجديد وانتعاش . وكـم هـو مفيد أكثر للمؤمن أن يخلو مع نفسه فى فترات هادئة لا يكون معه أحد وليس فى فكـره شـيء سـوى أن يجلس عند أقدام المخلص كما عملت مريم التى اختارت النصيب الأصـلح . " لقـد ورد أن القديس يوحنا البشير كان بين الحين والحين يلعب بطائر صغير

فســـأله أحدهــم عــن سبب هذا فأراه قوسا وقال له متى نضع السهم فى القوس فأجابه الرجل عــندما نــريد أن نصيد به فقال القديس ولماذا نخلع منه السهم ونترك القوس خاليا فى الوقت الــذى لا نستعمله فيه ، أجابه لئلا ينقطع الوتر إذا استمر مشدودا أجابه القديس هكذا العقل إذا اســتمر عاملا بدون رياضة يتلف ، ولهذا فان سليمان الحكيم يحذرنا من العمل المنهك والغير مجــد قـــائلا "فمن هذا يا ابنى تحذر . لعمل كتب كثيرة لا نهاية والدرس الكثير تعب للجسد " (جا ١٢ : ١٢) .

[redacted]

[redacted]

أن العرى لم يكن خطيئة . لأن الله خلقنا عراة ولم يخجل آدم وحواء من عريهما . ولكن اكتشاف العرى كان بسبب الخطية الأولى .

يقول الكتاب " فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر ... فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت قال : " سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت " (تك ٣ : ٧ ، ١٠) .

وهكـــذا أثــرت الخطــية الجسدية فى الجسد إذ أشعلت فيه الغرائز . وأعطتها الجموح والحدة، كما أثرت فى القلب والفكر وحرمتهما نقاوتهما الأولى كما سلبت من العينين طهارتهما وبساطتهما . لذلك لا يمكن أن ندعى أنه يمكننا الآن أن نعيش عراة ذلك لأنه لم تعد لنا بساطة آدم وحواء التى كانت لهما قبل السقوط .

حقيقة لا يزال العرى يسود بعض القبائل المتأخرة فى أفريقيا وآسيا واستراليا ولكن ذلك لــيس لأنهــم أطهار أنقياء لا يستشعرون الخطيئة أو الحياء وإنما لأنهم يحيون حياة دون أى ضوابط جنسية .

" نحن نتعرى عندما ندخل جرن المعمودية لأننا بالمعمودية ندخل الفردوس ونشترك مع موت المسيح ، وان خرجنا من هذا الجرن نتشح باللباس لأن الخطيئة لم تمت فينا . وان كانت شوكتها قد كسرت وسلطانها قد زال على المولودين من فوق " .

والشـــهداء تعـــروا عندما صلبوا أو قتلوا أو حرقوا ولكن عريهم الإجباري هذا سربلهم بثوب النعمة إذ صاروا متوشحين بالمسيح ذاته . فالمؤمن يرفض العرى لأنه يعرف أن الجسد العـــارى معثر ، وأن اللباس مانع لتسرب هذه العثرة إلى الآخرين . وهو يرفض العرى لأنه يـــرى فـــيه تحد للخالق الذى ألبس آدم وحواء لباسا من الجلد ستر به عورتهما . هو يرى فى خلع الثياب اعتراضا على الحالة التى أوجدتنا فيها الخطيئة كما يرى فى الحشمة ولبس الثياب خضوعا واعترافا بما عملته الخطيئة فى الإنسان . " الحياء اذاً ناتج من شعورنا بالخطيئة وان عـــدم انتباهـــنا للخطيئة ولا مبالاتنا بها يجعلنا عن موضوع الحياء غرباء . لذلك نستطيع أن نقـــول إن كـــل إنســـان يعـــرى جسده يخالف وصية الكتاب ويحرم نفسه من أن تكون مسكنا للروح " .

حقـــيقة انـــه توجد نساء محتشمات كثيرات بسبب التقاليد الاجتماعية والضغوط العائلية فحســـب ولكـــن حشمة مثل هذه ليست تعبيرا عن عفة منيرة فى هيكل مقدس . ليس المهم أن نلبس فى احتشام ولكن المهم أن نحتشم لأن العفة والنعمة التى فى الداخل تلزمنا بالاحتشام .

وإذا كـــنا قد سبق أن عالجنا كرامة الجسد كهيكل للروح القدس وقلنا ان النفس والجسد خلقا معا على صورة الله ومثاله .

فان عدم الاحتشام إهانة كبيرة لهذا الهيكل المقدس . والذين يظنون أن تمجيد الجسد هو بتزيـــنه وتجميله من الخارج يخطئون لأن مثل هذا الجسد يكون كالتمثال بلا روح والهيكل بلا روح لا قـــيمة له . "كلما حرص المؤمن على تزيين الداخل بالفضائل الروحية كلما امتلأ كنز قلـــبه بالصـــلاح . وكانت الحشمة ستارا يخفى ما فى داخل الهيكل من كنوز . ولكن اذا هتكنا حجـــب الهـــيكل وتعـــرى الجسد انسكبت القيم التى فيه على الأرض وتدهورت وصار الجسد مشاعا للعيون الراغبة وفقد قيمته كهيكل يحوى كل غال ثمين .

" والهيكل الداخلى لا يستطيع أن يتلامس مع ما فى نفوس الآخرين من فضائل اتجاهات ومـــيول إلا إذا كان محتشما لأن عرى الجسد لا يعطى فرصة إلا لالتحام الأحاسيس ، وأما الـــنفوس فـــتظل متـــباعدة . ان الجسم المتعرى حاجز دون تسرب النفس إلى النفس ومقابلة الوجدان للوجدان " .

ان مريم المجدلية التى كانت متهتكة مبتذلة عندما تقابلت مع الرب يسوع عملت النعمة فى قلبها عملا عجيبا . لقد تحولت المرأة المستهترة إلى شخصيه باطنية متأملة ولابد أنه من الأدلة على تلامس الهيكل الداخلى مع الروح هو سرعة احتشامها .

ان المـــرأة المؤمـــنة إذ تعـــرف أن الجســـد معثر لا يهمها فقط أن تستره باللباس ولكنها حريصة ألا تكون طريقة ارتداء اللباس مؤدية للعثرة مظهرة أعضاء الجسد بشكل مثير . لأنها اذ تعـــرف أن كرامة الهيكل إنما فى قداسته وامتلائه الداخلى فقط ، فهى تحرص كل الحرص على أن تحفظ له كرامته مهما كانت نظرة أهل العالم الى المودات ونوع الملابس لأنه مكتوب ينبغى أن يطاع الله أكثر من الناس .

وســـتظل كلمات القديس باسيليوس الكبير موبخة كل امرأة معثرة فى لباسها " امرأة تلبس ذهبا وحليا وتتعطر بطيب حسن وهى ماضية إلى الكنيسة هذه هى هكذا شك كلها وعثرة كلها.

وارتـــباط الحشمة بالمحبة أمر هام مسيحيا لأن المحبة هى أساس جميع الفضائل ومصدر إيجابيتها وديناميتها . فالشخص الذى يرفض أن يلبس أو يتزين بشئ يحس فى ضميره أنه قد يعثر أحد الأصاغر فانه يعمل عمل محبته كذاك العمل الذى قال عنه الرسول بولس " ان كان الطعام يعثر أخى فلن آكل لحماً الى الأبد لئلا أعثر أخى " (١كو ٨ : ١٣) .

[redacted]

ينـــتقد أشعياء النبى بروح النبوة جميع النساء اللواتى يتشامخن بجمالهن الجسدى فيقول " من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق وغامزات بعيونهن وخاطرات فـــى مشـــيهن ويخشخشن بأرجلهن يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرى الرب عورتهن " (اش ٣ : ١٦ ، ١٧) .

واذا كـــان الوحـــى ينـــتقد التزين بالحلى وأنواع خاصة فى طريقة السير ، فان معلمنا بطـــرس الرسول أفصح عن طرق تزين الهيكل الداخلى فى وضوح اذ يقول " لا تكن زينتكن الزيـــنة الخارجـــية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب بل انسان القلب الخفى فى العديمة الفساد زينة الروح الوديع الهادى الذى هو قدام الله كثير الثمن . فانه هكذا كانت قديما النساء القديسات أيضا المتوكلات على الله يزين أنفسهن خاضعات لرجالهن " (١بط ٣ : ٣ _ ٥).

وآبـاء الكنيسة ، وعلى الأخص اكليمندس الاسكندرى ، يجمعون على أن للتزين علاقة بالاتضـاع فكلما كان التزين داخلياً كان الاتضاع واضحاً ، وكلما كان الاتضاع مستمرا كلما كـان الاهتمام بالداخل وليس بالخارج ، ويؤكدون أيضا العلاقة بين التزين والمفهوم المسيحى للجمال .

فالذين يفهمون الجمال من منظار مسيحى يدركون أهمية جمال الروح ومنه يستمد الجسد جمالـه ، اما غير المؤمنين فلا يفهمون للجمال معنى سوى جمال الجسد فحسب ويؤكد الآباء أيضـا علاقـة التزين بالزواج ، فالمرأة المسيحية ان تزينت فلأجل رجلها وليس لغيره ، وأما غير المؤمنة فهى تتزين للغير وقلما تهتم بزوجها .

والاهـتمام بالتزيـن الخارجى اهانة للهيكل المقدس ودلالة على أنه فارغ فى الداخل . فالانسان يلجأ الى الزينة الخارجية كطلاء خارجى يسعى نحو تغطية الفساد الداخلى . شبيه هذا الأمر بالقبور المبيضة من الخارج ، ومن الداخل عظام نتنة .

ان داود النبى عندما يتكلم عن الزينة الحقة يقول " كل مجد ابنة الملك من داخل مشتملة بأطراف موشاة بالذهب متزينة بأشكال كثيرة تدخل الى الملك عذارى فى أثرها جميع قريباتها إليه يقدمن . يبلغن بفرح وابتهاج يدخلن الى هيكل الملك " (مز ٤٥) .

المسيحى إذاً لا يتبرج لأن كيانه هو ذلك الإنسان الداخلى حيث يحيا فى عشرة مع الله . وهـو ماض فى اكتساب هذا الجمال وتحقيق كل صلاح فيه ولا هم له سوى النمو اليومى فى الحقيقة الأبدية .

لـم يمـتدح الكتاب المقدس إطلاقا الزينة الخارجية بل أشار فى كل موضع الى الزينة الداخلية .

حيث يلبس مختارُوا الله القديسون احشاء ، رأفات ولطفا وتواضعا ووداعة وطول أناة.. أنهـم يلبسـون الـرب يسـوع المسـيح ولا يصـنعون تدبـيرا للجسـد لأجـل الشهوات (رو ١٣ : ١٤) ، (كو ٣ : ١٢) .

ويقـول أكليمـندس أن الغرور يحدث ثغرة فى النفس تتسلل منه الحية الخادعه فتسلب العقل وتتحول المرأة الى مخلوق تافه لأن التبرج شيمة الغانيات لا شيمة المرأة العاقلة .

وفى كتاب بستان الرهبان نصيحة للمؤمن بمحابة الزينة لأن الانسان الذى يحب الزينة لا يقـدر أن يحتمل الازدراء ولا يسرع الى ممارسة الاعمال البسيطة ويصعب عليه جداً ان يخضـع لمن هو دونه ويخجل من ذلك ، أما المتعبد لله فانه لا يزين جسده وإعلم أن كل من يحب زينة الجسد فهو ضعيف بفكرته ولا ترى له حسنات .

الاتضـاع والعفـة يتعاضـدان بالمحقرة ، والذى يحب الزينة والكرامة لا تسأله عن حقيقتهما.

وفـى الكـتاب المقدس توصية هامه للرجل بعدم التخنث فى الملبس وهى ظاهرة قد انتشرت فى هذه الأيام وتحتاج الى مواجهة صريحة على ضوء الحق الالهى " لا يكون متاع رجل على امرأة ، ولا يلبس رجل ثوب امرأة لان كل من يعمل ذلك مكروه لدى الرب الهك " (تث ٢٢ : ٥) .

والاهتمام الشديد بالتزين الخارجى علامة على عدم فهم الجمال الحقيقى وفى هذا يقول سـليمان الحكـيم " الحسـن غـش والجمـال باطل . أما المرأة المتقية الرب فهى تمدح " (ام ٣١ : ٣٠) .

وحـرص المـرأة علـى تغطية رأسها وخاصة وقت الصلاة أمر واجب قرره الوحى الالهى على لسان بولس الرسول والقديس يوحنا ذهبى الفم يعلق على هذا بقوله " ان الغطاء على رأس المرأة علامة الخضوع للرجل ، فان الرجل أو المرأة تخطئ ان حاول تبديل ذلك الـنظام وتعـدى الحدود التى وضعها الله للكل . ان الرجل يسقط فى صغر النفس كما تسقط المرأة فى التشامخ . الرجل بطبيعته غير مدعو أن يغطى رأسه ، بينما المرأة لها غطاء هو شـعرها كـم يكون الجرم مشيناً اذا حاولت المرأه أن تعرى رأسها وحاول الرجل أن يغطى رأسـه ان هذا بجانب مخالفته للطبيعة فهو مخالفة للوصية وتحد لأمر الكتاب وان قال قائل أى قبح فى أن ترتقى المرأة لمنزلة الرجل نجيبه أنها لا ترتقى بل بالحرى تنزل من كرامتها اللائقة . ان عدم بقائنا فى حدودنا وخروجنا عن أطار وصايا الله ليس زيادة لنا بل نقصان ، وكمـا أن من يشتهى مقتنيات غيره ويأخذ ما ليس له لم يكسب شيئا زيادة بل نقص اذ خسر

أيضـــا الـــذى له تماما كما حدث فى الجنة ، هكذا أيضا المرأة لا تأخذ كرامة الرجل بل تفقد حـــتى اللياقة والحشمة التى لها كامرأة وكما أن الوالى عندما يأتى أمام الملك ينبغى أن يحمل شـــعار المملكـــة والزى الرسمى كذلك أنت أيها الرجل لا يمكنك أن تصلى لله وأنت مغطى رأســك لأن هذه اهانه لله الذى كرمك بهذا الشرف ، وهكذا المرأة عار عليها أيضا الا تحمل شعار خضوعها وهو غطاء رأسها عندما تقف أمام الله فى الصلاة " .

[redacted]

على أنه ليس معنى ما قيل من عدم التزين بالضفائر والحلى وإهانة الجسد بالمساحيق والطـــلاء الخـــارجى . لـــيس يعنى هذا أن الإنسان يبدو أمام الآخرين قذرا رث الثياب غير مهندم . إن هذا النقيض معثر وخاصة فى الشهادة أمام الناس والذين من خارج أن المسيحى حريص على نظافة الداخل والخارج أيضا . يلزمنا أن نفعل هذه ولا نترك تلك أى أن ننظف الهيكل من الداخل وأيضا لا نهمله من الخارج .

كريم جداً أن يعتنى المسيحى بنظافة جسده وملابسه وغسلها وكيها وهندامها دون تأنق أو اســتعراض أو إثـــارة وإنمـــا فى لياقة وتجاوب مع إرادة الله هذه الإرادة أن يكون جسد المؤمـــن هـــيكلا للـــروح القدس ، وأن الرب مزمع أن يمجده فى مجيئه الثانى ويلبسه ثوبا نورانـــيا، ويوشحه بالمجد الذى له بالقيامة من بين الأموات . فإذا كان الرب يريد للجسد هذا الاكـــرام يلزمنى اذاً ان اعتبر واوقر هذه الإرادة فأعطى لجسدى الاحترام والظهور بالمظهر اللائـــق به فى اتزان واعتدال ولياقة وإفراز . وكما أن التبرج أمر بغيض مسيحيا فأن إهانة الجســـد بوضع المسوح وعلامات الحزن الردئ أمر كريه أيضا مسيحيا . فالخلاعة والتبرج دلالـــة علـــى فراغ النفس وكبريائها وإهانة الجسد بالمسوح والحزن الردئ دلالة على صغر الـــنفس ومذلـــتها والتشامخ وصغر النفس وجهان لشئ واحد وهو الذاتية التى علمنا الكتاب والآباء ضرورة صلبها وتجاوزها .

وان كـــنا قد تكلمنا كثيرا عن الكيف يلزمنا ان نشير ولو إشارة عابرة عن الكم . فان المســـيحى الحقيقى يعرف أن من إحدى شهوات الإنسان العتيق هو الإكثار من اقتناء الملبس

لا لاحتـيـاج بسـبب كـثرة الأعمال واختلاف أنواعها ولكن لإشباع شهوة القنية وهنا يعلمنا بولس الرسول " فان كان لنا قوت وكسوة فلنكتف بهما .

وأمـا الذين يريدون أن يكونوا أغنياء فيسقطون فى تجربة وفخ وشهوات كثيرة غبية ومضرة تغرق الناس فى العطب والهلاك " (اتى ٦: ٨ ، ٩).

[redacted]

النطق من أهم المميزات التى تميز بها الإنسان تاج الخليقة وهى موهبة عظيمة خص الله الإنسـان بهـا كقـول القديـس اغـريغوريوس الثيئولوغوس فى قداسه التأملى العجيب " أعطيتنى موهبة النطق "

- فهى وسيلة التفاهم والتعاون بين البشر .
- وهى وسيلة الصلاة والترتيل والتسبيح .
- وهى وسيلة التعليم والوعظ والإرشاد .
- وهى وسيلة تعزية المتألمين والمتضايقين .
- وهى وسيلة الدفاع عن الحق .
- بـل هـى وسـيلة الربط وتمكين الحب ورسالتها تتعدى هذه الحياة الدنيا الى الحياة العتـيدة حيـنما نشـارك غير المرئيين تسبيحهم وتختلط أصواتنا بأصواتهم نبارك الجالس على العرش الحى الى أبد الآبدين .

[redacted]

يقـول الـرب يسوع " بكلامك تتبرر وبكلامك تدان " ، إن كلمه واحدة يقولها الإنسان ربما كانت علة نكبته وشقائه وموته .

كم من مرة اجتمع اليهود على السيد المسيح ليصطادوه بكلمة (مت ٢٢ : ١٥) .

ونحـن أيضا كثيرا ما تجتمع علينا الشياطين ليصطادونا من ألسنتنا وكلماتنا فعلينا أن نضبط شفاهنا ونتحفظ عليها .

يعلمنا الطوباوى الأنبا أنطونيوس " لنجاهد فى أن نضع حافظا قويا لأفواهنا حتى لا ننطق بنطق شرير لأن النطق الشرير هو أشر من جميع الخطايا ، وجميع الجراحات تبرأ أما جرح اللسان فليس له شفاء البتة " .

وفى هذا تقول حكمة سيراخ "ضربة السوط تبقى حبطاً وضربة اللسان تحطم العظام . كثيرون سقطوا بحد السيف لكنهم ليسو كالساقطين بحد اللسان" (سيراخ ٢٨ : ٢١ و ٢٢) .

ولإدراك خطورة اللسان والكلام نورد ما قاله يعقوب الرسول "ان كان أحد لا يعثر فى الكلام فذاك رجل كامل قادر أن يلجم كل الجسد أيضا . هوذا الخيل نضع اللجم فى أفواهها لكى تطاوعنا فندير جسمها كله . هوذا السفن أيضا وهى عظيمة بهذا المقدار وتسوقها رياح عاصفة تديرها دفة صغيرة جدا إلى حيثما شاء قصد المدير . هكذا اللسان أيضا هو عضو صغير ويفتخر متعظما . هوذا نار قليلة أى وقود تحرق . فاللسان نار . عالم الإثم . هكذا جعل فى أعضائنا اللسان الذى يدنس الجسم كله ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم . لأن كل طبع للوحوش والطيور والزحافات والبحريات يذلل وقد تذلل للطبع البشرى . وأما اللسان فلا يستطيع أحد من الناس أن يذلله . هو شر لا يضبط مملوء سما مميتا . به نبارك الله الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله " (يع ٣ : ٢ ـ ٩) . ويكفى أن الرسول نفسه اعتبر لجام اللسان دلالة التدين فى قوله " ان كان فيكم أحد يظن أنه دين وهو ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة " (يع ١ : ٢٦) .

وقد بين لنا الرب يسوع أن الكلام هو تعبير عما فى داخل القلب عندما واجه الفريسيين بقوله " يا أولاد الافاعى . كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار ، فانه من فضلة القلب يتكلم الفم . الإنسان الصالح من الكنز الصالح يخرج الصالحات والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور ، ولكن أقول لكم ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين " (مت ١٢ : ٣٤ ـ ٣٦) .

وإذا ما وضعنا أمامنا هذه الآية أن كل كلمة بطالة سوف تحاسب عليها لأدركنا خطورة التساهل فى أخطاء اللسان وضرورة ضبط الفم ولجم اللسان .

قال القديس يوحنا الدرجى " اغلق باب المخدع على الجسد ، وباب الفم على اللسان ، وباب القلب دون الشهوات والأفكار الكثيرة " .

[redacted]

لقـد وضح لنا أهمية وخطورة تدبير الكلام وضبط اللسان ويهمنا هنا أن نضع المعالم الرئيسية لهذا التدبير .

[redacted]

" ليكـن كلامكم كل حين بنعمة مصلحا بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل وأحد" (كو ٤ : ٦) .

وبـدون هذه النعمة الإلهية فان اللسان ينحرف والقلب يزوغ والجسد يتحيز ويتعصب ويبتعد عن الحق .

ومـا أجمـل تعبير الرسول عندما يقول مصلحا بملح أى أن يكون مذاقه حسنا ونافعا صالحا غير نتن . والملح الجيد هو عمل الروح فينا . فان كانت لنا شركة مع الله فان النعمة تملح حياتنا وبالتالى يكون كلامنا مصلحا بملح .

[redacted]

" إذاً يا أخوتى الاحباء ليكن كل انسان مسرعا فى الاستماع مبطئا فى التكلم مبطئا فى الغضب" (يع ١ : ١٩) .

والرسول يعقوب هنا يضع أمامنا قواعد هامة للكلام مثل الاستماع والإنصات الطويل فهـذا يعطـى للعقـل روية وصفاء وحكمة وقدرة على التلمذة والاستنارة وانتقاء الجيد دون الـباطل، ثم البطء فى التكلم مع بطء فى الغضب ليحتفظ الإنسان بهدوئه واتزانه وليتحصن ضـد الاندفاع الذى كثيرا ما يورد الإنسان التهلكة . والحكيم يحذرنا من الاستعجال بقوله "لا تستعجل فمك ولا يسرع قلبك إلى نطق كلام قدام الله .. لتكن كلماتك قليلة" (جا ٥ : ٢).

والحكيم يمتدح هذا الاتزان بقوله :

- هدوء اللسان شجرة حياة واعوجاجه سحق فى الروح (ام ١٥: ٤).

❖ كثرة الكلام لا تخلو من معصية أما الضابط شفتيه فعاقل (ام ١٠: ١٩).

❖ لسان الحكماء يحسن المعرفة وفم الجهال ينبع حماقة (ام ١٥: ٢).

❖ لسان الصديق فضة مختارة قلب الأشرار كشيء زهيد (ام ١٠: ٢٠).

❖ تفاح من ذهب فى مصوغ من فضة كلمة مقولة فى محلها (امثال٢٥ : ١١) .

❖ للسكوت وقت وللتكلم وقت (جا ٣ : ٧) .

❖ فى أذنى جاهل لا تتكلم لأنه يحتقر حكمة كلامك (ام ٢٣ : ٩) .

[redacted]

* " لا تنزع من فمى قول الحق " (مـز ١١٩ : ٤٣) .. والرسول بولس يقول "هكذا نتكلم لا كأننا نرضى الناس بل الله الذى يختبر قلوبنا " (اتس ٢ : ٤) .

* مـن يعـترف بـى قـدام الـناس اعترف أنا أيضا به قدام أبى الذى فى السموات (مت ١٠ : ٣٢) .

افـتح فمـك لأجـل الأخـرس فى دعوى كل يتيم .. اقض بالعدل . وحام عن الفقير والمسكين (ام ٣١ : ٨ و ٩) .

فم الصديق يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالحق (مز ٣٧ : ٣٠) وهذا الاتجاه هو ثمرة عمل النعمة "لأن النعمة والحق بيسوع المسيح صارا " (يو ١ : ١٧) .

وهذا الحق الذى يملأ قلب المؤمن يخلصه من أمور كثيرة يعثر فيها الكثيرون وينغمس فيها أهل العالم نذكر منها :

[redacted]

" متى تكلم بالكذب فانما يتكلم مما له لانه كذاب وابو الكذاب " (يو ٨: ٤٤).

" يتكلمون بالكذب كل واحد مع صاحبه " (مز ١٢ : ٢).

[redacted]

* " الذيـن يقولـون للرائين لا تروا وللناظرين لا تنظروا لنا مستقيمات كلمونا بالناعمات انظروا مخادعات حيدوا عن الطريق ميلوا عن السبيل أعزلوا من أمامنا قدوس بنى اسرائيل (اش ٣٠ : ١٠ ، ١١) .

* " أنعـــم مـــن الزبدة فمه وقلبه قتال . ألين من الزيت كلماته وهى سيوف مسلولة " (مز ٥٥ : ٢١) .

" لســـانهم سهم قتال يتكلم بالغش ، بفمه يكلم صاحبه بسلام ، فى قلبه يصنع له كمينا " (أر ٩ : ٨).

يعطيك من طرف اللسان حلاوة ... ويروغ منك كما يروغ الثعلب .

[redacted]

❖ يقطع الرب جميع الشفاه الملقة واللسان المتكلم بالعظائم (مز ١٢ : ٣) .

❖ انما أقول هذا لئلا يخدعكم أحد بكلام ملق (كو ٢ : ٤) .

[redacted]

" ولا القباحة ولا كلام السفاهة والهزل التى لا تليق بل بالحرى الشكر" (أف ٥ : ٤) .

[redacted]

" البطـــيء الغضـــب خـــير مـــن الجـــبار ، ومـــالك روحه خير ممن يأخذ مدينة " (أم ١٦ : ٣٢) .

[redacted]

" وأتكلم بشهاداتك قدام ملوك ولا أخزى " (مز ١١٩ : ٤٦) .

" فمـــتى أســـلموكم فـــلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم" (مت ١٠ : ١٩ ، ٢٠) .

" والآن يـــارب أنظـــر إلى تهديداتهم وامنح عبيدك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة . ولمـــا صلوا تزعزع المكان الذى كانوا مجتمعين فيه وامتلأ الجميع من الروح القدس وكانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة " (أع ٤ : ٢٩ ــ ٣١) .

إن الـــنعمة والحق اللذين فى المسيح يسوع عندما يسكنان فى قلب مؤمن فانه لا يطيق أن يســـكت بـــل أنه دائما يبشر ويكرز بنعمة بشارة الملكوت وعندما يسأل عن سبب الرجاء الذى فيه يجيب بكل حكمة وجرأة دون تخوف من أحد انه لا يستعد للكلام ولكنه يسلم قلبـــه

ولســـانه للـــروح القـــدس الـــذى يعطـــى فيضا ويكون التعليم بسلطان ليس كالكتبة والفريسيين .

مـــا أحوجـــنا فى هذه الأيام إلى جسارة الإيمان وشجاعته وجرأة الحق التى من أجلها صلى داود إلا ينزع الرب من فمه قول الحق .

[redacted]

كن قدوة للمؤمنين فى الكلام ، فى التصرف ، فى المحبة ، فى الروح ، فى الإيمان ، فى الطهارة (١تى ٤ : ١٢) .

وهـــذه القـــدوة تســـتلزم من المؤمن أن يراعى آداب الحديث فيتكلم عندما يطلب منه ويجيـــب باختصـــار على ما يسأل عنه ، ويتحدث فى أدب واتضاع لا فى تظاهر وادعاء ، ويـــتكلم بصوت منخفض لأن الصوت المرتفع دلالة على كبرياء القلب ، والحدة فى الحديث علامـــة علـــى عدم الاتضاع . وهو لا يقاطع غيره فى الكلام ولا يرد على سؤال يوجه إلى غـــيره ويحـــرص إلا يكـــون أول المتكلمين ، وفى حديثه مع الكبار يقدم الكرامة لهم يوجه ويراعى آداب التخاطب مع الشيوخ ، وهو لا يلف ولا يدور ولا يجامل ولكنه يتكلم الحق فى هـــدوء تاركـــا الحـــق يدافـــع عن نفسه ويثبت قوته ، وهو لا يصدر الأحكام العامة ولكنه موضـــوعى فى حديثة وتختفى ذاته فى النقاش والتخاطب لأنه يسعى إلى مجد الله وليس إلى مجـــد ذاته . وهو يراعى شعور الآخرين فلا يجرحهم ولا يتهكم عليهم ولا يبرز عيوبهم ولا يلتقط أخطاءهم ولا يسأل أسئلة محرجة ولا يفتخر بآرائه وعلمه ويتجنب الألفاظ القاسية ولا يقـــف موقـــف المعلـــم ولكنه يذكر دائما ضعفه وكمن رحمه الله يرحم الاخرين فى مواقفهم وأحاديثهم فيعاملهم بلطف ورقة .

[redacted]

الحشـــمة ليست مجرد ستر الهيكل وعدم التزين بالضفائر والذهب ولكن أعماقها تكمن فى الصمت والخضوع . فالزينة هى زينة الروح الوديع الهادى . والرسول بولس فى حديثة عـــن قضـــية الحشمة بعد أن أوصى النساء بعدم التزين الخارجى أوصى الرجال أن يصلوا

بـــدون غضب ولا جدال (اتى ٢ : ٨ ــ ٩) والنساء أن يخضعن ولا يرفعن أصواتهن ويؤكد أنه ان كان أحد يظهر أنه يحب الخصام فليس لنا عادة مثل هذه ولا لكنائس الله (١ كو١١ : ١٦) .

فالغضـــب والثرثرة وحب الجدال تتناغم مع العرى وتشترك وإياه فى قضية الحشمة . ان المسيحى المحتشم ليس هو الذى يغطى جسده ويستره فقط بل والحريص أن يكون باطنيا مخبـــئا كـــلام الله فى قلبه . وتبدو الحشمة فى علاقتها بالكلام واضحة عند المرأة أكثر لأن المـــرأة مهيأة للصمت وموجهة إلى الحياة الداخلية إلى ما هو مستتر فى أعماق الكيان أكثر من الرجل الذى يعبر فى حياته بالكلام والشرح . إن قوة المرأة فى صمتها ووقارها وهدوئها واتضاعها .. وكانت مريم تحفظ كل شيء فى قلبها . هوذا انا أمة الرب ليكن لى كقولك " . لذلك لا نعجب ان يعلم بولس الرسول بالا ترفع المرأة صوتها فى الكنيسة وان كانت تريد أن تتعلم فتسأل زوجها فى المنزل .

لهـــذا يلزمـنـا أن نـــتكلم فى وقار وحشمة حريصين على ما فى الهيكل من ذخر غير ثرثارين لئلا نعرى ما فى الباطن ونلقى به ونبقى فارغين أمام الله والناس .

[redacted]

الحـــواس هى منافذ الإنسان التى يطل منها على العالم الخارجى وهى فى نفس الوقت دلالات وتعبيرات عما فى داخل الهيكل فهى تكشف عما فى داخل القلب من مكنونات .

لهـــذا يستطيع المؤمن أن يعرف أعماق قلبه من تطلعات حواسه ، فعينه تكشف له عن بساطة قلبه أو ظلمته وأذنه تعبر له عما فى داخله من اشتياقات وميول ، ولمسه يوضح له ما يـــريده قلبه إن كان نجسا أم مباركا . وكلما تقدم الإنسان فى حياته الروحية كلما تدرب على ضـــبط حواســـه ، وكلمـــا ازدادت استنارته فى استخدام الحواس للخير ن كما يقول بولس الرسول " الذين بسبب التمرن قد صارت لهم الحواس مدربة على التمييز بين الخير والشر " (عب ٥ : ١٤) .

والاتجاه العام فى تدبير الحواس وضبطها وتجديدها هو الاتجاه من الخارج إلى الداخل ومـــن الداخل إلى الله . ان هدف الحواس عند الإنسان المسيحى هو أن تكون بمثابة محولات

تستغل كل ما هو فى الخارج لخدمة ما فى الداخل . وعلى ذلك فان الإنسان الخارجى لابد له أن يخدم الداخل . ان هذا العمل يهدف إلى إعادة الإنسان إلى كيانه الأصيل يوم أن كان انسانا باطنيا وكانت حياته فى الملء الداخلى الذى فيه تمتع بالوجود الالهى . وليس هذا أمرا سهلا . فبالرغم من ان هذا العمل هو الخطوة الأولى نحو إعادة بناء الإنسان إلا أنه لا يصل إليها إلا بعد تصميم يواجه عملا نضاليا طويلا لمحو العادات القديمة لتحل محلها عادات أخرى تتفق ونظام الحياة الجديدة . وهنا تبرز الأهمية الكبرى للسيطرة على الحواس واستعمالها فى وضعها الصحيح . ويعطى لنا أيوب البار أفضل مثال لضبط الحواس فى قوله " عهدا قطعت لعينى فكيف أتطلع فى عذراء " (اى ٣١ : ١) .

[redacted]

يذكر الكتاب المقدس وصايا كثيرة تختص بضبط الحواس نسرد بعضها ونبين أهمية هذا الضبط .

- ❖ ان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك ، لأنه خير لك ان يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم . وان كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها والقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم (مت ٥ : ٢٩ ــ ٣٠) .
- ❖ العين لا تشبع من النظر والأذن لا تمتلىء من السمع (جا ١ : ٨) .
- ❖ الهاوية والهلاك لا يشبعان وكذا عينا الإنسان لا تشبعان (ام ٢٧ : ٢٠) .
- ❖ سراج الجسد هو العين . فان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيرا . وان كانت عينك شريره فجسدك كله يكون مظلما . فان كان النور الذى فيك ظلاما فالظلام كم يكون (مت ٦ : ٢٢ ــ ٢٣) .

وقد كتب القديس ثيوفان الناسك فى هذا الصدد يقول " انتبه لنفسك وتعلم كيف تدربها. حاول بكل طريقة أن تمنع حواسك من الجولان هنا وهناك كيفما شاءت لأن المفروض ليس فقط أن تبعدها عن اللذات بل أن توجهها نحو كل ما هو خير ونافع ولازم لحياتك الروحية .

ان كانـــت حواســك إلى الآن تجمع وتشط إلى الملذات الحسيه . فحاول أن تقمعها من الآن فصـــاعدا وعد بها من هذا الاعوجاج . واضبطها الآن جيدا وكما إنها قد أسرت من قبل فى لـــذات باطلة وضاره ، عليها الآن أن تتدرب كى تدخل انفعالات مفيدة إلى النفس ، ستجمع الـــنفس إلـــى الداخل وإذ تحلق بها على رياح التأمل الفعلى ترتفع بها إلى رؤية الله والتسبيح لجلاله" .

والقديس أوغسطينوس يحذرنا من خطورة العين فى السقوط بقوله : نظرة ثم فكرة ثم هـــيام ثـــم ســـقوط فبداية الانهيار هو النظرة الزائفة الشهوانية وحواء سقطت بشهوة النظر وامرأة فوطيفار رفعت إليه عينها ، وداود سقط لما رأى امرأة أوريا الحيثى ، وشمشون أوقع نفســـه فـــى الخطر لما خدعه جمال دليلة . والشيخان اليهوديان حاولا فعل الخطية لما وقع نظرهما على سوسنة العفيفة وهى تستحم فى حديقتها (دا ١٣).

وســـليمان انهار لما نظر إلى الأجنبيات ، وامنون أذل أخته ثامار لما تمعن فى جمالها (امل ١١ + ٢صم ١٣) .

وقـــد أوضـــح لنا الكتاب المقدس خطورة ترك الحواس كى تدخل إلى النفس شهوات عديـــدة وأهواء مختلفة إذ تبين لنا أن " الشهوة إذا حبلت تلد خطية ، والخطية إذا كملت تنتج موتا" (يع ١ : ١٥) ، فالإنسان الذى يترك الشهوات تدخل إليه من خلال الحواس فإنها تثير فيه قتالا لا يخلو من السقوط .

[redacted]

يلـــزم علـــى المؤمن بعد أن يقمع جسده ويضبط حواسه ويخضعها لإرادته ، وإرادته نفســـها يخضـــعها لـــنعمة الله العاملـــة وروحه القدوس . عليه بعد هذا ان يدرب نفسه على الـــتلامس مع الحق الذى فى الموجودات . أعلم أن ما تحويه هذه الأشياء من إبداع ليس من ذاتهـــا ولكـــن كل ما فيها هو من عمل الله . لأن الله يعطى لكل شئ وجوده وجماله بقدرته الغـــير مرئـــية ، وهـــو الـــذى يكســـبها جمالا وروعة ويعطيها قوة التأثير على الآخرين ، وبالإجمـــال ان الله هـــو سبب كل جمال فيها . درب نفسك على عادة النفاذ إلى الحق نفسه

ولـيس الاكـتفاء بالـنظرة السـطحية للأمور . ان الهيئة الخارجية المحسوسة قد تثير فيك الانفعـالات الشهوانية ولكن الجوهر الداخلى سيبقى دائما مبعثا للاشراقات الروحية فى العقل والعاطفة ومثير للتأمل والتسبيح .

وقـد أورد ثيوفان الناسك أمثلة كثيرة لهذا الاتجاه وشرح كيف يمكننا أن نتأمل فى الله مـن خلال النظر إلى السماء والأجسام السماوية والأشجار والأعشاب والزروع . كما طبق هـذا الاتجـاه على كل حاسة من الحواس الخمس . ثم يقول " إن واظبت على ممارسة هذا التدريـب يـا حبيبى ، ستقدر أن تتعلم عن معرفة الله بواسطة حواسك الخمس ، وذلك برفع عقلـك دائما من المخلوقات إلى الخالق ، حينئذ سترى فى الوجود علم اللاهوت ، ولا سيما أنـت عائش فى هذا العالم الحسى ، سيكون لك مشاركة فى معرفة العالم الاتى لأن الطبيعة والكون وكل شيء فى العالم ما هى إلا أداة الذى أبدع كل هذه المخلوقات . والرسول بولس يؤكـد هذا بقوله لان أموره غير المنظورة ترى منذ خلق العالم مدركة بالمصنوعات قدرته السـرمديه ولاهوتـه " (رو ١ : ٢٠) . واذا واظب المؤمن على هذا الاتجاه وتعمقت فيه هذه الروح فانه يصل إلى ما يسمى بتجديد الحواس .

فى هذا يقول الرب فى سفر الرؤيا "أشير عليك أن تشترى منى ذهبا مصفى بالنار لكى تسـتغنى وثـيابا بيضـا لكى تلبس فلا يظهر خزى عريتك وكحل عينيك بكحل لكى تبصر" (رو ٣ : ١٨) .

فالذى أخذ من الرب يسوع لهيب الروح الذى يطهر وينقى والذى اغتسل فى دم الحمل وصـارت ثيابه بيضاء . هذا مطوب من الرب وفيه تتحقق الآية المباركة : "طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لإنها تسمع " (مت ١٣ : ١٦) .

ويذكـر كتاب حياة الصلاة الأرثوذكسية هذا الاختبار فى قوله : " والواقع أن الشخص يجوز تغييرا عاما يشمل كل حياته المادية إلى الروحانية ، فالعين بعد أن كانت تجد مسرتها فى الجمال المخلوق سواء كان فى مناظر الطبيعة الخلابة أو بهاء الوجوه البشرية . تجدها قد انتقلت انتقالا مجيدا من هذه الماديات الزائلة وهذا الجمال الزائف المتغير والمتقلب إلى أصل

الجمـــال وخالقـــه . ذلك الجمال الحق الذى لن يتغير قط أو يعتريه شبه تغيير . فتجد العين مسرتها فى التأمل إلى ما وراء كل جمال إذ تستطيع أن ترى جمال الله فى كل شىء . وهكذا تنتقل من المخلوق إلى الخالق ومن الأشياء الزائلة إلى رؤية الحق الثابت .

وكذلك ينتقل السمع من تعلقه بالأصوات المحسوسة إلى الترقى لسماع أصوات التسبيح والتمجـيد الـــتى تعجز الأذن المادية الضعيفة عن أن تبلغ إليها بينما تكون الأذن الروحية قد وصلت إلى حساسية رقيقة تتسمع بها أنغاما أخرى آتية من الأبدية عذبة حلوة غاية فى الرقة والقوة .

وعلـــى هـــذا فان ضبط الحواس لا ينشئ نوعا من الكبت أو الوسوسة ، وإنما الضبط الـــروحى الواعى هو الذى ينهى على الإثارات الشهوانية المنحرفة ويأخذ مما فى الخارج ما يفـــيد فى تنمية ما فى الداخل ، وبالتالى يرتفع الداخل إلى الله نفسه " اكشف عن عينى فأرى عجائـــب مـــن شـــريعتك " (مـز ١١٩ : ١٨) وأفضـــل مـــنهج روحى يضمن بساطة الحواس وطهارتهـــا ، ونورانية العين هو التعمق فى فضيلة المحبة . فالذى يحب لا يشتم ولا يشتهى ولا ينم ولا يسمع الوشاية . المحب دائما ينظر إلى المحبوبين نظرات طاهرة نيرة .

مـــن يحب أخاه يثبت فى النور وليس فيه عثرة ، وأما من يبغض أخاه فهو فى الظلمة وفى الظلمة يسلك ولا يعلم أين يمضى لأن الظلمة أعمت عينيه (ايو ٢ : ١٠ ــ ١١) .

والـــذى يحب يحيا فى النور ويثبت فى الحق ويدخل إلى الحياة الأبدية لأن المسيح هو النور والحب والحق والحياة .

[redacted]

ومـــن أهم الجوانب التى يحرص المؤمن على تعهدها تعهدا واعيا الدافع الجنسى ذلك لأنـــه مـــن أعمق الدوافع وأهمها وأكثرها خصوبة فى الشخصية الإنسانية . واذا كان فرويد نظـــر إلـــى الإنســـان مـــن خلال الجنس إلا أننا كمسيحيين ننظر إلى الجنس من خلال الله والإنســـان . ومعنى هذا أن الجنسية فى الإنسان كما سبق وأوضحنا ليست خطيئة ولا أمرا معيـــبا وإنما هى طاقة حيوية تهدف إلى استمرار النوع وإلى توطيد شركة الحب والألفة بين

الـــرجل والمرأة لتكوين الوحدة بين الاثنين . هذه الوحدة التى كان ينشدها الله فى الجنة منذ نشأة العائلة الأولى .

ولقـــد حرمـــت الكنيســـة كل من ينظر إلى الجنسية والزواج على أنه أمور نجسة أو محرمة ، وأوضح لنا الرسول بولس فى رسائله مدى كرامة الأعضاء التى يظنها الناس إنها قبـــيحة . وســـر سترنا لهذه الأعضاء ليس لأنها قبيحة تجلب العار ولكن لأنها مكرمة وذات قيمة غالية وموضع احترام كبير فى الهيكل الإنساني فلا تعرى وتصير نهبا لعيون الزائغين.

ولقـــد كشفت لنا دراسات مدرسة التحليل النفسى عن وجود الدافع الجنسى منذ المهد ، وأن تربـــية هـــذا الدافع فى السنين الأولى من العمر أمر هام وعليه تتحدد تكوين الاتجاهات الجنســـية والنفسية العميقة فى شخصية الإنسان ولكنه فى فترة المراهقة بالذات تتدفق حيوية هـــذا الدافـــع وتنهمر طاقاته كما تلتهب العواطف والمشاعر المرتبطة به . وهذا أمر طبيعي ومبارك ويلزمنا أن نوجه هذه الطاقة توجيها روحيا واجتماعيا ونفسيا سليما . فالمياه الهادرة أما أن تكون سيلا محطما وأما أن تكون نهرا مرويا مخصبا لما حوله . واللهب إما أن تكون نيرانا محرقة وأما أن تكون شعلة مدفئة وخادمة لأهداف الإنسان ومتطلباته .

ومـــا نقصده بالضبط الواعى يختلف تماما عن الكبت . والعفة المسيحية لا تنشئ كبتا لأن العفـــيف قد تقدس فكرا ووجدانا ونزوعا وليس فيه أدنى انقسام فى الشخصية فالعفيف لا يحس بالفراغ ولا بالصراع لأنه مملوء حبا .

أمـــا الكبـــت فهو عملية سلبية فيه تهرب من الواقع ، ولكن الضبط فهو مرحلة لعملية إيجابـــية . انـــه عملية انفتاح كامل إلى الواقع وتعهد واع للجنسية وإخضاعها بفرح ورضا للمثل الأعلى .

بعـــض الذين يقعون تحت سيطرة الكبت الجنسى لسبب ظروفهم الخاصة يلبسون رداء التدين وينادون باتجاهات منغلقة منحرفة تجعل الشباب يكره الدين والتدين . وهؤلاء يحملون الناس أحمالا عسيرة لا يلمسونها هم بأطراف أصابعهم ، ويركزون الاهتمام فى التعليم على الشـــكليات ولا يلمســـون الجوهـــر . يهولـــون فى الأمور الجنسية ويثقلون التحذيرات ولا

يستطيعون أن يمدوا أيديهم للساقطين كى ينشلونهم . هؤلاء يمتلئ الجو الدينى بهم وهم يلقون عليه بظلهم ويحملونه انحرافهم المعثر .

ان العفـة المسـيحية إيجابية قوامها الحب والانفتاح وتكريس الدافع الجنسى للرب .. ويلزمنا أن نساعد المراهقين على تصعيد طاقاتهم الحيوية بتوجيهها فى اتجاه الوثبات النبيله التى ترتسم فيهم بقوة . لنغذ اذا اشتياقتهم إلى الحق والخير والجمال ولنفتح لهم فى سبيل هذا آفاق المعارف الإنسانية ساهرين على اهتمامهم بها شخصيا ونرتب لهم الرحلات إلى الحدائق والقرى ليتمتعوا بالطبيعة وجمالها ولندربهم على التفتح للفنون وللموسيقى ، ولنحول رغبتهم فى التسلط نحو ضبط النفس وفتح قمم الفضيلة العالية . ولنشجع المراهق على أن يجعل من حـياته شيئا جميلا . وفوق كل شيء لنسهر على أن يعى المراهق الله ينبوعا أولا وغرضا أسـمى لكـل ما يتوق إليه من الحق والخير والجمال وأن يشعر الله وكأنه أشد قلبيه إليه من نفسـه حسب تعبير أوغسطين لنساعده على المضى بعمق وعلى النضوج فى وثبته الروحية الـتى هى طبيعة هذا السن ، بإعطائه أهدافا إيجابية ليحققها محبة بالله . وبتذكيره بضرورة تجسيد هذه الوثبة فى أبسط حقائق الحياة اليومية.

تـتقدس الدوافع الجنسية عند المراهقين من خلال الحياة الدينية العميقة بقراءة الإنجيل بصـورة مسـتديمة وبالاشـتراك المتكرر فى القداس الإلهي والأسرار ، على أن تكون هذه الحـياة نقـية من أى عنصر من عناصر الميوعة ومساعدة على اقتلاع المراهق من فرديته الضيقة وجاعلة إياه شريكا بالروح القدس فى حياة جسد المسيح السرى .

فـى الفـترة الطويلة التى ما بين المراهقة والزواج يعمل المسيحى العفيف نحو تربية العفـة وإنمائها فى حياته استعدادا لاستقبال الحياة الزوجية المباركة . انه يحفظ نفسه من كل دنـس من أجل الحب . انه يرفض الخضوع للنداءات الغريزية من أجل تكريم حب المستقبل الذى سيحياه حارا طاهرا نقيا .

انـه يـرفض الخبرات الجنسية السابقة للزواج لكى يحمل لزوجته شهادة عفه وأمانة وحـب . انه يرفض أن يقترب من خطيبته فى فترة الخطوبة لأنه ككرام ماهر أمين يريد أن

يحتفظ بالبستان ناضرا مليئا بالورود الجميلة الرائحة التى ان امتدت إليها أيدى عابثة ذبلت وضاع جمالها .

وهكذا ستظل العفة فى فترة الخطوبة على قدر مشاقها شهادة أمانة للزوجين وللمسيح رئيس الكهنة الأعظم . يلزم أن يسبق الزواج عاطفة عميقة ومعرفة نيرة وانسجام تام أساسه إيمان واحد بالمسيح الحياة ، وغاية واحدة لتحقيق ملكوت الله .

والشاب المسيحى لا ينشغل بالمعرفة الجنسية كمعلومات لأنه يعرف ان هذا منزلق وعر. حقا انه لا غبار على المعرفة فى أى مجال علمى الا أنه فيما يختص بالجنس فان الأمر هنا متداخل على مشاعر الإنسان وعواطفه العميقة وما أسهل أن يستغل أبليس الميل للمعرفة الجنسية فيقود الإنسان من معرفة عموميات الجنس إلى التفاصيل الدقيقة ويخرج الأمر من نطاق العلم إلى التلذذ والتشهى وتفتيح ذهن الإنسان إلى أمور لم يحن أوانها فيفسد القلب ، وتبرد العواطف الروحية وينجس الذهن بالصور والخيالات . ان العلاقات الحسية والعاطفية فى الزواج أمور تلقائية لا تحتاج إلى تلقين أو دراسات ولا يليق أن يضطرب بسببها ذهن الشاب أو الفتاة .

على أن التعفف فى الجنسية يمتد إلى ما بعد الزواج لأن العفاف ليس فضيلة موقوتة بزمن محدد وإنما هى ثمرة من ثمار الروح القدس .

والعفة فى الزواج تقوم على المحافظة على المعنى الأصيل للحياة الجنسية ، إنها إخضاع الحياة الجنسية للحب الذى يجعل كلا من الزوجين يشعر أن رأى الآخر وراحته وسعادته ثمينة وهامة كحياته تماما . هذه العفة هى أن يكون العمل الجنسى معبرا عن الاهتمام الكلى بالآخر. وعلى ذلك فان العفة فى الزواج تقتضى من كلا الزوجين أن يواصل تحفظه الشديد من الشهوة الرديئة والانحراف أو الإنهاك فى التلذذ الحسى كهدف فى حد ذاته لكى يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم . والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه لأن هيئة هذا العالم تزول . وليس الزواج فى نظر المسيحية مساومة وإرضاء للضعف البشرى بل هو تحقيق واقعى بالنعمة لكيان الإنسان الشامل . ان البطولة المسيحية فى الزواج هى فى

أن يحيا الإنسان بالمسيح وفى العالم . انه مقدمة لانتقال الإنسان من الحالة البشرية إلى الحالة الملائكية وذلك بالتخلى عن العالم كعالم وبتحويله إلى ملكوت الله . ان الزواج محبة وفرح ورمز لملء الحياة بالله .

ولكن الحب الزوجى حب غير منظور ينبع من داخل الروح . انه تجسد الأبدية فى الزمان وحضور الله الفعلى فى الشركة الزوجية . ان ماهية الحب لا تتكشف بالدلائل المنظورة بل بالإيمان والرجاء .

والزوجان المسيحيان يلزمهما أن يختبرا لمسات من حياة البتولية . ان زواجهما مرتبط بالملكوت ، يتعجلونه بتقديس أنفسهما وأنفس أولادهما أيضا .

لذا نص قانون الكنيسة على أن يهجر الزوجان ، بإرادتهما واتفاقهما ، مضجع الزوجية أيام الأصوام ، والأيام التى يستعدان فيها للاقتراب من جسد المسيح ودمه ، والأيام التى يتناولان فيها من هذا السر العظيم .

على أن الجنسية فى المسيحية قد تسمو إلى حد أن يقدم المؤمن طاقاتها مع طاقات الجسد كله محرقة لأجل الرب وهنا تمتد شعلة الحب فى الإنسان لكيلا تنحصر فى زوجة وبضع أولاد وإنما تتسع فى أبعادها إلى حد أن يصير القلب كله لله ولجميع البشر .

فالبتوليون هم جماعة امتلأت قلوبهم بالحب السمائى ورغم أنهم وجدوا أنفسهم قادرين على تكوين حياة زوجية ناجحة ولديهم الإمكانية أن يسعدوا زوجاتهم وأولادهم ، وعندهم العفة التى تمكنهم من أن تكون حياتهم الزوجية من أجل المسيح .

لكنهم من أجل شدة حبهم فى الملك المسيح ومن أجل شدة رغبتهم فى التفرغ للختن السماوى طلبوا ما هو أفضل منتظرين أن يزفوا للعريس السماوى فى مدينة الأبكار .

البتولية هى تكريس كامل للطاقة الجنسية وللجسد كله . هى حياة مجيئية تئن مشتاقة لمجىء الرب الأمين وهى فى تطلعها ولهفتها هذه تسحب الملكوت ليغطى حياة البتوليين كى تتحقق الطلبة " ليأت ملكوتك كما فى السماء كذلك على الأرض " .

الموضوع الرابع

قيامة الجسد وفداؤه وتمجيده

- ❖ قيامة الجسد .
- ❖ فداء الجسد .
- ❖ تمجيد الجسد .
- ❖ تمجيد الكون كله .

[redacted]

يعطـــى الفيلسوف أثيناغورس أدلة على قيامة الأجساد فى مقال موسع عن القيامة من الأمـــوات ونقـــتطف مـــن مقاله أهم الأفكار اذ يقول "غير ممكن أن يكون الله جاهلا بطبيعة الأجسام التى ستقوم ولا بالأماكن التى توجد فيها الخلايا المتحللة للجسم المائت ، ولا بالشكل الذى تحولت إليه هذه الأجسام ، رغم ما يبدو للإنسان من أنه يستحيل أن ينفصل عن الأرض ذلك الذى اتحد بها وضاع فيها ، لأن ذاك الذى صدرت عنه هذه الأجسام لا يمكن أن تختفى حقيقـتها عنه إذ هو يعرف مما تتألف ، كما يعرف الأشياء التى أخذها عنها لتكوينها ، فهو والحالـــة هـــذه يعرف أين تحللت وأى شكل اتخذته بعد تحللها . وإننا نعرف باختبارات وبما جمعـــناه من معارف أن إيجاد المخلوقات من العدم وإبرازها فى شكل معين بعد أن كانت لا شـــكل لهـــا أعظـــم من إعادتها إلى ما كانت عليه بعد أن تحللت ، على أن الحالتين بالنسبة لحكمة الله وجلاله متيسرتان ، وكل منهما سهل كالآخر تماما . فهو يعرف مقدما الأشياء قبل وجودها ، كما يعرف ما تحلل منها ووسيلة جمعه " .

فالذى خلق يستطيع أن يقيم ويحيى .. وفى موضع آخرى يقول " والجسد نفسه لن يناله ضـــير فى القيامة ، لأنه ان كان لا يضام فى هذه الحياة حيث يتحد الفاسد بغير الفاسد فكيف يضام متى أتحد عدم الفاسد بعدم الفاسد ؟! ثم انه لا يوجد من يقول أن القيامة عمل غير لائق

بالله ، لأنه ان كان الشيء الأدنى وهو خلق الجسد المعرض للآلام والفناء ، جديرا بأن يخلقـه الله فمن يجسر على القول بأن العمل الأسمى ، وهو تجميع الأجسام التى تلاشت غير لائق به ؟! .

ثم يستطرد فى الحديث ويقول " إن هدف الخلق هو القيامة لأن الإنسان لم يخلق للموت والموت جاء أمرا عارضا على الإنسان والله داس الموت بالموت .

فأول الأدلة على القيامة هو الخلق ذاته ، أو بالحرى الغرض الذى استهدفه الخالق من صنع الناس وان كان الموت هو هدف الخلق وموضوعه فان خير المبادئ هو المبدأ القائل " لنأكل ونشرب لأننا غدا نموت " .

فالله الحكيم الذى خلق الإنسان وزينه بالعقل والحكمة يستحيل أن يكون قد خلقه ليقذف به بعد سنين معدودة إلى باطن الأرض ليكون طعاما للديدان والحشرات كأخس الدواب .

ثـم انـه ليس أسوأ على الإنسان من أن يعتقد أنه كسائر أنواع الحيوان يعيش ويموت مـثلهم إذ أن هذا الاعتقاد فوق ما فيه من إهانة فادحة للإنسان فهو فى أقصى حدود الإهانة لحكمة الخالق وفطنته .

والأجسـاد المقامـة هى بعينها الأجساد التى ماتت فالله تعالى لن يخلق للإنسان جسدا بخـلاف الجسد الذى عاش به على الأرض ، ولكنه يقيم نفس الجسد الذى لبسه قبل موت ، ويكـون مـثله فـى ذلك كمثل إنسان خلع ثوبه ثم عاد فلبسه ، ولو كان الله يقيم جسداً آخر ليورثه المجد أو الشقاء لكان هذا أمرا بعيدا عن التصديق لأنه كيف يرضى بأن يعطى المجد لجسد لم يجاهد على الأرض أو كيف يعذب جسما لم يتدنس بخطية ما .

" إن لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ولكن ان ماتت تأتى بثمر كثير " (يو ١٢ : ٢٤) راجع أيضا (اكو ١٥ : ٣٥ ــ ٣٨) .

والأدلة الكتابية على قيامة الأجساد كثيرة ونجد الشيىء الكثير منها فى العهد القديم فقد دل علـيه موسـى ايضاً فى أمر العليقة كما يقول الرب إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب وليس هو إله أموات بل إله أحياء لأن الجميع عنده أحياء (لو ٢٠ : ٣٧ ، ٣٨) .

ولقد كانت إشارة حزقيال النبى للقيامة العامة غاية فى الصراحة فهو يقول " كانت على يد الرب فأخرجنى بروح الرب وأنزلني فى وسط البقعة وهى ملآنة عظاما . فقال لى يا ابن آدم أتحيا هذه العظام . فقلت يا سيد الرب أنت تعلم . فقال لى تنبأ على هذه العظام وقل لها . هـأنذا أدخـل فـيكم روحا فتحيون ، وأضع عليكم عصبا وأكسيكم لحما وأبسط عليكم جلدا وأجعـل فيكم روحا فتحيون وتعلمون أنى أنا الرب " (حـز ٣٧ : ١ ـ ٦) ثم يقول " فتنبأت كما أمـرنى فدخـل فـيهم الـروح فحـيوا وقـاموا علـى أقدامهـم جـيش عظيم جدا جدا " (حـز ٣٧ : ١٠) وبعـد حزقيال تنبأ دانيال عن القيامة بقوله "وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدى (دا ١٢ : ٢) . والرب يسوع نفسه علم عن القيامة فى مواضع كثيرة نذكر منها :

- ❖ تضلون اذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله (مت ٢٢ : ٢٩ ـ ٣٠) .
- ❖ لأنه كما أن الآب يقيم الأموات ويحى كذلك الأبن أيضا يحيى من يشاء (يو ٥ : ٢١) .
- ❖ كـل مـا أعطانى لا أتلف منه شيئا بل أقيمه فى اليوم الأخير (يو ٦ : ٣٩) . وهو نطق يفـيد أن نفس المؤمن لا تنال كمال الحياة الأبدية الا متى قام الجسد وشاركها السعادة لأن فداء الإنسان يتضمن فداء جسده أيضا .
- ❖ ثم تكلم الرب يسوع عن القيامة بقوله " يجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء " (مت ٢٥ : ٣٢) .

ولـم يعلم الرب يسوع عن القيامة فقط بل برهنها عمليا إذ أقام من بين الأموات ثلاثة هم :

- ❖ ابنة يايروس .
- ❖ ابن أرملة نايين .
- ❖ لعازر أخو مريم ومرثا .

كما أن هناك كثيرون قاموا من الأموات ساعة صلب الرب يسوع . ثم كانت المعجزة الكـبرى الـتى هى أعظم برهان على قيامة الأموات وهى أن الرب يسوع قام بنفسه وقدرة

لاهوتـــه وحطـــم المتاريس وأبطل عز الموت وسحق رأس الحية وفتح باب الفردوس لجميع المسبين من بنى آدم وذريته .

وأمـــا بولس الرسول فان كتاباته وأقواله كلها مليئة بالتعليم عن قيامة الأجساد من بين الأموات ، ونذكر قليلاً منها .

فهو أمام فيلكس الوالى يقول " ولى رجاء بالله فيما هم أيضا ينتظرونه أنه سوف تكون قيامة للأموات الأبرار والأثمة ، لذلك أنا أيضا أدرب نفسى ليكون لى دائما ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس" (اع ٢٤ : ١٥ ـ ١٦) .

وفـــى موضع آخر يقول " لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبها بموته ، لعلى أبلغ إلى قيامة الأموات " (فى ٣ : ١٠ ـ ١١) .

وفى موضع ثالث يقول " لأنه ان كنا نؤمن أن يسوع مات وقام فكذلك الراقدون بيسوع سيحضرهم الله أيضا معه . فإننا نقول لكم هذا بكلمة الرب إننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيئ الرب لا نسبق الراقدين . لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل مـــن الســـماء والأموات فى المسيح سيقومون أولا . ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهـــم فـــى الســـحب لملاقـــاة الـــرب فـــى الهـــواء . وهكـــذا نكـــون كل حين مع الرب (١ تس ٤ : ١٥ ـ ١٧) .

ويعطـــى الرسول بولس تأكيدا على قيامة الأموات عندما يقول : " ولكن ان كان المسيح يكرز به أنه قام من الأموات فكيف يقول قوم بينكم أن ليس قيامة أموات . فان لم تكن قيامة أمـــوات فـــلا يكون المسيح قد قام . وان لم يكن المسيح قد قام فباطلة كرازتنا وباطل أيضا أيمـــانكم . أنـــتم بعد فى خطاياكم إذا الذين رقدوا فى المسيح أيضا هلكوا . ولكن الآن قد قام المسيح من الأموات وصار باكورة الراقدين (اكو ١٥ : ١٢ ـ ٢٠) وهكذا يرى الرسول بولس أن رجاء المسيحى فى قيامة الأموات هى موضوع كرازته وسبب تعبه وخدمته وإن اعتقت فانه يكون أشقى جميع الناس .

من أجل هذا نحن نشكر الله الذى جعل أيام غربتنا قصيرة ووهب لنا بالموت الجسدى

عبورا إلى حياة أفضل إلى مدينة سمائية مقدسة أورشليم الجديدة النازلة من السماء من عند الله مهيأة كعروس مزينة لرجلها . نعم هناك يسكن الله معنا ونحن نسكن معه ، ونحن نكون له شعبا وهو نفسه يكون معنا إلها ويمسح كل دمعة من عيوننا والموت لا يكون فيما بعد ولا يكون حزن ولا صراخ ولا وجع لأن الأمور الأولى قد مضت (رؤ ٢١ : ١ ـ ٤) .

لك المجد يا ربى يسوع يا من كسرت شوكة الموت بموتك ، " أين شوكتك يا موت أين غلبتك يا هاوية " ، ويا من أعطيتنا بقيامتك قيامة وبرا ومجدا ونورا وحياة أبدية .

على أنه إذا كانت قيامة الأموات أمراً مستقبليا أخرويا نتوقعه بالرجاء وننتظره بعين الإيمان إلا أن الرب يسوع بين لنا أن هناك قيامة حياة للأبرار وقيامة دينونة للأشرار . فى يوم مجيئة المبارك المخوف المملوء مجدا سوف يفرز الحنطة عن الزوان والخراف عن الجداء . ونحن نستطيع أن نتحقق من قيامتنا للحياة الممجدة ان كان ملكوت الله عاملا فينا فى هذا الزمان الحاضر . فالرب يسوع يقول : " تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الانسان والسامعون يحيون " . وفى موضع آخر يقول : " أنا هو القيامة والحياة من آمن بى ولو مات فسيحيا وان كان احد يحفظ كلامى فلن يرى الموت إلى الأبد " (يو ١١ : ٢٥ +يو ٨: ٥١) .

[redacted]

يقول الرسول بولس " وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضا نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا " (رو ٨ : ٢٣) .

وفى هذه الآية المقدسة يكشف لنا الرسول بولس عن عقيدة إيمانية هامة وهى أن الجسد عند المؤمن لن يكمل فُداءه إلا بالموت والقيامة . فنحن نعيش الآن على هذه الأرض بجسد ترابى ساقط ، ونشابه كل الناس فى أجسادنا ، فليس هناك ثمة اختلاف بين مؤمن تقى وإنسان شرير فى أجهزة الجسم وعملياته البيولوجية . هذا الجسد الترابى الذى يحرص المؤمن على روحنته وإخضاعه لمشيئة الله وتقديسه بسكنى الروح القدس وحلول المسيح

سريا فيه . هذا الجسد سيزرع فى فساد ويقوم فى عدم فساد . وهنا يكمل فداء الإنسان عندما يأخذ الرب المختارين ويدخلهم الى قدس أقداس السماء حيث الآب السماوى لنكون مع الرب كل حين . وعندما يتحقق القول أن آخر عدو يبطل هو الموت وعقيدة فداء الجسد وقيامته فى حالـــة نورانية أمر مقرر كتابيا . فقد أوضح لنا الرب يسوع فى حديثه مع الصدوقيين الذين يـــنكرون قيامة الأموات أن الجسد سيقوم على شبه ملائكة الله من حيث أنهم لا يزوجون ولا يـــتزوجون. وذلـــك لأن هذه العمليات البيولوجية تكون قد أتمت رسالتها وبطل مفعولها لأن الأجساد الكثيفة لا تلائم الخلود ، ولحما ودما لا يستطيع أن يرث ملكوت السموات . فكل ما هو ترابى فى أجسادنا سوف يبقى فى التراب وكل ما هو سماوى متحد بأشخاصنا هذا سيقوم فـــى أجســـادنا ليتمـــتع بشركة المجد مع القديسين ويمتلئ الى كل ملء الله من الفرح والنور والبهاء حسب وعد الله .

وقد شرح " هكذا ايضاً قيامة الاموات يزرع فى فساد ويقام فى عدم فساد ، يزرع فى هـــوان ويقـــام فى مجد ، يزرع فى ضعف ويقام فى قوة ، يزرع جسماً حيوانياً ويقام جسماً روحانـــياً .. وكمـــا لبســـنا صورة الترابى سنلبس ايضاً صورة السماوى . فأقول هذا ايضاً الأخوة ان لحماً ودماً لا يقدران ان يرثا ملكوت الله ولا يرث الفساد عدم الفساد .

هـــوذا ســـر اقوله لكم . لا نرقد كلنا ولكننا كلنا نتغير ، فى لحظة فى طرفة عين عند البوق الاخير . فإنه سيبوق فيقام الاموات عديمى فساد ونحن نتغير . لان هذا الفساد لابد ان يلـــبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت ، ومتى لبس هذا الفاسد عدم فساد ولبس هذا المائـــت عدم موت فحينئذ تصير الكلمة المكتوبة ابتلع الموت الى غلبة . اين شوكتك ياموت اين غلبتك ياهاويه " (اكو ١٥: ٤٢ ـــ ٥٥) ، لنا بولس الرسول صورة قيامة الجسد بعد فدائه ونستطيع أن نستخلص من هذا الإصحاح السمات الآتية للجسد الروحانى الذى افتدى بالقيامة:

١ ـــ يقام فى عدم فساد ، فى مجد وفى قوة .

٢ ـــ ليس هيوليا ماديا لأن لحما ودما لا يقدران أن يرثا ملكوت الله .

٣ ـــ أن التغير سيحدث فى لحظة وفى طرفة عين فتلبس أجسادنا الأرضية التـــى قامت من

القبور مجدا وقوة تحول هذه الأجساد الى أجساد روحانية تتناغم مع الحياة فى الملكوت أن كانت لقيامة الحياة أو لبعضهم لمن كانت لقيامة الدينونة .

[redacted]

يقول بولس الرسول ان المسيح سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده (فى ٣ : ٢١) ويؤيد ذلك يوحنا البشير بقوله : " ولكن نعلم أنه إذا أظهر نكون مثله لأننا سنراه كما هو " (١ يو ٣ : ٢) .

ومعنى هذا أن أجسادنا الروحانية العتيدة ستكون مثل جسد ابن الله المقام من الأموات من حيث المظهر والقوام والأمجاد ولكن الذى يميز أجسادنا عن جسد ابن الله أن أنوار أجسادنا وبهائها وقداستها ليست ذاتية فيها بل منعكسا عليها من نور ومجد وطهارة جسد ذى الكمالات الذاتية الجوهرية .

والذى يميز جسد ابن الله عن أجسادنا المقامة أن الرب يسوع احتفظ فى جسده الممجد بآثار جراح الصليب يتراءى بها أمام وجه الله ليشفع فينا كل حين . وأجسادنا نحن لن يكون فيها دم ولحم ، ولن يكون فيها عيب أو نقص ، ولن يكون فيها ذكر أو أنثى . ولكنها ستكون أجساد على صورة جسد مجد ابن الله .

يقول المتنيح القمص ميخائيل مينا " ان أجساد القيامة تقوم بحال أشرف وأكمل مما كانت عليه قبل الموت فمن كان أعمى أو أعور أو أعرج أو اخرس أو لصم ففى القيامة يقوم صحيحا سالما متصفا بكل كمال .

لأن الله يتمم فى القيامة نقص طبيعتنا وفسادها وكذلك من كسرت عظامهم أو افترستها الوحوش أو احترقت بالنار ، فانها لا تهلك البتة لأن الله تعالى يحفظها وتتشرف بمجد القيامة " .

وهذا يفسر لنا معنى إننا فى المجد نكون أبناء قيامة أى أن أجسادنا الفاسدة التى كانت عرضة للموت قد بلغت السماء وصارت خالدة فوق كل زمان مهيأة ومكان لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل محفوظ فى السموات لأجلنا .

وقـد عرفـنا مـن الكتاب المقدس عن الجسد الممجد فى حياة الرب يسوع من خلال موقفيـن: واحـد قبل القيامة ، وآخر بعدها . أما ما قبل القيامة فهو حادث التجلى عندما أخذ الـرب يسـوع بطرس ويعقوب ويوحنا وصعد بهم الى جبل عال منفردين وحدهم وتغيرت هيئـته قدامهم وصارت ثيابه تلمع بيضاء جدا كالثلج لا يقدر قصار على الأرض أن يبيض مـثل ذلـك .. وكانت سحابة تظللهم فجاء صوت من السحابة قائلا هذا هو ابنى الحبيب له اسمعوا (مر ٩ : ١ ـ ٨) .

ان تجلـى جسـد الـرب يسوع على جبل طابور يكشف لنا جمال الصورة الالهية ويظهـر لـنا أيضـا كيف كانت طبيعتنا الانسانية قبل أن تتلوث بخطيئة آدم وتوضح لنا ما تستطيعه وما يجب أن تصيره طبيعتنا البشرية .

وأمـا الموقف الثانى فهو ظهور جسد ابن الله بعد القيامة بأشكال مختلفة ودخوله العلية والأبـواب مغلقـة (يو ٢٠ : ١٩ ، ٢٦) مرتين . ثم صعوده بهذا الجسد الممجد منطلقا به نحو السـماء حسبما شاهده آباؤنا القديسون (اع ١ : ١٠ ـ ١٢) وقد شاهد هذا الجسد الممجد الجالس عـن يميـن الله القديس اسطفانوس رئيس الشمامسة عندما حنق اليهود عليه بقلوبهم وصروا بأسـنانهم علـيه وأمـا هو فشخص الى السماء وهو ممتلئ من الروح القدس فرأى مجد الله ويسـوع قائما عن يمين الله فقال ها أنا أنظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائما عن يمين الله (اع ٧ : ٥٤ ـ ٥٦) .

ولكـن ثمة سؤال : هل جميع الأجساد ستقوم على صورة جسد ابن الله ؟ أم أن هناك أجساد ستلبس الروحانى لتخلد فى العذاب ، وأخرى تلبس المجد لتخلد فى فى الملكوت وأبدية ابن الله ؟ ! .

يجيب على هذا القديس مكاريوس الكبير بقوله " انه بالمدى الذى حسب الواحد منا أن ينال الروح القدس هنا بالايمان والمثابرة . بهذا المدى سيتمجد جسده فى ذلك اليوم ، لأن ما اختزنـته الـنفس فى داخلها من نور سينكشف اذ ذاك ويستعلن خارجيا فى الجسد . فى يوم القـيامة سـيخرج مجد الروح القدس من الداخل الى الخارج مزينا ومغطيا أجساد القديسين

بـــالمجد الذى كان لهم من قبل والذى كان مختفيا داخل نفوسهم ستتمجد أجساد القديسين بذلك المجد الامنطوق به الذى هو داخلهم أى الروح القدس العامل فيهم " .

ستتســـطع أجســـاد القديسين بالنور والبهاء بعد القيامة ، وما هذا البهاء الا انسياب مجد النفس الى الجسد . ففى الجسد الممجد سينكشف مجد النفس كما يبدو لون الشئ خلال الوعاء الزجاجى الشفاف الذى يحويه ، وهذا الجسد المتجلى جسد القيامة الساطع بنور الروح القدس هو ما يحاول الفنان أن يصوره رمزيا فى أيقونات الكنيسة .

فالجسد اذاً سيشارك النفس بركات الدهر الآتى كما شاركها أتعاب البرية وجهاد أرض الغربة .

وفـــى القيامة العامة سيكون هناك فارق جذرى بين أجساد الأشرار وأجساد الأبرار .. أمـــا أجســـاد الأشرار فستكون مخيفة وقبيحة وكما أنهم نجسوها بالخطية فى حياتهم فستبقى الخطية لاصقة بها لتعطيها صورة شنيعة وشكلا تشمئز منه النفوس . ستكون أجساد الأشرار مظلمـــة حالكة السواد مليئة بالخزى والعار والخجل . وهم يقولون للجبال والصخور اسقطى عليـــنا واخفيـــنا من وجه الجالس على العرش" (رؤ ٦ : ١٦) فالعين التى نظرت الى الشهوات الخادعة سوف تسأم وتفزع من رؤية الشياطين المخيفة وتقشعر من ظلام جهنم الدامس لأن النار ستحرق أجساد الأشرار ولن تعطيهم نورا بل يكونون فى حلوكة مرعبة وسواد مفزع (راجع أيوب ١٠ : ٢١ ــ ٢٢) والأذن التى رفضت سماع صوت الله فسوف تصم من سماع أصوات البكاء والعويل من الخطاة المعذبين والشياطين ، واللسان الذى تلذذ بالأطعمة ونطق بالكلمات الرديئة سيصيبه عطش عظيم حتى يلتهب التهابا مؤلما فلا تستطيع مياه البحار أن ترويه أو تخفـــف ألمـــه يقـــول القديس يوحنا ذهبى الفم " فنرى تلك الساعة الألسنة المتكلمة بالإلحاد والأباطـــيل تلتهـــب فى السعير التهابا متصلا ولا تجد من يرطبها ، وأسنان النمامين عندما تلمســـها الملائكة تنسحق كالخوف ، وأفواه المجدفين تسد بجمر النار الملتهبة ، وأيدى محبى الفضة ترنجف كالورقة وتعلق مجردة بألم لا يطاق ، والأعين التى كانت تنظر شزرا وغمزا تضحى منفجرة .

أمـــا أجســـاد الشهداء التى مزقتها حراب المضطهدين وقطعتها سيوفهم والتى احترقت بالنـــيران أو وضعت فى زيت مغلى فسوف يقيمها الله ويعطيها راحة كاملة . رؤوسهم التى قطعـــت ستلبس الأكاليل وأعضاؤهم التى نشرت بالمناشير ستتحلى بالمجد والبهاء . ستكون بهـــية مجـــيدة مشرقة كالشمس منيرة كالقمر لامعة كالنور لأن البر سيكون لها كثوب أبيض والقداســـة ســـتجعلها لامعة ناصعة وتظهر نقية مغسولة بدم المسيح فى أحسن مظهر وأمجد بهـــاء ويـــتم فيها وعد الله " وسيمسح الله كل دمعة من عيونهم والموت لا يوجد فيما بعد ولا يكـــون حزن ولا صراخ ولا وجع لأن الأمور الأولى قد مضت " (رؤ ٢١ : ٤) والأعظم من هـــذا أنهـــا تكون مشابهة لجسد المسيح الذى سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على صورة جسد مجده حتى إذا ما أظهر يكون مثله (فى ٣ : ٢١) ، (١ يو ٣ : ٢) .

وعلـــى الـــرغم مـــن أن تجلـــى الجسد وفدائه وتمجيده لن يكون بالتمام الا فى قيامة الأمـــوات ، وأن مـــلء السعادة الأبدية الذى سيمنح للقديسين لن يتم نهائيا إلا حين يتشحون بجســـد القيامة إلا أن المؤمن يأخذ من هنا عربون هذا التجلى وهذا المجد . يأخذه فى سر ، يـــأخذه في الباطن . وعند قلة من القديسين أعلن الرب نور حياتهم الداخلية علانية وهم على الأرض .

فنحـــن نقرأ عن القديس العظيم الأنبا شنودة رئيس المتوحدين وكيف كانت يداه ووجهه تضئ وقت الصلاة ، وكيف كان القديس العظيم أرسانيوس يرى كشعلة من نار وهو يصلى ، والقديـــس سيرافيم الروسى كيف كان وجهه يضئ وجسده يلمع على شبه تجلى جسد ابن الله على جبل طابور .

يقـــول أحد الآباء " انه لما تجلى المسيح على جبل طابور هكذا تجلى خادم المسيح فى غابـــة ســـاروف " ، وكمـــا أن الجراح التى تفجرت فى أيدى الشهداء والقديسين هى امتداد لصـــلب المســـيح ، وتكميل نقائص شدائد المسيح فى أجسادهم (كو ١ : ٢٤) هكذا يكون تمجيد أجساد شنودة وبيشوى وأرسانيوس وسيرافيم وغيرهم امتدادا لتجلى المسيح .

وكمـــا يؤكـــد تجلى الرب يسوع قيمة الجسد الإنساني للاهوت الابن الكلمة هكذا يؤكد أيضا قيمة أجسادنا فى خطة الخلاص وحتمية تمجيدها كى تدخل السماء .

إنها سوف تتحرر ، سوف تمتلئ من مجد الله ، سوف تدخل اليوم الثامن يوم الراحة ، ذلك اليوم الذى لن يعرف ليلا .

ان تجلى أجساد بعض القديسين باستباقهم قيامة الجسد يؤكدون أن الدهر الآتى للمسيحى ليس أمرا مستقبليا وأخرويا فقط وإنما هو حاضر يتحقق ويبتدئ الآن .

يقول القديس اغريغوريوس بالاماس " ان كان الجسد سيشارك النفس البركات اللامنطوق بها فى الدهر الآتى فمن الضرورى أن يشارك على قدر الامكان هذه البركات الآن " .

وهكذا كان تحرر أجساد كثير من القديسين من المرض وتحكمهم فى الوحوش وتجلى الوجه وعدم فساد بعض الأجساد بعد الموت . انما هذه كلها كانت عربون تمجيد الجسد وعلامات مسبقة لما سيحدث لأجسادنا التى ستلبس عدم فساد وتقام فى فرح لا ينطق به ومجيد .

[redacted]

يقول القديس أثناسيوس الرسولى " انه لما سقط آدم تلوثت الخليقة المادية كلها بهذه السقطة " ومعنى هذا أن عبودية الفساد التى لحقت بكيان آدم وبنيه سرت إلى الكون كله . ولما جاء الابن الكلمة إلى عالمنا هذا عاش تحت ناموس الطبيعة ليقدس كل ما فى الطبيعة . بأكله قدس الطعام وبعماده قدس الماء وبصلبه قدس الهواء وبممارسته النجارة فى بيت يوسف قدس العمل والمهنة .

ولم يعد هناك شئ نجس يدخل الإنسان المؤمن . ولكن الجسد الإنساني لم يفتدى بعد ومعه لم تتجلى بعد الخليقة المادية . والرسول بولس يوضح هذا الموضوع بقوله " لأن انتظار الخليقة يتوقع استعلان أبناء الله إذ أخضعت الخليقة للبطل ليس طوعا بل من أجل الذى أخضعها على الرجاء . لأن الخليقة نفسها ستعتق من عبودية الفساد إلى حرية مجد أولاد الله فإننا نعلم أن كل الخليقة تئن وتتمخض معا إلى الآن ، وليس هكذا فقط بل نحن الذين لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضا نئن فى أنفسنا متوقعين التبنى فداء أجسادنا " (رو ٨ : ١٩ ــ ٢٣) .

ومعنى هذا أنه فى اليوم الأخير لن يخطف الانسان من بين الخليقة بل أن الخليقة كلها ستخلص وتتمجد معه . ثم رأيت سماء جديدة وأرضا جديدة لأن السماء الأولى والأرض الأولى مضتا (رؤ ٢١ : ١) .

وكما يشير تجلى المسيح إلى قيامة الأجساد فى اليوم الأخير فانه يشير أيضا إلى التحول الذى سيتناول الكون كله ، ذلك لأنه على جبل طابور لم يتجلى وجه المسيح فقط بل سطعت ثيابه أيضا ، إشارة إلى أن المادة سوف تتجلى أيضا مع تجلى جسد الإنسان .

وإذا كانت الكنيسة الأرثوذكسية تقدس المادة فى الأسرار الإلهية وصنع الأيقونات المكرسة فى الكنائس . وأضحى الماء والزيت والخشب والخبز والخمر . كل هذه تتقدس بحلول الروح القدس عليها فان المادة سوف تتجلى عندما تنحل العناصر وتذوب ويقيم الرب أرضا جديدة يسكن فيها البر إلى الأبد ، سوف يعاد إلى الخليقة ما كان لها من جمال وتناسق وروعة وبهاء أخفته وشوهته خطيئة آدم وعصيانه .

وسوف يأتى يوم يتجدد الإنسان ويتجلى ويصبح فى حياة شركة دائمة مع الله وسوف ينال الخليقة المادية بعضا مما ناله كاهنها وسيدها ، وكما كان التشتت والاضطراب من خلاله سيكون التجلى والتجدد معه أيضا .

كم تؤثر هذه العقيدة الإيمانية فى حياتنا . إننا لن نرى المادة فيما بعد فسادا ولن نعتبرها ضد الروح كما ترى الأفلاطونية ولكنها مجال مبارك لحضور روح الله وتقديس الكون كله . أننا مسئولون عن العالم ومسئولون أن نصلى لأجل كل ما فيه من حيوانات ونبات كثمار الحقل والعشب وكذا الهواء ومياه الأنهار .

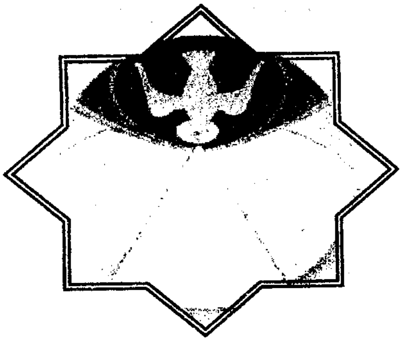

ان الجسد إذا رفض الشهوات الدنيئة لا يعود يسحب النفس إلى أسفل بل انه يصعد معها إلى حد أن الإنسان كله يصبح روحانيا . والفرح الروحى الذى يسرى من النفس إلى الجسد يستمر حقيقة روحية حتى وهو عامل فى الجسد ، انه يروحن الجسد . يحوله إلى كيان روحى وبهذا الكيان وحده يؤهل لدخول ملكوت السموات .

وعلى هذا فان الرجاء المبارك المتضمن فداء الجسد وتمجيده يتطلب منا توبة حاسمة ، وحرصا على تجديد الذهن وعدم مشاكلة هذا الدهر ذلك لأن الفاسد لا يستطيع أن يرث عدم فساد . والذى لم يقدر أن يتذوق طعم الحياة الروحانية هنا وهو فى الجسد كيف يمكنه أن يعيش الأبدية فيها بعد القيامة ؟! .

وإذا كانت الأبدية امتدادا لحقيقة معاشه الآن فى هذا الزمان فانه يلزمنا أن نعى أهمية القداسة وحياة التقوى كمنهج لازم للانتقال من هذا العالم إلى الحياة الأخرى . وان كنا نتوشح بالمسيح هنا فسوف نراه فى مجد أبيه هناك . وان كنا نفرح هنا فرحا روحانيا فسوف نعاين ملكوت الفرح الأبدى هناك ، وان كنا نتذوق حياة القداسة ونحن فى الجسد فسوف نتغير لنحيا مع الملائكة والقديسين الأبكار مسبحين الله القدوس كل حين .

ويقول أحد الآباء ان قطبا التدبير المسيحى للخلاص . هما التجسد والمجىء الثانى . بالتجسد دخل اللاهوت فى المادة واحتضنها واتحد بها وصار الكلمة جسدا ، بالتجسد نزل الله من المجد إلى عالمنا . هذه هى الحركة الهابطة ، إنها قطب الخلاص الأول .

أما القطب الثانى فهو المجئ الثانى الذى فيه ستتغير الطبيعة الإنسانية كلها وتتحول إلى كيان روحى ممجد بل ويتقدس الكون كله إذ يصنع الرب الإله حسب وعده سماء جديدة وأرضا جديدة . انها الحركة الصاعدة التى فيها يأتى الرب ويأخذ الكنيسة ليصعدها إلى مجد أبيه . وهذا هو القطب الثانى للخلاص .

بين هذين القطبين تعيش الكنيسة فى الزمن مجاهدة ساعية نحو تنفيذ مقاصد الله وتحقيق خطته الأزلية . إنها تستخدم وسائط النعمة بكافة أنواعها من أسرار وصلاة وإنجيل وأنواع الخدمات كى يتغير الإنسان من الحياة الجسدية إلى الحياة الروحانية ، أنها تسعى إلى

أن تلدهـــم ولادة جديـــدة بالمعمودية وتعطيهم جسد ابن الله ودمه كى يثبتوا فى الحق والنور والحـــب وتحثهم على التوبة الدائمة وصون النفس والجسد من دنس الجسد والروح حتى إذا جاء ملء الأزمنة واكتمل عدد المختارين ينهى الرب الزمن ويأتى ليأخذ مؤمنيه ليدخلهم إلى كنيســـة الأبكار ، وكلما كانت الكنيسة واعية رسالتها نشطة فى خلاص أولادها ، ساهرة فى صون المؤمنين وتثبيتهم ضد تيارات العالم الفاسدة ، وكلما كانت شاهدة للرب بقداسة أبنائها وتعففهـــم وتجـــردهم كلمـــا أسرعت ساعة المجئ الثانى . ذاك اليوم السعيد الذى فيه تنتهى المعانـــاة ويـــبطل الجهاد والتعب ويدخل الجميع فى يوم لا ليل له ولا يكون هناك حزن ولا تنهد ولا وجع لأن الخروف نفسه يكون وسطهم ويرعاهم ويقتاتهم إلى ينابيع حية .

المجيء الثانى وتجلى
الإنسان والكون

التجسد

الكنيسة تعيش مستخدمه وسائط النعمة
لتحقيق القصد الالهى من التاريخ والزمان

وفـــى إطـــار حياة المؤمن الشخصية فانه اذا تأمل داخله جيدا فانه وفقا لوجهة النظر المســـيحية ســـيجد نفســـه محتويا على المستويات الثلاث للكينونة ففيه العالم الروحانى لأنه روح ، وفيه العالم الإنساني لأنه نفس وشخصية إنسانية ، وفيه العالم الأرضى الحيوانى لأن فى جسده يسكن الإنسان العتيق . وفى طبيعته المثلثة للروح والنفس والجسد يجمع الإنسان ما بين المستويات العليا والمستويات السفلى .

الأمر الذى يعطى للإنسان كرامة تفوق فى سموها الحيوانات بل والملائكة أيضا طالما هو أوسع نطاقا من الملاك .

ومـــا علـــى المؤمن إلا ان يسلم للرب زمامه الداخلى فاذ بحياته ترتفع من كل ما هو ســـفلى لتصـــير حـــياة إنســـانية روحانية وهنا تصبح هذه الحياة لائقة أن تقدم ذبيحة مقدسة مرضية أمام الله .

[redacted]

1 - Allchin , M , : St Alban , & St , Sergius Fellowship .

أرقام المقتطفات ١ ، ٢ ، ٧ ، ٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ .

2 - A . N . F . Vol . 11

رقم ٥٦

3 - Layard, j, Incarnation and Instinct .

4 - St , Vladimirs Seminary Quarterly 1964 Vol . 8 .

مقال السر العظيم للأب جورج خضر رقم ٣

الرقم	المؤلف	المراجع	أرقام المقتطفات الواردة بالكتاب
٥	اثناسيوس الرسولى	تجسد الكلمة رسالته إلى أمون الراهب	٥ و ٦ و ١٠
٦	بانوب عبده (الارشيدياكون)	كنوز النعمة جزء ٦	٥٧ و ٥٨
٧	نشر مطرانية بنى سويف	بستان الرهبان	٢٢ و ٢٧ و ٤٢
٨	ثيوفان الناسك	المحاربات الروحية جزء أول	١٤ و ١٥ و ١٦ و ١٩ و ٢٠ و ٢١
		وجزء ثانى نشر اسبورتنج	و ٢٤ و ٢٥ و ٤٩ و ٥٠ و ٥١
٩	اصدار دير السريان جزء أول وجزء ثان	الحاذقون فى العبادة	١٧ و ١٨ و ٢٣
١٠	شنوده السريانى (القمص)	بستان الروح جزء أول وثان	٤٤ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧
١١	كوستى بندلى	النظرة المسيحية للعمل مقال بالنور)	٣٠ و ٣٤
١٢	كمال حبيب	حياة العفة	٤٠ و ٤١ و ٤٣ و ٤٨ و ٥٣ ٢٦ و ٥٢
١٣	متى المسكين (الأب)	حياة الصلاة الارثوذكسية	٢٦ و ٥٢
١٤	مقالات من مجلة مرقس	سنة ١٩٦٨م	٣١ و ٣٢ و ٣٣
١٥	مقالات من مجلة النور .	لحركة الشبيبة الأرثوذكسية	٩و٢٨و ٢٩و ٣٦و ٣٧و ٣٨ و٣٩و٥٤و ٥٥
١٦	نجيب جرجس (الشماس)	الجسد ، مطبعة الأمانة ١٩٤٠	٤ و ١١ و ١٢ و ١٣ و ٣٥

الجنس مقدساً

[redacted]

يعالج هذا الكتيب قضية هامة تواجه الشباب وخاصة فى هذا العصر . إنه يطرح قضـــية الجـــنس من منظار مسيحى ، يقدمها بأسلوب تتكامل فيه الجوانب الروحية مع البيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية .

فهـــذه الـــنظرة الشـــمولية هـــى مـــا يحـــتاجه الشاب الآن فى مواجهة قضاياه المعاصرة .

والكتاب يبدأ رحلة الحياة منذ بداية تكوين الأسرة ، ويقدم مفهوم الأسرة من خلال الإنجـــيل المعـــاش ، ثم تمتد الدراسة لتقدم بداية الحياة الجسدية كثمرة من ثمار الحب العائلى .

وإذ أن المعالجة جريئة لتوضح ما يخشى الوالدان فى خجل غير سليم أن يقولوه لأولادهم ، إلا أن الدراسة تثرى المعرفة ولكن دون إثارة أو تحرر او استباحة .

وبعـــد أن يمـــر الكتاب سريعاً على موضوع الإنجاب وبداية الحياة يوضح معالم الدافع الجنسى عند الإنسان . يشرحه إنسانياً ومسيحياً .

فيـــتعرض لسمو هذا الدافع الإنساني وارتباطه صميمياً بالحب الصادق والنزعة إلى الشركة وذوبان الفردية . وأما الانحرافات التى قد يتعرض لها تيار هذه الغريزة فقد قدمت فى إيجاز وتحذير دون إرهاب دينى .

ولمـــا كانت حياة الطهارة والعفة ونقاوة القلب هى الطريق الوحيد للحياة الجنسية كما أرادها الله فى النموذج الذى خلق فى الجنة .

وفى تعاليمه المباركة بعد تجسده ووجوده بيننا كإنسان مثلنا فى كل شئ فيما عدا الخطيئة وحدها .

ولما كانت هذه الحياة هى الهدف والوسيلة معاً المعاناة والخلاص من العزلة معاً فإن الكتاب يفرد لها فصلاً مستقلاً .

ليســـمح الله أن يقـــدس شبابنا من كل دنس الجسد والروح ليعيشوا حسب الروح وليس حسب الجسد . للثالوث القدوس المجد والإكرام . آمين .

[illegible]

[illegible]

لعلك عندما قرأت هذه الكلمات فى الإصحاح الأول من سفر التكوين " فخلق الله الإنســان علــى صورته . على صورة الله خلقه ، ذكراً وأنثى خلقهم " (اية ٢٧) ، سألت نفسك لماذا خلق الله الإنسان هكذا ذكراً وأنثى ؟ . ولكن ما أن تتابع قراءاتك للإصحاح الــثانى حتى تجد الإجابة . إن آدم كان فى الجنة وحيداً ، لم تسعده الألفة مع الحيوانات أو كافة المخلوقات المادية التى خلقها الله له . ويعبر الكتاب عن هذا بالقول "ليس جيداً أن يكــون آدم وحده " (تــك ٢ : ١٨) . " وأما لنفسه فلم يجد معيناً نظيره " . فأوقع الرب الإله سباتاً على آدم فنام ، فأخذ واحدة من أضلاعه وملأ مكانها لحماً ، وبنى الرب الإله الضــلع الــتى أخذهــا من آدم امرأة وأحضرها إلى آدم . فقال آدم هذه الآن عظم من عظــامى ولحم من لحمى . هذه تدعى امرأة لأنها من إمرء أخذت . لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بإمرأته ويكونان جسداً واحداً " (تك ٢ : ٢٠ ــ ٢٥) .

فيتضح إذاً القصد الإلهى أن الأنوثة تصنع شركة ووحدة مع الذكورة . وفى هذا الــتكامل تصبح الحياة بهيجة ، إذ يرى الرجل فى امرأته ما لا يجده فى نفسه فلا تكون البشرية نسخة واحدة متكررة من آدم ، بل يكون هناك الرجل وتكون هناك المرأة .

إن آدم شــعر بفائدة خلقة حواء له ، وأنها توافقه كل الموافقة ، وهو يتوافق معها كــل الاتســاق والموافقة . ولاحظ أن بعض ما ينقصه كان موجوداً فى رفيقته حواء ، وبعــض ما ينقصها هى قد أحرزه فى كيانه ، فقد قسم الله بينهما مواهبه . وهكذا يكمل الواحد الآخر ، وفى وحدتهما تجتمع ثروة بشرية كاملة ومنسجمة .

وتقســيم المواهب الإلهية على كليهما هى إحدى معجزات خلق الإنسان ، فجسم الرجل يختلف عن جسم المرأة فى تركيبه وبعض أعضائه ، ولهذا يُقبل الرجال عموماً علــى الأعمــال الخشــنة الــتى تحتاج إلى مجهود عضلى كالبناء والنجارة والحدادة والأشــغال المتعــبة فى الخارج ، بينما المرأة يتفق تكوينها عموما مع المهام المنزلية

ورعايـــة الأطفـــال والعناية بالشئون الشخصية الفردية ، وإن كان عصرنا هذا قد غير الكثير من هذه النواميس الطبيعية .

وهكـــذا إذا يجتمع الحنو مع الشدة ، والبأس مع الرقة يحدث الانسجام المذهل فى الحياة البشرية .

وهكـــذا تصبح الحياة أيضا جميلة عندما يلتقى الرجل والمرأة على صعيد الحب والحياة الزوجية ، إذ يتبادلان التشجيعات وبذل الذات ، ويتحابان ويرتبطان بسر الزيجة المقدس ، لتكون حياتهما مملكة مقدسة للرب على الأرض .

[illegible]

لعلـــك حضرت عرساً ، وشاهدت صلاة الإكليل فى الكنيسة . إن الصلوات التى تسمعها كلها تشير إلى أن الأسرة فى قصد الله تعنى كنيسة صغيرة وطريقاً إلى الملكوت . لهذا يضع الكاهن على رأسى العروسين الأكاليل . لأن الإكليل هو إشارة إلى الملك . فأكالـــيل الـــزواج تشير إلى بداية تأسيس مملكة صغيرة هى عربون الملكوت السماوى الأبدى . وإذا كنت ترى بعض المسيحيين حالياً قد أفرغوا الأسرة من هذا المضمون ، وصارت حياتهم العالمية دنيوية خالية من الحضور الإلهي وليست ساعية إلى الملكوت ، فإن هذه هى الخطيئة التى تشابه الخيانة الزوجية .

[illegible]

إنهـــا تعتـــبره حـــياة مقدسة ، وصلواته صلوات روحانية يحل فيها الرب يسوع بـــروحه القدوس مع ملائكته وقديسيه وعلى رأسهم العذراء مريم الذين شاركوا جميعا فـــى عـــرس قانا الجليل . إنهم يشرفون ليشاركوا أعضاء الكنيسة أفراحهم ومشاعرهم ويعطى الرب بنفسه وبروحه القدوس بركة قانا الجليل للعروسين .

[illegible]

ومـــا أبعده عن المفهوم الدنيوى السائد فى هذا العالم تجاه هذا السر !! وما أروع طقس الكنيسة فى ليتورجية الزواج عندما تختم صلواتها بالتقديس على هذا الحب الذى جمع العروسين . إنها تقرأ كلمات بولس الرسول الذى يشبه العلاقة بين الزوجين بعلاقة

المســيح والكنيسة . ثم هى تؤكد أن الذى ألف القلبين هو الروح القدس نفسه الذى يشبه العــازف الذى يصنع من الأوتار المختلفة نغماً ملائكياً ولحناً سمائياً وسيمفونية إلهية .

هــذا هو موضوع اللحن الذى يرتله الشمامسة بعد الإنجيل " هؤلاء الذين ألفهم الروح القــدس معــاً مثل قيثارة يسبحون الله كل حين بمزامير وتسابيح وتماجيد روحية النهار والليل بقلب لا يسكت " ثم تصلى أيضاً كى يبارك الرب مضجعهما " إطلع على عبيدك. ثبت اتصالهما . احرس مضجعهما نقياً . استرهما مع بيتهما بيمينك . احفظهما بامتزاج واحد وسلام . هب لهما فرحاً وسروراً ليظهرا لك يا الله الحى ثمرة الحياة من البطن ".

الحب الزوجى

لعلــك شاهدت يوماً منظراً أنطبع بعمق فى ذاكرتك عندما رأيت زوجين حديثى الــزواج ، وقــد انفردا معاً فى جلسة هادئة أو نزهة لطيفة . أو آخرين قد مضى على زواجهمــا سنيناً طويلة وأحدهما يؤنس الآخر ويلاطفه فى ضيقة يمر بها . بل وأحياناً يجلســان معــاً فى هدوء وصمت ولكن سر الحب يشع من قلبيهما لأن زمان الكلام قد انــتهى وبقى لهيب الحب الإلهى الزوجى سعيراً ملتهباً لم تستطيع أحداث الحياة وهموم الدنيا وتحديات الأيام أن تجعله يخبو أو تنطفئ جذوته .

إن الحب الطاهر بين الرجل والمرأة لهو سر من الأسرار العجيبة التى خلقها الله فى حياة الإنسان . إنه سعادة الإنسان ودفــء له وسط ثلوج الحياة المتراكمة . إنها متعته وسط هموم الدنيا وأتعابها .

كيف يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً ؟! .إنه معنى عميق فيه الانتقاء والالتقاء والشركة . لقد انتقاها وأحبها والتزم بها ، وصنع معها وحــدة زيجية تفيض حباً وفرحاً . لهذا قال الكتاب إن الله خلق الإنسان على صورته ، فمــع أن الله ليس ثلاثة أشخاص منفصلة ، ولكنه ثلاثة أقانيم متحدة فى جوهر واحد ، ومــن خـــلال هــذه الشركة يحيا الآب مع الكلمة الابن والروح القدس فى ألفة المحبة الإلهــية التى تعلو على كل إدراك وقياس . هكذا الإنسان مخلوق على نفس الصورة . مع الفارق الشديد. إذ أن سعادته لا تكتمل إلا فى جو من الشركة مع الآخر .

فعندما يشب الطفل ويجد أباه وأمه واحد فى الروح والفكر والقلب والاهتمام يفهم شيئاً عن محبة الله ويدرك شيئاً من قصد الله فى تكوين الأسرة . إن الطفل لا ينمو بلبن الرضاعة فقط بل بحليب الحنان والحب . لا يشبعه ما يدخل جوفه من خلال فمه فقط بل ينتعش أكثر من خلال قبلات والديه وابتساماتهم وصدورهم المملوء حناناً وحباً وفرحاً بوجوده .

نعم ، فى الأسرة يقتنى الطفل اختباراته الأولى فى الحياة ، إنها خبرة الحب العظيم والتفانى الدائم . وهذه هى الهدية العظيمة التى ينعم بها الله على الأطفال ، كما أن الأطفال أنفسهم هم هدية الله للوالدين ، لأنه فيهم يلتقى القلبان وتتحد الافئدة والأرواح وتتدعم الشركة والوحدة ويلتهب الحب بالنار التى ألقاها الرب على الأرض وأرادها أن تضطرم .

هيا بنا لتلمس فى داخلك أثر هذا الحب الزيجى الذى غرسه الله فى قلب كل إنسان.

قد لا تشعر فى هذا السن الذى أنت فيه بإحساس خاص تجاه شخص من الجنس الآخر إما لنظرتك الطاهرة فى التعامل مع الجميع منهم ؛ وقوة إرادتك فى عدم الاستهواء لأحد ، أو لعدم تواجد الفرص للتعامل معهم . لا تنزعج لهذا . إنه شئ طيب.

ولكننى أريد أن أقول للبعض الذى بدأ يحس بتعلق عاطفى ، إن هذا الذى نبت فى داخله ليس هو الثمرة الناضجة التى ينبغى أكلها وذلك لأسباب ينبغى أن نطرحها للبحث والمناقشة بوضوح .

إننا نسأل هذا الفتى أو تلك الفتاة : ما هى المقاييس التى بنيت عليها إعجابك بالشخص الآخر ؟! إنها غالباً ما تكون مقاييس سطحية ليست هى التى على أساسها يختار الشخص الناضج شريك حياته . ما أدراك بطباع تلك الفتاة ذات الملامح الجميلة؟! وماذا تعرفين عن شخصية ذلك الفتى ذى الجسم المتناسق والوجه الوسيم ؟! .

بل أريد أن أقول أكثر من هذا ، إنه حتى لو كان إعجابك بالشخصية تجاوز حد السمات الجسمية والعاطفية وكان إعجاباً عميقاً ؛ فأنت لا تعرف إن كان سيظل هذا الإعجاب قوياً ومستمراً مع مرور الزمن وتغير الظروف والأحوال الخارجية والداخلية حتى يأتي سن الزواج الذى يتأخر بتعقد الحياة والظروف الاقتصادية والاجتماعية والعلمية المتلاحقة .

ثم أنت تتغير داخلياً حسبما يؤكد رجال علم النفس ، فلكل مرحلة نمو سيكولوجيتها وسماتها ، فما كنت تختاره من ملابس فى المرحلة الثانوية ترفض أن ترتديه وأنت على أعتاب نهاية المرحلة الجامعية . فما يروق لك اليوم يتطور وينمو ويتعدل ، خاصة إذا كان النمو النفسي والروحى طبيعياً لا انحراف فيه . إنها مرحلة لابد أن تنمو فيها مفاهيمك ومقاييس إعجابك بالأمور . فهل من الحكمة أن ترتبط منذ الآن بشخص لمدة سنوات طويلة لا تعلم ماذا سيصادفك فيها من خبرات وتحديات ؟!

بل وحتى إن افترضنا ثباتك على رأيك طوال السنوات القادمة فسوف يكون الوضع أسوأ . فماذا تتوقع أن يكون حال عواطفك خلال هذه الفترة ؟! إنها مشاعر ولهانة ، ولو افترضنا نموها ، فإن هذا النمو سيكون نوعاً من الاحتراق الداخلى وتعذيب النفس ، هذا على أحسن الاحتمالات ، إذ من الممكن أن يقود هذا للزنا وممارسة العادات الجنسية المنحرفة .

إذا حتى لو إحساسك بالآخر ظاهرة غير نجسة فإنه من الأفضل للطرفين أن يكبحا جماح نفسيهما . لا تبح سرك لأحد إلا لأب اعترافك كى يصلى من أجلك لكى يرفع الرب عنك الحرب أو يمنحك الإرادة لتصبر حتى تنضج وتأتى الساعة المعينة من الرب لتحقيق شركة الحب الزيجى . فاحرص على ألا تختلى بالآخر ولا تلعب بعواطفه وتثيرها لئلا تعثر نفسك أيضاً . سلم هذه الطاقة المقدسة للرب واستودعها فى يد راعى الرعاة الأعظم الذى يدبر حياتك ويعرف الصالح ويمنحه فى حينه الحسن . إنه يفتح ولا أحد يغلق ، ويغلق ولا أحد يفتح . طوبى لمن آمن وسلم حياته لمن بيده مفاتيح الحياة .

لقــد تســلم لنا من الآباء أن الحب الزوجى ليس نوعاً من الغراميات ، إنه حب واقعى روحى ملتزم . وهو حب طاهر لا يتجه إلى الجسد وحده ليتلهى به ويلتذ ، وإنما يلــتقى بالآخــر على مستوى الشخص كله بكيانه الروحى والنفسى والعاطفى والفكرى والجســدى . وهو حب نامى يبدأ حاراً فى الخطوبة السعيدة ولا تطفئه إحباطات الحياة ومصادمات الشركة واختلافات الطباع والأفكار . بل هو حب يتجاوز كل هذه الصعاب لأنـــه حب إلهى باذل على مثال حب المسيح للكنيسة ، فهو حب يتأنى ويترفق ويصبر ويحتمل . إنه حب لا يسقط أبداً . لأن حباً امكن أن ينتهى ما كان حباً يوماً . وهو حب عمــيق يجد فى اتحاد الجسدين تعبيراً عما فى الداخل . إنه لغة ووسيلة وصال .. وإن تعذر اللقاء الجسدى لظروف طارئة فى الحياة الزوجية كالسفر لبعثة أو المرض مدة ، فإن هذا لا يهدد الوحدة لأن الحب ليس هو الجنس بل إن الجنس هو تعبير عن الحب .. إن هذا لا يهدد الوحدة الصادقة لأن " ما جمعه الله لا يفرقه إنسان " .

[illegible]

وتحمل الحياة العائلية المسيحية طابع الثقة الكاملة ، فالرجل يكرس حياته من أجل زوجــته ، والمــرأة تقدس كيانها كله لأجل زوجها . فلا خيانة فى نظرات شريرة ، أو النطق بكلمات دنسة خارج أو داخل البيت ، ولا علاقات مريبة أو منادمات أو إعجاب فــى طياته بدايات خيانة أو جرح أو شرخ للوحدة المقدسة التى أقامها الروح القدس فى سر الزيجة المقدس .

فكمــا أن المسيح له المجد قدس ذاته لأجل كنيسته ، هكذا الرجل لأجل أسرته ، وكمــا أن الكنيســة عروس مكرسة لعريسها التى اشتراها بدمه الثمين على الصليب ، هكذا المرأة تنظر إلى حياتها العائلية من هذا المنظار .

ويتســم البيــت المسيحى بالاحترام والحشمة ، فهو يرفض الأغاني والتمثيليات الهابطة والنكات والألفاظ البذيئة .

- لهذا تجد الصلوات المرفوعة على المذبح العائلى .
- وتلحظ الأصوام والمطانيات وتلاوة المزامير .

- ❖ وتدوم مطالعة سير القديسين واختبارات الآباء الأولين .
- ❖ وتعمل التماجيد للشهداء والنساك ويتشفع أهل البيت بصلواتهم

ويتضـــرعون إلـــى الله أن يرســـل ملاكه ليحفظ البيت من كل شر وغم وحزن ردئ. هـــذه كلهـــا تضـــفى على الأسرة مسحة روحية وطابعاً وقوراً يجعل البيت قلعة مضـــيئة وســـط ضـــباب الحـــياة وأمواجها المضطربة ومبادئها المتصارعة والهدامة والمـــنحلة . ولعلك تلحظ أيضا طابع الحشمة عند الزوجين حتى داخل البيت نفسه الذى لا تعلـــو فيه الأصوات ، ولا تحتد المناقشات ، وإنما يسوده الهدوء المقدس الذى يشجع علـــى عمـــق العبادة وصفاء التفكير والدراسة والتحصيل . إنك عندما تخطو عتبة بيت مســـيحى ملـــئ بالحب والقداسة والوقار تشعر يقيناً أنك فى هيكل مقدس ومملكة للرب على الأرض فى هذا العالم الهابط .

[illegible]

- ❖ وإذا كان الحب الزيجى مباركاً إلى هذا الحد!
- ❖ وإذا كانت الحياة الزوجية الطاهرة شبه كنيسة مقدسة !
- ❖ وإذا كانت العلاقات الزوجية قد تقدست بعمل النعمة فى السر المقدس وفاعلية الروح القدس!

فلمـــاذا إذاً الرهـــبان والراهـــبات ؟ ولمـــاذا البتولـــيون الذين لا يتزوجون ؟ .. الجســـديون ينظرون إلى هؤلاء على أنهم شواذ أو غير طبعيين ، والبعض ينظر إليهم علـــى أنهـــم خـــارجون عن خط الحياة العامة . أو أنهم قد صدموا عاطفياً أو نفسيا أو اجتماعياً .

[illegible]

اسمع إشعياء النبى بروح النبوة يقول " ولا يقل الخصى ها أنا شجرة يابسة ، لأنه هكـــذا قـــال الـــرب للخصيان الذين يحفظون سبوتى ويختارون ما يسرنى ويتمسكون بعهـــدى، انى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى نصيباً واسما أفضل من البنين والبنات ، أعطيهم اسماً أبدياً لا ينقطع " (إش ٥٦ : ٣ ــ ٥) .

لا نعجب أن نجد أناساً امتلأت قلوبهم حباً للمسيح فرفضوا أن ينشغلوا بآخر سواه. صار هو عريسهم الوحيد ودخلوا فى خطبة مقدسة دائمة معه . عاشوا فى هيام الحب الإلهى مفضلين إياه بالأحرى عن الحب الزيجى والحب العائلى والحب البشرى بكافة صوره . كرسوا حياتهم لحفظ وصاياه ومناجاته الليل والنهار . يقول القديس أنطونيوس عن حياة البتولية "إنها الذبيحة الروحانية المقدسة وهى البشارة والحياة التى تظهر السرائر الخفية منذ الدهور والأجيال كلها " ويؤكد بولس الرسول كيف أن البتولية امتداد أفضل بقوله "غير المتزوج يهتم فى ما للرب كيف يرضى الرب وأما المتزوج فيهتم فى ما للعالم كيف يرضى امرأته . إن بين الزوجة والعذراء فرقاً . غير المتزوجة تهتم فى ما للرب لتكون مقدسة جسداً وروحاً ، وأما المتزوجة فتهتم فى ما للعالم كيف ترضى رجلها .. إذاً من زوج فحسناً يفعل ، ومن لا يزوج يفعل أحسن " (١كو ٧ : ٣٢ ــ ٣٨) . ويلزمنا أن نعرف أن البتولية نعمة خاصة تعطى للمختارين والمجاهدين فى لهفة الشوق إليها . إنها عطية مجانية وموهبة خاصة من الله .

وقد أشار الرب إلى حياة البتولية بقوله : " يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات " (مت ١٩ : ١٢) . فلا بتولية دون حب . حب لله ، وحب لجميع الناس. يشبه البتول النحلة النشيطة فى الداخل والخارج . تحمل الرحيق ، وتخدم الجميع ، فهو لا يكف عن الصلاة ولا يهدأ عن تقديم رسالة الخدمة والحب للجميع .

ونحن نعيش فى عصر دنيوى مادى لا يكرم البتولية والتفرغ الكامل والتكريس للعبادة والخدمة . إنه يفزع من رؤية الرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات لأنهم يمثلون أمامه تحدياً وتوبيخاً وتأنيباً عن حياة مغمورة فى بالوعة الحياة المادية . وأمثال هؤلاء يطرحون سؤالاً . إذا تبتل جميع البشر أفلا تنقرض البشرية ؟! هذا افتراض غير وارد فى الواقع العملى ، ومع ذلك فقد رد على السؤال المغبوط أوغسطين . إذا افترضنا أن جميع الناس سلكوا طريق البتولية المقدسة فلن يكون هذا شراً لأنه إذ انقرضت البشرية فخير لها أن تتوقف عن أن تسير فى الفساد . ويقول اكلينضس الاسكندرى . إذا حدث هذا فسوف ينهى الرب الزمان ويدخل المختارون كنيسة الأبكار

لأن الـــتاريخ يكون قد حقق الهدف المرجو منه . ياليت الكثيرين يسمعون الإنجيل قائلا "كل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو إمرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمي يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية " (مت ١٩ : ٢٩) .

وأنـــت يا إبنى إن سمعت النداء فى قلبك لهذه الحياة فلا تطفئه بل صل من أجله ودع الـــروح يكشـــف لـــك عن مدى صدقه وعمقه وأصالته حتى لا يكون مجرد نزوة طارئـــة أو رغـــبة مـــتأثرة بعلاقـــة راهب . ولكن ما أن تأكدت من سمو هذه الرغبة ودوافعها الإيجابية فعليك أن تنميها بزيادة العشرة مع الله ومحبته . اطرح أشواقك هذه أمـــام الله وقـــل له " إن شئت خذنى بالتمام لأكون لك ولتكن أنت وحدك أيضا لى " لا تطلـــب بإصرار شكلاً معيناً لهذا التكريس لأنه فى الوقت المناسب سوف يعطيك الرب سؤل قلبك وبالطريقة التى يختارها . بل وحتى إذا شاء لك لرب أن تتزوج سوف تشعر أنك لم تفقد أشواقك القديمة بل تنظر أن يد الله عريسك الحقيقى ونبع فرحك الأبدى هى الـــتى تقدم لك شريكة حياتك . وبهذا حتى لو تمتعت بمؤانسة بشرية إلا أنك تشعر فى أعماقك بأن الله هو الذى يظلل حياتك الزوجية ويشبع كيانك الداخلى . إن هذا لن يؤثر تأثـــيرا سيئا على نظرتك للزواج بل يعطيها مسحة روحانية وصفاء ونقاء قلبياً . وهكذا تستطيع أن تجاهد لتأخذ نصيبك من فضيلة البتولية بالقدر الذى يناسب قامتك حتى تعبر غربة هذا العالم دون نجاسة أو دنس .

صلاة

ربى وإلهى ومخلصى يسوع المسيح ، يا من تجسدت وشابهتنا فى كل شيء فيما خلا الخطية وحدها اعطنى أن أقتدى بك فى مسيرة حياتى .

اســـكب فى محبتك ومحبة أبيك الصالح واملأني بروحك القدوس لأكون عضوا نامياً فى كنيستك المقدسة وشاهداً لك فى أسرتى ومعهدى وبيئتى .

- لذذنى بحبك حتى أحب الجميع .
- متعنى بفرحك حتى أسعد الكل .
- أظهر لى ذاتك حتى لا أنحرف فى متاهات العالم .

- علمــنى وصاياك ودربنى لأكون مطيعاً لوالدى وأب اعترافى محباً للحق وشاهداً أميــناً له. وإن دعوتــنى للحياة الزوجية فليكن الشريك مختاراً من عندك بتعيين واضــح وإلهام صادق كى يكون حبى الزوجى من خلالك وإن اختبرتنى للبتولية الخادمــة أو الكهنوت المقدس أو الرهبنة العابدة المتأملة فليكن نداؤك قوياً وناره مضــطرمة حــتى أحــنى لــك رقبتى وركبتى قائلاً : " لتكن مشيئتك . أنا ملك يديك ."

[illegible]

لم يكن صعباً أن يخلق الله الأولاد بالغين ، ولكنه تمجد اسمه خلق الأسرة لتكون ملكــوت الحب ، وشاء أن يشرك الإنسان فى الخليقة معه عندما ينجب طفلاً . شاء أن يســاعده الأب والأم على إعطاء الحياة للمولود الجديد . رغم عدم احتياجه لهذا ، لذلك وضــع فــى الرجل وفى المرأة قوى حية تجعلهما قادرين على إعطاء الحياة للأولاد ، وســلم إليهما قبساً من نور محبته . فكما أن الخليقة كلها ثمرة حبه الإلهى ، كذلك أراد بتدبــيره السامى أن يكون الطفل ثمرة حب الوالدين . فالرجل يجتمع مع زوجته ويتحد الجســدان ، وتلتقى بذرتا الحياة الذكرية والأنثوية ، ويكون هذا اللقاء بداية حياة جديدة يصنعها الله فى رحم الأم ، ذلك العش الدافىء حيث يأخذ الإنسان فى النمو والحياة .

وفى خلال التسعة أشهر للحمل يكبر الجنين تدريجياً حتى تتكون جميع أعضائه .

والفــتى المهذب يحترم المرأة الحبلى لأنها تذكره أيضا بكم تعبت أمه فى حمله . لهذا يقف لها ويعطيها مكانه فى المواصلات العامة ، ويسعى بقدر إمكانياته لراحة كل أم تحمل جنيناً فى بطنها . ولقد دبر الله أن يتغذى الطفل من خلال دماء أمه . وهذا الدم يسرى فى عروقه من الموضع الذى نسميه (السرة) ، وسرته هذه تتصل بجهاز أمه الدموى بواسطة الحبل السرى . فكل نبضة من قلب الأم تدفق دماً فى جنينها .

أيهــا الرب ربنا ما أعجب اسمك فى الأرض كلها ، وما أعجب تدبيرك فى خلقه الإنســان حيــث تدبر للجنين عشاً فى بطن أمه دفيئاً يرتاح فيه ويتغذى فيه من الداخل

بقـوى حـيوية وينمو رويداً رويداً حتى يكتمل بعد تسعة أشهر ، وآنذاك لا يعود يسعه عشه الداخلى ولا يستطيع هو أن يعيش فيه إذ يتحتم أن يخرج إلى الوجود بالولادة .

والولادة لابد أن تكون بالأوجاع والآلام . ولعلك قرأت هذا فى الإصحاح الثالث من سفر التكوين كيف ورثت المرأة هذا بسبب الخطيئة الأصلية . حقيقة إن الرب بفدائه خلصـنا من سلطان الخطيئة وأعطانا الولادة الجديدة والحياة الأبدية ولكنه أبقى للبشرية الآثـار الجسـدية وانطـباعاتها التى تنتهى بالموت إذ يقول الكتاب آخر عدو يبطل هو الموت . فالمولود من الجسد جسد هو ، والمولود من الروح هو روح . ولقد قال الرب لحـواء فـى الفردوس عندما حدث العصيان " تكثيراً أكثر أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين أولاداً " ولكـن هذه الآلام قال عنها الرب ان المرأة تنساها عندما ترى المولود الجديد كمـا يقـول الكتاب . لذلك تخاف المرأة وتحزن متى دنت ساعة ولادتها ، لكنها متى ولدت طفلها لا تعود تذكر شدتها لعظم فرحها بولادة إنسان جديد فى العالم(يو ١٦ : ٢١).

وكلمـا نـتأمل فى أتعاب الأم فى حملها وولادتها كم نصلى ضارعين أن يكافئ الـرب أمهاتـنا عن أتعابهن ببركات سماوية .. ويحق أن يقدم لهن كل إكرام وتبجيل متذكرين الوصية التى أوصانا بها الكتاب "اكرم أباك وأمك" لأنه هذه أول وصية بوعد .

[illegible]

- ❖ عندما تطلب منا شيئاً أو خدمة نسرع إلى الاستجابة بفرح ودون دمدمة .
- ❖ فـى عـيد الأم نقـدم لها هدية ولتكن متواضعة إذا كانت ظروفنا المالية محدودة فالمهم التعبير عن الشعور والعرفان بالجميل .
- ❖ فى كل صلاة صباحية ومسائية نذكرها طالبين لها الصحة والسلام .
- ❖ عندما تكبر فى السن لا نهملها بل نحرص على إرضائها فى الحق ونعمل كـل مـا فـيه إسعادها . وكم نكون ناجحين فى الحياة عندما تمنحنا صالح دعواتها وبركة محبتها ورضائها .

أما الذين حرموا من رؤية أمهاتهم لأنهن انتقلن عقب ولادة الطفل أو لمرض أو لحادثـة ، فالكنيسة لا تتساهن فى صلواتها كل قداس ، وترفع البخور عن كل الراقدين

الذين تنيحوا فى الإيمان . وهناك مناسبات عامة وأعياد كبيرة ترفع الكنيسة بخوراً عن كـل الذيـن رحلوا إلى عالم البقاء . وإن كنت يابنى ممن حرم حنان الأم فلا تحزن ، فالكنيسة اليوم هى أمك ، فتشدد وتشجع وتقو لكى تكبر ناجحاً ، ويصبح لديك ما تقدمه لليـتامى فـى مؤسسـات إيوائهم خاصة بعد زواجك عندما تصحب زوجتك لتكون أما لهـؤلاء المحتاجيـن حـباً وحناناً . إن كل ما تقدمه يتقبله الرب يسوع كأنه عمل معه شخصياً .

ولا يكـاد يولـد الطفل حتى يتنفس تنفساً جاداً ، ويأخذ فى الصراخ ليمرن قواه الحـية كلها . وأما الأم فهى تبتسم لأنها تدرك من خلال هذه الصرخات أن وليدها حى سليم البنية .

وبعـد أن تـنظف الممرضـة الطفل المولود من الدماء التى حوله وتقطع حبل المشـيمة تسلمه لأمه لتغذية باللبن وهو غذاء مثالى استودعه الله ثدى الأم لكى يرضع منها بفمه لينمو به ويزداد وزنه .

[illegible]

لقـد عرفـنا كـيف ينشـأ الطفل فى بطن أمه ويقوده الرب إلى الحياة بواسطة الـولادة، ولكن الله وضع فى جسم المرأة ذخيرة من تلك البذور فى العضو الذى نطلق علـيه المبـيض . وفى كل شهر تنفصل بويضة عن ذلك المبيض وتنتقل إلى الرحم ، وطالما لم تجد حيواناً منوياً يخصبها تتدفع بويضة الشهر السابق إلىخارج جسم المرأة ويخرج معها قليل من الدم ذلك ما يجرى عند الفتيات للمرة الأولى ما بين السنة الثانية عشـرة والثالـثة عشرة من العمر وتسمى الدورة الشهرية ويتكرر هذا الحادث بطريقة منـتظمة حـتى سن الخمسين . ولكن إن وجد الحيوان المنوى الذى يخصب البويضة يحـدث الحمـل وتنقطع الدورة الشهرية ، ويرى الأطباء أنه توجد أسباب أخرى غير الحمـل تسـبب انقطاع الدورة الشهرية أو تأخيرها أو غيابها كالأنيميا الحادة أو بعض الأمـراض العضـوية أو نقص فى إفراز الهرمونات الذى يؤخر سن البلوغ والنضج الجسـمى . وتسـمى هـذه الدمـاء بالحيض أو الطمث ، ومنذ العهد القديم كان يشار

بالنجاسة إلى هذه الدماء . لهذا لم يكن مسموحا لمن هى حائض أو فى دماء طمثها أن تقترب من أى شئ مقدس سواء فى تلك الدورة الشهرية أو خلال مدة معينة بعد الولادة (أربعـون يوماً إذا كان المولود ذكراً وثمانون يوماً إذا كان أنثى) . ولعل هذا تذكيراً مـن الله من خلال هذا الرمز بالخطيئة الأصلية التى كانت سبباً فى هذه المتاعب التى تحيط بالأنثى فى عملية الإنجاب .

ولعلـه من المعزى للفتاة المؤمنة أن تجد العذراء القديسة مريم التى حبلت الرب يسـوع بـلا دنس خاضعة لهذا الناموس إذ بالرغم من طهارتها الكاملة وحلول الروح القـدس علـيها خضـعت للوصية وفى اليوم الأربعين ذهبت لتقدم ذبيحة تطهيرها فى الهيكل "لما تمت أيام تطهيرها حسب شريعة موسى " (لـو ٢ : ٢٢ : ٢٤) إن الفتاة المؤمنة لـم تعـد دماؤهـا نجسة لأنها نالت الولادة الجديدة ، وتقديس الجسد بسرى المعمودية والمـيرون فلا تظن الفتاة بعد عهد النعمة أنها نجسة أو أن أعضاء جسدها وإفرازاتها دنسـة فتمتنع مثلاً عن الصلاة وقراءة الكتاب المقدس . وإنما كل ما تطلبه منها قوانين الكنيسـة أن تمتـنع فـى هـذه الفترة عن الأسرار الإلهية كما تمنع غير الصائم عن الاشـتراك فى المائدة المقدسة . وفى حالة الضرورة القصوى كالتعرض للوفاة تعطى حلاً ولا تحرم من شركة جسد الرب ودمه .

[illegible]

أنت تعلم أنه لابد للإنجاب من أن يشترك فيه الرجل والمرأة معاً ، لأن الله وهب الأب قوى حية مقدسة ، إنها سر الحياة التى يقدمها الأب للأم ليساعدها على إنشاء حياة جديـدة . وهـذا أيضاً كانت تعرفه العذراء القديسة مريم عند بشارة الملاك لها بولادة الـرب يسوع ، إذ أجابت الملاك جبرائيل مستفسره "كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجـلا" أى لـيس لـى زوج يساعدنى على الحبل .فأجابها الملاك ان هذا هو المولود الوحـيد الذى لا يأتى من زرع بشرى إذ قال لها "الروح القدس يحل عليك وقوة العلى تظللـك ، فلذلـك أيضـا القدوس المولود منك يدعى ابن الله"(لـو ١ : ٣٥) ففى الإنسان الطبـيعى لا تـتكون ثمـرة جديدة ما لم يقع زرع الرجل الحى فى جسم المرأة حيث

البويضــة تنـتظر مجيئـة إلـيها ، فهـذا الــزرع ما هو إلا خلايا حية صغيرة جداً (السـبرماتوزييد) لا تــرى بالعين المجردة لصغرها ، وقد أودعها الله مع ذلك كل ما يــرثه الإنسان من والديه من السمات التى تميزه عن غيره من الناس . هذا سر عجيب من أسرار الخالق البديعة .

ويحسن بنا أن نذكر هنا أن الله عندما صنع عهداً مع إبرام قال له "هذا هو عهدى الــذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر . فتختتون فى لحــم غرلــتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم . إبن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر فى أجـيالكم . فيكون عهدى فى لحمكم عهداً أبدياً ، وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحــم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها . إنه قد نكث عهدى" (تك ١٧ : ٩ ــ ١٤) . ولهــذا حــرص اليهود إلى يومنا هذا أن يختتوا كل طفل فى اليوم الثامن ، وقد خضع الــرب يســوع لهــذا الطقس واختتن فى اليوم الثامن ، ونحن نعيد له عيداً يسمى عيد الختان بعد ثمانية أيام من عيد الميلاد وهو من الأعياد السيدية الصغرى .

وإذا كانت المعمودية قد حققت ما يرمز إليه الختان الجسدى بختانه القلب والولادة الجديدة إلا أن البعض لا يزال يجرى للأطفال الذكور هذه العملية فى طفولتهم لأهداف صحية ليست لأهداف دينية .

نشير أيضا إلى أنه إذا كان الختان مفيدا صحيا للذكر ، فإنه مضر تماماً للأنثى . لذلــك لــم يأمر الله به فى العهد القديم وكذلك حرمته القوانين الوضعية ويخطىء خطأ جسيما كل من يعمل ختاناً للأنثى . وهذا وضع لا يعرف إلا فى بعض بلاد العالم غير المتقدمة حضارياً .

طور المراهقة

يحــدث فــى طــور المراهقة فى بعض الأحيان تفيض الخصيتان بما فيهما من الســائل الحيوى ، فتسعى الطبيعة لقذف ما هو فائض فى خزائنها من غير أن يساعدها الفــتى ، وفــى أغلب الأحيان يتم هذا القذف فى الليل أثناء النوم على أثر أحلام يظنها الفتى شنيعة، ويخشى أن تكون فيها خطيئة ، والحقيقة أنه طالما كان طاهراً فى حواسه

وحريصـــا أثناء يقظته فإن الاحتلام الليلى يمثل ظاهرة طبيعية لا تستوجب القلق . فقط يحرص على الاغتسال ونظافة الأعضاء والجسد .

وعلـــى أى حـــال فمـــن الأهمية بمكان أن يتعود الفتى إلا يلمس أعضاءه دون مـــبرر، وإلا ينشـــغل بها ، لأن الاهتمام الزائد يمكن أن يقود إلى متاعب كثيرة ترهق الذهـــن والجســـد وتعطل النشاط الروحى وتفقد الإنسان صفاء الصورة الذهنية وروح الصلاة .

[illegible]

لقـــد رأينا كيف أن الله أودع الخلايا التناسلية القدرة على إنجاب الأطفال ، وعلى الأب أن يـــنقل خلاياه إلى داخل جسم الأم لينشأ الجنين هناك . وهذا الفعل الناقل للحياة يـــتم بالاتحـــاد الجسدى بين الزوجين تعبيراً عن الحب المتبادل والالتزام والتعهد الذى التزما به فى كنيسة الله أن ينجبا للكنيسة وللمجتمع أولاداً . لا يلدانهم ولادة جسدية فقط بـــل يلدانهم أيضا ولادة روحية بعد ذلك من حضن الكنيسة بفعل الروح القدس فى سر المعموديـــة الـــتى هـــى بالمـــاء والروح . وإذ نتأمل روحياً فى هذا الأمر نجد أن هذه الأعضـــاء الـــتى قـــد تكون مثار سخرية من بعض الفتيان غير الروحيين ، أو مثاراً للشعور بالقباحة عند بعض الفتيات غير المستتيرات . إنما هى أعضاء مكرمة وأجهزة فـــى غاية من الدقة أبدع الله خلقتها ، فلا يجب أن نخجل مما لم يخجل الله من خلقته . وكلمـــا نعمـــق التأمل فى هذا العمل نمجد الله خالقنا الذى رضى أن يستخدم أولاده فى إنجـــاب أعضـــاء أخر ويشاركونه العمل فى امتداد كنيسة الله الواحدة المقدسة الجامعة الرسولية . وهذا الإنسان الجديد معروف عند الله من قبل تكوين العالم ، وقد أعطى الله مـــن محبته للوالدين أن يساهما فى عملية الخلق ، وأن يتمتعا بالأبوة والأمومة بكل ما فيهما من عواطف سامية ونبيلة .

هذا الأمر الذى لا يوجد عند الملائكة ولا عند الحيوانات أو الخليقة المادية أيضا. فالإنسان هو الكائن الوحيد الفريد الذى عندما خلقه الرب فى الجنة سر به للغاية ورأى أن حسن جداً .

فالـــزواج أمـــر مقدس وهو تعهد يكرس العلاقة ويقدس حياة الشركة . وفى سر الزواج يطلب الكاهن من الله أن يحرس الزوجين ويقدس مضطجعهما ويبارك وحدتهما لينجبا بنين وبنات كغروس فى الكرمة المقدسة التى هى كنيسة الله .

وتـــرفض الكنيســـة أيـــة علاقة جنسية بين رجل وإمرأة إلا من خلال الزواج . وتعتـــبر هذه العلاقة زنا نهى الرب عنه فى وصاياه المكتوبة بأصبعه على جبل سيناء واستلمها موسى النبى منذ أقدم العصور .

والزنا انحراف عن المجرى الحقيقى للدافع الجنسى الذى يهدف إلى حياة الشركة والزيجة القائمة على البذل والحب والنضج والالتزام .

ونـود أن نؤكـد أن العلاقة الجنسية بين الأب والأم لا تهدف فقط إلى الإنجاب وحفـظ الـنوع رغـم أن الرب أمر بهذا عندما قال " اثمروا وكثروا واملأوا الأرض واخضـعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض" (تـك ١ : ٢٨) . ولكـن الهدف الذى يميز الإنسان عن الحيوان فى العلاقة بين الشـريكين هـو الوحـدة ليحقق الإنسان الهدف المرجو من وجوده . من أجل هذا قيل "يـترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً " (تك ٢ : ٢٤) وكان هذا الهدف بعد خلقة حواء لآدم .

وإذا كـان الإنجـاب هو الهدف الرئيسى من الزواج لسمح الرب بفصم العلاقة الزوجية فى حالة العقم .

إن الوحـدة الروحـية والنفسـية والفكرية تجد فى الاتحاد الجسدى تعبيراً عنها وإفصاحاً عن مضمونها . إن الجسد دائماً يريد أن يعبر عما يختلج فى الداخل . إن هذا الحـب الـزيجى يـترجم فـى أن الواحد لا يريد أن يرضى ذاته بل يسعى بكل طاقته لإرضـاء الأخـر ، ولـيس له تسلط على جسده بل للآخر . لذلك يجب أن يتم الاتحاد الـزوجى بيـن الرجل وامرأته فى جو من الاحترام والحب المتبادل وفى مناخ احترام رغبة الآخر وإسعاده .

وأمـا أنـت أيها العزيز . وقد عرفت قيمة هذا الدافع الحيوى وكرامته فاحرص علـى أن تحافظ على قوة التناسل التى فيك والحيوية التى تملأ كيانك ولا تسلمها للعبث والمجـون ، ولا تتحدث عنها بطيش وتبذل . ولكن تذكر قول الرسول بولس إلى تلميذه القديس تيموثاوس . " أحفظ نفسك طاهراً " .

صلاة

أيها الآب السماوى أشكرك لأنى كنت معروفاً عندك قبل أن أولد من رحم أمى ، خلقتـنى إنسـاناً كمحب للبشر ، وأعطيتنى أن أتذوق حلاوة الأبوة والأمومة والأخوة ،

ومنحتنى العقل والنطق والقدرة على الإبداع ونعمة الحب والانطلاق من أنانية الذات . وأوجدت فى طاقة متدفقة لأخدمك بها ، وعندما يكتمل نضجى انشئ بنعمتك أسرة تكون كنيســة صــغيرة تستقر فيها مع ابنك الحبيب يسوع . اسمح يارب بروحك القدوس أن تطهــرنى مــن كل دنس الجسد والروح لتكون حياتى ذبيحة مرضية أمامك واعزم ألا أعرف فى حياتى إلا يسوع أبنك وإياه مصلوباً . ومن خلال صليب حبه تكون إطلالتي على العالم حتى رحيلى إليك .

[redacted]

قــد تسأل ما معنى الغريزة الجنسية ؟ وهل هى كالغريزة عند الحيوانات ؟ أم أن الإنســان يتمــيز بطابع خاص فى غرائزه وبالأخص ما يتعلق بالنوع (الجنس) وكيف يحدث أى انحراف فى مجرى هذه الغريزة ؟ وما مظاهر هذه الانحرافات ؟

[redacted]

يفضــل علم النفس أن يطلق على الغرائز لفظ الدوافع البيولوجية (الحيوية) وهذه الدوافــع هــى اســتعدادات فطرية جسمية نفسية ، ولها أهداف حيوية فى حياة الكائن وتهدف نحو الأغراض التى خلقت من أجلها سواء شعر بها الكائن أو لم يشعر . ولكل دافــع انفعــال خاص به ، فالدافع الجنسى انفعاله الشهوة ، والخوف انفعاله الرغبة فى الهروب . ولكى يكون هذا الحديث ملموساً بالنسبة لك أذكرك بما تفعله عندما تقابل فى الطــريق خطــراً يهدد حياتك . إنك تفر هرباً بلا شك . إنها غريزة الخوف وقد ظهر انفعالها فى داخلك وتحركت إنزيمات الادرنالين وأثر على الرجلين اللتين سابقتا الريح . مــا أروع محــبة الله الذى خلق فينا هذه الأجهزة التى تعمل تلقائيا من أجل حمايتنا ! أتتذكر انفعالك وأمامك مائدة شهية بعد جوع طويل ؟! إنها غريزة الأكل الموضوعة فينا مــن أجل حفظ صحتنا . هكذا الدافع الجنسى موجود فى داخل الطفل منذ أيامه الأولى كــبذرة صــغيرة . فهو دافع فطرى ولكنه يمر فى مراحل حتى ينضج ويكون لنضجه علامــات جســمية ونفسية واضحة فى الإنسان . ومن صفات هذه الدوافع إنها نوعية

خاصــة بالأفــراد الذين ينتمون إلى نوع واحد ، وهى ثابتة لا تتغير وعامة لدى جميع الأفراد الذين لديهم الدافع ، وغير قابلة للمحو والزوال .

والدافع الجنسى يولد مع الإنسان فهو وراثى فطرى ويمر فى مراحل حتى ينضج ويكــون لنضــجه علامـــات جسمية ونفسية واضحة فى الإنسان . وإذا لم تكتمل هذه الظواهــر والعلامـــات يكــون الإنسان ناقصاً وشاذاً ويحتاج لعلاج جسمى أو نفسى أو كليهما معاً .

سمات الدافع الجنسى عند الإنسان

الحيوية

إن الدوافع الحيوية ومنها الجنس موجودة فى الحيوان كما هى فى الإنسان أيضا. وتعتــبر هذه الدوافع القوة الدافعة الوحيدة التى تفسر سلوك الحيوان وتصرفاته ، لكنها فى الإنسان تختلف عنه فى الحيوان ، فهى فى الإنسان ليست قواه السفلية لأن الإنسان لديــه العقــل والعواطــف والإرادة كما أن الإنسان يتفوق عن الحيوان فى نسمه الحياة الخـــالدة المســتمدة مـــن الله القدوس الذى أراد لنا أن نكون له أبناء ووارثين معه فى الملكــوت . فالغريــزة الجنسية من هذا المنطلق من أرقى الدوافع الحيوية فى السلوك الإنسانى . وهى تعطيه الفرادة المتميزة عن الملائكة وعن الحيوانات كلها . ولكى نفهم معنى "القوى السفلية للإنسان " . دعنا نلقى نظرة سريعة على المخ البشرى .

نظرة تشريحية إلى المخ البشرى

إذا نظرنا نظرة تشريحية مبسطة إلى المخ البشرى نجد فيه :

١. جزء أعلى مسئول عن التصرفات الإرادية والعاقلة ويسمى بالقشرة cortex .

٢. وجــزء أســفل يسيطر على التصرفات اللاإرادية والغريزية أى الدوافع البيولوجية البحتة .

وهذا الجزء يتكون من مجموعة المراكز العصبية فى أسفل المخ ليتحكم فى كافة الحــركات العضوية اللاإرادية التى تحفظ للجسد كيانه وحياته كالتنفس وضربات القلب وحركة الأمعاء وإفرازات الغدد وغير ذلك .

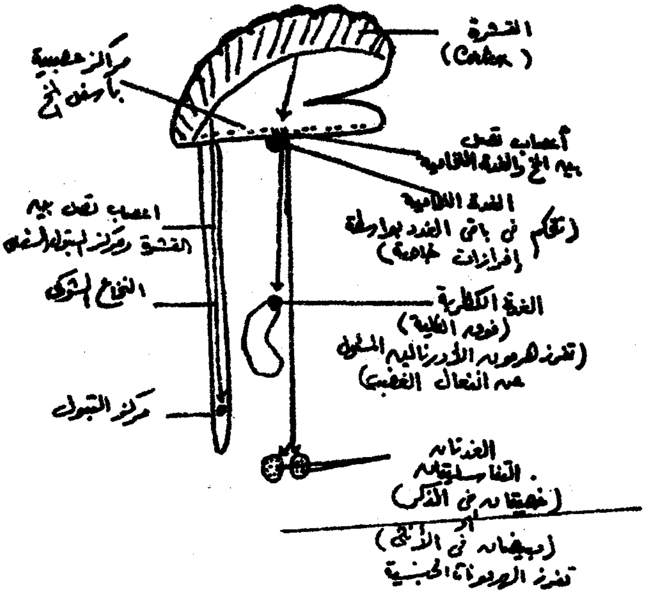

رسم تخطيطى يبين كيفية تحكم القشرة والغدة النخامية فى المراكز السفلى وفى الغدد الصماء

أما القشرة فتسيطر على هذه المراكز العصبية التى بأسفل المخ وتتحكم فى الكثير مـن الأفعـال اللاإرادية كالأمثلة التى سنوردها وان كان بعضها لا يخضع لها إلا فى حدود ضيقة لكى لا تكون حياة الإنسان رهن إرادته كعمل القلب والتنفس .

[redacted]

إن القشرة فى الإنسان كبيرة جداً نسبياً وتملأ الجزء الأكبر من فراغ الجمجمة ، أما فى الحيوان فهى صغيرة جداً حتى فى أعلى درجات الحيوانات " الشمبانزى وإنسان ياندرتال " الذى يلى الإنسان فى درجة الرقى .

ولذلـك يمتاز الإنسان عن الحيوان فى قدرته على التحكم فى الكثير من حركاته اللاإرادية وكذلك فى السيطرة على دوافعه الجسدية .

كيف يسيطر الإنسان على بعض الأفعال اللاإرادية وعلى الغرائز ؟ سنضرب لك أمثلة ثلاثة :

أ ـ التبول فعل منعكس Reflex يتم عند امتلاء المثانة بالبول ويتحكم فيها مركز بالنخاع الشوكى ، وهذا يتم فى الحيوان وفى الطفل الوليد كلما امتلأت المثانة بالبول وحيثما اتفق وفى أى مكان بالليل أو النهار ، فالطفل الوليد يشبه الحيوان فى عدم قدرته على التحكم ، ولكن عندما يكبر تنمو فيه الأعصاب الموصلة التى تصل المراكز العليا فى القشرة بمركز التبول السفلى ، عندئذ يستطيع الطفل التحكم فتتم عملية التبول بطريقة إرادية فيبدأ بعد السنة الأولى فى التحكم فيها نهاراً وبعد السنة الثانية التحكم فيها أيضا بالليل .

ب ـ الغضب انفعال يحدث مظهراً معيناً فى الإنسان والحيوان ، فالقطة عندما تغضب مثلاً تشد أقدامها وترفع ذيلها وتتسع حدقتا عينيها ، ويحدث للإنسان شىء شبيه بهذا عندما يغضب . والمسئول عن هذا المظهر لانفعال الغضب هو إحدى الغدد الصماء (وموجودة فوق الكلية) التى تفرز هرموناً خاصاً (الادرنالين) وهو الذى يحدث هذه التغيرات الجسمية . ويسيطر على هذه الغدة وغيرها من الغدد الصماء ، غدة بأسفل المخ اسمها الغدة النخامية ، وهذه الأخيرة تتصل بالمخ بواسطة أعصاب وتقع تحت تأثير المراكز العصبية والقشرة ، وعن طريقها يستطيع الإنسان أن يتحكم إلى حد بعيد فى باقى الغدد الصماء . وتعتبر الغدة النخامية بالنسبة لباقة الغدد بمثابة " المايسترو" الذى يقود الفرقة الموسيقية ويوجهها وينظمها فالإنسان يستطيع أن يتحكم فى انفعال الغضب عن طريق مراكزه العليا فى المخ . وهو مطالب إذاً أن ينفذ وصية الله " اغضبوا ولا تخطئوا . ولا تغرب الشمس على غيظكم " (أف ٤ : ٢٦) . ولا يستطيع الإنسان أن يقول إنى لا أقدر أن أتحكم فى غضبى لأن الله ميزه عن الحيوانات بإمكانيات التحكم فى غرائزه .

ج ـ الشهوة الجنسية هى انفعال الغريزة الجنسية وهى تحدث نتيجة إفرازات الهرمونات الجنسية من الخصيتين فى الذكر أو المبيضين فى الأنثى . ويتحكم فى هذا الغدة

النخامية التى تؤثر على كل الغدد بواسطة إفرازات خاصة نوعية تفرزها لتنبيه كل غدة عند اللزوم وبالقدر المطلوب . فإذ سمح إنسان لنفسه أن ينبه مراكزه العصبية بالمؤثرات الجنسية الخارجية التى تؤثر على الحواس ، تنبهت الغدة النخامية وأرسلت افرازاتها الخاصة بالجنس لتنبه الخصيتين أو المبيضين فتفرز فى الدم الهرمونات الجنسية التى تحدث توردا للدم فى الأعضاء التناسلية مما ينتج عنه انفعال الشهوة .

وعن هذا الطريق يستطيع الإنسان أن يتحكم إلى حد بعيد فى انفعال الشهوة .. ويمكننا تشبيه قدرة المراكز العليا فى قشرة المخ على التحكم فى المراكز السفلى بغرفة العمليات فى القيادة العليا للقوات المسلحة التى تتحكم فى توجيه الكتائب والألوية، كما يشبه العقل فى تحكمه فى الغرائز بفارس يركب حصاناً جامحاً ولكن الفارس يستطيع من خلال اللجام أن يكبح جماحه ويسير بجواده نحو هدفه فى سلام وإلا طرحه الجواد أرضاً .

وإذا كان رجال علم النفس قد قالوا لنا أن الغرائز أو الدوافع البيولوجية لها ثلاثة مقومات فى الإنسان هى الإدراك والانفعال والنزوع بمعنى أن المخ يدرك فيحدث الانفعال ثم ينفذ الإنسان ما تتطلبه الغريزة أو قد يكبت الرغبة ولا ينفذها .

إذا كان هذا فى الإنسان فيصبح مفتاح التحكم فى الغريزة الجنسية عند الشباب هو العقل . فإذا كانت حواسه طاهرة كان فكره طاهراً وإن كان فكره طاهراً فإن الانفعال لا يحدث إلا فى المجرى الطبيعى الذى وضع من أجله وهكذا تكون الغريزة سائرة فى وضعها السليم .

فالصفة الأولى فى الدافع الجنسى عند الإنسان أنه ليس مجرد فعل منعكس وإنما طاقة يمكن ضبطها وتوجيهها يتحكم فيها العقل وتسيطر عليه الإرادة .

ويخطئ هنا الاباحيون الذين يقولون أن الجنس طاقة لا يمكن التحكم فيها وأن ضبطها والتسامى بها يضر الإنسان ، وإنما على العكس سنرى كيف أن الإباحية والكبت يؤذيان الإنسان فى حياته ليست الجنسية فقط بل فى كيانه ككل متكامل .

والصفة الثانية فى الدافع الجنسى أنه ليس مجرد إزالة التوتر العضوى وإنما هو مفعم بالعواطف الراقية .

كم يلذ للخطيب أن يجوب المحلات التجارية بحثاً عن هدية لطيفة تروق لعين خطيبته! وكم تلذ للزوجة وقفتها فى المنزل تعد أكلة معينة يفضلها زوجها ! هذه العواطف المتبادلة هى التى تلف الطرفين فى غلالة رقيقة تضمهما معاً ن فتقترب النفسيتان ويتحدان ، ويصبح تلقائياً اقتراب الجسدين تعبيراً عن الحب والشركة والالتزام الذى جمع الاثنين وجعلهما واحداً . لهذا يقول القديس مكسيموس المعترف ان الانفعال الروحى أولاً ثم الانفعال الجسدى .

وإذا كان تناول الطعام إنسانياً ليس مجرد استهلاك مواد لإطفاء انفعال الجوع ، وإنما هو وسيلة لمزيد من الشركة والحب والتعارف ، فيجلس الأحباء حول المائدة ويأكلون بطريقة راقية ، ويتبادلون الأحاديث التى تدعم محبتهم ، ويكون الأكل هنا تعبيراً عن سر من أسرار الحب الإنسانى الذى لا تقاس لأعماقه حدود ، كم بالأحرى الجنس الذى هو أكثر عمقاً فى حياة الإنسان والذى يحاط بالاحترام والوقار ، والذى من أجل الارتباط الزيجى وتحقيق اللقاء بين الاثنين يؤسس عش الزوجية الجميل .. ويجلس الخطيبان يتفاهمان حول المستقبل ومبادئ الحياة التى يعتزمان أن يشتركا سوياً فى الالتزام بها .

حقاً إن الجنس إنسانياً ليس مجرد التصاق جسدى ، وإنما هو مشاعر حب صادق فى القلبين تجد فى اللقاء الجسدى تدعيماً لها . ولعل هذا هو أحد الفوارق الجذرية بين الزواج والزنا .

إن العلاقة الزيجية لها بعد داخلى أما الزنا فهو إزالة التوتر الجنسى بإحساس اللذة السطحية الجنونية التى تنعكس بعدها إلى بغضة بين الطرفين بدلاً من تعميق الحب. *وأمامنا مثل أمنون وثامار فى العهد القديم* (٢صموئيل ١٣) . وهو *الفارق أيضا* الذى يجعل الإنسان قادراً أن يقدم طاقته الحيوية على مذبح البذل والعطاء والحب

والـــتكريس كـــتقدمه طاهرة . الأمر الذى لا تستطيع أن تعمله الملائكة أو الخليقة غير الناطقة .

[redacted]

- ❖ أن الدافع الجنسى فى الإنسان يهدف إلى تحقيق الشركة والوحدة وانصهار الإثنين فى شركة "نحن" واختفاء الانا .
- ❖ أن هـــذه الشـــركة هى الحل الحقيقى لمشكلة العزلة والفراغ الداخلى . وهذا هو التفسير النفسى العميق لمعنى "أصنع له معيناً نظيره" .
- ❖ أن الغريزة الجنسية ليست بيولوجية (حيوية) يتحكم فيها المثير والاستجابة وإنما تديرها وتتحكم فيها المراكز العليا فى المخ التى تعطى للإرادة قوتها الإنسانية .
- ❖ أن الدافـــع الجنســـى لـــيس بيولوجيا فحسب وإنما هو مفعم بأرقى العواطف فى مفهومه الإنسانى وقد تسمو العواطف هذه إلى مستوى التكريس والبتولية المقدسة .
- ❖ أن الدافع الجنسى مرآة للشخصية وحصيلة لقواها المختلفة كما أن هذه القوى لها فعاليتها على هذه الغريزة الحيوية .

[redacted]

يشـــبه الدافـــع الجنســـى فى الإنسان تيار النهر الذى يبدأ من المنبع ويستمر فى ســـريانه حـــتى ينتهى إلى المصب ، وإذا لم يعترض المجرى جنادل أو شلالات كانت مســـيرته طبيعـــية هادئـــة . وإذا وضعت علية السدود فإنها تحجز تدفق المياه وتعطل سلامة السريان .

هكذا يرى رجال علم النفس أن الجنس يبدأ مع الإنسان منذ تكوينه ، وعند ولادته ، وفـــى ســـنيه الأولى . ويسمون الطاقة الحيوية هذه بالليبيدو التى تغطى جسمه كله . فـــيجد الطفل لذة فى أن يحتضنه أحد ويلامس جسده ، كما تتركز المناطق الشبقية فى الفم ومركز الإخراج . ثم ينمو الدافع فيتجه من مركزية الذات إلى نفس الجنس وهذا ما نلحظـــه فى تلاميذ المرحلة الابتدائية وأوائل الإعدادية عندما ينجذبون إلى رفقائهم من نفـــس النوع . وفى نهاية المرحلة الثانوية يتجه التيار نحو الجنس الآخر وعندما يتثبت

الاتجـــاه الأول يســـمى الشذوذ الجنسى ، ولكن كثيراً ما يعجب الفتى بإحدى قريباته أو صـــديقات أخته ، ثم يتحول هذا الإعجاب سريعاً إلى شخصية أخرى . وهكذا يكون الجـــنس الآخـــر بصـــفة عامة مثيراً له حتى تنتهى هذه المرحلة إلى الأحادية التى فى الـــبداية يكـــون اختيارها وفقاً لمعايير سطحية أحياناً ولكن عند تمام نضج الدافع يكون الاختـــيار صـــادقا ، وتثبت الأيام أصالة ونقاوة العلاقة وتبدأ مراحل الخطوبة والإعداد للـــزواج الصـــالح . إن مرحلة الكفاح لبناء عش الزوجية يكتفها الحب الطاهر والفرح القلبى بالاختيار والإلهام السليم مع التعب والعناء المشترك والجهد المضنى فى الصراع لتحقيق متطلبات الحياة الزوجية السعيدة .

ونحن ننصح الفتيان والفتيات ألا يتعجلوا ويصدروا أحكاماً سريعة ، ويتصورون أنهم قادرون على اختيار الشريك الآخر وهم بعد فى ريعان الصبا ، لأن التيار نفسه لا يكـــون قـــد وصـــل إلى هذه المرحلة ، والغريزة لا تكون قد نضجت نضوجاً سليماً . والشـــاب المتسرع الذى يختار بطريقة سطحية أو شهوانية أو باندفاع وتهور كثيراً ما تكـــون زيجته فاشلة إذ سرعان ما تنتهى الأيام الأولى ، ويكتشف كل طرف أنه لم يكن للآخـــر ، وأنـــه لـــم يكن مدققاً وموفقاً فى الاختيار وأنه ليس ثمة اتفاق وتقارب فكرى ونفسى وروحى .

فالانحـــراف الأول هو الوقوف عند مرحلة دون استكمال النمو الطبيعى للغريزة وهذا ما يسمونه التثبيت أو النكوص أى الوقوف عند مرحلة دون تجاوزها إلى النضج الحقيقى الذى تتحدد معالمه فى الاختيار السوى للشريك أو التكريس البتولى الطاهر .

[illegible]

وثمة انحراف آخر هو تركيز الفتى أو الفتاة الشهوة نحو إثارة الأعضاء التناسلية حـــتى تحدث الإثارة عن مرماها الأصيل وهو الزواج الناضج الملتزم . فإذا تحول هذا الفعـــل إلـــى عادة متأصلة . سواء قبل البلوغ أو بعده . فإنها تحرف تيار المجرى عن وضعه الأصيل إلى لذة غير طبيعية وناقصة لا تروى النفس ، كما إنها كثيراً ما تركز ممارســـها فـــى عشـــق ذاته (نرجسيته) وتزيده أحياناً انطواء . الأمر الذى يدفعه إلى

الممارســة . وهكذا يدخل الشاب أو الشابة الصغيرة فى الحلقة المفرغة أو الدوامة التى يحسن الابتعاد عنها منذ البداية .

وتتعد أسباب ممارسة هذه العادة ، ويمكن تلخيصها فيما يلى :

[redacted]

كــأن يكون قد حدث العبث بالأعضاء فى الصغر ولم يجد من ينبهه إلى خطورة هذا العبث ويحول اهتمامه إلى موضوعات أخرى تشبع نفسه .

[redacted]

كحــدوث احــتكاكات تثــير الأعضاء ، أو بسبب سوء وضع الرقاد أثناء النوم (وأفضــل الأوضــاع هــو الرقاد على أحد الجنبين) أو لكثرة التهام الأطعمة الدسمة بشــراهة ممــا يثير الشهوة بلا داع أو لحدوث بعض الالتهابات فى الأعضاء وخاصة بســبب الأمراض المستوطنة فى الريف . لهذا يلزم الإنسان التأكد من سلامة أعضائه صحياً ، واعتدال حياته فى كل العمليات البيولوجية .

[redacted]

مــثل العطــف الشديد على الذات أو احتقار الإنسان الشديد لنفسه أو التدليل فى التربــية ، أو القســوة العنــيفة فــى المعاملة المنزلية أو المدرسية أو كليهما معاً ، أو الحــرمان مــن العطف الوالدى وجدب الحنان والحب فى الطفولة الأولى خاصة ، أو الخجل الشديد والخوف الزائد بسبب الإرهاب وعدم تحمل أى مسئولية .

لهذا تكثر هذه الظاهرة فى دور الإيواء مثل الملاجئ ودور المشوهين والمعوقين وطلبة المدارس الداخلية ، والقاطنين فى المعسكرات بعيداً عن الحياة العائلية ومصادر الشبع العاطفى .

[redacted]

مــثل المــناظر المعــثرة والملامسات واحتكاك الأجساد فى المواصلات أو فى المنزل أو الأفلام الهابطة وخاصة بعد انتشار الفيديو والتليفزيون .

[illegible]

وهى عدم طهارة الفكر وتلويثه بالصور الذهنية الشهوانية من خلال عدم حراسة الحواس وعدم عفة النظر والسمع والذاكرة واللمس .

ونحـــن ننصح الفتى أن يهتم بطهارة فكره وحواسه ونقاوة قلبه لأنه منه مخارج الحـــياة ، والابـــتعاد عن كافة المثيرات الشهوانية إذ يقول الكتاب " اهرب لحياتك " .. " احفظ نفسك طاهراً " ..

" أمـــا الشـــهوات الشبابية فاهرب منها واتبع البر والإيمان والمحبة والسلام مع الذين يدعون الرب من قلب نقى " (٢تى ٢ : ٢٢) كما يقول : كونوا قديسين كما أن أباكم الـــذى في السموات قدوس ، وبدون القداسة لن يعاين أحد الرب . لهذا يلزم التدقيق فى اختـــيار الصـــديق والصورة الذهنية والموقف ، وسوف نزيد هذا الجانب إيضاحاً عند الحديث عن حياة الطهارة .

الزنـــا

وهناك انحراف جنسى آخر هو الزنا . الخطيئة التى يبغضها الرب ، والتى تهين الجسد ، وتدنس الهيكل المقدس .

بســـببها أحرق الرب سدوم وعامورة ، وأغرق العالم بالطوفان أيام نوح البار ، وأمات ثمانى عشر الفا من اليهود فى برية سيناء ، وهيج عليهم الحيات والعقارب وهذه الأمور كلها حدثت لنا مثالاً وإنذاراً نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور .

ونقصد بالزنا ممارسة الجنس خارج الزواج . هكذا يقلب الزنا النظام الذى رتبه الله ، وهو خطر شديد على سعادة الزوجين والأسرة معاً .

ويبيـــد مـــا أعده الله من السعادة لهما ولأولادها ، ويفسد النموذج المبارك الذى وضـــعه الـــرب فـــى الجنة عندما خلق حواء لآدم وأوضح أن الرجل تكون له زوجته الواحدة ، والزوجة لها بعلها الواحد. وما أزوجه الله لا يفرقه إنسان .

أى لا يدخـــل فـــى الوحـــدة ثالـــث يفصم عرى الشركة ويدنس التعهد والالتزام المبارك .

وكثيراً ما تبدأ هذه الخطيئة بالنظرة أولاً ثم بالاشتهاء الداخلى ، ثم بالتهاون مع النفس والسماح بتردد الفكر الدنس ، وأخيراً يهئ العدو الملامسات المناسبة فيحدث السقوط .

يقول سليمان الحكيم عن هذه الخطيئة " لأنه بسبب امرأة زانية يفتقر المرء إلى رغيف خبز وامرأة رجل آخر تقتنص النفس الكريمة .

أيأخذ إنسان ناراً فى حضنه ولا تحترق ثيابه ، أو يمشى إنسان على الجمر ولا تكتوى رجلاه . هكذا من يدخل على امرأة صاحبه كل من يمسها لا يكون بريئاً " (أم ٦ : ٢٦ ـ ٢٩) .

والعدو يزين للشاب غير المتزوج الخطيئة ويغريه ويحاول أن يقنعه إنها تشبعه وتمتعه وتسره ، ولكن الحقيقة أن الاتصال الجسدى بدون الحب المقدس المدشن بالالتزام الزوجى لا يحل مشكلة العزلة والفراغ الداخلى ، ولا يقدم للإنسان متعة ، وإنما يقدم لذة فى لحظة سرعان ما تنطفئ وتترك الحسرة والندم واليأس والحزن المرير والشعور بالهزيمة وتأنيب الضمير بإفساد الهيكلين وإعثار الآخر ومكتوب "ويل لمن تأتى من قبله العثرات " .

ويكفينا مثالاً على ذلك داود النبى الذى كان فى قمة السعادة ونقاوة القلب حتى أن الله قال عنه " وجدت قلب داود عبدى حسب قلبى " داود هذا الذى وصل إلى قمة الروحانية وعمق التسبيح بالمزامير الخالدة يتهاون مع نفسه ويترك لجسده العنان فينهار وتتحول حياته غماً وحزناً ، وبدموع أخذ يبلل فراشه طيلة اليوم ، ولم يفارق السيف بيته ، وكما صنع مع امرأة أوريا الحثى هكذا أمر الرب أن يصنع مع أولاده فى حياته .

لنحترس لأنفسنا . فالكتاب ينبهنا أن نصحو ونسهر ونصلى كى لا نقع فى تجربة.

ولكن إن حدث سقوط ، لا قدر الله ، لننهض سريعاً بالتوبة والصلاة والتذلل أمام الله والثقة فى مراحمه الواسعة قائلين " لا تشمتى بى يا عدوتى لأنى إن سقطت أقوم " .

[illegible]

عندما قال الرب يسوع : من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ، إنما أكد على نقاوة القلب وطهارة الفكر ونظافة الداخل . فالعفة الجنسية مسيحياً ليست مجرد الامتناع عن الزنا والعادات الجنسية ، وإنما تتعداها إلى طهارة الفكر والمشاعر . فقد يحدث أن شاباً يمتلئ خياله بالصور الجنسية ، ويتوق إلى تحقيق الاتصال الجنسى إلا أنه لا يجرؤ على ذلك بسبب الظروف الاجتماعية والتقاليد العائلية ، أو بدافع الخجل أو خوفاً من عقاب المسئولين عنه أو فقدان سمعته . هذا كله دون اقتناع بأهمية حياة الطهارة وجمالها ودون أدنى إرادة للاستفادة من الإمكانيات الروحية الممنوحة بالمسيح لاقتناء هذه الفضيلة .

مثل هذا الشاب يعانى من الكبت ، وليس طاهراً بمعنى الكلمة . والكبت الجنسى عملية لا شعورية ، فيها يشعر الإنسان بثقل الدافع الجنسى وتضارب الدوافع والميول إزاءه فهناك رغبة بالميل نحو الآداب وهناك رغبة بالمقاومة واشتعال للسقوط . إزاء هذا الصراع الداخلى يحدث ما يسمى بالكبت .

فالكبت إذاً هو اشتعال الفكر والوجدان بالنجاسة وإرادة داخلية متجهة نحو السقوط مع عدم القدرة على تحقيق المطلوب لظروف خارجية . مثل هذا يلجأ إلى نوع من الرياء لأنه كثيراً ما يتظاهر المكبوت بغيرته الدينية أو الخلقية ويهاجم بشدة الساقطين ويقسو على الناس فى أحكامه وينتقد كل ما هو جنسى عند الآخرين .

إن المسيحى الحقيقى هو من يتصالح مع نفسه ومبادئه وأهدافه ويهتم بطهارة الداخل كما الخارج أيضاً ، ويرفض كل نفاق ورياء فى حياته عامة ، وفى حياة العفة بصفة خاصة . وعندما يلحظ بادرة انحراف يسرع إلى التوبة والاعتراف لتطهير الشعور واللاشعور من كل ما يدنس الهيكل .

يلزمنا أن نوضح إذن الفارق بين الضبط والكبت ، الضبط عملية شعورية واعية هادفة إيجابية ، أما الكبت فهو عملية لا شعورية منقسمة مضطربة . الذى يضبط نفسه حريص على نقاوة قلبه لسكنى المسيح . مقتنع تماماً بأهمية الطهارة وسموها ومقتنع

أيضـــاً أنه بقوة المسيح يستطيع أن يحصل عليها . هذا لا يمنع أن نزواته وميوله تظهـــر أحياناً وتميل إلى الانحراف ، ولكنه بإرادته الحرة يرفضها ، فهو لا يقع فريسة الضعف بل يبقى فيه الرجاء كمرساة للنجاة . والذى يؤمن بالذى يبرر الفاجر يحسب له إيمانه براً .

وقـــد يتخذ الانحراف صورة الوسوسة ، فالفتاة أو الفتى الذى يخاف من كل ما جنســـى خوفـــاً ســـلبياً ، ويتشكك فى نفسه من كل نظرة أو تصرف دون أن يكون فى سلوكه ما يستدعى هذه الوسوسة ، إنما هو يعانى انحرافاً . ويفيده هنا الإرشاد الروحى الإيجابـــي ، والـــثقة فى نعمة الله ومراحمه الواسعة ، ويكفيه أن يحترس من العثرة إذ يقول الكتاب "طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه" وهذا ما نقوله أيضا لأولئك الذين تسيطر عليهم أحياناً عقدة الذنب بسبب ذكريات قديمة أخطأوا فيها دون فهم ، أو أحداث شـــوهت مفهوم الجنس فى أذهانهم بسبب أخطاء آخرين تجاههم ولم يكن لهم فيها دور إيجابى . " طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله " .

[illegible]

ما أعظم فضيلة الطهارة وما أبهاها وما أعجبها :

❖ هى فضيلة السمائيين والروحانيين .
❖ هى حياة البتوليين والقديسين الذين أحبوا العريس السماوى .
❖ هى قوة مشعة ، ونضارة طبيعية ، وجمال ملوكى ونصر باهر وتهليل الصديقين.
❖ هى نقاوة القلب التى بها يعاين المؤمنون وجه الله .
❖ هى النفس التى يستريح لها الرب ويكشف أمامها أسراره المجيدة .

[illegible]

الطهـــارة فـــى المسيحية أوسع معنى من العفة ، فالعفة تتناول طهارة الأعضاء الجنســـية وسلوك الغريزة فى مجراها الطبيعى دون انحراف أما الطهارة فهى الفضيلة التى تشمل قداسة الفكر وطهارة المشاعر وعفة السلوك .

فالإنسان الطاهر طاهر فى حواسه وفى خلجات قلبه وفى أقوال فمه وفى نظرات عينيه وفى ملمسه وملبسه وأحاديثه وكل ما يتناول حياته الباطنية والخارجية أيضاً .

والطهارة هى فضيلة مسيحية من عمل الروح القدس فى المؤمن ولكنها تحتاج إلى جهاد وسهر ويقظة قلب .

نحن لا نستطيع أن نجعل أنفسنا أطهاراً ولكننا نستطيع أن نجاهد لنحفظ طهارتنا التى يمنحنا إياها الرب يسوع باستحقاقات صليبه وعمل نعمته وفعل روحه القدوس .

والكنيسة فى كل صلاة ترفعها فى الساعة الثالثة تقول للروح القدس طهرنا من دنس الجسد والروح وانقلنا إلى سيرة روحانية لكى نسعى بالروح ولا نكمل شهوة الجسد . وتخاطب الرب يسوع قائلا "نسألك أن تجدده فى أحشائنا يا ربنا يسوع المسيح ابن الله الكلمة . روحاً مستقيماً ومحيياً ، روح النبوة والعفة ، روح القداسة والعدالة والسلطة أيها القادر على كل شيء لأنك أنت هو ضياء نفوسنا" .

وكما كان الله ينزل ناراً من السماء على الذبيحة كعلامة لقبولها ، هكذا يعمل الروح القدس عندما يقبل جهاد الشاب الضعيف إذ يسكب عليه لهيباً مقدساً يطهره من الدنس ويضرم قلبه بلواعج الحب الإلهى الذى يشبع نفسه ويملأ فراغه الداخلى ويحل مشكلة العزلة والملل والسأم ، ويغمر قلبه بندى الروح الرطب فتنطفيء نيران الشهوة وتسكن حركات الجسد وتهدأ الأعضاء وتمتليء النفس فرحاً وسلاماً ونعيماً .

الطهارة هى أنك عندما تتعامل مع الجنس الآخر فإنك تتعامل معهم كإخوة أحباء باحترام ونقاء دون إزالة للكلفة أو خدش للحياء ، وإنما بود وإعزاز كأعضاء معك فى جسد المسيح أو فى أسرة الإنسانية ولكن إذا شعرت أن شخصاً منهم قد سرق اهتمامك وتفكيرك وخيالاتك حينئذ بنضج ووعى يكون لديك إمكانية الضبط لعواطفك وإتخاذ ما تراه مناسباً لتهدئة هذه المشاعر لأنك مقتنع أن هذا هو بداية الطريق المؤدى للزواج الذى أنت غير مهيأ له الآن . إنك تعرف قدر نفسك جيداً .

والطهارة هى النظرة المقدسة للجسد سواء جسدك أو جسد الآخر . فالطاهر هو الذى ينظر إلى كل أعضائه بالتكريم كمكان يسكن فيه روح الله إنه لا يستغرق فى

الاستهواء بالجمال الجسدى للآخر لأنه يعرف أن الجمال باطل والحسن غش كما يقول سـليمان الحكيم والجمال الحقيقى أعمق بكثير من تناسق الأعضاء والألوان . إنه يقدر الجمـال حقـاً ولكـنه لا يشتهيه أى لا يريد أن يمتلكه ويستهلكه بل إنه يقيم الآخرين كشخصـيات لا كمجـرد أجسـاد .فالجسد عنده هو الغلاف الخارجى ولكن الذى يشده بالأكثر هو ما يحويه هذا الغلاف من طباع ومفاهيم وقامة روحية وثقافية وفكر وإرادة وشخصية .

الطهـارة أيضا هى الاستمتاع الإيجابى بطاقة الحب فيوجهها الله للعبادة والتسبيح وبالخدمـة وحـياة الشركة. إنه لا يحتقر الجنس بكافة صورة ولا يتقزز منه سواء ما يختص بالحياة الزوجية أو النظرة السليمة لأعضاء الجسد .

[illegible]

وقـد تسأل يابنى لماذا أحيا طاهراً بينما كثير من زملائى يعبثون ويملأون الدنيا ضحكاً ونكاتاً بذيئة ويتهامسون على النواصى بأحاديث وخبرات جنسية دنسة ويتبادلون القصـص والمغامـرات صادقة كانت أم كاذبة ملقين لأعينهم العنان للنظر إلى أجساد العابرات وممارسين كل عادة وحركة تعطيهم لذة ، ألا يعتبروننى غشيماً جاهلاً متخلفاً عـندما لا أواكـبهم المسير وأرفض المعاشرة ومتابعة الأحاديث والسلوك ؟ الواقع أن القضية مصيرية . هى ليست مجرد كلام . هى قضية حياة أو موت ، أبدية أو هلاك ، إيمـان أو انحلال ، قداسة أو استهزاء ، تمايز وشهادة أو انجراف فى التيار . ولندرس فوائد حياة الطهارة باختصار .

[illegible]

يؤمن الشاب المسيحى أن الرب يسوع قد قدس الطبيعة الإنسانية عندما اتحد بها وصـار ملتزماً بها وراعياً لها ومدبراً لخلاصها . وعندما صعد إلى السماء وجلس عن يميـن أبـيه احـتفظ بجسده الذى أخذه من الروح القدس والعذراء القديسة مريم وهكذا دخلـت الطبـيعة الإنسانية فى أعماق اللاهوت كما أصبح الله فى أعماق الإنسان . لقد أصـبح الإنسان المختوم بالروح القدس فى سر الميرون مكرساً للرب ، وجسد الإنسان

المعمـــد بالماء والروح قد صار هيكلاً للروح القدس ومسكناً للرب وعضواً فى الكنيسة التى هى جسده السرى .

وفـــى هـــذا يقـــول الرسول بولس : " ألستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم الذى لكم من الله وانكم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله فى أجسادكم وفى أرواحكم التى هى لله (١كو ٦ : ١٩ ـــ ٢٠) وفى موضع آخر يقول : " ألســتم تعلمــون أن أجســادكم هى أعضاء المسيح ، أفاخذ أعضاء المسيح وأجعلها أعضاء زانية ؟ حاشا " (١كو ٦ : ١٥) .

وإزاء كــرامة أجســادنا إلى هذه الدرجة يناشد الرسول أهل رومية قائلاً "فاطلب الــيكم أيهـــا الأخـــوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية . ولا تشاكلوا هذا الدهر بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا مـــا هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة " (رو ١٢ : ١ ـــ ٢) . ويقول الرسول بولس للمؤمنيـــن فـــى رومـــية عن تقديس أجسادكم "لنسلك بلياقة كما فى النهار ، لا بالبطر والســكر ، لا بالمضاجع والعهر ، لا بالخصام والحسد ، بل البسوا الرب يسوع المسيح ولا تصنعوا تدبيراً للجسد لأجل الشهوات " (رو ١٣ : ١٣ ـــ ١٤) .

فالشـــاب المســيحى الذى أدرك قيمة كرامة جسده يحرص على أن يلبس الرب يســـوع فـــى الصلاة والتناول من الأسرار المقدسة ولا يشاكل هذا الدهر ولا يسلك فى طريق الأشرار وفى مجلس المستهزئين لا يجلس لأن ذهنه قد استنار وحياته قد تجددت وأصــبح حريصاً على أن يرضى الرب فى طرقه ويحفظ الوصية عن حب لذاك الذى مات لأجله وقام .

فهل نحن نشابه أهل العالم فى أهدافهم وطرقهم وألفاظهم وسلوكهم ؟ أم إننا فعلاً قد صرنا خليقة جديدة فى الداخل والخارج معاً ؟ .

[redacted]

يوضح لنا الكتاب المقدس أن الإنسان خلق على صورة الله ومثاله وهذه الصورة البهية قد تجسد المسيح ليعيدها إلينا بعد أن تشوهت بخطية آدم . فالشاب المسيحى الذى

يحيا طاهراً لا يحقق ما تتطلبه الوصية فقط وإنما يحقق حياته هو أولاً . يصبح الإنسان كمـا يريده الرب . يحرص على أن تظهر هذه الصورة فى حياته ويرفض أن يطمسها بالحـياة الشهوانية والتصرفات الجسدانية . ويقول رجال علم النفس أن الشاب الطاهر تحـيا غرائزه وتنمو فى انسجام واتفاق وتكامل بعكس الشاب الشهوانى إذ يسيطر عليه الانهمـاك فـى الملـذات الجنسـية، الأمر الذى يجعل بقية الدوافع فى خلل وارتباك . فالطهـارة متطلـب نفسى . لهذا نرى الشاب الطاهر حقيقة الذى لا يعانى كبتاً أو قهراً يحيا فى سلام ونضارة وفرح وسعادة وتخلو نفسيته من العقد النفسية والهموم والأحزان وتأنيب الضمير وأوجاع النفس المختلفة .

إن اللـذة تقـدم كطعـم ، ولكن هل هذه اللذة تؤدى إلى الشبع الكامل والشعور بالاستقرار النفسى الحقيقى ؟ تأكد أن الله لا يريد لك سوى سعادتك وهو لم يخلق الجنس ليعذبك به وإنما ليستخدم فى مجراه الإنسانى السوى فتتمتع بكل طاقاتك . فلا تحاول أن تستعمل أجهزتك بطريقة غير تلك المخلوقة من أجلها ، حقاً إن حياة الطهارة تؤدى إلى السـعادة النفسـية فهى متطلب نفسى وإنسانى كما هى وصية إلهية وفضيلة روحية ، والطهـارة تحمى الإنسان من الأمراض الجنسية وتحفظ نضارة الشبوبية ، ولذلك تجد وجه الشاب الطاهر يختلف تماماً عن وجه الساقط فى بالوعة الشهوات الجنسية . ورغم تقـدم الطـب فـى معالجة الأمراض لكن ما زالت للنجاسة ضحايا كثيرة مثل أمراض الزهرى والسيلان ، وإن أهمل علاجهما تكون عواقبهما وخيمة .

[illegible]

يدعى الشبان الشهوانيون أن الناس تقبل الإباحي وتقدره وتعتبره شخصية قادرة علـى التكـيف مع المجتمع ، وهذا إدعاء باطل لأنه على قدر ما تمتدح "الشلة" الشاب الإبـاحى الا انهم فى اعماقهم لا يحترمونه ويفضلون الشخص المؤدب الذى على خلق كريم والناس لا تثق فى المستهتر ، والشهواني ، بل تخاف منه وتراقبه ولا تطمئن على أعراض الناس منه ، لأنه ذئب مفترس اعتاد الانقضاض لأجل طغيان الشهوة .

فالعفـــة متطلب إجتماعى على قدر ما هى متطلب روحى ونفسى وإنسانى . وفى مجـــال الأسرة لا يثق الوالدان إلا فى الشاب الطاهر لأنه إذ قد غلب ذاته يقدر أن يبذل نفسه لأجل الآخرين ، بعكس الشهوانى تجده أنانياً لا يسعى إلا لمصلحته الخاصة فقط . وفـــى مجـــال الحياة الدراسية تعطى الطهارة نقاء للفكر وصفاء للذهن وتركيزاً للذاكرة وهذه أسلحة هامة فى التحصيل العلمى والتفوق الدراسي . ولكن ليس معنى هذا أن كل الشـــهوانيين يرسبون وكل الأطهار يتفوقون علمياً ، لأن هناك عوامل أخرى تتدخل فى التحصـــيل والدراســـة العلمية منها الذكاء الوراثى والقدرات العقلية ومدى قابلية الشاب لنوع الدراسة التى تخصص فيها .

صـــفوة القول أن حياة الطهارة والتعفف الجنسى التزام مسيحى وانسجام واتساق للأجهـــزة النفسية وحماية وصون لصحة الأبدان ، ثم هى أيضا متطلب اجتماعي على أعلـــى مســـتوى . العالم اليوم يحتاج إلى القدوة العملية . الناس متعطشة أن ترى شباباً أطهـــاراً فى وسط جيل ملتو ومعوج ، وفى زمان أيام شريرة تقترب سماتها من أواخر الدهور .

[redacted]

هذا السؤال الذى يطرح نفسه بشدة . كيف يمكن للشاب المسيحى أن يحفظ عفته وطهـــارة جســـده ونقـــاوة فكرة وقلبه ، والجو العام المحيط به ملوث بكل ما هو مثير للنجاسة ومشجع للسقوط ؟

[redacted]

- ❖ بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً .
- ❖ أسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . إقرعوا يفتح لكم .
- ❖ أرسل لكم الروح المعزى . وهذا يأخذ مما لى ويخبركم .

فـــبادىء ذى بدء إن حياة المؤمن معجزة ، وبدون المعجزة لا يمكن تفسير الحياة المسيحية الطاهرة الحقة . الله وحده هو القادر أن يصنع المعجزة ، ولكن للذين يطلبونه من كل قلوبهم .

والــروح القــدس وحده هو الذى يمنح القوة ، ويعطى الإلهام ، ويهون المعاناة ، ويسند فى الضيق ، ويحمى وقت التجربة ، ويقيم ويعزى ساعة السقوط .

مــن هذا المنطلق تبدو أهمية الحياة الروحية . إن يوحنا الدرجي يقول : " العفة هــى مقابلـــة عشق بعشق" أعنى مواجهة العشق الجسدى بالحب الإلهى ، فأولئك الذين يشبعون ، ويتعزون بعمل النعمة هم وحدهم الذين يجدون للعزلة وللفراغ حلا وللشهوة سمواً وعلواً .

ولنعط أضواء على مقومات الحياة الداخلية وعلاقتها بحياة الطهارة والتعفف .

[illegible]

لا منفعة أن توضع رقعة جديدة على ثوب قديم ، ولا فائدة من جهود تبذل والقلب منقسم ، والنفس ميالة للشهوة ، واتجاه الحياة الداخلى منجذب نحو العالم والأشياء التى فـــى العـــالم . أما الذين قدموا توبة صادقة فهؤلاء تحدث فى قلوبهم ختانه تقطع غرلة محـــبة العالم وشهواته ، إذ يقول الكتاب " هوذا الكل قد صار جديداً " وفى موضع آخر يقول : " تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة " .

بدون التوبة بمعناها العميق تظل الحياة فى صراع ، والقلب فى انقسام ، والسقوط والقيام متكرر كل يوم ، معطياً للعدو الشماتة وزرع روح اليأس والانهزام .

أمـــا العـــزم الصادق على الحياة مع المسيح والجهاد الدؤوب للحفاظ على النعمة المعطـــاة بالـــروح ، فهذه هى وحدها التى تحمى الشاب من خطورة الانزلاق وهاوية السقوط . ليس معنى هذا أن الحرب ستنتهى ، وليس معنى هذا أيضا أن التجربة سوف لا تعـــرض ، بـــل وأحيانا تكون قاسية . ولكن الذى نعنيه هو أن القلب سيكره الخطيئة مهما عرضت ، وسيرفضها مهما ثقلت ، وسينهض من الكبوة إذا النفس عثرت . يشبه الآباء القديسون الفارق بين التائب وغير التائب بالحمل والخنزير . الحمل قد يعثر ولكنه سرعان ما ينفض التراب ويقوم من كبوته ولا يطيق الوحل على فروته ، تنعشه النظافة

وتــزيده صحة ووزناً . أما الخنزير فحتى لو عطرته بالعطور الغالية فإنه يجرى وراء المزبلة ليأكل منها ويتقلب فى مراغة الحمأة .

طوبــى للشــاب الــذى لمست قلبه محبة المسيح ، واكتوى فؤاده بلواعج الحب المقدس ، إنه لا يطيق أن يدنس هيكله ، ولا يحتمل أن يغضب حبيبه مخالفا وصيته .

[illegible]

وتــأتى بعــد ذلك خطوة التوبة التى يسميها بعض الآباء معمودية ثانية أو امتداد للمعمودية . التوبة والاعتراف إفصاح عن كراهية القلب للخطيئة ، وإعلان عن الرغبة والعــزم للسير وفقاً للحياة الجديدة ، والتزام بالطريق الضيق . إنها تجعل الزناة بتوليين كما يقول الشيخ الروحانى . إنها تلقى عبء المتاعب وثقل الضمير ، لتستريح النفس فى أحضــان الأبوة . إنها ترك لكورة الخنازير بلا رجعة ، وعودة إلى الأحضان الحانية ، وتمتع بالشركة مع القديسين فى مائدة العجل المسمن .

إذا كــان بعض الشباب لا يفيد من سر التوبة فى هذه الأيام ، فإن هذا يرجع إلى عدم فهم الاعتراف بمعناه السليم ، أو النظرة إلى الاعتراف على أنه مجرد راحة نفسية فقــط وخلاص من عذاب الضمير ، أو لأنه قد لا يوجد آباء اعتراف حاذقون كثيرون يعــرفون كــيف يقودون نفس التائب فى الطريق بحكمة وإفراز وفطنة . كما أنه يوجد بعــض الشباب لا يهمه فى الاعتراف إلا الحديث عن الخطيئة الجنسية دون أن يوضح أســباب السقوط ونوع الخيانة التى حدثت ، والغرض التى أعطتها النعمة للخلاص ولم يستفد منها ، ودون تركيز على الذات بعتوها وأنانيتها التى هى مصدر الداء لهذا النوع مــن الخطايا وغيرها الكثير . لنذكر أنه بجانب دنس الجسد يوجد دنس الروح ، وهذه كلهــا تحــتاج إلى توبة واعتراف . وطلب الروح ليخلصنا ويطهرنا منها ، لنكون آنية مقدسة وهياكل طاهرة وأعضاء حية فى الجسد المقدس لتنفيذ مقاصد الآب السماوى .

[illegible]

لأن الله يعلم ضعف ونقص البشرية وعجزها عن أن تعمل الصلاح بدونه ، لهذا أعطانا جسده ودمه الأقدسين طعاماً روحياً ومناً سماوياً وحياة أبدية وغفراناً لخطايا كل

من يتناول منه . نحن فى الافخارستيا نشترك مع الله فى موته وقيامته ، وكل من يثابر على التناول من المذبح المقدس ينال قوة لغلبة الذات والعالم والشيطان .

إنــه الحــياة الفائقــة للطبيعة ، وكل من يتناول منه تائباً منسحقاً مؤمناً بقوة هذه العطــية يغلــب نواميس الطبيعة، يعلو فوق غرائز الجسد وإلحاحاتها العنيفة ، تدب فيه روح الأبديــة وتهــون معانـــاة الجهاد ويفرح بتعزيات الروح التى تغنيه عن الملذات والجسديات . إن سر الافخارستيا هو العصارة الآتية من الكرمة إلى الأغصان لتحييها وتقويها وتشددها وتخصبها وتنميها . إشعياء النبى عندما مسته الجمرة الإلهية من على المذبــح طهر للحال ، واستحق أن ينطق النبوءة ، وأما نحن فتدخل أحشاءنا هذه النار المقدســة لــتطهرنا مــن كل دنس الجسد والروح ، ولتلهب فينا مشاعر الحب الإلهى والغيرة المقدسة والسهر الروحانى واللهفة فى انتظار مجيئ الرب فى يقظة نفس وأمانة قلب .

[illegible]

الصــلاة هــى خدمــة الملائكــة . وكل من يصلى بالروح والحق تتغير حياته ويتروحــن . إنه يكون كالطائر المحلق فى السماء لا تشده النوازع الجسدانية والأهواء الشهوانية . لهذا أوصانا الكتاب أن نصلى بلا انقطاع (١تـس ٥ : ١٧) وأن نصلى كل حين ولا نمــل (لو ١٨ : ١) فالصلاة المتواترة نعمة تقدس حياة الشاب وتجعله خليقة جديدة . والصـــلاة تحمــل مضمون الحوار مع روح التذلل . فيها نشكو وهو يتعطف ويتحنن ، فــيها نعــرض معاناتنا فى اقتناء العفة وهو يشير علينا بما يريح قلبنا ويهدىء نفوسنا ويهــون معاناتـــنا ويقدس أجسادنا فتشبع النفس فرحاً وسلاماً وتهليلا . الصلاة حصن للمجاهديــن ، تسقط حصون الشر وأسلحته الملتهبة . إنها قادرة أن تبطل شغب الجسم وحــرارة الجســد . إنها تسكب على حرارة الجسد ندى النعمة المرطب والملطف ، فيحــيا الشــاب متجاوزاً نوازع الغريزة متدعماً بقوة الإرادة متعزياً بعمل النعمة فرحاً بالــرجاء حــاملاً خوذة الخلاص ودرع البر وترس الإيمان ومنطقة الحق . إنه يحمل المعجزة حيثما ذهب وأينما تحرك لأن يمين الرب تسنده .

[illegible]

الرب نفسه يقول " الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة " الكلمة لها فاعلية . " أنــتم أنقياء بسبب الكلام الذى كلمتكم به " .. الكلمة تقدس الفكر والوجدان وأمضى من سـيف ذى حدين ، كلما تمثلناها تغير الحياة هدفاً ومصيراً واتجاهاً . كل الذين تمرسوا على طاعة الوصية عاشوا حياة العفة فى سهولة ويسر . المسيحى الحقيقى يصرخ فى الصلاة والله يجيب ويتكلم فى الكتاب المقدس ، والمؤمن المطيع يرهف السمع ويصغى بإنصـات وخشوع لما يريده الله منه فيسرع لينفذ الوصية فى حياته العملية شاهداً للحق فى حياته الداخلية وبنيانه الروحى ، وفى حياته الخارجية وعلاقاته الاجتماعية .

إن تذوق حلاوة الكلمة يجعل شهوة الجسد مرة فى أفواهنا وعلقماً فى حلقنا . إن تعـزيات الروح من خلال الكلمة تجعل التلذذات الحسية جهالة وهلاكاً ولسعات أفاعى وحيات مهلكة حارقة .

الصـلة الخفـية فـى المخـدع بين الإنسان وإلهه هى سر الإيمان وأساس كل الفضـائل. وبغير الصلاة لا ننال فضيلة العفة والطهارة . أما من يعاين الله فى المخدع فهذا يعرف الحق ، والحق يحرره من كل شهوات الجسد والعالم . إنه يصبح مقدساً فى الحق .

والتسـبيح هو أسمى أنواع الصلاة ، إنه تمجيد وتكريم لاسم الله العظيم القدوس المبارك . إننا به نسمو على غرائزنا وتتسامى طاقاتنا العاطفية إلى الحب الكامل والهيام فـى شخص العريس السماوى . لذلك فوقفات الشاب فى الكنيسة لصلاة التسبحة تشبع المشـاعر وتـنقى الأفكار وتهذب الجسد وتشيع روح العبادة والجو الملائكى السماوى الذى يطرد الشياطين ويبعد الأفكار الشريرة ويحفظ الحياة طاهرة بلا دنس .

[illegible]

الصـوم علاج لمشكلة نهم البطن وتلذذ الحنجرة ، وتدعيم للإرادة الروحية لغلبة سـيطرة أهواء الجسد . الصوم رياضة روحية عظيمة يعطى فرصة للروح أن تنطلق فى العبادة بلا عائق . الصوم الإنقطاعى مع الصلاة والحياة الروحية الحقة يجعل الجسد

شفافاً رقيقاً ويخفف ارتباط الإنسان بالأرض ويوجه اهتماماته إلى الأشياء التى لا ترى. بـــه يدرك الإنسان ما قاله الرب على جبل التجربة "ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكـــل كلمـــة تخرج من فم الله" . وبالانغماس فى ملذات الطعام والشراب يصعب علينا إدراك خـــبز الحياة النازل من فوق الذى هو قوام الحياة الروحية . الصوم تدريب على طاعـــة الله واختبار إماتة شهوات الذات ، فيه خشوع وانسحاق ، وفيه زهد عن العالم وتوبـــة عـــن الخطايا . وكلما ارتبط الصوم بالصلاة والسجدات والتذلل أمام الله يصبح فعالاً ولهيبا يحرق أشواك النجاسة والأفكار الشريرة والأفعال الهيولية .

ويلـــزم أن يمارس الصوم باعتدال وإفراز وتدرج ، وتحت قيادة أب روحى ملهم حـــتى لا تخـــتل وظـــائف الجسد أو أن يكون هزيلاً غير ذى فاعلية فى ضبط حركاته وحسن قيادته .

بعض التداريب الروحية الهامة

١ - تدريب الحواس على الطهارة

تجنـــب يا أخى كل ما يعثر عينيك وأذنيك . وإذا وجدت صورة معثرة القها عنك جانـــباً ، ولا تقـــرأ كتاباً فيه موضوعات نجسة . واحذر من كافة وسائل الإعلام التى تعـــرض صوراً غير طاهرة . لا تقف فى الطرق وزوايا الشوارع متطلعاً إلى المارة ، ولا تجلـــس فـــى مقهى لهذا القصد السئ ، ولا تضع فى منزلك صورة خليعة بل ضع صـــوراً دينية وطبيعية جميلة ، ولا تجعل نظرتك فاحصة تنقل إليك الشهوة الجنسية بل لتكـــن نظرتك عابرة وسريعة ، فإن كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً . كرر فى صلاتك على الدوام وأنت فى الطريق أو مكان العمل أو المنزل قول داود النبى : " اردد عينى لئلا تعاينا الأباطيل " ، وقول أيوب البار : "عهداً قطعت لعينى فكيف أتطلع إلى عذراء؟! " .

[illegible]

لا يكفـــى فقـــط أن تحفـــظ حواسك من الشر ، بل جاهد أيضا لمحاربة الأفكار الشـــريرة . لا تدع الفرصة لأفكارك أن تسرح ولخيالك أن ينطلق فى أجواء شريرة ،

فإن كنت لا تذهب بقدميك إلى الخطيئة فانتبه أيضا لكى لا تذهب بفكرك إليها . توقع أن تحـــاربك الأفكـــار الشريرة طالما نحن فى العالم ، ولكن درب نفسك على أن تطردها بعمـــل الـــنعمة وفعل الإرادة الصادقة التى يعمل فيها الروح القدس . درب نفسك على تلاوة صلاة يسوع وبعض الترانيم المعزية فتهرب الأفكار النجسة كما تهرب الحشرات من النور الوهاج .

وقـــد يعـــترض بعض أصدقائك قائلين : إن الهروب جبن ، ولكن الواقع أن هذا الهروب منتهى الشجاعة والصلابة لأنه مواجهة جريئة للإنسان العتيق الفاسد الذى فى الداخل ، تذكر يوسف البار وكيف هرب من امرأة فوطيفار فكان هروبه ملء الشجاعة والعفة . وقد يقول قائل : إن جرعات بسيطة من الخطيئة تقينا شرها كمن يأخذ عدوى بسـيطة مـــن الميكروب ليكتسب مناعة ضد نفس الميكروب . ولكن هذه مغالطة لأن الخطـــية موت ولو فى أبسط صورها . ومن يسمح لنفسه بجرعة صغيرة من الشر ينم عن رغبة كامنة فى نفسه للشهوات ، هذه الطريقة تضعف إرادته وتسهل له السقوط " إنها طرحت كثيرين جرحى وكل قتلاها أقوياء " (ام ٧ : ٢٦) .

[illegible]

الطاقـــة الجنسية كالكهرباء إما أن تحرق وتدمر ، أو تحرك وتشغل . إن الشاب الـــروحى يستخدم الغريزة فيما هو بناء ، فى كل عمل خلاق . إنه لا يدع نفسه فريسة لأوقـــات الفـــراغ ، بل يحرص على أداء خدمات روحية واجتماعية ووطنية وترويحية تعود عليه وعلى الكنيسة والوطن بكل الخير والفائدة .

[illegible]

- ❖ الخدمـــة فـــى التربـــية الكنسية والأنشطة الدينية المتنوعة التى تتفق مع مواهب الشخص
- ❖ الهوايـــات مـــثل الموســـيقى والقـــراءة والفنون الجميلة والرحلات والمعسكرات وأشغال الإبرة والمعارض .

- ❖ مشـــروعات خدمـــة البيئة مثل عمل حدائق وتنظيف ورصف الشوارع وخدمة الملاجىء ودور الإيواء .
- ❖ القراءات الروحية والثقافية والفنية ، وهناك مكتبات كثيرة فى كل الكنائس لخدمة الشبيبة وفى مجال الجنس وحياة الطهارة نذكر مراجع كثيرة باللغة العربية مثل حياة العفـــاف ، سر الحب ، المسيحية والجسد ، المسيحية والجنس ، أسئلة حول العفة ، إلـــيك أيها الشاب ، ومطبوعات كثيرة متدفقة تخدم هذه القضية سواء بطريق مباشر أو غير مباشر .

• الرياضة النافعة للطهارة

إن الرياضة تكسب الشاب فضائل عظمى ، فهى تعلمه التعاون والتنافس الشريف وتحمل المشاق ومواجهة الهزيمة وعدم الاستسلام لها .

إنهـــا تكســـب الجســـم القـــوة والنشـــاط، وتبعده عن الخمول والكسل والتراخى والترهل .

إنها تستنفذ طاقة كثيرة زائدة وذلك تخفف الضغط والتوتر الجنسى وتعطى الجسد نوعـــاً مـــن الصـــفاء والاتزان ، كما أنها تحمى الجسد من كثير من الأمراض وتمنح الصحة والعافية .

وهـــذه تشجع الشاب على تقدير الصحة والنظافة والاتزان واحترام طاقة الجسد وعدم تبديدها فى عادات رديئة أو شهوات منحرفة .

علـــى أنه يلزم أن نشير إلى أن هذه الرياضة الجسدية نافعة لقليل ، ولكن التقوى نافعة لكل شىء إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة (١تى ٤ : ٨) .

إن جمـــيع هـــذه التداريـــب إن لـــم تسندها النعمة وتؤازرها قوة الروح القدس وتمارســـها إرادة طاهـــرة محـــبة للحـــق فإنها جميعاً تعجز عن تحقيق حياة الطهارة المـــرجوة. يقـــول داود النبى : " إن لم يبن الرب البيت باطلاً تعب البناءون ، وإن لم يحرس الرب المدينة باطلاً سهر الحراس " .

- يارب أنت تعرف ضعفى ونقصى ، فبنعمتك اسندنى وبقوتك آزرنى وشددنى .
- إن حاربت وانتصرت فقد يصيبنى العجب والكبرياء فأسقط ، فاسمح أن تغطينى نعمتك لأعرف حقيقة نفسي ونجاسة قلبى وفساد طبيعتى .
- وإن سقطت فقد تداهمنى روح اليأس وصغر النفس ، ولكنى أسرع إليك يا مخلصى صارخاً قائلاً : اللهم التفت إلى معونتى يارب أسرع وأعنى .
- فى كل الأحوال سربلنى بثوب البر وغطنى برداء العفة الذى يمنحه روحك لكل محبى اسمك .
- رأسك المنحنية على الصليب شاخصة إلى ، فاعطنى ألا أحول نظرى عنك فأخلص .
- جنبك المطعون يضمنى ، وفيه ستر لى وحصن فلا تصيبنى سهام العدو الطائشة وحروبه الملتهبة .
- بالمسامير التى سمرت بها سمر خوفك فى لحمى وانقذ عقلى من طياشة الأعمال الهيولية والشهوات العالمية إلى تذكار أحكامك السمائية .
- ومريم العذراء القديسة أمك ومعها يوحنا والمريمات المخلصات يشفعن كل حين فى ضعفى . اقبل يارب شفاعتهم كى أكمل مسيرة حياتى فى قداسة وطهارة وبر .

موسوعة حياة ومؤلفات

نيافة الحبر الجليل مثلث الرحمات

الأنبـــا بيمـــــــن

أسقف ملوى وأنصنا والأشمونين

المجلـــــــد الأول : حياة الأنبا بيمن (من التعب إلى المجد)

المجلـــد الثـــانى : الأصوام والأعياد (الجزء الأول)

١ـ الصوم الكبير .
٢ـ صوماً روحانياً .
٣ـ التجسد الإلهى .
٤ـ مجد وسلام ومسرة .
٥- ذهباً ولباناً ومراً .
٦ـ الميلاد الثانى .
٧ـ القيامة ومشكلات الشباب .
٨- القيامة وحياتنا الروحية .
٩- عيد الصعود الإلهى .
١٠ ـ السماء الثانية .

المجلـــد الثـــالث : **الأصوام والأعياد (الجزء الثانى)**

١ـ دراسات وتأملات فى الأصوام والأعياد .
٢ـ الأنبا بيشوى .
٣ـ مقتطفات من الأعياد .

المجلـــد الرابـــع : **دراسات وتأملات فى الكتاب المقدس**

١ـ الوصايا العشر .
٢ـ صوت الرب .
٣ـ تأملات فى إنجيل يوحنا .
٤ـ تأملات فى سفر أعمال الرسل .
٥- تأملات فى تيموثاوس + كولوسى .
٦- تأملات فى يعقوب + بطرس الأولى .
٧- تأملات فى ألقاب المسيح ووظائفه .
٨- تأملات فى شخصيات من الكتاب المقدس .

المجلـــد الخـــامس : **الخدمة**

١ـ الخدمة فى القرية .
٢ـ خدمة الشباب .
٣ـ الشعور الدينى فى الطفولة والمراهقة .
٤ـ مستويات تدريس الأعياد .

المجلد السادس : الشباب والأسرة

١ـ قضايا شبابية واجتماعية .
٢ـ الرؤية المسيحية للعمل .
٣ـ المسيحية وبناء الشخصية .
٤ـ الإرادة فى حياة الشباب .
٥- المسيحى وروح العصر .
٦ـ الأسرة المسيحية .
٧- الطفولة من منظار مسيحى .
٨- الحياة العائلية .
٩ـ الحياة الاجتماعية .

المجلد السابع : التدين السليم

١ـ التدين السليم .
٢ـ العبادة المقبولة .
٣ـ مسيح الكون كله .
٤ـ الجهاد الروحى .
٥- الحياة الباطنية .
٦ـ الفضائل .

المجلد الثامن : التربية المسيحية

المجلد التاسع : حياة العفاف

١ـ العفاف المسيحى .
٢ـ سر الحب .
٣ـ المسيحية والجسد .
٤ـ الجنس مقدساً .

المجلد العاشر : وسائط النعمة وموضوعات روحية أخرى

١ـ أعظمهن المحبة .
٢ـ كيف أمارس سر الاعتراف ـ والمرشد إلى الاعتراف .
٣ـ كيف أبدأ .
٤ـ الروحانية الأرثوذكسية .
٥- الناموس والنعمة .
٦ـ علامات الكنيسة .
٧- نريد أن نرى يسوع .
٨- يمين الرب .
٩ـ الغيرة المقدسة .
١٠ـ ولم يحبوا حياتهم .
١١ـ إرادة الله وحياتنا .
١٢ـ ظاهرة الهجرة .
١٣ ـ الإكتشاف الثالث .
١٤ـ أين أنت .
١٥ ـ المسيحية إلتهاب .

المجلد الحادى عشر : المناهج للمرحلة الإعدادية السنة الأولى .

المجلد الثانى عشر : المناهج للمرحلة الإعدادية السنة الثانية .

المجلد الثالث عشر : المناهج للمرحلة الإعدادية السنة الثالثة .